في تنمية الوعي الدينيّ والاجتماعيّ

كتابٌ يَرصدُ الكلمات والمقالات والمتابعات

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

حسَن مُوسى الصفَّار

روافد

في تنمية الوعي الدينيّ والاجتماعيّ

كتابٌ يَرصدُ الكلمات والمقالات والمتابعات

المُجلّد الخامس

١٤٤٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتمِ النَبيين وتَمَام عِدَّة المُرسَلين

وعَلَى آلِهِ الطَيِّبين الطَاهِرين وصَحْبِهِ المُنْتَجَبين.

أول الروافد

يمكن القول إنه تتوفر لخطاب الاعتدال الديني في الوقت الحاضر، أفضل الفرص وأكثر الأجواء إيجابية وتفاؤلًا، في أوساط المجتمعات الإسلامية، ذلك لأنّ اتجاهات التطرّف والتشدّد تضاءلت فرصها في القبول والتأثير على المستوى الجماهيري، بسبب مآلات الفشل التي انتهت إليها، والتجارب القاسية المرّة التي خاضتها، وما تخلّلها من إرهاب ووحشية وإجرام، شوّه صورة الدين، ومزّق مجتمعات الأمة، وجعل أوطانها مستباحة للأعداء الطامعين والطغاة المستبدّين.

لكنّ ردّة الفعل تجاه التطرف لا تكفي لتعزيز اتجاهات الوسطية والاعتدال، ما لم يواكبها مشروع اجتماعي إصلاحي، ونهضة علمية ثقافية، للاهتمام بتنقية التراث وتصفيته من بذور التشدّد والتطرّف، التي إن تركت فستعاود الظهور والنموّ

عند أيّ تحوّل أو ظرف آخر.

لا بُدّ أن تتضافر جهود الفقهاء والمفكرين من مختلف مذاهب الأمة ومدارسها، لتجديد منظومة الفكر الديني، في البعد الكلامي الفلسفي، وفي البعد التشريعي الفقهي، بما يتناسب مع تطورات العصر، وتقدّم المعرفة البشرية، فإنّ قواعد علم الكلام، وقواعد أصول الفقه، في جميع المدارس والمذاهب الإسلامية، تمثّل اجتهادات لعلماء الأمة في عصور سابقة، وهي ليست وحيًا منزلًا، ولا علمًا قطعيًّا ثابتًا، بدلالة استحداثها وتطورها، ووجود الاختلاف والنقاش في جوانبها وتفاصيلها، بين أعلام الأمة في الماضي والحاضر.

وإذا لم يتصدّ الأكفاء من العلماء والفقهاء والمفكرين لهذه المهمّة العظيمة الخطيرة، فقد يتصدّى لها من تنقصه القدرة والكفاءة اللازمة، فيسبب ذلك إرباكًا وخللًا في ساحة المعرفة والأمة.

ويبدو أنّ من أهم عوائق القيام بهذا الدور، من قبل كثير من الفقهاء والمفكرين الأكفاء، هو الخوف والحذر من اعتراضات المتحفّظين، الذين يثير قلقهم وريبهم أيّ دعوة أو محاولة للإصلاح والتجديد، ويستميتون للإبقاء على ما هو سائد ومألوف، من الآراء والتقاليد والأعراف في الحالة الدينية.

إنّ إرساء منهجية الاجتهاد، ومنحها المشروعية في استنباط الرأي الديني، إنّما يستهدف تمكين الشريعة من مواكبة التحولات والتغيرات في الفكر الإنساني، والحياة الاجتماعية؛ لأنّ الإسلام هو الرسالة الإلهية الخاتمة، فلا بُدّ وأن يستوعب كلّ تغيرات الأزمنة والعصور، وذلك عبر منهجية الاجتهاد، لكنّ هيمنة آراء الأسلاف، أفقد هذه المنهجية دورها

الحيوي المطلوب، وأعطى للتراث سلطة نمت في ظلّها توجهات التطرّف والتشدّد.

وإلى جانب أهمية عامل النهوض والتجديد العلمي الثقافي، تبرز أهمية المشروع الاجتماعي الإصلاحي، فإنّ التخلف الاجتماعي أرضية خصبة لنمو اتجاهات التطرّف والتشدّد.

إنّ بيئة الجهل والفقر والقمع، هي الحاضنة الأساس لأفكار التطرّف والتشدّد، وهي ميدان حركة أعداء المجتمع والدين، فيجب أن تتضافر الجهود لإصلاح البيئة الاجتماعية، والارتقاء بمستوى الناس المعرفي والاقتصادي والأخلاقي.

وإذا كانت مسؤولية التنمية الاجتماعية تقع في الأساس على عاتق الحكومات، فإنه لا غنًى عن الدور الأهلي الشعبي التطوعي، لإنجاح تنفيذ خطط التنمية المعتمدة، وللتكامل معها، بتعزيز حسّ المسؤولية الاجتماعية، وتحفيز الطاقات والكفاءات للانطلاق والبذل والعطاء، في خدمة المصالح العامة، وتجاوز الحالة الذاتية الأنانية.

وحين تفتح أبواب العمل الأهلي التطوعي، ويفسح المجال لقيام مؤسساته ذات الاهتمامات المختلفة، فإنّ ذلك يمثل فرصة كبيرة لاستيعاب أبناء المجتمع الطامحين، وتصريف فائض قدراتهم وطاقاتهم في مشاريع الخدمة الاجتماعية، والتقدّم الوطني.

إنّ من أولى مهمّات الخطاب الديني، خاصة في هذه المرحلة، التبشير بثقافة التجديد والإصلاح في الوعي الديني، لمواجهة التحدّيات الفكرية والثقافية المعاصرة، ولتجاوز حالة الجمود والركود التي تستثمرها اتجاهات التطرّف والتشدّد.

والمهمة الأخرى هي التشجيع والتحفيز، لإنشاء المزيد من مؤسسات العمل الأهلي التطوعي، وتكثيف مشاريع الخدمة الاجتماعية في المجالات المختلفة.

وذلك انطلاقًا من المبادئ والتعاليم الدينية التي تحثّ على التكافل والتعاون، وتربّي على تحمّل المسؤولية تجاه الآخرين، وتلبية احتياجاتهم المعنوية والمادية، حيث تؤكد النصوص الدينية، أنّ التديّن الصادق لا يتحقّق في حياة الإنسان، إذا تجاهل مناطق الضعف في مجتمعه، وأنّ من يقوم بالعبادات والشعائر الدينية، ولا يكترث لحاجات أبناء مجتمعه، فهو غير صادق في دعوى انتمائه للدين. يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

وكما تفيد هذه الآيات الكريمة، فإنّ إهمال شأن الأيتام ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ وعدم الحثّ على مساعدة الفقراء والمساكين ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ وعدم تقديم العون للآخرين ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ هذه صفات وسمات المكذبين بالدين، وإن كانوا يتظاهرون بالتدين رياءً ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ فرغم أنّهم قد يؤدون الصلاة، لكنّهم يغفلون عن استهدافاتها وأغراضها ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

وهناك نصوص دينية كثيرة، من آيات وأحاديث، تقرّر أنّ تحمّل المسؤولية الاجتماعية جزءٌ لا يتجزأ من مفاهيم الدين وفرائضه.

وبين يدي القرّاء الكرام الجزء الخامس من كتاب (روافد في تنمية الوعي الديني والاجتماعي) يتضمن رصدًا لمعظم الخطب والمقالات

والأنشطة الثقافية والاجتماعية، التي وفقني الله تعالى للقيام بها خلال عام ١٤٤٤هـ، أرجو أن يكون في نشرها إسهام في حركة الوعي، وتعزيز لمسار الخطاب الديني الهادف للارتقاء بمجتمعات الأمة، أسأله تعالى القبول والتوفيق.

وأتقدم بوافر الشكر والامتنان، للإخوة الأعزاء، الذين شاركوني في جهود التحضير لهذه الكتابات والخطب، وبثّها ونشرها، كما أشكر الإخوة الفضلاء من العلماء والخطباء، والمهتمين بالشأن الثقافي والاجتماعي، على رسائل تشجيعهم وتفاعلهم مع الأفكار والموضوعات التي تضمّنتها هذه الخطب والكتابات.

أسأل الله تعالى لهم جميعًا خير الثواب وأحسن الجزاء، إنه جواد كريم، والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

١٧ ربيع الآخر ١٤٤٥هـ

١ نوفمبر ٢٠٢٣م

خُطَب
اَلجُمعة

عطاء المجالس الحسينية

الجمعة ٧ محرم ١٤٤٤هـ | ٥ أغسطس ٢٠٢٢م.

جاء في الكافي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لأصحابه: «تزَاوَرُوا وَتَلَاقَوْا وَتَذَاكَرُوا أَمْرَنَا وَأَحْيُوهُ»[1].

هذه المجالس التي يحيها المؤمنون في كلّ مكان، بمناسبة ذكرى شهادة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، هي ثمرة توجيهات أئمة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم، حيث كانوا يأمرونهم بالتزاور والتلاقي، وتذاكر أمر اهل البيت عليهم السلام، وأمر الدين والأمة.

هذه المجالس بالإضافة إلى أنّها تؤكد التلاحم بين المؤمنين، وتوثّق العلاقة والارتباط فيما بينهم، فإنّ فيها ثلاثة مستويات من الفائدة والعطاء:

المستوى الأول: ترسيخ التفاعل النفسي، والانشداد العاطفي والولائي لأهل البيت عليهم السلام، وإذا انشدّت مشاعر الإنسان وعواطفه إلى رمز أو

(١) الكافي: ج٢، ص١٧٥.

شخصية، يكون أكثر تقبّلًا لتوجيهاته، وأقرب للاقتداء به.

هذه المجالس ترسخ التفاعل الولائي في النفوس، عن طريق ذكر سيرة الأئمة عليهم السلام، وكريم أخلاقهم، وعظيم فضلهم، ومدى ما تحملوه من آلام في سبيل الله سبحانه وتعالى، لذلك فإنّ المؤمنين في كلّ موسم من هذه المواسم؛ يتجدد ولاؤهم لأهل البيت، وتترسخ في نفوسهم مشاعر المحبة والقرب من هؤلاء الطاهرين، وما أحوجنا إلى مثل هذا الأمر، خاصة بالنسبة للأجيال الصاعدة، الذين يحاول الإعلام بأشكاله المتطورة، أن يملأ نفوسهم بشخصيات أخرى، وبرموز ونماذج بعيدة عن النهج القويم، نحن في حاجة إلى أن نكرّس صور وشخصيات هؤلاء القادة العظام في نفوسهم.

عندما تستمع خطيبًا عليك أن تفكّر فيما يقول، فليس كلّ ما تسمعه يكون صحيحًا، لعلّ هناك اشتباهًا أو خطأً أو غفلة من الخطيب، أو لعلّك لم تفهم الفكرة بشكل جيّد، فكّر وتأمل بعد المحاضرة، لاحق الفكرة، اقرأ حولها.

المستوى الثاني: الاستفادة المعرفية؛ في هذه المجالس تطرح آراء وأفكار ومعارف دينية وتاريخية واجتماعية.

ونفخر ولله الحمد، أنّ مستوى الطرح المنبري في مساحة منه أصبح في مستوى متقدّم راقٍ، في قسم من هذه المجالس موائد معرفية مفتوحة أمام القاصدين، وعلى الإنسان أن يكون مستقبلًا جيدًا لهذه المعارف والأفكار.

عندما تستمع خطيبًا عليك أن تفكّر فيما يقول، وليس مجرّد تمضية وقت، وانتظار انتهاء المجلس، هناك أحاديث حول قراءة القرآن، كقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لاَ يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ اَلسُّورَةِ»[1]، هذه

(١) الكافي، ج٢، ص٦١٤.

الروايات تبيّن أنّ المسألة ليست مسألة طي صفحات، بل المطلوب أن تستفيد وتنفتح على ما في الآيات الكريمة وتتفاعل معها.

وحين يستمع الإنسان شيئًا من هذه المحاضرات في المجالس الحسينية، عليه أن يفتح المجال لعقله أن يفكّر، فليس كلّ ما تسمعه يكون صحيحًا، لعلّ هناك اشتباهًا أو خطأً أو غفلة من الخطيب، أو لعلّك لم تفهم الفكرة بشكل جيّد، فكّر وتأمل بعد المحاضرة، لاحق الفكرة، اقرأ حولها، إذا سمعت فكرة مثيرة جديدة إبحث عنها، لاحقها، وسائل المعرفة متوفرة الآن، لا تمرّ مرور الكرام على ما تسمع من آراء وأفكار.

المستوى الثالث: تلقي الموعظة والإرشاد: الإنسان في حاجة إلى الموعظة، وهي: إثارة الوجدان، وإيجاد دافع في أعماق الإنسان نحو الخير، واجتناب الشر والحذر منه.

أنت معرّض للأخطاء والغفلة، وحالة الاسترسال، وحينما تجلس في هذه المجالس، تسمع الآيات القرآنية، وكلام أهل البيت عليهم السلام، وإرشادات الخطباء، عليك أن تتفاعل معها نفسيًّا، وأن تستقبل الموعظة استقبالًا حسنًا.

رسالة المجالس الحسينية لا تتلخص في الجانب المعرفي، فهناك الجانب الوعظي الإرشادي، وهو جانب مهم، نحن في أمسّ الحاجة إليه.

إذا سمع الإنسان موعظة فإنه يتجاوز حالة الغفلة التي كان يعيشها تجاه أمر من الأمور، أو قضية من القضايا.

قد يظنّ بعض الناس أنّ الفائدة من هذه المجالس هي فائدة معلوماتية معرفية فقط، وأن نسمع فكرة جديدة، فإذا لم يسمع شيئًا جديدًا اعتبر وقت الاستماع ضياعًا، لكنّ رسالة المجالس الحسينية لا تتلخص في الجانب المعرفي، فهناك الجانب الوعظي الإرشادي، وهو جانب مهم، نحن في أمسّ الحاجة إليه.

وهناك نصوص كثيرة تلفت نظر الإنسان إلى أهمية الموعظة، ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ثَمَرَةُ اَلْوَعْظِ اَلِانْتِبَاهُ»[1].

وهذا يعني أنّ موعظة قد تنبّهك لشيءٍ أنت غافل عنه، في علاقتك مع الله، أو مع والديك، أو مع زوجك وأبنائك، أو مع جيرانك، أو في تصرفك في أموالك وإدارتك لأمور حياتك، المطلوب هو الاستماع للموعظة التي تفيد في هذه المجالات، والتفاعل معها.

وورد عن الإمام علي عليه السلام: «بِالْمَوَاعِظِ تَنْجَلِي اَلْغَفْلَةُ»[2].

إذا سمع الإنسان موعظة فإنه يتجاوز حالة الغفلة التي كان يعيشها تجاه أمر من الأمور، أو قضية من القضايا.

وفي كلمة أخرى عنه عليه السلام: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ»[3].

ولعلّ هذا المستوى من الاستفادة من المجالس الحسينية هو أرقى المستويات.

إذا استطاع الإنسان أن يجمع بين المستويات الثلاثة، فيعمّق في نفسه الولاء لأهل البيت عليهم السلام، ويستفيد معرفيًّا، ويتلقى الموعظة، فهو الأفضل، لكن لو خيّر الإنسان بين هذه المستويات، فإنّ المستوى الثالث ـ وهو التفاعل مع الموعظة التي تغيّر نمط شخصيته وسلوكه وتعامله إلى الأفضل ـ هو المستوى الأرقى بين هذه المستويات.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٢٠٨.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٩٦.
(٣) تحف العقول، ص٦٨.

عاشوراء حضور عالمي متألق

الجمعة ١٤ محرم ١٤٤٤هـ | ١٢ أغسطس ٢٠٢٢م.

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٧٠].

حينما يسود حال في أيّ مجتمع من المجتمعات البشرية، فإنّ الناس عادة ما يخضعون لذلك الحال السّائد، ويتكيّفون معه، وإن كان خطأ أو فاسدًا. سواء أكان ذلك الحال يتمثل في أفكار، أو يتجسّد في ممارسات وسلوك. وعادة ما تنتج ثقافة تنظيرية لتبرير ذلك الحال الخطأ، بل وتمجيده، وتصبح مخالفته أو نقده هو الخطأ.

وهنا نستذكر الحديث النبوي: «كَيفَ بِكُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ؟ فَقِيلَ لَهُ: يا رَسُولَ اللَّهِ وَيكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَيفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟»[1].

(١) تهذيب الأحكام، ج٦، ص١٧٧، حديث ٣٥٩.

الإصلاح مهمة الواعين الصادقين

لكنّ الواعين الصادقين يجدون أنفسهم معنيين بهداية الناس وإرشادهم، ليدركوا خطأ ما يجري ويبينوا لهم طريق الصواب.

حين نقرأ التاريخ نجد أنّ إصلاح المجتمعات لا يتحقق في يوم أو يومين، سواء أكان إصلاحًا فكريًّا أو عمليًّا.

فالذين طرحوا نظريات في علوم الطبيعة تخالف السّائد في عصورهم، تكلّفوا تضحيات وواجهوا صعوبات، إلى أن قبلت نظرياتهم في عصورهم أو ما بعد عصورهم.

ومن الطبيعي ألّا تكون هناك استجابة سريعة من الناس لإرشاد المصلحين؛ نظرًا لرسوخ الواقع في نفوسهم، ولوجود مراكز قوى مستفيدة من واقع الخطأ والفساد، تتصدّى لمواجهة المصلحين.

وهنا قد يتسلّل اليأس والشعور بالضعف والعجز إلى قلوب المصلحين، لكنّ الله تعالى يرفع معنويات المصلحين، ويمدّهم بمشاعر الثبات وروح الاستقامة، عبر تأكيده على أثر الإصلاح في المجتمعات الإنسانية، فهي لا تضيع وإنما تتراكم، وتحتاج إلى مزيد من الجهد والوقت.

وفي هذا السياق تأتي الآية الكريمة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧٠].

وآيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٠].

عدم استعجال النتائج

هذه الآيات يجب أن تكون حاضرة في ذهن ونفس كلّ من يسعى للخير والإصلاح في مجتمعه. وعليه ألّا يستعجل النتائج، وأن يعرف أنه يزرع بذرة، ويضع لبنة، ليأتي من يدعم جهوده ويستكمل مسيرته.

وحين نقرأ التاريخ، نجد أنّ إصلاح المجتمعات لا يتحقق في يوم أو يومين، سواء أكان إصلاحًا فكريًّا أو عمليًّا.

فالذين طرحوا نظريات في علوم الطبيعة تخالف السّائد في عصورهم، تكلّفوا تضحيات وواجهوا صعوبات، إلى أن قبلت نظرياتهم في عصورهم أو ما بعد عصورهم.

لكنّ الأمة فيما بعد، أدركت أحقية المسار الحسيني، فتلاحقت الثورات والحركات والانتفاضات، تحمل شعار الثأر للحسين.

ثم تحولت نهضته إلى أيقونة خالدة تزداد مع الزمن تألقًا وإشراقًا.

وكذلك الحال في رواد الإصلاح الاجتماعي، فكم من مبادرة أو مشروع يوأد في بداية طرحه، ثم يجد قبولًا واستجابة.

ومن أكبر الشواهد والأمثلة التي يقدّمها لنا التاريخ، نهضة الإمام الحسين عليه السلام. فقد دفع الحسين حياته ثمنًا لمشروعه الإصلاحي، وتحمّلت أسرته أشدّ العناء في الأسر والسّبي.

لكنّ الأمة فيما بعد، أدركت أحقية المسار الحسيني، فتلاحقت الثورات والحركات والانتفاضات، تحمل شعار الثأر للحسين.

ثورة الحسين أيقونة خالدة

ثم تحولت نهضته إلى أيقونة خالدة تزداد مع الزمن تألقًا وإشراقًا.

ورأينا في هذا العام كيف اتسع نطاق إحياء مناسبة ذكرى الحسين عليه السلام.

إنّ أحد التقارير التي أصدرتها جهة متابعة لإحياء مراسم عاشوراء في خمس قارات هذا العام[1]، يقول:

- تم إقامة ٣١٤ ألف مجلس عزاء في القارات الخمس.
- شارك في إحياء المجالس أكثر من ٢٦٧ مليون شخص.
- أكثر من ٢٦٠٧٠ موكب، ٢١٦٣٠ هيئة.
- شارك العديد من رؤساء الدول، والوزراء في مجالس العزاء لهذه العام.
- مشاركة مميزة للعديد من علماء وشخصيات المذاهب الاسلامية الأخرى، في أكثر من دولة. وكذلك من بعض المسيحيين والكنائس المسيحية.
- تمت تغطية مراسم المجالس في ٦٧ محطة فضائية.
- تمت إقامة مجالس العزاء بسبعٍ وعشرين لغة عبر العالم.
- تجاوز عدد زوار الحسين، في كربلاء خلال العشرة أيام ١١ مليون نسمة.

وكلّ هذه فعاليات أهلية.

عاشوراء المنطقة نجاح باهر

في بلادنا تم إحياء هذه المراسم بحيوية واطمئنان وإقبال كبير.

وقد انعكست هذه المراسم على الإعلام الرسمي والوطني، وهي لفتة إيجابية مهمة علينا أن نحتفي بها، فقد بثت قناة "الإخبارية" تغطية تناولت ما يقوم به المواطنون الشيعة من أداء أنشطة وفعاليات دينية

(١) www.ar.shafaqna.com الخميس ١١ أغسطس، ٢٠٢٢م.

خاصة بهذه الذكرى.

ورصدت قناة العربية في إحدى نشراتها إحياء المراسم في محافظة القطيف.

كما قامت شركة (ثمانية) الإعلامية السعودية بعمل وثاقي بعنوان: (عاشوراء)، غطّى بعض الشعائر في المحافظة، وكان ضمنه حديث شيّق رصين لأحد شباب المنطقة حول المناسبة.

وكذلك قناة الجزيرة، وموقع سي إن إن بالعربية.

نشكر هذه الجهات ونتمنّى اتساع هذا الحسّ الإنساني الوطني، الذي يعزّز الوحدة الوطنية، ويكرّس الانفتاح بين أطياف المواطنين.

ونشكر كلّ الجهود التي بذلت من الخطباء والشعراء، وإدارات المجالس والمواكب والمضايف، والإعلام الأهلي عبر مواقع التواصل الاجتماعي، والمنفقين والمساهمين، ونشيد بجهود الأجهزة الأمنية حيث جرت فعاليات المناسبة في أمن وأمان، وبانسيابيه تامة، وتعاون بين المواطنين وأجهزة الدولة.

العمل الإنساني بطولة الاقتحام

الجمعة ٢١ محرم ١٤٤٤هـ | ١٩ أغسطس ٢٠٢٢م.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [سورة البلد، الآيات: ١٠-١٦]

ليس صعبًا على الإنسان أن يعرف طريق الخير، فقد أودع الله في أعماقه وجدانًا يهديه إلى الخير، وعقلًا يرشده إلى طريقه.

لكنّ الصعوبة تكمن في أن يتخذ الإنسان قرار السير في طريق الخير، حيث تعترضه عقبة كأداء، والعقبة الموضع المرتفع الوعر من الطريق، فيتردّد في تجاوزها، ويحتاج إلى شجاعة لاقتحامها، والاقتحام هو الدخول بشدّة ومشقّة في مكان أو جماعة كثيرة، كما يقال: اقتحم الصف.

يقول تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي الطريقين، طريق الخير وطريق الشّر، يعرفهما الإنسان بهداية الله، عن طريق وجدانه وعقله.

ثم يحث الله تعالى الإنسان أن يسلك طريق الخير، يقول تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، لكنّه يستخدم استعارتين لتوضيح ما يواجه الإنسان من صعوبة في انتهاج هذا الطريق:

الاستعارة الأولى: الاقتحام. والاستعارة الثانية: العقبة.

ويؤكد تعالى أنّها عقبة صعبة الاقتحام: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾؟

أنانية الإنسان تجعله متمحورًا حول ذاته يلبّي رغباتها ويدفع عنها أيّ ضرر أو أذى، وحين تستحكم الأنانية في نفسه وتسيطر على ذاته، فإنه لا يهتم بآلام من حوله ولا بمعاناة الآخرين من أبناء مجتمعه

ثم يبيّن تعالى المنطقة الأكثر صعوبة في طريق الخير، التي تنطبق عليها هاتان الاستعارتان، وهي استشعار آلام الآخرين ومعاناتهم، ومن ثم مساعدتهم وإنقاذهم من تلك المعاناة.

أنانية الإنسان تجعله متمحورًا حول ذاته يلبّي رغباتها، ويدفع عنها أيّ ضرر أو أذى، وحين تستحكم الأنانية في نفسه، وتسيطر على ذاته، فإنه لا يهتم بآلام من حوله ولا بمعاناة الآخرين من أبناء مجتمعه أو جنسه. ولا يكون مستعدًّا لتحمّل أيّ أعباء تجاههم. إلّا إذا قرّر تجاوز عقبة الأنانية والشُّح، ما يقول تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٩، سورة التغابن، الآية: ١٦].

وقد تكرّرت مرّتين في القرآن الكريم في سورتي الحشر والتغابن.

الشعور بمعاناة الآخرين ومساعدتهم

وفي هذه الآيات تذكير بمعاناة الأسرى، والأرقّاء الذين فقدوا حريتهم، والأيتام المحتاجين، وخاصّة من الأقارب، والمساكين الذين

يلتصقون بالأرض والتراب، في زمن المجاعة والفقر، فإنّ الشعور بمعاناة هذه الشرائح الضعيفة ومساعدتها، هو البطولة الحقيقية، والاقتحام للعقبة الصعبة.

وقد يواجه من يتصدّى لمساعدة الضعفاء، عقبات اجتماعية، فيحتاج للاستعداد لاقتحامها، وتحمّل سلبياتها.

ومن يتوفق إلى هذا الإنجاز، ويهتم بمعاناة المحرومين والمكروبين، فإنه يستحقّ الفوز والفلاح من قبل الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

الإشادة بالعاملين في المجال الإنساني

وهؤلاء يستحقون الإشادة والإكبار، من قبل الواعين المنصفين، وقد اعتمدت الأمم المتحدة يوم التاسع عشر من أغسطس، ليكون يومًا عالميًّا للعمل الإنساني، لتكريم العاملين في مجال تقديم المساعدة الإنسانية، وخاصة من يواجهون المخاطر، ويتحمّلون الصعوبات في هذا المجال. كالعاملين في المؤسسات الإغاثية في أماكن الأزمات، كمناطق الحروب، وأثناء الكوارث الطبيعية، كالسيول والفيضانات والزلازل وتفشّي الأوبئة.

فقد شهد عام ٢٠٢١م تعرّض ٤٦٠ عامل إغاثة للهجوم، وقتل منهم ١٤٠ شخصًا، وجرح ٢٠٣، واختطف ١١٧.

وفي سنة ٢٠٢٠ تعرّض ٤٨٣ من العاملين في المجال الإنساني للهجوم، وقتل منهم ١٢٥ وجرح ٢٣٤ واختطف ١٢٤.

إنّ المبادرة المحفوفة بالمخاطر لمساعدة الآخرين لا يقوم بها إلّا من يتصف بإرادة العطاء والتضحية، والنشامى والنبل. فيكون حريًّا بالإكبار والتقدير من الناس وعظيم الأجر والمثوبة من الله تعالى.

إنّ المبادرة المحفوفة بالمخاطر لمساعدة الآخرين، لا يقوم بها إلّا من يتصف بإرادة العطاء والتضحية. فيكون حريًّا بالإكبار والتقدير من الناس، وعظيم الأجر والمثوبة من الله تعالى.

نماذج في التضحية والإيثار

قبل أقلّ من أسبوعين، سجلت مواطنتان سعوديتان موقفًا من أروع مواقف البطولة والتضحية، وهما الدكتورة (عفاف فلمبان) وهي استشارية نساء وتوليد وعقم بمستشفى الحرس الوطني في الرياض، وصديقتها الدكتورة (لينا طه).

كانت الدكتورة عفاف مسافرة إلى جدة لزيارة أسرتها، وأثناء وجودها في أحد المنتجعات مع إخوتها وصديقاتها فوجئت بحركة غير اعتيادية وسط البحر، وشاهدت فتاتين تصارعان الموج على وشك الغرق، فبادرت وصديقتها الدكتورة (لينا طه) لمحاولة إنقاذهما، وكان أجلهما أسرع فرحلت وصديقتها غرقًا[1].

وموقف مشابه ومقارب زمنيًّا قبل أسبوعين أيضًا، حيث بادر ثلاثة شبان سعوديين، لإنقاذ طفلة ووالدها من الغرق، في بحيرة في منطقة سياحية في النمسا، حين سمعوا صوت صراخ وأنين طفلة تبلغ من العمر عامين، سقطت من مطل البحيرة على ارتفاع يزيد عن ٥ أمتار، وكان والدها يحاول إنقاذها دون جدوى، وكان على وشك الغرق هو أيضًا، مما جعل الشباب الثلاثة يركضون للسباحة في البحيرة، وإنقاذ الطفلة ووالدها من الغرق، وسط ذهول الحاضرين من هول الموقف[2].

---

(١) صحيفة عكاظ: https://www.okaz.com.sa/news/local/2111948

(٢) العربية نت: https://ara.tv/98xn7

تقدير المتطوعين في العمل الخيري

وإذا كانت مثل هذه المواقف تمثل صورة مكبرة لتضحيات العاملين في المجال الإنساني، فإنّ كلّ من يتطوع لأعمال الخير ضمن الجمعيات الخيرية ومراكز التنمية، يجسّد هذا النموذج المشرق، ويستحقّ التقدير والإكبار في مثل هذا اليوم.

إنّ هؤلاء العاملين المتطوعين، يبذلون من وقتهم وجهدهم، في خدمة المحتاجين ومساعدتهم، ويواجهون التحديات المختلفة. فلهم من الله عظيم المثوبة والأجر.

وعلى كلّ واحدٍ منّا أن يتحفّز ويبادر للالتحاق بالعمل الإنساني، لأخذ دور في مساعدة الضعفاء والمحتاجين، وتوفير الخدمات التي يحتاجها مجتمعه، فالآيات الكريمة خطاب لنا جميعًا ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾.

ندعو الله أن يجعلنا ممن يقتحمون هذه العقبة.

اختراق المشكلات

الجمعة ٢٨ محرم ١٤٤٤هـ | ٢٦ أغسطس ٢٠٢٢م.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. [سورة يوسف،الآية: ٨٧]

يودّ الإنسان أن يعيش حياة هادئة هانئة بلا مشاكل ولا صعوبات، ويتمنّى أن يكون طريق حياته مفروشًا بالورود والرياحين، يخلو من العراقيل والعقبات.

لكنّ هذه الأمنية التي تدغدغ نفس كلّ إنسان، ليست قابلة للتحقق؛ لأنّها تخالف طبيعة الحياة، التي تحكمها سنن وقوانين، ولا تسيّرها الرغبات والأمنيات.

يقول تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾

فعلى الإنسان أن يهيئ نفسه لمواجهة مشاكل

الحياة، وأن يقرّر نهجًا وأسلوبًا للتعامل معها.

حين يواجه الإنسان مشكلة عليه ألّا يستسلم لها، وألّا ينهزم أمامها، بل عليه بالدرجة الأولى أن يفكر في معالجة المشكلة، وفي التغلب عليها.

حين يواجه الإنسان مشكلة عليه ألّا يستسلم لها، وألّا ينهزم أمامها، بل عليه بالدرجة الأولى أن يفكر في معالجة المشكلة، وفي التغلب عليها.

فليست كلّ مشكلة لا يمكن معالجتها. كثير من المشاكل قابلة للحلّ. لكنّ ذلك رهن بتوجه الإنسان لحلّ المشكلة ومواجهتها. على الصعيد الفردي والاجتماعي.

المشاكل التي يواجهها المجتمع، قسمٌ كبيرٌ منها قابلٌ للحلّ. لكن بشرط أن تكون هناك إرادة لمواجهة المشكلة وحلّها. البعض من الناس أفرادًا ومجتمعات يكتفون بالتأوه والتألّم، ويتحدثون عن معاناتهم ومظلوميتهم، ويجترّون الغبن، ويقفون عند هذا الحد.

نهج التعامل مع المشكلات

إنّ النهج السليم في التعامل مع أيّ مشكلة يمرّ بالمحطات التالية:

أولًا: دراسة المشكلة دراسة موضوعية، سواء أكانت مشكلة صحية أو اقتصادية أو اجتماعية.

وتعني دراسة المشكلة التأكد من حقيقة وجودها، ومن حدود حجمها، ذلك أنّ بعض المشاكل تكون صنيعة وهم الإنسان، ولا وجود حقيقيًّا لها، وتشير بعض التقارير الطبية مثلًا إلى شياع الأمراض الوهمية.

(٣٠ في المئة من الأشخاص الذين يزورون طبيب العائلة أو الطبيب

العام، و٥٠ في المئة من النساء اللاتي يزرن الطبيب، يعانون من أعراض لا يمكن أن تعزى إلى أسباب جسدية)[١].

وفي مجال العلاقات البينية، ربما يتصور الإنسان مشكلة بينه وبين آخر، بناءً على سوء ظنٍّ نشأ في نفسه، أو معلومة خطأ وصلت إليه، أو لتفسير متكلّف عن كلام أو موقف لآخر.

إنّ على الإنسان أن يسعى لاختراق المشكلة التي تواجهه، بالبحث عن الحلول والمعالجات، والاستمرار في السعي للتغلب على المشكلة.

كما أنّ على الإنسان أن يحدّد حجم المشكلة، ليكون اهتمامه بها متناسبًا مع حجمها، فلا تتضخم المشكلة الصغيرة، أو يصحبها تهويل وترهيب.

ثانيًا: تحمّل المسؤولية. بأن يعترف الإنسان بمدى مسؤوليته في حدوث المشكلة. هذه المشكلة التي تعيشها قد تكون بسبب خطئك وتقصيرك. لعلّك مسؤول عن جزء من المشكلة. تحمّل مسؤوليتك وغيّر من ذاتك وأسلوبك، الإنسان قد يغالط نفسه، ويُلقي باللائمة على الآخرين، ويحمّلهم كامل المسؤولية، مبرئًا ذاته.

القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قسم كبير من المشاكل بسبب أخطاء الإنسان نفسه، والغفلة عن هذه الحقيقة أو التنكر لها لا يساعد في حلّ المشكلات.

ثالثًا: التفكير في الحلول، انطلاقًا من أنّ لكل مشكلة حلًّا، ومن الإيمان بطاقة الإنسان الخلّاقة، وقدرته العقلية الثاقبة،

يقول الإمام علي عليه السلام فيما روي عنه: «بِالْفِكْرِ تَنْجَلِي غَيَاهِبُ اَلْأُمُورِ»[٢].

(١) https://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2016/05/160505_vert_fut_pain_of_imaginary_illnesses

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص١٨٩.

فلا يقع الإنسان تحت هيمنة العواطف والانفعالات، وإنّما يرجع إلى عقله وفكره.

رابعًا: أن يبذل الإنسان جهده عمليًّا لمواجهة المشكلة.

إنّ على الإنسان أن يسعى لاختراق المشكلة التي تواجهه، بالبحث عن الحلول والمعالجات، والاستمرار في السعي للتغلب على المشكلة.

لا للإحباط واليأس

وأسوأ ما يقع فيه الإنسان تجاه أيّ مشكلة، هو سيطرة اليأس والإحباط على نفسه، مما يشلّ تفكيره ويوقف حركته.

والآية الكريمة ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. [سورة يوسف، الآية: ٨٧] تقدّم لنا درسًا مهمًّا من حياة نبي الله يعقوب عليه السلام، فرغم مضي سنوات على فقده لولده يوسف، وبعد ذلك فقده لولده الآخر شقيق يوسف، إلّا أنه كان يعيش الأمل والرجاء، إنه يحفّز أبناءه للذهاب مرة أخرى إلى مصر، ويطلب منهم البحث عن يوسف وأخيه، وكانوا يعتقدون بهلاك يوسف، ويعاتبون أباهم على الاستمرار في تذكره ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

وقد أدرك يعقوب مشكلة أبنائه، وهي سيطرة الياس على نفوسهم، فطلب منهم تجاوز حالة اليأس.

وتفيد التقارير التي تتحدّث عن أرقام حالات الانتحار في العالم، أنّ اليأس والإحباط هو الباعث الأساس للتوجه لإنهاء الحياة.

ففي اليابان أفادت بيانات حكومية يابانية عن وقوع ٢١ ألف و٧

حالات انتحار بين الرجال و٧٠٦٨ بين النساء عام ٢٠٢١ الماضي. بتأثير المشكلات الاقتصادية والاجتماعية.

وقد (انتحر ٣٣٢ من طلاب المراحل الابتدائية، الإعدادية، والثانوية في عام ٢٠١٨، وفقًا لبحث أجرته وزارة التعليم اليابانية.

وشمل هذا الرقم ٢٢٧ من طلاب المرحلة الثانوية، و١٠٠ من طلاب المرحلة الإعدادية، و٥ طلاب في المرحلة الابتدائية، ومن بين ٣٣٢ طالبًا، كان هناك ١٩٣ من الفتيان و١٣٩ من الفتيات)[1].

وقد أنشأت اليابان وزارة للعزلة والوحدة للحدّ من حالات الانتحار، وعيّنت وزيرًا مسؤولًا عن محاربة الشعور بالوحدة والعزلة في البلاد.

كما أنّ من مضاعفات انتشار اليأس والإحباط، الإصابة بالأمراض والعقد النفسية الخطيرة.

ففي بلادنا كشفت نتائج مشروع المسح الوطني للأمراض النفسية وضغوط الحياة المسبّبة لها، أنّ الشباب يمثلون ٤٠٪ من إجمالي المصابين بالاضطرابات والأمراض النفسية في المملكة.

كما أبان المسح أنّ المواطنين الأكثر تعليمًا، هم الأكثر عرضة للإصابة بالأمراض النفسية، مقارنة بالأقلّ تعليمًا.

علينا أن نستحضر ثقافة الأمل والعمل على اختراق المشكلات، وأن نشيع هذه الثقافة في بيوتنا بين أبنائنا وبناتنا، وفي الأجواء العامة لمجتمعنا، كجزء من ثقافتنا الدينية ووعينا بواقع الحياة.

علينا أن نستحضر ثقافة الأمل والعمل على اختراق المشكلات، وأن نشيع هذه الثقافة في بيوتنا بين أبنائنا

(١) اليابان تنشئ «وزارة للعزلة والوحدة».. للحدّ من حالات الانتحار، صحيفة القبس الكويتية: https://www.alqabas.com/article/5839737

وبناتنا، وفي الأجواء العامة لمجتمعنا، كجزء من ثقافتنا الدينية، ووعينا بواقع الحياة.

فاليأس من روح الله مظهر من مظاهر الكفر، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٨٧].

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [سورة الحجر، الآية: ٥٦].

ذلك أنّ المؤمن بقدرة الله وعلمه ورحمته، لا يسمح لليأس أن يسيطر على نفسه.

إنّ أبناءنا وبناتنا وهم يدخلون معترك الحياة بحاجة إلى من يرفع معنوياتهم، ويرشدهم إلى أفضل السبل لمواجهة المشكلات، حتى لا يقعوا ضحايا اليأس والإحباط، والمواقف الانفعالية في إدارة شؤون حياتهم الفردية والعائلية والاجتماعية.

الابتهاج بالعام الدراسي الجديد

نستقبل هذا الأسبوع العام الدراسي الجديد، حيث يستعدّ أبناؤنا وبناتنا للعودة إلى مقاعد الدراسة، ومن بينهم من يبدأ الالتحاق بالتعليم هذا العام.

كما يستعدّ المعلّمون والمعلّمات، والعاملون في إدارات التعليم وقيادة المدارس لاستئناف عملهم في أهم الوظائف وأقدسها، وهي تعليم أجيال المستقبل.

وأهم ما يجب التأكيد عليه في هذه المناسبة المهمة، هو الاستعداد والتهيؤ النفسي، بأن نستقبل العام الدراسي الجديد، بإشاعة أجواء

الابتهاج والفرح في نفوس أبنائنا وبناتنا، ليبدؤوا عامهم الدراسي برغبة وشوق.

وكذلك في أوساط المعلمين وإداريي المدارس، ليستأنفوا مهمتهم بجدّية وإخلاص، فأجيال المستقبل أمانة في أعناقهم.

وحقّ للأسرة أن تبتهج؛ لأنّ أبناءها يقطعون شوطًا دراسيًّا جديدًا، ويتقدّمون خطوة على طريق العلم والمعرفة.

وللأسرة دور أساس في صناعة البهجة، وبعثها في نفوس الطلاب والطالبات من أبنائها، الذين قد يشعرون بثقل الالتزام الدراسي، بعد أن عاشوا فترة راحة وخلوٍّ من الالتزام أيام العطلة الصيفية.

إنّ للتحفيز والتشجيع أثرًا كبيرًا في نفوس الأبناء والبنات، ولا يصح أبدًا تضخيم الملاحظات والانتقادات على الحالة التعليمية أمامهم، بل يجب إبراز الإيجابيات والفوائد التي يكسبونها من خلال تفاعلهم الدراسي.

إنّ الرغبة والاندفاع النفسي عنصر مهم في العملية التعليمية، وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «عَلَى اَلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَدْأَبَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ اَلْعِلْمِ وَلاَ يَمَلَّ مِنْ تَعَلُّمِهِ»[1].

نسأل الله تعالى لأبنائنا وبناتنا التوفيق والنجاح، وأن تقرّ بهم عيون أهاليهم ومجتمعهم ووطنهم، ونأمل من كلّ المدرسين والمدرسات المزيد من العطاء والاجتهاد في أداء وظيفتهم المقدّسة.

وكلّ عام دراسي جديد والجميع بخير، والوطن في أمنٍ وأمان، وتقدّم وازدهار.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٢٨.

مخارج الأزمات

الجمعة ٦ صفر ١٤٤٤هـ | ٢ سبتمبر ٢٠٢٢م.

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣].

تتحدّث آيات قرانيه كثيرة، عن آثار التقوى وعوائدها على الإنسان في الآخرة، وأنّها سبيل النجاة من النار والعذاب، وطريق الفوز بالجنة ونعيمها الدائم.

كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [سورة الطور، الآيات: ١٧- ٢٠].

هذه الآثار والعوائد الأخروية للتقوى ضمن

دائرة عالم الغيب الذي نؤمن به، ومعادلاته تختلف عن عالم الشهود، والحياة المادية التي نعيشها.

لكنّ هناك آيات أخرى في القران الكريم، تتحدّث عن آثار التقوى، وعوائدها على الإنسان في هذه الحياة، ومن أبرز وأهم تلك الآثار والعوائد، ما تتحدّث عنه الآية الكريمة، أنّ التقوى تفتح أمام الإنسان المخارج من أزمات الحياة وتحدّياتها، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

التقوى تصوغ شخصية الإنسان المتقي، بشكل يؤهله لمواجهة تحدّيات الحياة بالطريقة المثلى، والنهج السليم، من خلال رؤيته العقدية، ونفسيته المطمئنة الواثقة، وأدائه السلوكي المنضبط، المنسجم مع السنن والقوانين الإلهية.

وهنا قد يفهم البعض من مثل هذه الآية الكريمة، أنّ هناك تدخلًا غيبيًّا ينقذ الإنسان المتقي من مشاكل الحياة وأزماتها، ولا يمكن إنكار إمكان التدخل الإلهي الغيبي، فالأمور بيد الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس، الآية: ٨٢].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾. [سورة فاطر، الآية: ٤٤].

التقوى وصياغة الشخصية

لكن ما يمكن فهمه من مجمل النصوص والمفاهيم الدينية، أنّ الله يسيّر الحياة ضمن سنن وقوانين، وأنّ المقصود في هذه الآية الكريمة وأمثالها: أنّ التقوى تصوغ شخصية الإنسان المتقي، بشكل يؤهله لمواجهة تحدّيات الحياة بالطريقة المثلى، والنهج السليم، من خلال

رؤيته العقدية، ونفسيته المطمئنة الواثقة، وأدائه السلوكي المنضبط، المنسجم مع السنن والقوانين الإلهية.

قد يواجه الإنسان عائقًا قاهرًا يصعب اقتلاعه وتجاوزه، إما لطبيعة ذلك العائق، كالعاهات والإعاقات الجسمية، وأما لاستلزامه ظرفًا وقدرة لا يمتلكها الإنسان بالفعل.

وهنا يتحلّى الإنسان المتقي بالثبات والطمأنينة، وبالتفكير الواقعي، فلا يصبح أسيرًا لتلك المشكلة التي لا يمتلك حلّها بالفعل، بل يخرج عن سيطرتها على نفسه ومشاعره، ويلتفت إلى سائر نقاط قوته، وإلى الإمكانات المتوفرة لديه، والفرص الأخرى المتاحة أمامه، مفوضًا أمره إلى الله ﴿إِنَّ اللَّـهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة غافر، الآية: ٤٤]. وهنا سيحقق لنفسه تقدّمًا ونموًّا يعوّض عليه ما فقده، وقد يجد نفسه في موقع أفضل، ومستوى أعلى، من حالته قبل المشكلة.

إن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح، الآية: ٥-٦].

ويقول تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّـهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٧].

ولو قرأنا تاريخ العظماء والقادة البارزين، لوجدنا أنّ كثيرًا منهم كانت المحن والآلام طريقه إلى التألّق والتقدّم، فلم يولدوا وفي أفواههم ملاعق من ذهب، ولا نشأوا في أجواء فارهة مترفة، بل تحدّوا المشاقّ والصّعاب وحقّقوا المكاسب والإنـجازات.

المحن طريق العظمة والتألق

ولو قرأنا تاريخ العظماء والقادة البارزين، لوجدنا أنّ كثيرًا منهم، كانت المحن والآلام طريقه إلى التألّق والتقدّم، فلم يولدوا وفي أفواههم ملاعق من ذهب، ولا نشأوا في أجواء فارهة مترفة، بل تحدّوا المشاقّ والصّعاب،

وحقّقوا المكاسب والإنـجازات، حتى أحبّ الخلق إلى الله نبينا محمد ﷺ، شاء الله له أن يعيش حياة الآلام والمتاعب، قبل أن يبعثه نبيًّا.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [سورة الضحى، الآيات: ٦-٨].

ونبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، لم يصل إلى مقام الإمامة إلّا عبر طريق التحدّيات والابتلاءات.

يقول تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٤].

ونقرأ في التاريخ المعاصر عن كثير من الأشخاص، أصابتهم المحن، وحلّت بهم الأزمات، فكانت طريقهم إلى التقدم والتألق.

الشدائد تصنع الأقوياء

(ماكساين شنال) كاتبة وإعلامية وخبيرة إدارة علاقات من أمريكا، ألفت كتابًا جميلًا تحت عنوان: (الشّدائد تصنع الأقوياء)[1] من وحي تجربة ومعاناة مرّت بها، حين أصيبت ابنتها الشابة في حادث سيارة، فسبّبت لها إعاقة وشللًا، وهذا ما دفعها لكتابة هذا الكتاب الجميل، الذي أنصح الشباب والشابات بقراءته، فهو مترجم للغة العربية، وفيه خلاصات لتجارب ونماذج ناجحة، في تحويل المحن إلى نِعَم.

ويمكن قراءة الكتاب عبر المكتبات الإلكترونية.

ومن الخلاصات التي ذكرتها في الكتاب:

(١) الشدائد تصنع الأقوياء: تحويل المِحَن إلى نِعَم. تعريب: ليلى النابلسي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، شركة الحوار الثقافي، بيروت – لبنان.

١. لا يمكنك أبدًا أن تمنع المصائب من الحدوث أو تبعد ضررها عنك، ولكن استجابتك لها هو اختيارك أنت.

فكيف تريد أن تتعامل مع المشكلة؟

٢. إنّ الحياة لا تفرض علينا شيئًا نعجز عن احتماله، إذا توفرت لدينا النظرة الصحيحة للأمور، فعلى الإنسان ألّا يتسرّع للقول بأنه لا يستطيع تحمّل المشكلة، إنك تستطيع أن تتحمّل، ولو استعدت شريط حياتك، لوجدت أنّ مشكلات صعبة قد تجاوزتها، وأصبحت من ذكريات الماضي والتاريخ.

٣. باستطاعتنا أن نعثر على فوائد مخبّأة في أيّ محنة، إذا دربنا أنفسنا على رؤية الشدائد بنظرة جديدة، والاستجابة لها بإبداع.

٤. أسوأ الظروف قد تبرز فينا أفضل ما لدى الإنسان، وتلهمه وتبث فيه الشجاعة والتعاطف والرحمة.

كيف تصبح المحنة منحة؟

وهنا نستحضر ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الْمَصَائِبُ مِنَحٌ مِنَ اللهِ»[1].

إنّ النصوص الدينية والتجارب البشرية الناجحة عبر العصور تبعث رسالة واضحة لكلّ من تحلّ به أزمة قاهرة ألّا يصاب بالإحباط واليأس، وأن يتحلّى بالثبات النفسي والأمل والتفاؤل، والرضا بما قسمه الله تعالى له.

إنّ النصوص الدينية، والتجارب البشرية الناجحة عبر العصور، تبعث رسالة واضحة، لكلّ من تحلّ به أزمة قاهرة، ألّا يصاب بالإحباط واليأس، وأن يتحلّى بالثبات النفسي، والأمل والتفاؤل، والرضا بما قسمه

(١) الكافي، ج٢، ص٢٦٠.

الله تعالى له.

كما ورد في دعاء كميل المروي عن الإمام علي عليه السلام: «وَتَجْعَلَني بِقِسْمِكَ راضِيًا قانِعًا».

وأن يفتش الإنسان عن فرص يعوّضه الله بها عمّا حلّ به.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّـهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ أي طريقًا لتجاوز محنته، لكن عليه أن يسعى لاكتشاف ذلك الطريق.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يعني: تأتيه فرص لم تكن متوقعة في حالته العادية.

ورد في الحديث عن سول الله صلى الله عليه وآله: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ بِهَا النَّاسُ لَكَفَتْهُمْ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا وَيُعِيدُهَا»[1].

وورد أنّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ فَقالَ: «أنْ تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ في امُورِكَ كُلِّها، فَما فَعَلَ بِكَ، كُنْتَ عَنْهُ راضِيًا، تَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَأْلُوكَ خَيْرًا وَفَضْلًا، وَتَعْلَمُ أنَّ الْحُكْمَ فِي ذلِكَ لَهُ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ بِتَفْويضِ ذلِكَ إلَيْهِ وَثِقْ بِهِ فيها وَفِي غَيْرِها»[2].

(١) بحار الأنوار، ج٥، ص٢٨١.
(٢) الكافي، ج٢، ص٦٥.

الأميّة الأبجدية والأميّة الثقافية

الجمعة ١٣ صفر ١٤٤٤هـ | ٩ سبتمبر ٢٠٢٢م.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٧٨].

يحتفى العالم في اليوم الثامن من سبتمبر كل عام باليوم العالمي لمحو الأمية، وقد بدأ الاحتفاء بهذا اليوم الذي قرّرته منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة سنة ١٩٦٧م، من أجل التذكير بأهمية التعليم، والعمل لتقليص حالة الأميّة التي يسود انتشارها، خاصة في البلدان المتخلّفة والفقيرة.

والأميّة تعني عدم المقدرة على القراءة والكتابة، وهي الأميّة الأبجدية، أي عدم معرفة الحروف الأبجدية قراءة وكتابة.

وكانت فرصة تعلّم القراءة والكتابة ضئيلة أمام الناس في العصور الماضية، والمتعلّمون كانوا

شريحة محدودة في كلّ المجتمعات، ومع تقدّم المجتمعات البشرية، اتسعت رقعة التعليم، وأصبح إلزاميًّا في معظم البلدان، فتقلّصت مساحة الأميّة على المستوى العالمي.

أرقام صادمة عن الأميّة

ولا تزال مجتمعات كثيرة تعاني من انتشار الأمية، فحسب الإحصاءات الأخيرة الصادرة عن منظمة اليونسكو للأمم المتحدة، هناك أكثر من ٧٥٠ مليون نسمة على الأقلّ من الشباب والكبار، يعجزون عن القراءة والكتابة.

لكنّ هناك نوعًا آخر من الأميّة يطلق عليه الأميّة الثقافية، وقد يكون في وسط من يتجاوزون الأميّة الأبجدية.

فقد يتقن الإنسان القراءة والكتابة لكنّه لا يستفيد منها في اكتساب الثقافة والمعرفة.

وهناك ٢٥٠ مليون طفل يفشلون في اكتساب المهارات الأساسية للقراءة والكتابة.

وتصل نسبة من يجهلون القراءة والكتابة من سكان العالم البالغين إلى ١٧٪.

وفي العالم العربي، يشير تقرير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألسكو)، إلى أنّ هناك ٦٩,٤ مليون إنسان ممن هم في سنّ ١٥ عامًا فما فوق، يعانون من الأميّة.

وحسب التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٢١م، فإنّ نسبة الأميّة في الدول العربية بين الفئة العمرية ١٥ عامًا فما فوق تبلغ ٢٥,٥٪، وتفيد بعض التقارير أنّ عددًا من الدول العربية ترتفع فيها نسبة الأميّة، في الفئة العمرية ١٥ فما فوق، (حيث تصل في العراق إلى ٤٩,٩٪، وفي موريتانيا ٤٦,٥، وفي اليمن ٤٥٪، وفي جزر القمر ٤١,٢٪)[1].

(١) الجزيرة نت، الأميّة تفترس العرب، ٨ سبتمبر ٢٠٢٢م.

وقد انخفضت نسبة الأميّة في بعض الدول العربية إلى حدٍّ أدنى، حيث وصلت في البحرين إلى ٢,٥٪ وفي فلسطين ٢,٦٪ وفي بلادنا وصلت إلى ٣,٧٪ ونأمل أن تحتفي بلادنا قريبًا إن شاء الله بتصفير نسبة الأميّة.

ولا شك أنّ التقدّم في محو الأميّة الأبجدية إنجاز مهم وأساس لكلّ مجتمع إنساني.

عن الأميّة الثقافية

لكنّ هناك نوعًا آخر من الأميّة يطلق عليه الأميّة الثقافية، وقد يكون في وسط من يتجاوزون الأميّة الأبجدية.

فقد يتقن الإنسان القراءة والكتابة لكنّه لا يستفيد منها في اكتساب الثقافة والمعرفة، بل يقتصر على الحدّ الأدنى من استخدام القراءة والكتابة في ضرورات حياته.

ولا يجتهد في تنمية قدراته الفكرية للفهم والإدراك، فحتى لو قرأ تكون قراءته سطحية تخلو من التفكير والتأمل.

من هنا فإنّ الأميّة الثقافية تعني أمرين: قلّة الاطّلاع المعرفي، وضعف الاهتمام بفهم وتحليل ما يطّلع عليه.

ولعلّ الآية الكريمة ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلّا أمانيّ وإن هم إلا يظنون﴾ [سورة البقرة، الآية: ٧٨]، التي جاءت في سياق الحديث عن اليهود في العهد النبوي، تتحدّث عن هذا النوع من الأميّة، وهو الأمية الثقافية، حيث يشير بعض المفسّرين إلى أنّ معنى الآية: (أنهم لا يعلمون الكتاب إلّا قراءة اللفظ من دون التعدّي إلى فهم المعنى الحقيقي، فليس

حظّهم من الكتاب إلّا ما يتوهمونه ويظنونه)[1].

(فهم الأميّون الذين لم يملكوا وسائل المعرفة، التي يستطيعون من خلالها أن ينفذوا إلى عمق الكتاب، ولذلك كانت معرفتهم بالكتاب معرفة سطحية، تنطلق من خلال ما يتصورونه في أنفسهم، وما يتّفق مع تخيّلاتهم وأحلامهم ورغباتهم)[2].

وفي ذمّ هذه الحالة عند اليهود تحذير للمسلمين ألّا يصابوا بها، فمثلًا قد ننظر إلى شخص لا يقرأ القرآن، لأنه لا يجيد القراءة، فهو محروم من قراءة القرآن؛ لأنه أمّي أميّة أبجدية، وكذلك لو نظرنا إلى شخص يقرأ القرآن كلّ يوم، ولا يسعى لفهم شيءٍ من آياته بالتفكير والتدبر فيها، بل يقرأ القرآن كألفاظ وكلمات، فهو يعيش أميّة ثقافية، فهل هناك فرق بينه وبين الشخص الأول؟

إنّ القرآن يندّد بالأميّة الثقافية في مجال قراءة القرآن:

يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾؟ [سورة محمد، الآية: ٢٤]

وورد في الحديث عن النبي ﷺ: «يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ»[3]. أي حناجرهم.

محو الأميّة الثقافية

ويعود تشكيل مصطلح محو الأميّة الثقافية للمفكر والناقد الأمريكي (إي. دي. هيرش) (مواليد ١٩٢٨م) في كتابه المشهور (محو الأميّة

(١) السيد عبدالأعلى السبزواري، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٢٩٩.
(٢) السيد فضل الله، من وحي القرآن، ج١، ص٣٢٨.
(٣) صحيح البخاري، حديث٧٥٦٢.

الثقافية)، ويتمثل هذا المفهوم (محو الأميّة الثقافية في نظره) في قدرة الفرد على فهم المعطيات الثقافية للمجتمع الذي يعيش فيه، وتمكّنه من التفاعل الثقافي في مختلف أوجه وفعاليات الحياة الاجتماعية.

و(يرى أنه إذا كان محو الأميّة الأبجدية يرمز إلى تمكين الفرد من القدرة على القراءة والكتابة، فإنّ محو الأميّة الثقافية يتمثل في الوعي العميق بالمضامين الثقافية القائمة في المجتمع، واستيعاب رموزها وإشاراتها ومعانيها)[1].

وفي هذا السياق يقول أحد الكتاب: (يمكن أن يكون المرء متعلّمًا دارسًا في الجامعة، وتجده شديد الجهل بنفسه وبمن حوله، وبأمور أخرى كثيرة من المفروض أن يكون عارفًا ومحيطًا بها)[2].

إنّ البعض يعيش حالة من الكسل والعزوف عن القراءة، حتى لصفحات قليلة أو سطور قليلة كالنشرة المصاحبة للدواء، أو ما يرتبط بثقافة إدارة الحياة، فيتزوج دون أن يقرأ عن الحياة الزوجية، ويستقبل ولادة أطفاله دون أن يستعدّ بثقافة والدية.

ويرى أحد الباحثين أنّ (الأميّة الثقافية تنشر في منطقتنا العربية بمعدّلات مخيفة بين أوساط حملة الشهادات العلمية العالية، نتيجة الاقتصار على المقرّرات الدراسية الرسمية أو الأكاديمية وتجاهل التزود الثقافي الحرّ)[3].

نحو تجاوز الأميّة الثقافية

إنّ القدرة على القراءة والكتابة نعمة يجب أن يستثمرها الإنسان في كسب المزيد من العلم والمعرفة، يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞

(١) علي أسعد وطفة، في مفهوم الأميّة الأكاديميّة. https://watfa.net/archives/11649
(٢) أحمد الشهاوي، أهلُ الجهل، المصري اليوم، الخميس ١٤-٠٢-٢٠١٩م.
(٣) في مفهوم الأميّة الأكاديميّة، مصدر سابق.

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق،الآيات: ٣-٥].

إنه لا عذر للإنسان في هذا العصر بعد توفر وسائل المعرفة وأدوات الثقافة.

إنّ من يحققون الإنجازات والمكاسب في العالم هم روّاد الثقافة والمعرفة.

إنّ البعض يعيش حالة من الكسل والعزوف عن القراءة، حتى لصفحات قليلة، أو سطور قليلة، كالنشرة المصاحبة للدواء، أو ما يرتبط بثقافة إدارة الحياة، فيتزوج دون أن يقرأ عن الحياة الزوجية، ويستقبل ولادة أطفاله دون أن يستعدّ بثقافة والدية، وهكذا في مجال المعتقدات والأحكام الدينية.

إنه لا عذر للإنسان في هذا العصر بعد توفر وسائل المعرفة وأدوات الثقافة.

إنّ من يحققون الإنجازات والمكاسب في العالم هم روّاد الثقافة والمعرفة.

أجرى الصحفي المخضرم ستيف سيبولد مقابلات صحفية، مع أكثر من ١٢٠٠ شخص ثري من أنحاء العالم، خلال السنوات الثلاثين الماضية، فوجد أنّ أهم سمة مشتركة بينهم، أنّهم يقرأون كلّ شيءٍ تقريبًا، من كتب تطوير الذات، إلى كتب السير الذاتية.

وقدّمت مجلة (بزنس انسايدر ٢٥ فبراير ٢٠٢٠م) قائمة بعدد من أشهر الأثرياء مع عاداتهم في القراءة.

فمثلًا: وارن بافت (أكبر مستثمر أسهم في العالم) يقضي ما بين ٥ إلى ٦ ساعات يوميًا في قراءة الكتب والمجلّات والصحف.

بيل غيتس (مؤسس شركة مايكروسوفت) يقرأ خمسين كتابًا كلّ عام.

مارك زوكربرغ (مؤسس فيسبوك) يقرأ كتابًا كلّ أسبوعين.

مارك كوبان (الريادي الناجح وصاحب الدوري الأميركي لكرة السلة للمحترفين) يقرأ ثلاث ساعات يوميًّا.

إنّ القراءة المفيدة هي التي يواكبها إعمال التفكير والتحليل فيما يقرأ الإنسان.

ورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «لاَ خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهٌ، وَلاَ خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَكُّرٌ، وَلاَ خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ»[1].

ويقول المفكر الإيرلندي (ادموند يورك): القراءة من دون تأمّل مثل الأكل من دون هضم.

(١) تحف العقول، ص٢٠٤.

زيارة الأربعين رسالة أهل البيت للعالم

الجمعة ٢٠ صفر ١٤٤٤هـ | ١٦ سبتمبر ٢٠٢٢م.

عن الإمام علي بن موسى الرضا عن أبيه عليهم السلام قال: «سُئِلَ الصادق عليه السلام عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِ اَلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي عليه السلام: أَنَّ مَنْ زَارَ قَبْرَ اَلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام عَارِفًا بِحَقِّهِ كَتَبَهُ اَللَّهُ فِي عِلِّيِّينَ»[1].

وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كثير من الروايات في الحثّ على زيارة الإمام الحسين، وتبيين فضلها وآدابها، وفوائدها، وآثارها في الدنيا والآخرة.

وتتفاوت هذه الروايات في اعتبارها السندي، ففيها ما هو صحيح ومعتبر السند، وفيها ما هو ضعيف السند، وكثرتها يوجب القطع والاطمئنان بتأكيد الأئمة عليهم السلام على أهميتها وفضلها.

لذلك ترسّخت هذه الشعيرة في تاريخ أتباع أهل البيت عليهم السلام، وتوارثتها أجيالهم عبر القرون والعصور. وكلّفتهم أثمانًا باهظة، وتضحيات كبيرة، في بعض

(١) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٤٤.

الأزمنة والعهود، وإلى وقت قريب في عصرنا الحاضر، كان الإرهابيون التكفيريون يستهدفون قوافل ومواكب زوار الإمام الحسين عليه السلام، وقبل ذلك في عهد النظام البائد في العراق، كانت زيارة الحسين محفوفة بالمخاطر، لكنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام تحمّلوا تلك المصاعب والآلام، واستمرّوا في إحياء هذه الشعيرة المباركة وخاصّة في مناسبة الأربعين.

إنّ زيارة الحسين كسائر الشعائر والممارسات الدينية، لها مضامين وأهداف، يجب أن يلتفت لها المؤدّون لكلّ عبادة وشعيرة، ليحقّقوها في نفوسهم وسلوكهم.

ونتابع هذه الأيام، كما يتابع العالم كلّه، عبر وسائل الإعلام المختلفة، زحف الملايين إلى كربلاء، لزيارة الإمام الحسين عليه السلام بمناسبة ذكرى مرور أربعين يومًا على شهادته، نسأل الله أن يوفق الزائرين لإتمام زيارتهم بأمن وسلام، وأن يتقبّل منهم زيارتهم، ويعيدهم إلى أهاليهم سالمين.

الشعائر الدينية أهداف ومضامين

إنّ زيارة الحسين كسائر الشعائر والممارسات الدينية، لها مضامين وأهداف، يجب أن يلتفت لها المؤدّون لكلّ عبادة وشعيرة، ليحقّقوها في نفوسهم وسلوكهم.

لذلك تتحدّث النصوص الدينية عن مضامين وغايات شعائر الحج مثلًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [سورة الحج، الآيتان: ٢٧-٢٨].

ويقول تعالى عن شعيرة الهدي في الحج: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [سورة الحج، الآية: ٣٧].

ويقول تعالى عن الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٥].

ويقول تعالى عن الصوم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٣].

فإذا لم يهتم الحاج والصائم والمصلي بمضمون العبادة والشعيرة، فإنّها ستصبح مجرّد ممارسة طقوسية شكلية لا تترك أثرًا على نفسه وسلوكه، ولا تكون لها القيمة المرجوة عند الله تعالى.

وورد في التحذير من شكلية الممارسة العبادية كثير من النصوص:

ففي الحديث عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ»(١).

وعنه ﷺ: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، لَمْ يَزْدَدْ بِهَا مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»(٢).

وورد عن الإمام علي عليه السلام: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا اَلْجُوعُ وَاَلظَّمَأُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا اَلسَّهَرُ وَاَلْعَنَاءُ»(٣).

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لاَ تَغْتَرُّوا بِصَلاَتِهِمْ وَلاَ بِصِيَامِهِمْ، فَإِنَّ اَلرَّجُلَ رُبَّمَا لَهِجَ بِالصَّلاَةِ وَاَلصَّوْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَهُ اِسْتَوْحَشَ، وَلَكِنِ اِخْتَبِرُوهُمْ عِنْدَ صِدْقِ

إنّ زيارة الحسين دورة معرفية عقدية أخلاقية، إضافة إلى بعدها الاجتماعي المتمثّل بتلاقي المؤمنين، وتأكيد أخوتهم وتماسكهم في ظلّ محبّة أهل البيت عليهم السلام.

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح ابن ماجة، حديث ١٣٨٠.
(٢) كنز العمال، حديث ٢٠٠٨٣.
(٣) نهج البلاغة، حكمة، ١٤٥.

اَلْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ اَلْأَمَانَةِ»[1].

الزيارة عهد ولاء واتّباع

وفي السّياق ذاته، فإنّ زيارة الحسين لها شرائط ومضامين، إذا لم تتحقّق، تصبح مجرّد رحلة قد تكون متعبة مرهقة، وقد تكون ممتعة بالمقاييس الدنيوية، لكن لا تترتب عليها الآثار، ولا تحقّق الفضل الذي تتحدّث عنه الروايات.

لذلك نجد الرواية عن الإمام الباقر ﷺ، أنّها تشترط الوعي والمعرفة بحقّ الإمام الحسين ﷺ ودوره، حيث جاء فيها «مَنْ زَارَ قَبْرَ اَلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ عَارِفًا بِحَقِّهِ كَتَبَهُ اَللَّهُ فِي عِلِّيِّينَ»[2]، ومن حقّه علينا الطاعة والاتباع والاقتداء.

من هنا تركز نصوص الزيارات المروية، على أن يقدّم الزائر تعهّدًا بالتزام نهج الحسين ﷺ، والاقتداء بهديه وسيرته، كما تستحضر نصوص الزيارات صفات الحسين، ليستحضرها الزائر، فتكون ماثلة في نفسه، ليتحفّز لتطبيقها في سلوكه وعمله.

ورد في الزيارة المروية عن الإمام محمد الباقر ﷺ: «اَللَّهُمَّ اِجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا، مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ، اَللَّهُمَّ اِجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»[3].

وورد في الزيارة عن الإمام جعفر الصادق ﷺ: «أُشْهِدُ اَللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ إِنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَلَكُمْ تَابِعٌ فِي ذَاتِ نَفْسِي، وَشَرَائِعِ دِينِي، وَخَاتِمَةِ عَمَلِي،

(١) الكافي، ج٢، ص١٠٤.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٤٤.
(٣) كامل الزيارات، ص١٩٥.

وَمُنْقَلَبِي وَمَثْوَايَ»[1].

وعنه عليه السلام: «اَللَّهُمَّ اِجْعَلْ لِمَا أَقُولُ بِلِسَانِي حَقِيقَةً فِي قَلْبِي، وَشَرِيعَةً فِي عَمَلِي، اَللَّهُمَّ اِجْعَلْنِي مِمَّنْ لَهُ مَعَ اَلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَدَمٌ ثَابِتٌ»[2].

ومن الصفات التي تذكرها الزيارات في سيرة الإمام الحسين عليه السلام، ما ورد في أكثر من زيارة: «أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بالمعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ المنْكَرِ، وَعَبَدْتَ اللهَ مُخْلِصًا حَتّى أتاكَ الْيَقين»[3].

كما تحتوي الزيارات على التذكير بأصول المعتقدات الدينية، وتعزيز الإيمان بالله تعالى، وتوحيده، والثقة به، والتوكل عليه.

إنّ زيارة الحسين دورة معرفية عقدية أخلاقية، إضافة إلى بعدها الاجتماعي المتمثّل بتلاقي المؤمنين، وتأكيد أخوتهم وتماسكهم في ظلّ محبّة أهل البيت عليهم السلام.

الرسالة الحضارية لزيارة الحسين

وقد أصبح لزيارة الحسين اليوم بُعدٌ حضاري إنساني عالمي، فزيارة الأربعين تحوّلت إلى ظاهرة يرصدها العالم كلّه، وتتابعها وسائل الإعلام المختلفة، وتترك أصداءً كبيرة قلّ أن تحظى بها أيّ شعيرة دينية أخرى.

المطلوب هو استثمار هذه الظاهرة والحدث داخل المجتمع الشيعي، بتعميق الوعي الديني في صفوف الزائرين والمتابعين، وتعزيز السّلوك الإيجابي الأخلاقي، لتكون الزيارة سببًا لتحولات إيجابية في الوعي والسّلوك.

(١) الكافي، ج٤، ص٥٧٢.
(٢) كامل الزيارات، ص٢٥٤.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٣.

وذلك ما يستوجب الاهتمام من قبل كلّ الجهات الشيعية؛ لأنّها تعكس صورة المذهب والطائفة أمام العالم.

إنّ المطلوب هو استثمار هذه الظاهرة والحدث، في داخل المجتمع الشيعي، **أولًا**: بتعميق الوعي الديني في صفوف الزائرين والمتابعين، وتعزيز السّلوك الإيجابي الأخلاقي، لتكون الزيارة سببًا لتحولات إيجابية في الوعي والسّلوك.

ثانيًا: أن يقدّم الشيعة من خلالها رسالة مذهبهم وأئمتهم إلى العالم، من خلال شعاراتهم وخطابهم وسلوكهم، وإدارتهم للمناسبة.

إنّ رسالة أهل البيت قبول التنوع الديني والمذهبي، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «فَإِنَّهُمْ (النّاسُ) صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي اَلدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي اَلْخَلْقِ»[1].

ورسالتهم الحفاظ على وحدة الأمة، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «وَلَيْسَ رَجُلٌ ـ فَاعْلَمْ ـ أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّد ﷺ وَأُلْفَتِهَا مِنِّي»[2].

ورسالتهم الإصلاح في الأمة، حيث ورد عن الإمام الحسين عليه السلام: «إِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي»[3].

ورسالتهم جذب الناس بحسن القول وحسن التعامل، كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا اسْتَجَرَّ مَوَدَّةَ النَّاسِ إِلَى نَفْسِهِ وَإِلَيْنَا، بِأَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ مَا يَعْرِفُونَ، وَيَكُفَّ عَنْهُمْ مَا يُنْكِرُونَ»[4].

---

(١) نهج البلاغة، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.
(٢) المصدر نفسه، الكتاب ٧٨، من كتاب له إلى أبي موسى الأشعري.
(٣) الموفق بن أحمد الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٢٧٣.
(٤) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٢٧٥.

وعنه عليه السلام: «مَعَاشِرَ اَلشِّيعَةِ، كُونُوا لَنَا زَيْنًا، وَلاَ تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْنًا، قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَاِحْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ، وَكُفُّوهَا عَنِ اَلْفُضُولِ، وَقُبْحِ اَلْقَوْلِ»[1].

ومن الطبيعي في هذا التجمّع الكبير، أن تبرز بعض الأصوات والتصرفات غير المناسبة، إمّا بسبب خلل ونقص في وعي بعض الأفراد، أو بدوافع مغرضة عند بعض الجهات، لكنّ المهم هو الصورة العامة الغالبة، التي نأمل أن تكون حسنة مشرقة.

مبادرات وجهود مشكورة

إنه من الواضح أنّ المرجعية الدينية، والحوزة العلمية، وإدارات العتبات المقدّسة، والمؤسّسات الأهلية الواعية، والمبادرات المخلصة، تبذل جهودًا طيّبة مشكورة، لإنجاح هذه المناسبة العظيمة، وإخراجها بالشكل اللّائق مع صعوبة الأوضاع في السّاحة العراقية والدولية، وشدّة التحدّيات.

فهناك الآن برامج متعدّدة للتبليغ الديني في أوساط الزائرين، وبين المواكب، وفي المحطّات المختلفة للطرق، حيث تقام صلاة الجماعة، ومجالس تبيين المسائل الشرعية، وتلقى الخطابات التوجيهية، وتنشر الكتب والمطويات التوعوية.

كما أنّ هناك استقبالًا واستضافة للشخصيات النوعية من مختلف الأديان والمذاهب، من داخل العراق وخارجه، وهؤلاء ينقلون انطباعات جيّدة عمّا يرونه ويشاهدونه، في هذه المسيرة المليونية العظيمة.

هكذا نأمل أن تصبح هذه المناسبة فرصة ذهبية، لإيصال رسالة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم إلى العالم.

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ٤٨٤.

نسأل الله تعالى أن يزيدنا رسوخًا في محبّة النبي وعترته الطاهرة، وأن يجزل الأجر والمثوبة للزائرين والسّاعين في خدمتهم، وأن يحقّق آمالهم وتطلّعاتهم في الخير والأمن والتقدّم والصلاح.

قيمة الوطن وكفاءة المواطن

الجمعة ٢٧ صفر ١٤٤٤هـ | ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٢م.

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾

[سورة البلد، الآيتان: ١-٢].

حبّ الإنسان وانجذابه لمسقط رأسه، وموطن نشأته، أمر فطري وجداني، حتى لو لم تكن لتلك البقعة أيّ ميزة إضافية، بل إنّ بعض البلاد تكتنف الحياة فيها صعوبات ومشاق، لكنّ أهلها يتشبّثون بها، ويسكن نفوسهم الحنين إليها، كبعض المناطق الجبلية الوعرة، أو البلدان التي تتكرّر فيها الفيضانات والهزّات الأرضية، أو تقلّ فيها الموارد والإمكانات الاقتصادية، وحتى من يغادرون موطنهم إلى بلدان أكثر تقدّمًا ورقيًّا، يحتفظون بالحنين والانجذاب النفسي إلى مسقط رؤوسهم.

ولعلّ من ذلك ما أشار إليه الشاعر العربي قتادة بن إدريس:

بِلاَدِي وَإِنْ جَارَت عليَّ عَزِيْزَةٌ وَأَهْلِي وَإِنْ ضَنُّوا عَلَيَّ كِرامُ

ميزات الأوطان

كلّما توفرت في الوطن ميزات إضافية، ازداد تعلّق الإنسان به، وانجذابه إليه، واعتزازه وافتخاره بالانتماء إلى ذلك الوطن.

والميزات الإضافية للأوطان بعضها ميزات معنوية، وبعضها ميزات مادية.

من أبرز الميزات المعنوية للوطن، أن يكون له عمق تاريخي حضاري، أو مكانة دينية.

من أبرز الميزات المادية، أن يتمتع الوطن بطبيعة خلّابة، أو تكون له موارد اقتصادية كبيرة، تنعكس على جودة حياة المواطن، وأن تتوفر للمواطن فيه سُبُل الحياة الكريمة، فيكون متمتّعًا بالأمن والحرية والكرامة.

ومن أبرز الميزات المادية، أن يتمتع الوطن بطبيعة خلّابة، أو تكون له موارد اقتصادية كبيرة، تنعكس على جودة حياة المواطن، وأن تتوفر للمواطن فيه سُبُل الحياة الكريمة، فيكون متمتّعًا بالأمن والحرية والكرامة.

وبحمد الله تعالى ننتمي إلى وطن اجتمعت فيه ميزات كثيرة، فعلينا أن نشكر الله، وأن نستثمر هذه الميزات، لإسعاد حياتنا، وحياة أجيالنا القادمة.

ففي الجانب المعنوي، يتشرّف هذا الوطن، بالحرمين الشريفين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وهما أفضل بقاع الأرض.

فضل مكة المكرمة

إنّ الله تعالى يقسم بمكة المكرمة في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [سورة البلد، الآيتان: ١-٢] حيث اتّفق المفسّرون

على أنّ سورة البلد مكية، وإلى مكة يرجع اسم الإشارة ﴿هُذَا الْبَلَدِ﴾.

وفي مكة المكرمة بيت الله الحرام، قبلة المسلمين، ومهوى أفئدة المؤمنين، وهو أول بيت عبادة وضع للناس، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩٦].

وبكّة من أسماء مكة، مأخوذ من البكّ وهو الزّحم، وبكّة أي زحمة، وتباكَّ الناس أي ازدحموا. سميت مكة بذلك؛ لازدحام الطائفين ببيتها الحرام.

والكعبة أول بيت للعبادة وضع للناس، فهي أقدم معبد بني على وجه الأرض، ليُعبَد فيه الله، وتفيض منه على الناس البركة والهداية.

إنّ المصادر الإسلامية والتاريخية، تحدّثنا أنّ الكعبة تأسّست على يدي آدم ﷺ، ثم تهدّمت بسبب الطوفان في عهد النبي نوح ﷺ، ثم جدّد بناءها النبي إبراهيم الخليل ﷺ. فهو ﷺ ليس المؤسّس لبناء الكعبة، بل المجدّد له.

لذلك يقول تعالى على لسان النبي إبراهيم ﷺ: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٣٧].

والآية تدلّ على أنّ بيت الكعبة كان له نوع من الوجود، حين جاء إبراهيم مع زوجه وابنه الرضيع إلى مكة.

ثم تأتي الآية الأخرى لتتحدّث عن إعادة بناء الكعبة، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٧]، فإبراهيم وإسماعيل قد رفعا قواعد البيت التي كانت موجودة.

وجاء في خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صلوات الله عليه إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ ... فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ»(١).

وقد وردت أحاديث وروايات كثيرة في فضل مكة، حيث جاء عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أنه قال عند خروجه من مكة: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»(٢)

وفي معتبرة ميسر بن عبدالعزيز قال: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ (الإمام محمد الباقر) عليه السلام وَعِنْدَهُ فِي اَلْفُسْطَاطِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِينَ رَجُلًا، فَجَلَسَ بَعْدَ سُكُوتٍ مِنَّا طَوِيلًا فَقَالَ: ... «أَتَدْرُونَ أَيُّ اَلْبِقَاعِ أَفْضَلُ عِنْدَ اَللَّهِ مَنْزِلَةً؟» فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنَّا وَكَانَ هُوَ اَلرَّادُّ عَلَى نَفْسِهِ، قَالَ: «ذَلِكَ مَكَّةُ اَلْحَرَامُ اَلَّتِي رَضِيَهَا اَللَّهُ لِنَفْسِهِ حَرَمًا، وَجَعَلَ بَيْتَهُ فِيهَا»(٣).

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «أَحَبُّ اَلْأَرْضِ إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى مَكَّةُ، وَمَا تُرْبَةٌ أَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تُرْبَتِهَا، وَلاَ حَجَرٌ أَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَجَرِهَا، وَلاَ شَجَرٌ أَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَجَرِهَا، وَلاَ جِبَالٌ أَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جِبَالِهَا، وَلاَ مَاءٌ أَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَائِهَا»(٤).

فضل المدينة المنورة

وفي فضل المدينة المنورة وردت أحاديث وروايات كثيرة، منها

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٩٢.
(٢) صحيح الترمذي، حديث٣٩٢٥.
(٣) الشيخ محمد آصف المحسني، معجم الأحاديث المعتبرة، ج٢، ص٨٨.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٢٤٣.

ما جاء عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَمُ اَللَّهِ حَرَّمَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، وَإِنَّ اَلْمَدِينَةَ حَرَمِي»[1].

ويكفي في فضلها أنّها ضمّت جسد رسول الله ﷺ، وبضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكوكبة من أهل بيته، وكثيرًا من صحابته الشهداء الأبرار، والمجاهدين الأخيار.

إنّ وجود الحرمين الشريفين، فخر وشرف كبير لنا ولوطننا، علينا أن نعزّز قيمته في نفوسنا.

كما حبا الله وطننا بثروات وخيرات هائلة، وهناك نعمة عظيمة نتمتع بها في هذا الوطن، وهي نعمة الأمن والاستقرار، نسأل الله تعالى أن يديم علينا هذه النعمة.

إنّ كلّ ذلك يؤكّد القيمة العظيمة للوطن.

إنّ كفاءة المواطن تُعلي من شأن الوطن، فالبلدان تفخر بأبنائها الكفوئين المبدعين، في أيّ مجالٍ من مجالات التميّز والابداع، العلمي والأدبي والأخلاقي.

كفاءة المواطن تُعلي شأن الوطن

وكما اشتملت الآية الكريمة على القسم بالوطن/ البلد﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾، فإنّها أردفته بالإشارة إلى قيمة إنسان هذا الوطن، وأنموذجه الأعلى شخصية النبي محمد ﷺ، وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾. فالبلد (مكة) استحقّ أن يُقسم الله به لوجود رسول الله ﷺ وحلوله فيه.

ويمكننا أن نستنتج من هذه الإشارة، أنّ قيمة الوطن تتكامل وتتعزّز بكفاءة المواطن.

---

(١) الكافي، ج٤، ص٥٦٤.

فالمواطن الكفو الصّالح، هو الذي يستثمر إمكانات الوطن، ويتمتّع بميزاته وخيراته على أفضل وجه، وينمّيها ويحافظ عليها، ويحميها ويدافع عنها.

إنّ كفاءة المواطن تُعلي من شأن الوطن، فالبلدان تفخر بأبنائها الكفوئين المبدعين، في أيّ مجالٍ من مجالات التميّز والابداع، العلمي والأدبي والأخلاقي.

وإنّ أفضل وأهم خدمة نقدّمها للوطن، هي تنمية كفاءات أبنائه.

فلتتضافر جهودنا جميعًا حكومة وشعبًا، في الاهتمام بالتعليم، وإتاحة الفرص لتنمية المواهب والقدرات، ورفع مستوى الفاعلية والإنتاج، في مختلف مجالات التنمية الوطنية، والارتقاء بالمستوى القيمي والأخلاقي لأبناء هذا الوطن.

وعلينا أن نشجع بروز الكفاءات الوطنية، وأن نفخر بها، فهي الرّصيد الأكبر للوطن.

تشيّؤ الإنسان ورعاية المسنين

الجمعة ٤ ربيع الأول ١٤٤٤هـ | ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٢م.

ورد عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ»[1].

من أخطر إفرازات الحضارة المادية المعاصرة، هيمنة الروح المصلحية المادية على الإنسان، وإغفال البعد القيمي الأخلاقي، وهذا ما أنتج حالة (تشيّؤ الإنسان).

والتشيّؤ يعني التحول إلى أشياء وأدوات بالمفهوم المادي، وفي المفهوم الاجتماعي، يدلّ على تحول العلاقات بين البشر، إلى ما يشبه العلاقات بين الأشياء، ومعاملة الناس بعضهم بعضًا بعدّهم أشياء مجرّدة، دون النظر إلى القيمة الإنسانية.

(١) صحيح أبي داود، حديث٤٨٤٣.

العلاقات وفق مبدأ المنفعة

ويعتبر الفيلسوف والكاتب الناقد المجري (جورج لوكاش ١٨٨٥-١٩٧١م) (أول من بحث في موضوع التشيّؤ في الفكر الفلسفي المعاصر، وهو يرى أن التشيّؤ يحوّل العلاقات الإنسانية في ظلّ هيمنة النظام الاقتصادي الرأسمالي إلى أشياء جامدة، وخاضعة لمنطق التبادل التجاري، بالصورة التي يتحول فيها البشر إلى سلع، وفق مبدأ المنفعة)[1].

وقد انتقد هذا الواقع العديد من المفكرين الغربيين، ودقوا أجراس الإنذار والخطر على إنسانية الإنسان.

التعامل بين الإنسان والإنسان الآخر، يهتم به ويحترمه ما دامت هناك مصلحة ومنفعة في البين، فإذا انتفت المنفعة والمصلحة، فلا دافع للاهتمام والاحترام. مهما كانت درجة القرابة والصلة بذلك الإنسان.

إنّ تعامل الإنسان مع أيّ شيء من الأشياء، أو جهاز من الأجهزة، إنّما هو بمقدار انتفاعه منه، فإذا انتهت صلاحية ذلك الجهاز، وانتفت المنفعة والمصلحة منه، تنتهي قيمته، ويصبح عبئًا على الإنسان حتى يتخلص منه.

وبذات الطريقة يكون التعامل بين الإنسان والإنسان الآخر، يهتم به ويحترمه ما دامت هناك مصلحة ومنفعة في البين، فإذا انتفت المنفعة والمصلحة، فلا دافع للاهتمام والاحترام. مهما كانت درجة القرابة والصلة بذلك الإنسان، أبًا أو أمًا أو زوجًا أو ولدًا.

التعامل مع المسنين نموذجًا

وتتحدّث كثير من التقارير والإحصاءات، عن حالة الجفاء والجفاف

(١) وائل أيوب، تشيؤ الإنسان ما بين النفعية والاستهلاك، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة - سوريا، عدد ٦٨٤، سنة٥٩.

في العلاقات الإنسانية، في المجتمعات المادية المتقدمة، حيث يكون مصير كبار السنّ والمرضى العاجزين إلى رعاية المؤسسات المعنية، دون اهتمام أو تواصل من أبنائهم وذويهم، وهذا ما يعرّضهم للوحدة والعزلة الاجتماعية والاكتئاب، وكشفت جائحة كورونا عن مآسي في دور العجزة والمسنين، في مختلف المجتمعات الغربية.

وتشير كثير من التقارير، إلى أنّ إساءة معاملة كبار السنّ، تُعُدّ إحدى المشكلات العالمية الموجودة، بالبلدان النامية والمتقدمة على حدٍّ سواء.

من هنا تأتي أهمية إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة يومًا عالميًّا للمسنين في سنة ١٩٩٠م هو الأول من شهر أكتوبر في كلّ عام، لتذكير المجتمعات الإنسانية بهذه الشريحة، وضرورة الاهتمام برعايتها. والتعامل معها باحترام يليق بإنسانيتها وعطائها في الحياة.

خاصة وأنّها شريحة آخذة في الاتساع، فبسبب تقدّم مستوى الطب، وتوفر الرعاية الصحية، وتطور خدمات الحياة، ارتفع متوسط العمر عالميًّا، وتضاعف عدد كبار السنّ في مختلف المجتمعات.

إنّ احترام كبار السنّ ورعايتهم ينطلق من مبدأ احترام إنسانية الإنسان، وتقدير ما قدّم من عطاء ودور في حياته.

كما أنّ هذه المرحلة تنتظر كلّ إنسان يمتدّ به العمر، فحين تتعزّز هذه الحالة تكون حماية لمستقبل أجيال المجتمع.

المنطق الإنساني في رعاية المسنين

إنّ احترام كبار السنّ ورعايتهم، ينطلق من مبدأ احترام إنسانية الإنسان، وتقدير ما قدّم من عطاء ودور في حياته.

كما أنّ هذه المرحلة تنتظر كلّ إنسان يمتدّ به العمر، فحين تتعزّز هذه الحالة، تكون حماية لمستقبل أجيال المجتمع.

ورد عن رسول الله ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ، إلاَّ قَيَّضَ الله لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّه»(١).

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «بَرُّوا آبَاءَكُمْ يَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ»(٢).

من هنا جاءت النصوص الدينية تؤكّد على رعاية المسنين واحترامهم.

ورد عن رسول الله ﷺ: «مَنْ وَقَّرَ ذَا شَيْبَةٍ لِشَيْبَتِهِ آمَنَهُ اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ»(٣).

وعنه ﷺ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، فَلَيْسَ مِنَّا»(٤).

وجاء بسند صحيح عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِجْلَالَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ»(٥).

على المستوى العائلي، فإنّ البرّ بالوالدين خاصة عند تقدم سنّهما، يقع في الرتبة التالية لتوحيد الله وعبادته، يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤].

ورد عن رسول الله ﷺ: «مَن أَصْبَحَ مُطِيعًا لِلَّهِ في والِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بابانِ مَفْتُوحانِ مِنَ الجَنَّةِ، وإنْ كانَ واحِدًا فَواحِدًا، ومَن أَمْسى عاصِيًا لِلَّهِ في والِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بابانِ مَفْتُوحانِ مِنَ النّارِ، وإنْ كانَ واحِدًا فَواحِدًا».

---

(١) الترمذي، حديث١٩٤٥.
(٢) الكافي، ج٥، ص٥٥٤.
(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج١٦، ص٢٣٩.
(٤) محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع، حديث٥٤٤٥.
(٥) الكافي: ج٤، ص٧٣٣.

فَقالَ رَجُلٌ: وإنْ ظَلَماهُ؟ قالَ: «وإنْ ظَلَماهُ، وإنْ ظَلَماهُ، وإنْ ظَلَماهُ»[1].

إنّ رعاية كبار السّن واحترامهم تتجاوز الإطار العائلي، فهي مسؤولية اجتماعية، تستلزم صدور تقنينات تنظّم حقوق هذه الشريحة، وتردع أيّ تعدٍّ عليهم أو إساءة لهم.

نظام حقوق كبير السّن ورعايته

وقد صدر في بلادنا مؤخرًا بتاريخ ٣/ ٦/ ١٤٤٣هـ نظام حقوق كبير السّن ورعايته، بمرسوم ملكي[2].

وقد نصّ النظام الذي يحتوي على ٢٣ مادة على قضايا أساسية مهمّة تضمنتها المادة الثانية:

- تمكين كبار السّن من العيش في بيئة تحفظ حقوقهم وتصون كرامتهم.
- نشر التوعية والتثقيف المجتمعي لبيان حقوق كبار السّن؛ لأجل احترامهم، وتوقيرهم.
- توفير معلومات إحصائية موثقة عن كبار السّن؛ للاستفادة منها في إجراء الدراسات والبحوث ذات العلاقة بهم، والمساعدة في وضع الخطط والبرامج.
- تنظيم وتنفيذ برامج مناسبة لكبار السّن؛ تعزّز من مهاراتهم وخبراتهم وممارسة هواياتهم وتعزيز اندماجهم في المجتمع.
- تشجيع القادرين من كبار السّن على العمل، والاستفادة من

(١) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٥، ص٢٦٨.

(٢) هيئة الخبراء بمجلس الوزراء https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/3c63e654-4046-468d-93fd-ae1a00de13be/1

برامج الدعم الموجهة إلى الجهات المشغلة لهم.

- دعم النشاطات التطوعية في خدمة كبار السّن.
- تأهيل المرافق العامة والتجارية، والأحياء السكنية، والبيئة المحيطة، والمساجد؛ لتكون ملائمة لاحتياجات كبار السّن، وذلك في ضوء الأنظمة والأوامر ذات العلاقة.
- تخصيص أماكن لكبار السّن في المرافق العامة والمناسبات العامة.
- حثّ القطاع الخاص، وأصحاب الأعمال، والجهات الأهلية، على رعاية كبار السّن، من خلال إقامة مراكز أهلية وأندية اجتماعية.

وقد حدّد النظام عقوبات رادعة بالسّجن والغرامة على أيّ انتهاك لشيءٍ من حقوق كبار السّن. ومهم جدًّا تداول هذا النظام وتفعيله ونشر مضامينه.

كما يجب أن تنشأ مؤسّسات بمبادرات أهلية، تهتم بكبار السّن، وأن تسود المجتمع ثقافة احترام الكبير ورعايته، ويجب أن تتعزّز هذه الثقافة في أوساط الجيل الصّاعد، فبعض أبناء الجيل الجديد تنقصهم هذه الثقافة وهذا الاهتمام.

إنّ الحديث الشريف الوارد عن النبي ﷺ يعتبر إكرام الكبير من إجلال الله تعالى: «إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ»[1].

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح أبي داود، حديث٤٨٤٣.

لماذا تواجهنا تحدّيات الحياة؟

الجمعة ١١ ربيع الأول ١٤٤٤هـ | ٧ أكتوبر ٢٠٢٢م.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [سورة البلد، الآية: ٤].

عند ذهاب الانسان إلى أيّ مكان، ينبغي أن يتعرف على طبيعة ذلك المكان، وأن يحدّد المهمّة التي جاء إليه من أجلها، حتى يتهيأ ويكيِّف وضعه مع أجواء ذلك المكان، ويتجه إلى إنـجاز تلك المهمّة، حيث تختلف طبيعة الأمكنة والمهام.

فحين تسافر إلى بلدٍ، تحتاج إلى معلومات أوّلية عنه، لتوفر المستلزمات المناسبة للسفر إليه. كما تحتاج إلى تحديد غرضك من الذهاب إليه، هل هو الدراسة أو التجارة أو العلاج أو السياحة. فقد يستلزم كلّ غرض وسائل وبرامج تختلف عن الغرض الآخر.

بل حتى المواقع التي تذهب إليها، قد تستلزم تهيئًا واستعدادًا خاصًّا لكلّ موقع، فإنّ تهيئك

للذهاب لصالة رياضية، يختلف عن تهيئك للذهاب للمسجد، أو لصالة اجتماعات.

وتشبّه كثير من النصوص الدينية وجود الإنسان في الدنيا بالسفر، فهي رحلة، ما تلبث أن تنتهي.

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا»(١).

وفي كلمة أخرى عنه عليه السلام: «إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ»(٢).

معرفة طبيعة الحياة

ورحلة الإنسان في هذه الحياة تتطلب معرفة بطبيعتها، وتهيؤًا واستعدادًا لتحقيق الغرض من هذه الرّحلة، وهذا ما توضحه الرسالات السماوية، ويدركه الإنسان بضميره وعقله السّليم.

رحلة الإنسان في هذه الحياة تتطلب معرفة بطبيعتها، وتهيؤًا واستعدادًا لتحقيق الغرض من هذه الرّحلة، وهذا ما توضحه الرسالات السماوية، ويدركه الإنسان بضميره وعقله السّليم.

وأول ما توضحه الرسالات السماوية هو تبيين طبيعة هذه الحياة للإنسان، فهي رحلة مقرّرة للإنسان من قبل الله تعالى، في بدئها ونهايتها ومقوماتها. وهي رحلة كفاح، وبذل جهد، وليست رحلة راحة واستجمام.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [سورة البلد، الآية: ٤].

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٠٧.
(٢) المصدر نفسه، الخطبة ٩٩.

أي في مشقة ومعاناة، و(في) تفيد الظرفية، وتعني أنّ الإنسان في هذه الحياة، يعيش في ظرف ووعاء المعاناة والمشقّة، تحيط به كما يحيط الظرف بالمظروف.

إنّها معاناة تبدأ من وقت الولادة، والتكيّف مع الحياة الجديدة، وتستمرّ إلى معاناة الخروج من هذه الحياة.

النصوص الدينية لا تصنع رؤية تشاؤمية عن الحياة، بل تتحدّث عن نعم الله التي أفاضها على الإنسان في الحياة.

إنه يعاني من الصّراع داخل نفسه، بين أهوائه ورغباته المختلفة، ويعاني في وضع جسمه، حيث تعتوره الآلام والأسقام، ويعاني في توفير متطلبات الحياة.

ويعاني في علاقته مع محيطه الاجتماعي، وفي عيشه في أحضان الطبيعة.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق، الآية: ٦].

والكدح: بذل الجهد وتحمّل العناء، فهو كدح مستمرٌّ إلى ملاقاة الله تعالى.

وقد يتصور الإنسان أنّ هناك في الحياة من لا يناله التعب والمشقة، لأنه يرى ظاهر حياتهم، وذلك وهم، فكلّ إنسان يحمل همومه وأتعابه، صحيح أنّها تتفاوت لكنّها تشمل الجميع، العالم والجاهل، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم. وفي هذا البلد وذاك البلد.

لا للرؤية التشاؤمية

ورد عن النبي محمد ﷺ «إِنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: وَضَعْتُ اَلرَّاحَةَ فِي

اَلْجَنَّةِ وَاَلنَّاسُ يَطْلُبُونَهَا فِي اَلدُّنْيَا فَلاَ يَجِدُونَهَا»[1].

وورد عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «اَلرَّاحَةُ لَمْ تُخْلَقْ فِي اَلدُّنْيَا وَلاَ لِأَهْلِ اَلدُّنْيَا إِنَّمَا خُلِقَتِ اَلرَّاحَةُ فِي اَلْجَنَّةِ وَلِأَهْلِ اَلْجَنَّةِ»[2].

ويقول الشاعر أبو الحسن التهامي (ت: ٤١٦ هـ):

طُبِعَت عَلى كدرٍ وَأَنتَ تُريدُها صَفـوًا مِـنَ الأَقـذاءِ وَالأَكـدارِ
وَمُكَلِّف الأَيامِ ضِدَّ طِباعِها مُتَطَلِّـبٌ فـي المـاءِ جَـذوةَ نـارِ

لماذا التأكيد على هذه الطبيعة للدنيا؟

هل ذلك لبثّ حالة التشاؤم والضّجر؟

كلّا؛ فالنصوص الدينية لا تصنع رؤية تشاؤمية عن الحياة، بل تتحدّث عن نعم الله التي أفاضها على الإنسان في الحياة.

يقول تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٠].

ويقول تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [سورة النحل، الآية:١٨].

كما تتحدّث آيات القرآن الكريم، عن جمال الكون، وثروات الطبيعة، وتسخير كلّ الإمكانات لخدمة الإنسان.

وإنّما التأكيد على طبيعة المعاناة في الدنيا ليتهيأ الإنسان لمواجهة واقع الحياة، ويستعدّ لتحمّل أعبائها، بإرادة ووعي، حتى لا يسيطر عليه الإحباط واليأس، ولا يعيش في خيال الرغبات والتمنّيات.

(١) عدة الداعي ونجاح الساعي، ج١، ص١٦٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٩٢.

التحدّيات طريق لتكامل الإنسان

لماذا قدّر الله تعالى للإنسان أن تكون رحلته في هذه الحياة محفوفة بالمشقّة والمعاناة؟

لأنه تعالى شاء أن تكون الحياة دار امتحان، يصقل فيها الإنسان إرادته، ويعتصر فكره، ويفجر قدراته النفسية، وينمّي خبرته ومهاراته.

إنّها الطريق لتكامل الإنسان روحًا وفكرًا وسلوكًا.

وحين يدخل الإنسان إلى قاعة امتحان وتدريب، عليه ألّا يتوقع الترفيه، بل مواجهة تحدّي الأسئلة، والمواقف الصعبة، سواء في الامتحانات العلمية الاكاديمية أو التدريبات الرياضية والعسكرية، أو حتى امتحان رخصة القيادة للسيّارة والطائرة.

صعوبات الحياة وآلامها، تحفّز الإنسان للتطلّع إلى حياة أفضل، تخلو من الصّعوبات والآلام، كما يدفع الظمأ الإنسان للبحث عن الماء، لذلك تتحدّث النصوص الدينية، عن نعيم الجنة، والخلود فيها، لبعث الشوق في نفس الإنسان إليها.

وهذا الاختبار والامتحان ليس لتعذيب الإنسان وإيذائه، وإنّما لتربية الإنسان، وزرع التطلّع والطموح للكمال والنجاح في نفسه.

وفي القرآن الكريم والأحاديث نصوص كثيرة تؤكّد على هذه الحقيقة.

يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك، الآية: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧]

ورد عن النبي محمد ﷺ: «لَولا ثَلاثٌ فِي ابنِ آدَمَ ما طَأطَأَ رَأسَهُ شَيءٌ: المَرَضُ، وَالفَقرُ، وَالمَوتُ، كُلُّهُم فيهِ، وإنَّهُ مَعَهُنَّ لَوَثّابٌ»(١).

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «اَلْمَصَائِبُ مِنَحٌ مِنَ اَللَّه»(٢).

التطلّع إلى الآخرة

كما أنّ صعوبات الحياة وآلامها، تحفّز الإنسان للتطلّع إلى حياة أفضل، تخلو من الصّعوبات والآلام، كما يدفع الظمأ الإنسان للبحث عن الماء، لذلك تتحدّث النصوص الدينية، عن نعيم الجنة، والخلود فيها، لبعث الشوق في نفس الإنسان إليها.

يقول تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

ويقول تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآيتان: ٧٠-٧١].

ويقول تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[سورة الواقعة، الآيتان: ٢٥-٢٦].

ورد عن أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ علي بن أبي طالب عليه السلام فِي صِفَةِ اَلْجَنَّةِ: «دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلاَ يَيْأَسُ سَاكِنُهَا»(٣).

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٥٣.
(٢) الكافي، ج٢، ص٢٦٠.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٨٥.

الارتقاء بوعي الناس نهج الأنبياء

الجمعة ١٨ ربيع الأول ١٤٤٤هـ | ١٤أكتوبر ٢٠٢٢م.

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾

[سورة الإسراء، الآيات: ٧٣-٧٥].

ظهر في التاريخ الإنساني، كثير من القادة الذين تبوؤوا مواقع الزعامة في مجتمعاتهم، والتفَّ حولهم جمهور الأتباع.

ويمكن تصنيف هؤلاء القادة إلى صنفين رئيسين:

الصنف الأول: القادة الإلهيون، الذين يحملون رسالة الله تعالى إلى عباده، وهم الأنبياء، والأئمة، ومن يسير على دربهم، ويتمسّك بهديهم.

الصنف الثاني: الزعامات التي تنطلق من

طموحات ذاتية، أو تطلّعات اجتماعية، كالسياسيين، وشيوخ القبائل، وقادة الحركات الفكرية والاجتماعية.

ومن أهم الفوارق المائزة بين الصنفين، أنّ القادة الإلهيين يلتزمون بقيم الرسالة الإلهية التي يحملونها، ويجتهدون في الارتقاء بوعي الناس إلى مستوى تلك القيم والمبادئ، أما الزعامات الأخرى فإنّها غالبًا تتبنّى ما يجذب إليها جمهور الناس، من أفكار وشعارات ومواقف، وإن كانت مجانبة للحقّ والصّواب.

طبيعة الجمهور

إنّ الطبيعة السّائدة في جمهور الناس، هي النزوع نحو الانفعال العاطفي، على حساب التفكير العقلاني، والانشداد لعصبية الانتماء القبلي والعرقي والقومي والمناطقي والطائفي، والتمسّك بالأعراف والتقاليد الموروثة، والنزوع نحو الحسية أكثر من الأفكار النظرية التجريدية، والقبول بالأفكار السّاذجة والبسيطة، على حساب الأفكار العلمية العميقة.

إن القادة الإلهيين يلتزمون بقيم الرسالة، ويجتهدون في الارتقاء بوعي الناس إلى مستوى تلك القيم، أما الزعامات الأخرى فإنّها غالبًا تتبنّى ما يجذب إليها جمهور الناس.

وحين تتبنّى أيّ جهة ما يتماهى مع توجهات الجمهور وميوله، فإنّها تكسب ولاء الجمهور وقبوله. وهذا ما تجيده الزعامات المصلحية، وتوظّفه في تحقيق زعامتها، وتوسيع قاعدتها الشعبية.

إنّ هذا النوع من القيادات تبحث عمّا يحرّك مشاعر الجمهور ويجذبه باتجاهها، حقًّا كان أو باطلًا، فهي قد تطرح ما لا تؤمن به، لكنّها تتظاهر بالتلبّس به أمام الجمهور، وقد تحدّث نابليون أمام مجلس الدولة

الفرنسي ليقول لهم بصراحة: (لم أستطع إنهاء حرب الفاندي إلّا بعد أن تظاهرت بأنّي كاثوليكي حقيقي، ولم أستطع الاستقرار في مصر إلّا بعد أن تظاهرت بأنّي مسلم تقي، وعندما تظاهرت بأنّي بابوي متطرّف استطعت أن أكسب ثقة الكهنة في إيطاليا، ولو أنه أتيح لي أن أحكم شعبًا من اليهود لأعدت من جديد معبد سليمان)[1].

وقد سلّط علم النفس الاجتماعي الأضواء على خصائص الطبيعة الجماهيرية، ومن أهم مفكريه العالم الفرنسي (غوستاف لوبون، ١٨٤١- ١٩٣١م) وله كتاب مرجعي في هذا العلم، هو (سيكولوجية الجماهير، صدر عام ١٨٩٥م).

وقد انطلق غوستاف لوبون من دراسته للحركات الجماهيرية في أوروبا وخاصّة في القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين.

ومن الأفكار التي يؤكدها (لوبون) في كتابه: إنّ من خصائص الجماهير: سرعة الانفعال، والسّذاجة، والتأثّر السّريع، وهيمنة النّزعة العاطفية، والميل للعواطف المتطرفة، وهي غير ميالة كثيرًا للتأمل والمحاكمة العقلية، وقد تنتقل من النقيض إلى النقيض بسرعة البرق، وذلك تحت تأثير المحرّض.

كانت الصّعوبة بالغة في حركة الأنبياء والرّسل؛ لأنّهم يريدون الارتقاء بوعي الناس، وليس الاستجابة لرغباتهم وتوجهاتهم العاطفية الانفعالية.

وإذا كانت بعض أفكاره محلّ جدل وأخذ وردٍّ، حيث بادر معاصره (غابرييل تارد) إلى الرّد عليه، وإصدار كتابه (الرأي والجمهور) عام ١٩٠١م، أي بعد ست سنوات من صدور كتاب (سيكولوجية الجماهير).

(١) غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص٨٨، (دار الساقي، ط١، ١٩٩١م، ترجمة هاشم صالح).

إلّا أنّ جوهر فكرة الكتاب يصدقها التاريخ الإنساني في مختلف عصوره، وحتى في عصرنا الحاضر، مع تقدّم العلم، واتساع مساحة المعرفة عند أبناء المجتمعات، وتوفر أدوات العلم ووسائل المعرفة والاطّلاع، إلّا أنّ ذلك لم يضعف تأثير معظم تلك الخصائص التي تحدّث عنها (لوبون) على الجماهير المعاصرة. مما أعطى للإعلام ووسائط التواصل الحديثة دورًا كبيرًا في التأثير على الرأي العام، في مختلف المجتمعات، من خلال الاستفادة من تلك الخصائص.

معاناة الأنبياء

من هنا كانت الصّعوبة بالغة في حركة الأنبياء والرّسل؛ لأنّهم يريدون الارتقاء بوعي الناس، وليس الاستجابة لرغباتهم وتوجهاتهم العاطفية الانفعالية.

الجمهور قد تظهر فيه توجّهات انفعالية عاطفية، وتكون الفرصة سانحة لمن يريد ركوب الموج، لكنّ الدّعاة المخلصين الصّادقين يلجؤون إلى عون الله، وتثبيته لنفوسهم حتى لا يخضعوا لهذه الضّغوط.

إنّ الله تعالى بعث الأنبياء لإنقاذ الناس من الجهل، ومن هيمنة الخرافات والأساطير على عقولهم ونفوسهم، ولتحصينهم من تأثير الانفعالات العاطفية، ولا يمكن للأنبياء أن يتلوّنوا بغير صبغة رسالتهم الإلهية، ولا أن يجاروا الناس في ضلالهم وانحرافهم ليتمكّنوا من قيادتهم.

يقول تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٠].

حيث يخوض الأنبياء صراعًا ومعارك مستمرّة، ضدّ النزعات السّلبية التي تظهر في جمهور مجتمعاتهم، حتى بعد قبولهم للدين

الإلهي، كالنزوع إلى الميل العاطفي، وسطحية التفكير، وقبول الأساطير والخرافات، وروح العصبية، والمبالغة في ردود الفعل.

إنّ القرآن الكريم يتحدّث عن بني إسرائيل، أنّهم بعد أن نصرهم الله على فرعون وأغرقه وجيشه، طلبوا من نبي الله موسى أن ينصب لهم أصنامًا يتوسّلون ويتبركون بها كحال المشركين، يقول تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآيات: ١٣٧-١٤٠].

إنّ فكرة الإيمان بالإله المتعالي عن إدراك الحواس، الذي لا يحدّه زمان ولا مكان، عسير الهضم على من أَلِفُوا التصوّرات السّطحية السّاذجة، لذلك يطلبون من نبيّهم أن يضع لهم أصنامًا تجسّد فكرة الإله.

وقد واجه النبي محمد ﷺ المشكلة نفسها، حيث طلب منه بعض أصحابه أمرًا مشابهًا لطلب بني إسرائيل، فقد روي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لمَّا خرَجَ إلى خَيبرَ، مَرَّ بشجرةٍ للمشركينَ يُقالُ لها: ذاتُ أَنْواطٍ، يُعلِّقونَ عليها أسلحتَهم، تبركًا بها وطلبًا للنصر، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، اجعَلْ لنا ذاتَ أَنْواطٍ كما لهم ذاتُ أَنْواطٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «سُبحانَ اللهِ! هذا كما قال قَومُ موسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٣٨]، والذي نَفْسي بيدِه،

واجه نبيّنا محمد ﷺ كثيرًا من المعاناة في دعوته إلى الله، وتبشيره بالقيم الإلهية، فقد كانوا يضغطون على النبي ﷺ لكي يهبط وينحدر إلى مستوى أوهامهم وخرافاتهم.

لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَن كان قَبلَكم»[1].

ضغوط ومحاولات للتأثير على النبي

وقد واجه نبيّنا محمد ﷺ كثيرًا من المعاناة في دعوته إلى الله، وتبشيره بالقيم الإلهية، فقد كانوا يضغطون على النبي ﷺ لكي يهبط وينحدر إلى مستوى أوهامهم وخرافاتهم، حتى يقبلوا دعوته. لكنّه بتسديد الله تعالى له كان يرفض الاستجابة إلى ضغوطهم. وكانت الضّغوط شديدة بحيث لو لا التسديد الإلهي، لكان استجاب لهم بدرجة أو بأخرى.

يقول تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآيات: ٧٣-٧٥].

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٩].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَات قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٥].

طلبات غريبة

ونقرأ في السّيرة النبوية وما نقلته كتب الحديث، أنّ بعض المسلمين

(١) محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الترمذي، حديث ٢١٨٠.

كانوا يطرحون على رسول الله ﷺ بعض الطّلبات النابعة من العواطف السّاذجة، والمخالفة للقيم الإلهية، فمثلًا:

روى أبو داود السّجستاني بإسناده إلى قيس بن سعد قال: (أتيتُ الحيرَةَ، فرأيتُهم يسجدونَ لِمَرْزبانٍ لهم، فقلْتُ: رسولُ اللهِ أحقُّ أنْ يُسْجَدَ لَهُ، قال فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقُلْتُ: إِنِّي أتيتُ الحيرةَ فرأيتُهم يسجدونَ لمرزبانٍ لهم، فأنتَ يا رسولَ اللهِ أحقُّ أنْ نسجدَ لكَ)[1].

ونقرأ في الخبر عن معاذ بن جبل (أنه أتى الشّام فرأى النّصارى يسجدون لأحبارهم وعلمائهم وفقهائهم، فقال: لأيّ شيءٍ تفعلون هذا؟ قالوا: هذه تحيّة الأنبياء، قلنا فنحن أحقّ أن نصنع بنبيّنا ﷺ، فلما قدم على النبي ﷺ سجد، فقال ﷺ: ما هذا يا معاذ؟ قال: إنّي أتيت الشّام فرأيت النصارى يسجدون لأساقفتهم وقسّيسيهم ورهبانهم وبطارقتهم، ورأيت اليهود يسجدون لأحبارهم وفقهائهم وعلمائهم، فقلت: أيّ شيءٍ تصنعون هذا؟ وتفعلون هذا؟ قالوا: هذه تحيّة الأنبياء، قلت: فنحن أحقّ أن نصنع بنبيّنا، فقال نبي الله ﷺ: إنّهم كذبوا على أنبيائهم، كما حرّفوا كتابهم)[2].

ومن هذه الأخبار ما روي أنَّ رَجُلًا قالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، نُسَلِّمُ عَلَيْكَ كَما يُسَلِّمُ بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ، أفَلا نَسْجُدُ لَكَ؟ قالَ ﷺ: «لَا، وَلَكِنْ أَكْرِمُوا نَبِيَّكُمْ، وَاعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ لِأَحَدٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ»[3].

(١) صحيح أبي داوود، حديث٢١٤٠.
(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٤، ص٣٠٩.
(٣) الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٤٠٨.

الرّسالة والدّرس

وحينما يتحدّث القرآن عن مثل هذه المواقف، فإنّ من أغراضه تحذير حملة الرسالة وقادة الدين في كلّ عصر من الوقوع في هذا المطب.

فإنّ الجمهور قد تظهر فيه توجّهات انفعالية عاطفية، وتكون الفرصة سانحة لمن يريد ركوب الموج، لكنّ الدّعاة المخلصين الصّادقين هم من يلجؤون إلى عون الله، وتثبيته لنفوسهم حتى لا يخضعوا لهذه الضّغوط، ولو بعنوان ثانوي من أجل الاستقطاب والجذب، فإنه لا يطاع الله من حيث يعصى.

جدلية العلاقة بين المصلحة والرغبة

الجمعة ٢٥ ربيع الأول ١٤٤٤هـ | ٢١ أكتوبر ٢٠٢٢م.

﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢١٦].

المصلحة من الصلاح، وهي المنفعة والخير والفائدة.

والرغبة من معانيها الميل النفسي للشيء، وارادته والحرص عليه.

إنّ حبّ الإنسان لذاته يدفعه للسّعي نحو ما فيه مصلحة وخير له، وللابتعاد عمّا يناقض مصلحته، ويجلب له الشّر والضّرر.

قد يحصل تطابق بين المصلحة والرغبة، حين يرغب الإنسان ويحبّ ما فيه منفعة وخير له، ويكره ما يسبّب له الشّر والضرر.

وقد يحصل تنافٍ وتباين بين الأمرين، بين ما

على الإنسان أن يفكّر في الأمور ويتعامل مع الخيارات من خلال عقله، ليحقّق المصلحة لنفسه، وليس من خلال ميوله العاطفية في حبّ شيءٍ أو كرهه.

ينفع الإنسان وما يرغب فيه أو يكرهه، حين تتعلّق رغبة الإنسان بشيءٍ يضرّه، أو يكره أمرًا ينفعه ويفيده.

إنّ إدراك المصلحة قد يحتاج إلى بذل جهد، واستخدام القدرة العقلية، أما الرغبة في الشيء، أو عن الشيء، فهي ميل عاطفي ساذج، قد يحصل في نفس الإنسان لأدنى سبب.

وعلى الإنسان أن يفكّر في الأمور ويتعامل مع الخيارات من خلال عقله، ليحقّق المصلحة لنفسه، وليس من خلال ميوله العاطفية في حبّ شيءٍ أو كرهه.

إنّ الإنسان قد يكره شيئًا بينما تكون فيه مصلحته، وقد يحبّ شيئًا بينما تكون فيه مضرّته، وذلك لأحدِ سببين:

١/ الجهل بموقع المصلحة والمضرة

حيث لا تتوفر للإنسان كلّ المعلومات المرتبطة بما يواجهه في الحياة.

يقول تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٨٥].

ويقول الشاعر:

فقلْ لمنْ يدَّعِي في العلمِ معرفةً علمتَ شَيئًا، وغابَتْ عنك أشياءُ

وقد ينظر الإنسان للأمر من زاوية، ويجهل أو يتجاهل الزوايا الأخرى، فيحبّ أو يكره ما ينفعه أو يضره من جهة، لكنّه قد لا يكون كذلك من سائر الجهات.

٢/ سيطرة العاطفة

قد تسيطر الميول العاطفية على الإنسان حبًّا أو كرهًا، فتمنعه من التفكير السّليم والنظرة الموضوعية لتشخيص المصلحة والمضرة.

ورد عن النبي محمد ﷺ: «حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ»(١).

وعن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ عَشِقَ شَيْئا أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَة»(٢).

وعنه عليه السلام: «إِنَّكَ إِنْ أَطَعْتَ هَواكَ أَصَمَّكَ وَأَعْماكَ»(٣).

إنّ الآية الكريمة ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٦]. تريد ترشيد رؤية الإنسان للأشياء، لينظر إليها من خلال إيمانه وعقله، وليس من خلال رغباته وميوله العاطفية فقط، وهذا الترشيد نحتاجه في المسارات التالية:

أولًا: أحداث الكون والحياة

في المسار الكوني الوجودي، فإنّ أمور الكون والحياة تجري بإرادة الله تعالى، ووفق حكمته، ولا خيار للإنسان إلّا التسليم والرضا بقضاء الله وقدره.

إنّ إدراك المصلحة قد يحتاج إلى بذل جهد، واستخدام القدرة العقلية، أما الرغبة في الشيء، أو عن الشيء، فهي ميل عاطفي ساذج، قد يحصل في نفس الإنسان لأدنى سبب.

إنّ ما يظهر للإنسان من تبعات وأضرار بعض الحوادث الكونية، كالكوارث والأوبئة، والوفيات والأمراض، لا بُدّ من فهمه في سياق المعادلات

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٨٠.
(٢) نهج البلاغة، خطبة، ١٠٩، من خطبة له عليه السلام في بيان قدرة اللّه وانفراده بالعظمة.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٦٦.

العامة لمصلحة الحياة والوجود، التي أرادها الله تعالى، ولا ندرك كلّ أبعادها.

وإذا كان الإنسان لا يدرك مصالح بعض التشريعات، فذلك إمّا لنقص في علمه وخبرته، أو لأنه غافل عن الأبعاد الأخرى للتّشريع، كالمصالح المعنوية الروحية، ومصلحة مستقبله الأخروي، ومراعاة المصالح الاجتماعية والإنسانية العامة.

يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٦].

إنّ من مبادئ الإيمان، الثقة بعدل الله وحكمته، والاعتقاد بأنّ أحداث الكون والحياة تجري وفق قوانين وسنن، لمصلحة كلّ الوجود، وضمن الإرادة والحكمة الإلهية، لكنّ معرفة الإنسان محدودة بما يجري في هذا الكون.

نشرت (سي إن إن) تقريرًا عن المركز الأوروبي للأبحاث النووية يقول فيه: إنّ العلماء يجهلون ٩٦٪ من الكون[١].

يقول تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. [سورة الإسراء، الآية: ٨٥].

ويقول تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ٧١].

يقول الفيلسوف سقراط: كلّ ما أعرفه أنني لا أعرف شيئًا.

وورد عن علي عليه السلام: «إِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ يُجْرِي الأُمُورَ عَلى ما يَقْتَضيهِ لا عَلى ما تَرتَضيهِ»[٢].

وفي الدعاء: «اللّهُمَّ فَاجْعَلْ نَفْسِي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ راضِيةً بِقَضائِكَ»[٣].

ويحدث كثيرًا أن يندفع الإنسان لأمر، فيتعذر عليه، فينزعج من ذلك،

(١) جريدة الكويت الكويتية https://www.aljarida.com/articles/1469986152671095300
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٢٢.
(٣) كامل الزيارات، ج١، ص٤٠.

ثم يكتشف أنّ مصلحته في ذلك.

ورد عن علي عليه السلام: «إذا لَمْ يَكُنْ ما تُريدُ فَأَرِدْ ما يَكُونُ»[1].

ثانيًا: التشريعات الإلهية

فإنّ التشريعات الدينية الثابتة، إنّما شرّعها الله لمصلحة الإنسان، ولا تلبّي حاجةً لله، فالله غني عن العالمين.

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «خَلَقَ اَلْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ»[2].

وإذا كان الإنسان لا يدرك مصالح بعض التشريعات، فذلك إمّا لنقصٍ في علمه وخبرته، أو لأنه غافل عن الأبعاد الأخرى للتّشريع، كالمصالح المعنوية الروحية، ومصلحة مستقبله الأخروي، ومراعاة المصالح الاجتماعية والإنسانية العامة.

ويجري هذا الأمر أيضًا في مجال القوانين العامة، التي توضع لمصلحة نظام حياة المجتمع.

ثالثًا: في العلاقات وإدارة الحياة

في مسار العلاقات الاجتماعية على الإنسان أن يوطّن نفسه على الصبر، وتحمّل بعض ما يكره من الآخرين، فذلك ما يساعده على النّجاح في حياته، وعلى تحقيق المصالح الأهم.

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص١٣٤.

(٢) نهج البلاغة، خطبة، ١٩٣، ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين.

بَصِيرًا﴾[سورة الفرقان، الآية: ٢٠].

وفي العلاقات الزوجية يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٩].

وفي مجال إدارة الإنسان لشؤون حياته، ينبغي أن يفكر بعقله، ويدرس الخيارات التي تواجهه، بعيدًا عن هيمنة الرغبات والعواطف، ففي اختيار شريك الحياة مثلًا: على الشاب والفتاة ألّا يخضعا للجانب العاطفي فقط، فيكون الجمال والشكل هو المعيار الوحيد في الاختيار، دون النظر إلى بُعدِ الانسجام الروحي والأخلاقي، ووجود سائر مؤهّلات الشراكة الزوجية الناجحة.

وكذلك حين تتعذّر على الطالب تحقيق رغبته في اختيار تخصّصه الدراسي، أو الجامعة التي يودّ الالتحاق بها، فإنّ عليه أن يتفاعل إيجابيًّا مع الخيارات الممكنة، وقد يجعل الله فيها خيرًا كثيرًا.

وهكذا الحال في مجال فرص العمل المتاحة، حيث يحصل كثيرًا أن يجد الإنسان النجاح في مجال لم يكن يتوقعه فيه.

العلاقات البينية والتحدّي الخطير

الجمعة ٣ ربيع الثاني ١٤٤٤هـ | ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٢م.

جاء في وصية لأمير المؤمنين علي عليه السلام لولده الحسن: «يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ»[1].

إنّ العلاقة مع الآخرين ضرورة تفرض نفسها على الإنسان، وذلك انطلاقًا من الحقائق التالية:

أولًا: لأنّ طبيعة الحياة الإنسانية، اجتماعية، والإنسان مدني بالطبع، فلا يستطيع تسيير حياته بمفرده، ومع تقدّم الحياة اتّسعت رقعة ارتباط الإنسان بالآخرين، ففي الماضي كانت أمور الحياة بسيطة بدائية، فكانت حاجة الناس لبعضهم في حدودها، ضمن العشيرة أو القرية، لكنّ الحياة

(١) نهج البلاغة، خطبة ٣١، من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام.

تطورت فأصبح الإنسان يتعامل مع مساحة واسعة من الناس، في مجال تعليمه، واقتصاده ووظيفته وصحته، ومختلف مجالات حياته.

بل قد ترتبط بعض شؤون حياة الإنسان بمن يعيشون في أقصى أنحاء العالم، وراء البحار والمحيطات، حيث يعيش العالم حالة متقدّمة من التواصل والتداخل وتشابك المصالح، خاصّة على صعيد العلاقات بين الدول والمجتمعات.

والإنسان يحقّق ذاته من خلال العلاقة مع الآخرين، لذلك يهمّه أن تكون له مكانة عند الآخرين ويسوؤه أن يكون منبوذًا ومهمّشًا ومحاصرًا من قبلهم.

وعندما سمع الإمام زين العابدين عليه السلام رجلًا يدعو قائلًا: اللَّهُمَّ أَغْنِنِي عَنْ خَلْقِكَ. قَالَ عليه السلام: «لَيْسَ هَكَذَا إِنَّمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ، وَلَكِنْ قُلِ: اللَّهُمَّ أَغْنِنِي عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ»[1].

ثانيًا: إنّ العلاقة مع الآخرين جزء من تحقيق الذات وكمالها.

فالإنسان يأنس بأخيه الإنسان، ولو توفرت لإنسان كلّ وسائل الحياة والرفاه في جزيرة معزولة، يعيش فيها منفردًا لما ارتاح لذلك.

ولمستوى علاقات الإنسان مع من حوله من أبناء جنسه، تأثير كبير في تحقيق ارتياحه النفسي.

كما أنّ العلاقة مع الآخرين تصقل مهارات الإنسان وقدراته، وبها يتبادل التجارب مع الآخرين.

والإنسان يحقّق ذاته من خلال العلاقة مع الآخرين، لذلك يهمّه أن تكون له مكانة عند الآخرين ويسوؤه أن يكون منبوذًا ومهمّشًا ومحاصرًا من قبلهم.

---

(١) تحف العقول، ص٢٧٨.

ثالثًا: على المستوى الديني، فإنّ العلاقة بالآخرين ذات صلة بالعلاقة بالله تعالى، وبمستقبل الإنسان في الآخرة، فلا يرضى الله تعالى عن الإنسان إذا أساء في علاقته بالآخرين، إنّ العلاقة السّليمة مع الآخرين طريق للقرب من الله تعالى، وتحصيل ثوابه ورضاه. كما أنّ سوء العلاقة مع الآخرين يوجب سخط الله وعقابه.

وكما يتقرّب الإنسان إلى الله تعالى بعبادته، يتقرّب إليه بحسن العلاقة مع عباده.

لذلك ورد عن النبي محمد ﷺ «إِنَّ الْمُؤْمِنُ الذي يُخَالِطُ الناس وَيَصْبِرُ على أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا من الْمُؤْمِنِ الذي لَا يُخَالِطُ الناس، ولا يَصْبِرُ على أَذَاهُمْ»[1].

وعنه ﷺ: «المُؤمِنُ يألَفُ ويُؤلَفُ، ولا خيرَ فيمَنْ لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ، وخيرُ النَّاسِ أنفَعُهم للنَّاسِ»[2].

ميدان التحدّي والاختبار

لكنّ علاقة الانسان بأخيه الانسان تكتنفها صعوبات؛ لتضارب المصالح، بسبب نزعة حبّ الذات، وسعي كلّ واحد لتحصيل أكبر قدرٍ من المكاسب، ولو على حساب الآخر.

كما أنّ أمزجة الناس ونفسياتهم مختلفة، فالتعامل مع البشر يختلف عن التعامل مع أشياء الطبيعة الأخرى، التي هي ضمن قوانين ثابتة، بينما البشر أمزجة مختلفة، وعقول

علاقة الانسان بأخيه الانسان تكتنفها صعوبات؛ لتضارب المصالح بسبب نزعة حبّ الذات، وسعي كلّ واحد لتحصيل أكبر قدرٍ من المكاسب، ولو على حساب الآخر. كما أنّ أمزجة الناس ونفسياتهم مختلفة

(١) صحيح ابن ماجة، حديث ٣٢٧٣.
(٢) المعجم الأوسط للطبراني، حديث٥٩٣٧.

متفاوتة، ومصالح متضاربة، بل مزاج الواحد قد لا يكون ثابتًا، بل يتغيّر باختلاف الأحوال والظروف، مما يضفي على الصّعوبة صعوبة أخرى.

ولا يستطيع الإنسان أن يجعل الآخرين حسب مزاجه ورغبته، وهل الناس لباس تفصّله على ذوقك ومقاس جسمك؟

أم أثاث يصنعه لك النجار حسب القياسات التي تريدها؟

وهذه مشكلة حقيقية حتى في العلاقة الزوجية.

من هنا يتبيّن مكمن التحدّي، فالإنسان محتاج للعلاقة مع أخيه الإنسان، لكنّه مختلف معه، ولا يستطيع الانفصال عنه.

لذلك يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [سورة الفرقان،الآية: ٢٠].

القاعدة الذهبية

هذا التحدّي، كان محلّ اهتمام جميع الديانات، والاتجاهات الأخلاقية، في التاريخ الإنساني، وهناك مبادئ وقيم أساس، لإرشاد الإنسان لطريق النجاح، في مواجهة هذا التحدّي.

من تلك المبادئ، ما يطلق عليه (القاعدة الذهبية الأخلاقية): (أحبّ لأخيك ما تحب لنفسك) التي تحدّثت عنها كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ولهذه القاعدة حضور في تراث مختلف الديانات والحضارات، حيث ورد مضمونها في موارد متعدّدة من العهد القديم للديانة اليهودية، وكذلك في نصوص الأناجيل المسيحية، وفي القرآن الكريم آيات تحمل روح ومضمون هذه القاعدة، إضافة إلى ورود أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله

وروايات وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام، بالألفاظ المتداولة لهذه القاعدة الأخلاقية، أو ما يقاربها.

ولا ينحصر حضور هذه القاعدة في الأديان السماوية الإبراهيمية، فقد تبنّتها سائر الديانات، كالبوذية والكونفوشيوسية والزرادشتية، إضافة إلى حضارات الشعوب القديمة، وقد تم إعلانها رسميًّا في برلمان أديان العالم ضمن إعلان (نحو أخلاق عالمية) عام ١٩٩٣م[١].

وهذا التوصيف لهذه الجملة، بصفة القاعدة الذهبيّة، توصيف بدأ في اللغة الانجليزيّة، ويرجع ـ على الأرجح ـ لبدايات القرن السابع عشر الميلادي، خاصّة في وسط بعض رجال الدّين المسيحيّين، في إشارة لتفوّق هذه القاعدة على سائر القواعد الأخلاقيّة، وقد تمّت ترجمته للغات العالم بهذا التعبير عقب الحرب العالميّة الأولى[٢].

إنّ جوهر هذه القاعدة الذهبية، يعني تجاوز الإنسان لتفكيره الأناني الذاتي، واستحضار مصالح الآخر ومشاعره، فكما تهمّك مصالحك ومشاعرك، فإنّ للآخرين مصالحهم ومشاعرهم، فلا بُدّ وأن يكون الاحترام متبادلًا، حتى تستقيم العلاقة البينية.

وهذا ما تؤكّد عليه وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن: «يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَينَكَ وَبَينَ غَيرِكَ، فَأَحبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ

(١) حيدر حب الله، فقه العلاقة مع الآخر الديني، ص١٧٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٧٤.

مَا تعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ»[1].

الاهتمام بثقافة العلاقات البينية

إننا نعيش في ظلّ ثقافة مادية، ترسّخ التفكير الأناني في نفس الإنسان، بتحريض الرغبات وتعزيز الروح المصلحية على حساب المبادئ والقيم. وهو ما يدفع لتجاهل مشاعر الآخرين ومصالحهم.

وما نقرؤه في التقارير والإحصاءات، عن بعض الجوانب الاجتماعية في بلادنا، يدقّ ناقوس الخطر تجاه الثقافة السّائدة، ومستقبل العلاقات البينية.

ونشير إلى تقريرين نشرا خلال هذا الأسبوع، أحدهما يتحدّث عن حالات المشاجرات الاجتماعية، التي تصل إلى حدّ العنف الجسدي، حيث تسبّبت في نقل ١٢,٧٥١ حالة إلى المستشفيات عبر مراكز وسيارات الهلال الأحمر خلال العام الماضي ٢٠٢١م[2].

بينما يتحدّث التقرير الآخر عن وقوع حالة طلاق كلّ عشر دقائق في المملكة[3]، وهذا يكشف عن الحاجة للتركيز على ثقافة العلاقات البينية داخل الأسرة، وفي التعليم، ووسائل الإعلام والتواصل، وفي الخطاب الديني.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٣١، من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام.

(٢) المستشفيات تستقبل ١٣ ألف مصاب بالمشاجرات، صحيفة الوطن، الأربعاء ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢ - ٠١ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ، https://www.alwatan.com.sa/article/1115308

(٣) زيادة غير مسبوقة خلال ٢٠٢٢.. «حالة طلاق» كل ١٠ دقائق بالمملكة، الأربعاء ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢ - ٠١ ربيع الثاني ١٤٤٤ هـ، صحيفة اليوم، https://www.alyaum.com/articles/6429374

العائلة أولًا

الجمعة ١٠ ربيع الثاني ١٤٤٤هـ | ٤ نوفمبر ٢٠٢٢م.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في توصيف علاقته بفاطمة الزهراء عليها السلام: «فَوَ اَللَّهِ مَا أَغْضَبْتُهَا، وَلاَ أَكْرَهْتُهَا عَلَى أَمْرٍ حَتَّى قَبَضَهَا اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلاَ أَغْضَبَتْنِي، وَلاَ عَصَتْ لِي أَمْرًا، وَلَقَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا فَتَنْكَشِفُ عَنِّي اَلْهُمُومُ وَاَلْأَحْزَانُ»(١).

حين يبدأ الإنسان مشوار حركته في الحياة، تتمحور اهتماماته حول مصالحه ورغباته الذاتية الفردية، فتكون مصلحة الذات ورغباتها هي مركز الاهتمام الأول في حياته.

وحين يرتقي إلى مستوى تكوين الأسرة، فيصبح زوجًا أو زوجة، (وكلاهما يطلق عليه زوج في اللغة العربية) ثم ينجبان أولادًا، هنا يتغيّر مركز الاهتمام من الذات الفردية إلى الذات العائلية، فتكون العائلة هي مركز ومحور الاهتمام أولًا.

قبل الزواج يهتم كلٌّ من الزوجين بشأنه الذاتي

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج١، ص٣٧٣..

الفردي، أما بعد الزواج يصبح كلٌّ منهما جزءًا من ذات الآخر في الاهتمام؛ لأنّ حال كلٍّ منهما يؤثر في الآخر، ومع وجود الأولاد يكتمل مثلث الاهتمام في حياتهما، فيكون اهتمام كلٍّ منهما مثلث الأبعاد: الذّات والزوج والأولاد.

شؤون الذات العائلية

لا يتحقق الارتياح النفسي عند كلٍّ من الزوجين حين يفقده الآخر، فإذا عاش أحدهما القلق أو الاكتئاب أو الحزن مثلًا، فإنه ينعكس على الآخر؛ لالتصاق حياتهما، كالتصاق اللباس بالجسم، حسب تعبير القرآن الكريم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧].

لا يتحقق الارتياح النفسي عند كلٍّ من الزوجين حين يفقده الآخر، فإذا عاش أحدهما القلق أو الاكتئاب أو الحزن مثلًا، فإنه ينعكس على الآخر؛ لالتصاق حياتهما، كالتصاق اللباس بالجسم.

كما تنعكس الحال النفسية للوالدين على تربيتهما للأولاد، وتشير الأبحاث النفسية إلى تأثير الحال النفسية للأم على الجنين والرضيع، وفي كامل فترة الحضانة والتربية.

كذلك فإنّ ارتياح الأولاد أو انزعاجهم يترك أثرًا في نفس الوالدين.

من هنا فإنّ همّ الارتياح النفسي، يتجاوز الذات الفردية، ليشمل العائلة كلّها.

وتنطبق المعادلة ذاتها على جانب الصحة الجسمية، فاعتلال صحة أيّ ضلع من مثلث العائلة: الزوج أو الزوجة أو الأولاد، تنعكس آثاره على أوضاع المثلث كلّه.

لذلك من الطبيعي أن تتسع دائرة الاهتمام الصحي لكلٍّ من الزوجين،

بما يشمل العائلة كلّها.

وعلى الصّعيد الاقتصادي، فإنّ الزوج معني بتوفير متطلّبات المعيشة والحياة لأفراد عائلته، والذين ترتبط أمور معيشتهم به.

مركزية العائلة أساس فطري ديني

كلّ ذلك يؤكّد على محورية ومركزية العائلة في حياة الإنسان، انطلاقًا من هداية فطرته، وطبيعة خلقته السوية، فالانجذاب الزوجي، ونزعة الأبوة والأمومة، غرائز أودعها الله في نفس الإنسان، بل في ذوات سائر الكائنات الحيّة، بدرجات متفاوتة، كما نلحظ في عالم الحيوانات التي تعيش حياة عائلية في إطارها الغريزي.

وجاءت الأديان الإلهية لتؤكّد على مركزية العائلة في حياة الإنسان، عبر تشريع الواجبات والحقوق المتبادلة، بين أضلاع مثلث العائلة.

وعلى هدى الفطرة السوية، والتشريعات الإلهية، تجذّرت قيمة العائلة في المجتمعات الإنسانية، عبر الأعراف والتقاليد، والتنظيمات الاجتماعية، التي تؤكّد مكانة العائلة وأولويتها في حياة الإنسان، حيث لا يزاحم اهتمام الإنسان بعائلته أيّ اهتمام آخر، وتقصيره في حقّها عيب ومذمّة في المحيط الاجتماعي.

الحضارة المادية الحديثة تتبنّى ثقافة تضعف مكانة العائلة، وتهزّ قيمتها في نفس الإنسان، وذلك بالنفخ في روح الذات الفردية، وتحريض النزعة الأنانية، ودفع الإنسان للتفكير في ذاته أولًا، والاستجابة لرغباته، دون تقيد بالالتزامات والمسؤوليات العائلية.

الأنانية الفردية وتدمير الأسرة

لكنّ الحضارة المادية الحديثة، تتبنّى ثقافة تضعف مكانة العائلة، وتهزّ قيمتها في نفس الإنسان، وذلك بالنفخ في روح الذات

الفردية، وتحريض النزعة الأنانية، ودفع الإنسان للتفكير في ذاته أولًا، والاستجابة لرغباته، دون تقيد بالالتزامات والمسؤوليات العائلية.

وتسرّبت إلى مجتمعاتنا المحافظة، بعض العناوين البرّاقة، لهذه النزعات الأنانية، والأفكار السّلبية، فأصبح هناك من يروّج للعزوف عن الزواج بين الشباب والفتيات، وأصبحنا نسمع من بعض الأزواج والزوجات الحديث عن الاستقلالية، والشعور بالحرية، والخلاص من القيود والالتزامات.

إنّ بعض الرجال ينطلق مع رغباته وشهواته بما يؤثر على انسجامه العائلي، فيقيم علاقات عاطفية خارج الإطار الزوجي، مما يحطّم نفسية زوجته، ويسلبها الثقة فيه، ويهدّد كيان العائلة بالانهيار.

إنّ الانسجام وسعادة الحياة العائلية، لا تتحقّق إلّا إذا كانت الأولوية لمصلحة الذات العائلية الجمعية، وذلك يقتضي الاستعداد للإيثار، وتقديم التنازلات، على حساب الذات الفردية.

وبعضهم يصرف معظم وقته بعيدًا عن عائلته، يأنس بالسياحة والسفر، وجلسات السّمر والسّهر، مع أصدقائه وزملائه، على حساب إشباع عواطف زوجته وأبنائه، وإفاضة الحنان والرعاية عليهم.

وبعضهم قد يمارس البخل والتقتير على عائلته؛ لكسله عن توفير الموارد المالية، أو للشح بها عليهم، أو يطمع في دخل زوجته، لإلزامها بما ليس واجبًا عليها من النفقة على العائلة.

وبعضهم ينطلق مع انفعالاته السّلبية، ويمارس الهيمنة والقهر في علاقاته العائلية، فيغضب لأدنى سبب، ويضيق صدره عن تحمّل أقلّ خطأ، ويستخدم العنف اللفظي والجسمي بحقّ زوجته وأبنائه.

من جهة أخرى، نجد بعض الفتيات يعزفن عن الزواج، ويخترن

العنوسة، هربًا من تحمّل المسؤوليات العائلية، وإيثارًا للراحة والحرية والفردية، وبعضهنّ يحتفلن بالطلاق، وبعضهن يرجّحن مكاسب ومصالح في الدراسة أو العمل، على حساب نجاحهنّ العائلي.

وبعضهنّ يصعب عليها تقديم تنازلات للحفاظ على كيان العائلة، ولا يبدين استعدادًا لتحمّل بعض الثغرات والنواقص.

إنّ كلّ ذلك مصاديق لتضخّم نزعة الذات الفردية، وتراجع الاهتمام العائلي.

أولوية مصلحة العائلة

إنّ الانسجام وسعادة الحياة العائلية، لا تتحقّق إلّا إذا كانت الأولوية لمصلحة الذات العائلية الجمعية، وذلك يقتضي الاستعداد للإيثار، وتقديم التنازلات، على حساب الذات الفردية، أما إذا سادت بين الزوجين روح النّدية والصراع، ومحاولة إثبات الذات أمام الآخر، فذلك يعني تدمير الكيان العائلي.

وحين نقرأ النصوص والتوجيهات الدينية، نرى التأكيد على أولوية مصلحة العائلة.

ورد عن النبي ﷺ: «مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ يَعُولُ»[1].

ويمكننا أن نفهم من الضياع معنى شاملًا، للضياع العاطفي والمالي والأخلاقي.

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ

(١) الكافي، ج٤، ص١٢.

يَعُولُ»[1].

وعن رسول الله ﷺ: «الْكَادُّ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[2].

وعنه ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِ رِجَالِكُمْ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فعدّ أوصافًا منها: الْمُلْجِئَ عِيَالَهُ إِلَى غَيْرِهِ»[3].

وعنه ﷺ: «اَلْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ بِشَهْوَةِ أَهْلِهِ، وَاَلْمُنَافِقُ يَأْكُلُ أَهْلُهُ بِشَهْوَتِهِ»[4].

وفي الحديث توجيه إلى تقديم رغبات العائلة على الرغبات الشخصية، وأنّ ذلك من نهج وسلوك الإنسان المؤمن.

إنّ ما يتحدّث عنه الإمام علي عليه السلام في علاقته بفاطمة الزهراء عليها السلام، حيث يقول: «فَوَ اَللَّهِ مَا أَغْضَبْتُهَا، وَلاَ أَكْرَهْتُهَا عَلَى أَمْرٍ حَتَّى قَبَضَهَا اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلاَ أَغْضَبَتْنِي، وَلاَ عَصَتْ لِي أَمْرًا، وَلَقَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا فَتَنْكَشِفُ عَنِّي اَلْهُمُومُ وَاَلْأَحْزَانُ»[5]، يجب أن يكون أنموذجًا للحياة الزوجية القائمة على الرضا المتبادل، وتجنّب كلّ طرف ما يغضب الطرف الآخر.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٦٨.
(٢) الكافي، ج٥، ص٨٨.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩٢.
(٤) الكافي، ج٤، ص١٢.
(٥) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٢٤.

القبلة عنوان وحدة الأمة

الجمعة ١٧ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ | ١١ نوفمبر ٢٠٢٢م.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٤].

كان رسول الله ﷺ والمسلمون في مكة لثلاثة عشر عامًا من البعثة إلى الهجرة، يستقبلون بيت المقدس في صلاتهم، واستمرّ ذلك بعد الهجرة إلى المدينة المنورة سبعة عشر شهرًا أو تسعة عشر شهرًا، ثم جاء الأمر الإلهي باستقبال المسجد الحرام في الصلاة.

وقد تحدّثت عن هذا التغيير في جهة القبلة، بضع آيات في القرآن الكريم، من سورة البقرة، كما ورد عدد من الأحاديث والروايات في السيرة النبوية، حول ملابسات هذا التغيير وتداعياته.

وتوحي الآيات القرآنية، أنَّ النبي ﷺ كان يتطلّع إلى أمر الله تعالى بتغيير القبلة من بيت المقدس

إلى الكعبة، وأنّ الله تعالى استجاب لرغبة نبيّه ﷺ، وأمره بالتوجه في صلاته إلى الكعبة، بدلًا من بيت المقدس، يقول تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٤].

جاء في صحيح البخاري عن البرّاء بن عازب: «لَمَّا قَدِمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكانَ يُحِبُّ أنْ يُوَجَّهَ إلى الكَعْبَةِ، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وجْهِكَ في السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾، فَوُجِّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ»[1].

اهتمّ رسول الله ﷺ بتحصين المجتمع الإسلامي فكريًّا ونفسيًّا، في مواجهة محاولات الاختراق والتأثير اليهودي، وفي هذا السّياق كان تطلّعه لتغيير جهة القبلة عن بيت المقدس إلى البيت الحرام، من أجل تعزيز استقلال شخصية المجتمع الجديد، وسدّ ثغرات التأثير النفسي المضاد.

وفي رواية أخرى عن البرّاء بن عازب: «أَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكانَ يُعْجِبُهُ أنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ»[2].

وتشير بعض الأحاديث والروايات إلى أنّ اليهود في المدينة، كانوا يعتبرون أنّ توجه النبي ﷺ والمسلمين إلى بيت المقدس، هو نوع من الاعتراف بأصالتهم الدينية، وتبعية المسلمين لهم، وكان هذا الادّعاء منهم يؤذي رسول الله ﷺ، فيتوجه بطرفه للسماء، متطلّعًا لأمر الله تعالى بتغيير جهة القبلة إلى الكعبة. كما جاء في رواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ كَانَ فِي أَوَّلِ مَبْعَثِهِ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ اَلْمَقْدِسِ جَمِيعَ أَيَّامِ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ، وَبَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَى اَلْمَدِينَةِ بِأَشْهُرٍ فَعَيَّرَتْهُ اَلْيَهُودُ وَقَالُوا: إِنَّكَ تَابِعٌ لِقِبْلَتِنَا، فَأَحْزَنَهُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) صحيح البخاري، حديث ٧٢٥٢.
(٢) المصدر نفسه، حديث ٤٠.

وَهُوَ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي اَلسَّمَاءِ، وَيَنْتَظِرُ اَلْأَمْرَ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾»[1].

وجاء في تفسير ابن كثير: (أَنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ مَقْدِمِهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فاستمرَّ الأمرُ عَلَى ذَلِكَ بِضْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُكْثِرُ الدّعاءَ والابتهالَ أنْ يُوَجَّه إِلَى الْكَعْبَةِ، التِي هِيَ قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، وَأُمِرَ بالتوجّه إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ)[2].

وقال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾: (وَعبّر بترضاها لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَيْلَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ مَيْلٌ لِقَصْدِ الْخَيْرِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْكَعْبَةَ أَجْدَرُ بُيُوتِ اللَّهِ بِأَنْ يَدُلَّ عَلَى التَّوْحِيدِ كَمَا تَقَدَّمَ، فَهُوَ أَجْدَرُ بِالِاسْتِقْبَالِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلِأَنَّ فِي اسْتِقْبَالِهَا إِيمَاءً إِلَى اسْتِقْلَالِ هَذَا الدِّينِ عَنْ دِينِ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَلَمَّا كَانَ الرِّضَى مُشْعِرًا بِالْمَحَبَّةِ النَّاشِئَةِ عَنْ تَعَقُّلٍ، اخْتِيرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، دُونَ تُحِبُّهَا أَوْ تَهْوَاهَا أَوْ نَحْوِهِمَا، فَإِنَّ مَقَامَ النَّبِيءِ ﷺ يَرْبُو عَنْ أَنْ يَتَعَلَّقَ مَيْلُهُ بِمَا لَيْسَ بِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ، بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَصْلَحَةِ الْعَارِضَةِ لِمَشْرُوعِيَّةِ اسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)[3].

مواجهة التحدّي اليهودي

كان اليهود في المدينة يمثلون تحدّيًا خطيرًا على الصعيد الفكري والنفسي للمجتمع الإسلامي الناشئ، فهم يتكئون على تراث ديني شابه كثير من التحريف والتغيير، ويتخذون موقفًا عدائيًّا مناوئًا للدعوة الدينية الجديدة، ويمارسون التعالي والزّهو على سائر الأمم والمجتمعات؛

(١) وسائل الشيعة، ج٤، ص٣٠٠، حديث ٥٢٠٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ج١، ص٤٥٣.
(٣) التحرير والتنوير، ج٢، ص٢٨.

لاعتقادهم أنّهم شعب الله المختار، لذلك كانوا يشنّون حربًا نفسية ضروسًا على المسلمين، ويسعون للتشويش على مواقف رسول الله ﷺ، وبثّ الشكوك والشّبهات حول المعتقدات والشرائع الإسلامية.

لذلك اهتمّ رسول الله ﷺ بتحصين المجتمع الإسلامي فكريًّا ونفسيًّا، في مواجهة محاولات الاختراق والتأثير اليهودي، وفي هذا السّياق كان تطلّعه لتغيير جهة القبلة عن بيت المقدس إلى البيت الحرام، من أجل تعزيز استقلال شخصية المجتمع الجديد، وسدّ ثغرات التأثير النفسي المضاد.

أدرك اليهود، أنّ تحويل القبلة قد فوّت عليهم فرصة مهمّة، كانوا يستغلّونها في كيدهم للإسلام والمسلمين، فاتّجهوا للتشويش على هذا التشريع الإلهي، وإثارة التساؤلات والشكوك حوله، ووجدت إثاراتهم صدًى في نفوس ضعفاء الإيمان والوعي، وفي أوساط المنافقين.

وجاءت الاستجابة الإلهية بتحويل القبلة، تحقيقًا لهذا الغرض، كما يشير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٣].

فقد أراد الله تعالى لهذه الأمة أن تكون في موقع الريادة للأمم الأخرى، وليس في موقع التبعية للآخرين، بما حمّلها الله من رسالة عظيمة هي خاتمة الرسالات السماوية، وبما خصّها من قيادة نبوية هادية هي سيّد الرسل وخاتم الأنبياء محمد ﷺ.

وقد أدرك اليهود، أنّ تحويل القبلة قد فوّت عليهم فرصة مهمّة، كانوا يستغلّونها في كيدهم للإسلام والمسلمين، فاتّجهوا للتشويش على هذا التشريع الإلهي، وإثارة التساؤلات والشكوك حوله، ووجدت إثاراتهم صدًى في نفوس ضعفاء الإيمان والوعي، وفي أوساط المنافقين.

يقول السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: (ومن المعلوم أنّ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، من أعظم الحوادث الدينية، وأهم التشريعات التي قوبل بها الناس بعد هجرة النبي إلى المدينة، وأخذ الإسلام في تحقيق أصوله، ونشر معارفه، وبثّ حقائقه، فما كانت اليهود وغيرهم تسكت وتستريح في مقابل هذا التشريع؛ لأنّهم كانوا يرون أنه يبطل واحدًا من أعظم مفاخرهم الدينية، وهو القبلة، واتّباع غيرهم لهم فيها، وتقدّمهم على من دونهم في هذا الشعار الديني)[1].

تحويل القبلة تساؤل وتشكيك

كان محور التساؤل والإشكال الذي طرحوه يستهدف التشكيك في صدق الرسالة، ومصداقية الرسول، فكيف يأمر الله تعالى بالتوجه إلى قبلة ثم يحوّل التوجه إلى قبلة أخرى؟ فهل كان الأمر الأول باستقبال بيت المقدس خطأً حتى يُصحّح؟

وهل يأمر الله تعالى بالخطأ لمدة خمسة عشر عامًا، إضافة إلى عهد الأنبياء السابقين؟

وإذا كان استقبال بيت المقدس من قبل الأنبياء السابقين، ومن قبل ذات النبي والمسلمين صحيحًا، فهذا يعني خطأ التوجه الجديد باستقبال الكعبة!!

ومن الطبيعي أن تثير عملية التغيير في أيّ تشريع أو عرف سائد، في الوسط الاجتماعي، تساؤلًا حول باعث التغيير وغايته، لتمسّك

ومن الطبيعي أن تثير عملية التغيير في أيّ تشريع أو عرف سائد، في الوسط الاجتماعي، تساؤلًا حول باعث التغيير وغايته، لتمسّك الناس بما ألفوه واعتادوا عليه، والدين لا يقمع التساؤل الذي ينطلق من رغبة في المعرفة والوعي.

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٣١٢.

الناس بما ألفوه واعتادوا عليه، والدين لا يقمع التساؤل الذي ينطلق من رغبة في المعرفة والوعي، بل يحفّز على ذلك (الآيات الكثيرة الآمرة بالتفكّر والتعقّل، فيما يتعلّق بالمبدأ والمعاد، وتكميل النفس، وفهم الأحكام ودركها من أهمّ وجوه تكميل النفس، وقد وردت في السنة المقدسة نصوص كثيرة تبيّن المصالح والمفاسد والحكم الكثيرة للأحكام الشرعية.. فالسؤال عن الأحكام وعللها وحكمها صحيح ولا بأس به، بل حثّ عليه الشارع)[1].

خاصّة وأنّ المسلمين آنذاك كانوا حديثي عهد بالتشريع الديني، وبوظائف الرسالة، لذلك فإنّ بعضهم كان يتساءل بعفوية وبراءة عن مصير المسلمين الذين فارقوا الحياة، وكانوا يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس.

جاء في الدر المنثور: (كَانَ رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي نَحْو بَيت الْمُقَدّس وَيكثر النّظر إِلَى السَّمَاء ينْتَظر أَمر الله فَأنْزل الله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فَقَالَ رجال من الْمُسلمين: وَدِدْنَا لَو علمنَا من مَاتَ منّا قبل أَن نصرف إِلَى الْقبْلَة وَكَيف بصلاتنا نَحْو بَيت الْمُقْدِس فَأنْزل الله ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُضيع إيمَانكُمْ﴾)[2].

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لَمَّا صَرَفَ اَللَّهُ نَبِيَّهُ إِلَى اَلْكَعْبَةِ عَنْ بَيْتِ اَلْمَقْدِسِ قَالَ اَلْمُسْلِمُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرَأَيْتَ صَلاَتَنَا اَلَّتِي كُنَّا نُصَلِّي إِلَى بَيْتِ اَلْمَقْدِسِ مَا حَالُنَا فِيهَا وَحَالُ مَنْ مَضَى مِنْ أَمْوَاتِنَا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ اَلْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اَللَّهُ ﴿وَمَا كَانَ اَللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ فَسَمَّى

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج٢، ص١٠٥.
(٢) الدر المنثور، ج١، ص٣١٠.

اَلصَّلاَةَ إِيمَانًا»[1].

لم تكن المشكلة في طرح السؤال، بل كانت في توظيف السؤال لإثارة التشكيك في صدق الرسالة، ولإضعاف معنويات المسلمين، وهنا كانت إجابة الوحي الإلهي صارمة حاسمة تجاه تساؤلات المناوئين المغرضين، ومحفّزة للوعي، وباعثة للثقة والاطمئنان، في نفوس المؤمنين، واستغرقت هذه الإجابة في معالجة موضوع تغيير القبلة ما يقرب من عشر آيات، من الآية ٤٢ إلى الآية ١٥٢ من سورة البقرة.

إنّ اتجاه المسلمين بجميع مذاهبهم لاستقبال الكعبة المشرفة، يجب أن يكون عنوانًا لوحدتهم، ومحفّزًا على تحقيق هذه الوحدة، بالتأكيد على ما يجمعهم من أمر دينهم، ومصالح دنياهم.

ومما تؤكد عليه هذه الآيات النقاط التالية:

١. إنّ الذين تبنّوا حملة التشكيك في هذا التشريع الإلهي، من اليهود والمنافقين، ينطلقون من حالة السّفه التي يعيشونها تجاه الرسالة، يقول تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾[سورة البقرة، الآية: ١٤٢].

٢. إنّ التشريع الديني هو قرار إلهي، فكلّ الجهات لله ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ وهو تعالى الذي يقرّر لعباده الجهة التي يستقبلونها في صلاتهم، فالنبي لا يقرّر ما يرغب فيه ويريده، بل إنّ الأمر بيد الله، يقول تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٤٤].

٣. إنّ التسليم للتشريعات الإلهية، قديمها وجديدها، هو الاختبار

(١) تفسير العيّاشي، ج١، ص٦٣، حديث١١٥.

لصدق الإيمان بالله ورسوله، يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٣].

المسلمون أهل القبلة

إنّ الله سبحانه وتعالى لا يحويه مكان، ولا تحدّه جهة، وحين يريد الإنسان التوجه إلى ربه، فكلّ الجهات مفتوحة أمامه.

يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٥].

إننا لا نتحاور حتى يغيّر أهل السنة أو الشيعة شيئًا من معتقداتهم أو شعائرهم، فكلّ إنسان له قناعاته يتعبّد لربه بما يدين الله تعالى به.

بل نتحاور لنؤكد على المشتركات، ونتجاوز السّلبيات، ونرسم طريق الاحترام المتبادل فيما بيننا، ولنتعاون في مواجهة التحدّيات التي تحيط بنا من كلّ جهة.

لكنّ الله سبحانه وتعالى فرض التوجه حال الصلاة الواجبة إلى جهة معيّنة وهي الكعبة؛ لأنّها أقدس مكان وبقعة عند الله، ولأنه أرادها رمزًا وعنوانًا لاستقلالية هذه الأمة ووحدتها.

ومن هنا جاء مصطلح أهل القبلة في النصوص الإسلامية، وعند فقهاء المسلمين، فاستقبال الكعبة هو عنوان الانتساب للإسلام والانتماء للأمة الإسلامية.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ في مصادر السنة والشيعة كما في صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه ﷺ قال: «مَن صَلَّى صَلَاتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذلكَ المُسْلِمُ الذي له ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رَسولِهِ، فلا تُخْفِرُوا اللَّهَ في ذِمَّتِهِ»[1].

(١) صحيح البخاري، حديث٣٩١، ومثله في بحار الأنوار، ج٢٦، ص٤٢.

ومثله ورد في كتاب بصائر الدرجات عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن رَسُولَ اَللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلاتَنَا، وَاِسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَاكَ اَلْمُسْلِمُ اَلَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اَللَّهِ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ»[1].

إنّ اتجاه المسلمين بجميع مذاهبهم لاستقبال الكعبة المشرفة، يجب أن يكون عنوانًا لوحدتهم، ومحفّزًا على تحقيق هذه الوحدة، بالتأكيد على ما يجمعهم من أمر دينهم، ومصالح دنياهم.

علينا أن نتحمّل مسؤولية التأكيد على وحدة الأمة، وبثّ الوعي الوحدوي، وثقافة التسامح، في صفوف أبناء الأمة، وأن نراهن على الجيل الجديد الذي يتطلّع إلى غدٍ مشرق، ويسعى إلى الانعتاق من أسر الماضي، والخروج من كهوف التاريخ.

وقد عانت أمتنا، خاصّة في هذه العقود الأخيرة، من فتن الانقسام والاحتراب، بمختلف العناوين، والأقسى منها ما كان بالعناوين الدينية المذهبية، مما أدّى إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات، وتخريب الأوطان، وهدر الإمكانات.

لكنّنا نتفاءل بتجاوز الأمة لهذه المحن القاسية، واستجابة مجتمعاتها لصوت الدين والعقل.

وقد جاءت دعوة شيخ الأزهر الشيخ أحمد الطيب يوم الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ الموافق ٤ نوفمبر ٢٠٢٢م للحوار بين ضفّتي الإسلام السنة والشيعة لتعزيز هذا التفاؤل، حيث دعا في ختام «ملتقى البحرين للحوار، الشرق والغرب من أجل التعايش الإنساني»، إلى «المسارعة بعقد حوار إسلامي جاد، من أجل إقرار الوحدة والتقارب

(١) بصائر الدرجات، ص١٧٦.

والتعارف، تُنبذ فيه أسباب الفرقة والفتنة والنزاع الطائفي على وجه الخصوص».

وقال: إنّ «هذه الدعوة إذ أتوجّه بها إلى إخوتنا من المسلمين الشيعة، فإنني على استعداد، ومعي كبار علماء الأزهر ومجلس حكماء المسلمين، لعقد مثل هذا الاجتماع بقلوب مفتوحة وأيدٍ ممدودة للجلوس معًا على مائدة واحدة».

وحدّد هدف الاجتماع بـ «تجاوز صفحة الماضي وتعزيز الشأن الإسلامي ووحدة المواقف الإسلامية»، مقترحًا أن تنصّ مقرّراته «على وقف خطابات الكراهية المتبادلة، وأساليب الاستفزاز والتكفير، وضرورة تجاوز الصراعات التاريخية والمعاصرة بكلّ إشكالاتها ورواسبها السيئة».

وشدّد على ضرورة أن «يحرّم على المسلمين الإصغاء لدعوات الفرقة والشقاق، وأن يحذروا الوقوع في شرك العبث باستقرار الأوطان، واستغلال الدين في إثارةِ النعرات القومية والمذهبية، والتدخل في شؤون الدول والنيل من سيادتها أو اغتصاب أراضيها»[1].

ولا بُدّ من الإشادة بهذه الدعوة والترحيب بها، والدفع باتجاه تحويلها إلى مبادرة عملية، مع الحفاظ على خصوصيات أتباع كلّ مذهب، وحفظ حريتهم في معتقداتهم وعباداتهم وشعائرهم.

ينبغي أن يكون الحوار من أجل تجاوز النزاعات والاختلافات، ولا يستهدف تغيير شيء في هذه المذاهب.

إننا لا نتحاور حتى يغيّر أهل السنة أو الشيعة شيئًا من معتقداتهم أو

(١) https://www.bbc.com/arabic/live/63511322

شعائرهم، فكلّ إنسان له قناعاته يتعبّد لربه بما يدين الله تعالى به.

بل نتحاور لنؤكد على المشتركات، ونتجاوز السّلبيات، ونرسم طريق الاحترام المتبادل فيما بيننا، ولنتعاون في مواجهة التحدّيات التي تحيط بنا من كلّ جهة.

نعم؛ ستبقى هناك فئات متطرفة من السنة والشيعة، تصرّ على إثارة الخلافات والفتن، ومن الطبيعي أنّ أعداء الدين والأمة يشجعون ويدعمون هذه التوجهات المتطرفة.

لكن علينا أن نتحمّل مسؤولية التأكيد على وحدة الأمة، وبثّ الوعي الوحدوي، وثقافة التسامح، في صفوف أبناء الأمة، وأن نراهن على الجيل الجديد الذي يتطلّع إلى غدٍ مشرق، ويسعى إلى الانعتاق من أسر الماضي، والخروج من كهوف التاريخ.

الأبناء ضحايا التّفكّك الأسري

الجمعة ٢٤ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ | ١٨ نوفمبر ٢٠٢٢م.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَا مِنْ شَيْءٍ مِمَّا أَحَلَّهُ الله عَزَّ وَجَلَّ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّلَاقِ»(١).

من أهم وظائف تكوين الأسرة في المجتمع الإنساني، أنّها محضن تربية الإنسان وتنشئته، وعبرها يتمّ إعداده وتأهيله للحياة.

إنّ الإنسان مخلوق مميّز، يختلف عن بقية الكائنات، بتنوع أبعاده، فلديه نفس مليئة بالمشاعر والأحاسيس المتصارعة، والميول والرّغبات المتناقضة، ولديه قدرات عقلية هائلة، ولأنه مدني بطبعه، له بعد اجتماعي، كما أنه مهيأ ومؤهل لأخذ دور كبير على مستوى الحياة والكون، باعتباره مستخلفًا لله في الأرض..

لكنّ ما لديه من كفاءات وقدرات وميول

(١) الكافي، ج٦، ص٥٤، حديث٢.

ورغبات، حينما يأتي إلى الدنيا، إنّما هي على شكل مواد خام، وبذور واستعدادات، فيحتاج إلى فترة من الرعاية والتربية، لتنمو طاقاته، وتتطور قدراته، ويتدرّب على قضايا الحياة، وتتشذّب غرائزه وميوله، وتترشّد مساراته وسلوكه.

حينما يصبح التفكك الأسري ظاهرة منتشرة في المجتمع، فهذا يعني خطرًا كبيرًا على مستقبل الجيل الناشئ من أبناء الوطن، إنّ الأرقام التي تصدر عن الجهات المختصة، حول تصاعد حالات الطلاق، وارتفاع نسبة الشكاوى والنزاعات العائلية في المحاكم، تدقّ ناقوس الخطر على الأمن الاجتماعي.

بينما بقية الحيوانات تعيش ضمن بعد محدود، تسير فيه بغريزة وتقدير إلهي، لذلك لا تحتاج إلّا لقدر ضئيل من التنشئة والإعداد، ثم تنطلق لأداء دورها المحدد المرسوم، ففترة الطفولة عند الحيوانات قصيرة، تقاس بالأيام أو بالأسابيع أو بالشهور في أقصى التقديرات، ولا تكاد تجد نوعًا من الحيوانات يحتاج إلى رعاية أمه لأكثر من سنة.. وبعض الحيوانات كالحشرات والأسماك قد لا تحتاج إلى تربية ورعاية أصلًا.

ولتميّز الإنسان في مكانته ودوره وكفاءاته وقدراته، شاءت حكمة الله تعالى أن يمرّ بفترة طويلة من الحاجة لرعاية الأبوين وتربيتهما، لتتبلور شخصيته، وتنمو مواهبه وطاقاته، إلى جانب تكامله وتطوره الجسمي.

خطورة تفكك الأسرة

حينما يصاب كيان الأسرة بأيّ ضعف أو خلل، فإنه ينعكس على أدائها لمهمتها الأساس، في التربية الصالحة، والتنشئة السليمة للأبناء.

وهنا تظهر خطورة التفكك الأسري، وحصول المشكلات الدائمة بين الوالدين، ووقوع الطلاق والانفصال بينهما.

إنّ ذلك يترك أثرًا سلبيًّا بالغًا في نفوس الأبناء، ويحرمهم من

التمتع بطفولة هانئة، وحياة سعيدة، ويفقدهم كثيرًا مما يحتاجونه لبناء شخصياتهم ومستقبلهم.

وحينما يصبح التفكك الأسري ظاهرة منتشرة في المجتمع، فهذا يعني خطرًا كبيرًا على مستقبل الجيل الناشئ من أبناء الوطن، إنّ الأرقام التي تصدر عن الجهات المختصة، حول تصاعد حالات الطلاق، وارتفاع نسبة الشكاوى والنزاعات العائلية في المحاكم، تدقّ ناقوس الخطر على الأمن الاجتماعي.

حيث كشفت تقارير إحصائية، عن زيادة غير مسبوقة في معدّلات الطلاق في المملكة العربية السعودية، خلال العام ٢٠٢٢م، وصلت لـ ١٦٨ حالة طلاق يوميًّا، بواقع ٧ حالات طلاق في كلّ ساعة، وبمعدّل يفوق الحالة الواحدة كلّ عشر دقائق[١].

وهذا ما دعا وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة، للطلب من الخطباء، بمختلف مناطق ومحافظات المملكة، بتخصيص خطبة الجمعة (٢٤ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ الموافق ١٨ نوفمبر ٢٠٢٢م) للتحذير من التساهل في الطلاق، ووجوب التصدّي لهذه الظاهرة، وإيضاح خطورتها على النشء والمجتمع.

البعد العاطفي هو أهم الأبعاد وأكثرها حساسية في شخصية الطفل، أنه بحاجة ماسّة إلى مشاعر الحنان وفيض المحبة، ليشعر بالأمان والاستقرار النفسي

وسنركز حديثنا حول أهم التداعيات السّلبية للتفكك الأسري، على نفسيّات الأبناء وحياتهم:

(١) صحيفة اليوم، الأربعاء ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢ - ٠١ ربيع الآخر ١٤٤٤ هـ، زيادة غير مسبوقة خلال ٢٠٢٢.. «حالة طلاق» كلّ ١٠ دقائق بالمملكة، https://www.alyaum.com/articles/6429374

أولًا: التمزق العاطفي:

البعد العاطفي هو أهم الأبعاد وأكثرها حساسية في شخصية الطفل، أنه بحاجة ماسّة إلى مشاعر الحنان، وفيض المحبة، ليشعر بالأمان والاستقرار النفسي، إنّ الاضطراب العاطفي يثير كثيرًا من القلق في نفسه، ويفقده الثقة والطمأنينة، ويبثّ في قلبه الخوف والكآبة، إنه يحب أبويه وينجذب إليهما، وهما مصدر الثقة والأمان والحبّ والحنان بالنسبة له.

فإذا رأى الطفل حالة نزاع بين أبويه، وما ينتج عنها من مظاهر ومشاهد سيئة، فإنّ ذلك يثير في نفسه الكثير من الأذى؛ لأنه يرى مصدر حنانه ومنبع اطمئنانه في حالة خطرٍ وأذى، ولك أن تتصور مشهدًا يرى فيه الأبناء أباهم يضرب أمهم، وهي تصرخ وتستغيث أمامهم، أو يرون أمهم توجه الإهانة والأذى لأبيهم، لا شك أنّ ذلك يمزق نفس الطفل، ويصبح مضطربًا في انطباعاته تجاه والديه، وتزداد الحال سوءًا حينما يسعى كلٌّ من الوالدين لتعبئته ضدّ الآخر، وضمان انحيازه إليه.

وتشير بعض المربيات في دور الحضانة، وبعض المعلّمين والمعلّمات في المرحلة الابتدائية، إلى أنّهم يلاحظون آثار الاضطراب عند بعض الأطفال، وحين يبحثون عن الأسباب يكتشفون أنّ أهمها ما يبوح به الأطفال من مشاهداتهم للنزاع بين الأبوين.

ثانيًا: نقص الرعاية التربوية

يحتاج الطفل إلى كثير من رعاية الوالدين، خاصة في هذا العصر، فهناك العملية التعليمية التي تحتاج إلى متابعة واهتمام، ليتفاعل مع برنامج الدراسة والتعليم، وليحقّق النجاح والتفوق.

وهناك الجانب السلوكي، وتأثيرات انفتاح الأطفال على العالم

الافتراضي الإلكتروني، وهناك البيئة الاجتماعية التي يعيش ضمنها في الأسرة والمدرسة، ومع الزملاء والأقران، وما قد يواجهه فيها من مشكلات.

إنّ كلّ هذه الجوانب تحتاج إلى رعاية تتكامل فيها جهود الوالدين، وفي حالة التفكك الأسري، تضعف حالة الرعاية من أحد الجانبين أو كليهما، وذلك ما يضرّ بمستقبل الأبناء وتأهيلهم، وبناء شخصياتهم.

وهذا ما تؤكده الدراسات والأبحاث، التي تُعنى بحالات التسيّب والتسرّب من العملية التعليمية، وضعف تفاعل وأداء بعض الطلاب، حيث تتركز هذه الظاهرة أكثر في أبناء الأسر التي تعاني من الخلافات والتفكك.

كما أنّ معظم جرائم الأحداث وانحرافاتهم تظهر في أوساط أبناء هذه العوائل.

ثالثًا: سقوط النموذج الأخلاقي

من الطبيعي أن يتربى الأبناء على محاكاة سلوك الوالدين، فكما يكسبون منهما اللغة ونمط المعيشة والحياة، يرثون منهما الصفات النفسية والسلوكية، عبر التوجيه والتنشئة، وعبر المحاكاة والاتّباع، حيث يكون الوالدان قدوة وأنموذجًا، يسعى الأبناء للتمثل بسلوكهما.

فالأسرة هي التي تغرس القيم والمبادئ في نفوس الأبناء، وتعزّز السلوك الأخلاقي في شخصياتهم.

إنّ على الوالدين أن يدركا عمق تأثير خلافاتهما وانفصالهما على الأبناء، وألّا ينظر كلٌّ منهما إلى الأمر من زاوية وضعه الشخصي فقط، فيتصرف ويتخذ القرار لتحقيق مصلحته ورغبته، أو للانتقام لنفسه، دون أن يفكر في تأثير ذلك على أبنائه.

والتفكّك الأسري غالبًا ما ينتج سلوكًا سلبيًّامن قبل الوالدين، ويُظهر صفات سيئة في حالات النزاع بينهما، من سوء الظنّ، والاتهامات والكيد، والإساءات المتبادلة، والشتائم، والكلام البذيء، وصولًا إلى القطيعة والعنف، وهنا يجد الأبناء أنفسهم أمام مشاهد سلوكية منحرفة، مما يؤدي إلى سقوط النموذج الأخلاقي في نفوسهم، ويسبّب لهم العقد النفسية، ويهيئهم لمحاكاة السّلوك الخطأ من الوالدين.

والدان وليسا زوجين فقط

إنّ على الوالدين أن يدركا عمق تأثير خلافاتهما وانفصالهما على الأبناء، وألّا ينظر كلٌّ منهما إلى الأمر من زاوية وضعه الشخصي فقط، فيتصرف ويتخذ القرار لتحقيق مصلحته ورغبته، أو للانتقام لنفسه، دون أن يفكر في تأثير ذلك على أبنائه.

إنّ على الوالدين أن يتصرفا كوالدين وليس كزوجين فقط، وهذا يعني ما يلي:

أولًا: أن يتحمّلا بعضهما، وأن يتحلّيا بالصبر في علاقتهما، خاصة مع كون الأبناء في مرحلة الطفولة والمراهقة.

روي عن النبي ﷺ: «مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ اِمْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ الله مِنَ اَلْأَجْرِ مَا أَعْطَاهُ أَيُّوبَ عليه السلام عَلَى بَلاَئِهِ وَمَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ»[1].

وعن إسحاق بن عمار قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله [جعفر الصادق عليه السلام]: مَا حَقُّ اَلْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا اَلَّذِي إِذَا فَعَلَهُ كَانَ مُحْسِنًا؟ قَالَ: يُشْبِعُهَا وَيَكْسُوهَا، وَإِنْ جَهِلَتْ غَفَرَ لَهَا، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: كَانَتِ امْرَأَةٌ عِنْدَ

(١) مكارم الأخلاق، ص٢١٣.

أَبِي ﷺ تُؤْذِيهِ فَيَغْفِرُ لَهَا»[1]، ومضمون الرواية ضرورة أن يتمتع الرجل بالمرونة والتسامح مع ما قد يبدر من زوجته من خطأ، والغرض من ذلك أن تتعزّز في النفوس حالة التحمّل والصبر المتبادل.

يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: الآية: ١٩].

إنّ على الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، حتى لو اتصفت الزوجة ببعض ما يكرهه الزوج، فإنّ نتائج تحمّله وصبره على ما يكرهه، يكسبه خيرًا كثيرًا، هو حالة الوئام والاستقرار الأسري، الذي ينعكس إيجابيًّا على تربية الأبناء، وذلك من أهم مصاديق ﴿وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

ثانيًا: إدارة الخلافات بعيدًا عن الأبناء.

فلا يصح أبدًا إظهار حالة التنافر والنزاع بين الزوجين، أمام الأبناء، فإنّ آثارها خطيرة مدمّرة.

ثالثًا: التوافق والتكامل في رعاية الأبناء بعد الطلاق.

فإنّ الأب يبقى هو المسؤول الأول عن تربية الأبناء، ورعاية شؤونهم، وتوفير متطلبات حياتهم، حتى وإن كانوا يعيشون مع أمهم. فلا يجوز له أن يقصّر أو يتساهل في تحمّل هذه المسؤولية، بمبرر انفصاله عن أمهم، أو كونهم ملتحقين بها.

كما لا يجوز للأم أن تعوّق قيام الأب بمسؤوليته تجاه أبنائه.

وفي المقابل فإنّ الأبناء لا يستغنون عن عطف أمهم وحنانها، لذلك منحها الشرع حقّ الرضاع وحقّ الحضانة، ضمن تفاصيل تعرّضت

(١) الكافي، ج٥، ص٥١٠، حديث ١.

لها المسائل الفقهية، فلا يصح للأب حرمان الأبناء من حنان أمهم، ومشاركتها في رعايتهم.

إنّ من المؤسف جدًّا، أن يصبح الأبناء ورقة في الخلاف والنزاع بين الوالدين، فيسعى كلّ طرف للضغط على الآخر من خلال منع أو تعويق تواصله مع الأبناء، وهو حيف وظلم لحقّ الآخر، وإساءة وعدوان على حقوق الأبناء، في التمتع برعاية كاملة من الأبوين.

العلاقات الاجتماعية ولغة التخاطب

الجمعة ١ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ | ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٥٣].

لغة تخاطب الإنسان مع من حوله، لها دور مؤثر وأساس في شكل ومستوى علاقاته معهم.

ذلك أنّ التخاطب هو وسيلة التواصل بين الناس، وتبادل الآراء والأفكار، والتعبير عن المشاعر والأحاسيس.

إنه المرآة التي يراك الآخرون من خلالها، ويتعرفون عبر كلامك على نظرتك لهم، وموقفك نحوهم ومشاعرك تجاههم.

ورد عن علي عليه السلام: «صُورةَ الرّجُلِ في مَنطِقِهِ»[١].

وعنه عليه السلام: «المَرءُ مَخبوءٌ تَحتَ لِسانِهِ»[٢].

(١) بحار الأنوار، ج٦٨، ص٢٩٣.
(٢) نهج البلاغة، حكمة ١٤٨.

والأصل في التخاطب أن يتم عن طريق الكلام باللسان، كما يجري عبر الكتابة، أو لغة الإشارة.

قولوا للناس حسنًا

وإذا أراد الانسان أن تكون علاقته مع الآخرين حسنة، فعليه أن يستخدم اللغة الحسنة في التخاطب معهم، يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[سورة البقرة: الآية ٨٣].

أَخَذَ رَجُلٌ بِلِجَامِ دَابَّةِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، أَيُّ اَلْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ ﷺ: «إِطْعَامُ اَلطَّعَامِ، وَإِطْيَابُ اَلْكَلَامِ»[1].

إنّ من يخاطب الناس بأدب واحترام، ويتحدّث لهم بلباقة ولغة جميلة، ويبدي لهم المحبة والتقدير، من الطبيعي أن يحظى بمحبتهم وتقديرهم، وأن يتخاطبوا معه بنفس لغة تخاطبه معهم.

وقد ورد عن علي عليه السلام: «ما مِنْ شَيْء أَجْلَبَ لِقَلْبِ الإنْسانِ مِنْ لِسان»[2].

وعنه عليه السلام: «مَنْ عَذُبَ لِسانُهُ كَثُرَ إخْوانُهُ»[3].

وعنه عليه السلام: «عَوِّدْ لِسَانَكَ لِينَ اَلْكَلَامِ وَبَذْلَ اَلسَّلَامِ يَكْثُرْ مُحِبُّوكَ وَيَقِلَّ مُبْغِضُوكَ»[4].

إنّ من يخاطب الناس بأدب واحترام، ويتحدّث لهم بلباقة ولغة جميلة، ويبدي لهم المحبة والتقدير، من الطبيعي أن يحظى بمحبتهم وتقديرهم، وأن يتخاطبوا معه بنفس لغة تخاطبه معهم.

ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «قُولُوا لِلنَّاسِ أَحْسَنَ مَا تُحِبُّونَ أَنْ

(١) المحاسن، ج٢، ص٣٨٧، حديث٥.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٧٠٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٧٨.
(٤) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٤٠.

يُقَالَ لَكُمْ»[1].

البذاءة تنتج العداوة والبغضاء

وعلى العكس من ذلك، فإنّ مخاطبة الآخرين بلغة الإساءة والبذاءة، تجرح مشاعرهم، وتنفّر نفوسهم، وتدمّر العلاقة معهم.

لذلك يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٣].

لا يكتفي الإنسان بمستوى القول الحسن، بل عليه أن يرتقيَ إلى القول الأحسن، فينتقي أجمل العبارات، وأرقّ الكلمات في الحديث مع الآخرين.

لأنّ أيّ كلمة نابية أو عبارة سيئة ستعطي الفرصة للشيطان لإيقاع العداوة والبغضاء.

فلا يكتفي الإنسان بمستوى القول الحسن، بل عليه أن يرتقيَ إلى القول الأحسن، فينتقي أجمل العبارات، وأرقّ الكلمات في الحديث مع الآخرين.

لأنّ أيّ كلمة نابية، أو عبارة سيئة، ستعطي الفرصة للشيطان لإيقاع العداوة والبغضاء، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٩١].

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «ضَرْبُ اَللِّسَانِ أَشَدُّ مِنْ ضَرْبِ اَلسِّنَانِ»[2].

وعنه عليه السلام: «مَنْ سَاءَ لَفْظُهُ سَاءَ حَظُّهُ»[3].

وعنه عليه السلام: «إِيَّاكَ وَمُسْتَهْجَنَ اَلْكَلاَمِ فَإِنَّهُ يُوغِرُ اَلْقُلُوبَ»[4].

يقول الشاعر يعقوب الحمدوني:

---

(١) تحف العقول، ص٣٠٠.
(٢) بحار الأنوار: ج٦٨، ص٢٨٦.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٦٦٦.
(٤) المصدر نفسه، ص١٦٨.

جِراحات السِّنانِ لها التِئامُ وَلا يلتـامُ مـا جَـرَحَ اللسـانُ

استقامة اللسان

إنّ على الإنسان أن يربّي نفسه ويعوّدها الالتزام بحسن القول، وأدب الخطاب، وألّا يسمح لنفسه باستخدام الكلمات البذيئة الهابطة.

ورد عن رسول الله ﷺ: «لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»(١).

وجاء في رسالة الحقوق المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَحَقُّ اللِّسَانِ إِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَا وَتَعْوِيدُهُ الْخَيْرَ وَتَرْكُ الْفُضُولِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ لَهَا وَالْبِرُّ بِالنَّاسِ وَحُسْنُ الْقَوْلِ فِيهِمْ»(٢).

ولتعزيز نهج التخاطب الحسن عند الإنسان، وإبعاده عن لغة البذاءة والإساءة، تؤكد التعاليم الدينية على ما يلي:

أولًا: عدم استخدام لغة البذاءة حتى في الحديث عن غير البشر، كالحيوانات والجمادات والظواهر الطبيعية، حتى لا يتعوّدها لسانه.

وورد أنّ أحد الصحابة قال لبعيره: شَأْ، لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «مَن هذا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟» قالَ: أَنَا، يا رَسولَ اللهِ، قالَ: «انْزِلْ عنْه، فلا تَصْحَبْنَا بمَلْعُونٍ»(٣).

وعنه ﷺ: «لَا تَسُبُّوا اَلرِّيَاحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلاَ تَسُبُّوا اَلْجِبَالَ، وَلَا اَلسَّاعَاتِ، وَلَا اَلْأَيَّامَ، وَلَا اَللَّيَالِيَ فَتَأْثَمُوا وَتَرْجِعَ عَلَيْكُمْ»(٤).

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب، حديث٢٥٥٤.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦١٩.
(٣) صحيح مسلم، حديث٣٠٠٩.
(٤) بحار الأنوار، ٥٦، ص٢.

وعنه ﷺ: «إِيَّاكُمْ والفُحْشَ والتَّفَحُّشَ، فإنَّ اللهَ لا يحبُّ الفَاحِشَ والمتفحش»[1].

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «سُنَّةُ اَللِّئَامِ قُبْحُ اَلْكَلاَمِ»[2].

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إِنَّ اَلْفُحْشَ وَاَلْبَذَاءَ وَاَلسَّلاَطَةَ مِنَ اَلنِّفَاقِ»[3].

حتى مع المخالفين والبذيئين

ثانيًا: النهي عن استخدام لغة البذاءة حتى مع المخالفين والمناوئين، تعزيزًا للابتعاد عن هذا الأسلوب في التخاطب، ولتقديم النموذج الأفضل في التعامل.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة العنكبوت،الآية:٤٦].

سمعَ عليٌّ عليه السلام قومًا من أصحَابِهِ يسبّونَ أهلَ الشامِ أيّام حربهم بصفين، فقال عليه السلام: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ»[4].

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى اَلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنَ اَلشِّيعَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: «مَعَاشِرَ اَلشِّيعَةِ، كُونُوا لَنَا زَيْنًا، وَلاَ تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْنًا، قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَاِحْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ، وَكُفُّوهَا عَنِ اَلْفُضُولِ وَقُبْحِ اَلْقَوْلِ»[5].

---

(١) صحيح الترغيب، حديث٢٦٠٣.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٢٨٣.
(٣) الكافي، ج٢، ص٣٢٥.
(٤) نهج البلاغة، خطبة: ٢٠٦.
(٥) بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٥١.

ثالثًا: الحذر من استدراج البذيئين لاستخدام لغتهم كردّ فعل لبذاءتهم وإساءتهم.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٦٣].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٧٢].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[سورة القصص، الآية: ٥٥].

وورد عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ لَكَ: إِنْ قُلْتَ وَاحِدَةً، سَمِعْتَ عَشْرًا، فَقُلْ: إِنْ قُلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً. وَمَنْ شَتَمَكَ فَقُلْ لَهُ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي مَا تَقُولُ، فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي؛ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فِيمَا تَقُولُ فَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ»[1].

وقال الشاعر شَمِر بن عمرو الحنفي:

وَلقدْ مَرَرْتُ عَلَى اللَّئيمِ يَسُبُّنِي فَمَضيْتُ، ثُمَّـتَ قُلْتُ: لاَ يَعْنِينِي

الأقربون أولى

رابعًا: الدائرة القريبة من الإنسان هي الأولى بحسن التعامل والتخاطب، وليس صحيحًا أن يتساهل الإنسان في لغة تخاطبه مع من هم تحت رعايته، كعياله وخدمه، لما لذلك من أثر تربوي ونفسي. ولتأثيره على مستوى العلاقة معهم، ورد عن الإمام علي عليه السلام: «لاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى اَلنَّاسِ بِكَ»[2].

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٧١، ص١٦٥.

الرقّ المغفول عنه

الجمعة ٨ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ | ٢ ديسمبر ٢٠٢٢م.

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «عَبْدُ اَلشَّهْوَةِ أَذَلُّ مِنْ عَبْدِ اَلرِّقِّ»[1].

يصادف اليوم الثاني من ديسمبر، اليوم الدولي لإلغاء الرق، وهو تاريخ اعتماد الجمعية العامة لاتفاقية الأمم المتحدة لقمع الاتجار بالأشخاص، في الثاني من ديسمبر ١٩٤٩م.

والرق هو مصادرة إنسانية الإنسان، والتعامل معه كسائر الأشياء من الحيوانات، والأثاث والأدوات والآلات الجامدة، يباع ويشترى ويُتملّك، ويسخّر حسب إرادة من يستعبده، فهو فاقد لصلاحية التصرف بذاته ومكاسبه. بل كان لمالكه في العصور السابقة، تمام الحرية في إبقائه على قيد الحياة، أو قتله، أو تجويعه وتعذيبه

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٤١.

والتنكيل به.

وكان بعض الأسياد يجبرون عبيدهم على أداء أشقّ الأعمال، تحت ضرب السياط الملهبة، ومن يمتنع أو يُقصّر في عمله، يتعرض لمختلف العقوبات القاسية، مثل كيِّ المواضع الحسّاسة من جسمه بالنار، أو وضع الأجسام الثقيلة في يديه، أو ملء فمه وأذنيه بالزيت المغلي، أو قطع لسانه وأعضائه والتمثيل به.

الرق هو مصادرة إنسانية الإنسان، والتعامل معه كسائر الأشياء من الحيوانات، والأثاث والأدوات والآلات الجامدة، يباع ويشترى ويُتملّك، ويسخّر حسب إرادة من يستعبده، فهو فاقد لصلاحية التصرف بذاته ومكاسبه

وتعود نشأة الرق في أوقات مبكرة من التاريخ، إلى الحروب والصّراعات التي كانت منتشرة بين الشعوب والقبائل، حيث يأخذ المنتصرون أفراد الجهة المغلوبة كأسرى يستعبدونهم ويسترقونهم.

واستمرت معاناة الإنسانية في الاستعباد والرق إلى العصر الحديث، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وقّعتْ الدول المشتركة في عصبة الأمم عام ١٩٢٦م اتفاقية تقضي بملاحقة تجارة الرّق والمعاقبة عليها، والعمل على إلغاء الرقيق بجميع صوره، وفي عام ١٩٤٦م أصدرت هيئة الأمم المتحدة إعلانًا عالميًّا تضمّن حظر الرّق، وتجارة الرقيق، والتزمت به كلّ دول العالم تدريجيًّا.

الاحتفال بإلغاء الرّق

ويأتي الاحتفال سنويًّا باليوم الدولي لإلغاء الرق، للتذكير بمعاناة ملايين البشر عبر التاريخ، ولتقدير هذا الإنجاز الإنساني، بصدور قرار منع الرّق، ولمراقبة ومتابعة الالتزام بهذا القرار.

وعلى الرغم من أنه قد تم أخيرًا تجريم الرق في موريتانيا عام ٢٠٠٧، وهو ما أدّى إلى عتق رقاب الكثير من الناس، ولكن لم تتم إدانة سوى عدد قليل من ملاك العبيد بتهمة ممارسة هذه الجريمة. ولا تزال العبودية تمثل مشكلة خطيرة في الدولة، إذ تفيد تقديرات المؤشر العالمي للرق بأنه لا يزال هناك ما بين ١٤٠٫٠٠٠ إلى ١٦٠٫٠٠٠ عبد في موريتانيا[١].

الرق الحديث

وتشير تقارير المنظمات الدولية إلى أشكال من الرق الحديث، مثل: العمل الجبري، ورق الديون، والزواج القسري، والاتجار بالبشر، والاستغلال الجنسي، وسائر حالات الاستغلال التي لا يمكن للأشخاص رفضها أو الفكاك منها، بسبب التهديدات والعنف والإكراه والخداع، وإساءة استخدام السّلطة، ومن مظاهر العبودية المعاصرة، استغلال العمالة المنزلية، وإساءة التعامل معها.

وتظهر أحدث تقديرات منظمة العمل الدولية، أنّ هناك خمسين مليون شخص في العالم، يعيشون ما يطلق عليه (الرق الحديث)، خاصة في وسط النساء والأطفال، حيث يتم تهريب الأطفال والاتجار بهم لتسخيرهم، وكذلك خداع الفتيات وتهريبهنّ لاستغلالهنّ في الدعارة الجنسية.

ويشكل الاتجار بالبشر والجنس نسبة كبيرة من العبودية الحديثة. ويتضمن هذا أيّ فعل جنسي، مثل الدعارة، نتيجة الإكراه عن طريق العنف أو التهديد أو الاحتيال. ويشارك العديد من مرتكبي الاتجار

---

(١) https://www.thenewhumanitarian.org/ar/content/mn-nhn
موقع الإنسانية الجديدة الخاص بجمعية ايرين السويسرية.

بالجنس في العملية برمتها، من تجنيد الضحايا إلى نقلهم واستدراجهم. على غرار العمل الجبري، حتى إذا وافق العامل بالجنس في البداية على الدعارة، فإنه يعتبر مستعبدًا بمجرد إكراهه أو تهديده لممارسة الجنس.

فلا زالت العبودية تنتشر وتتوسع في العديد من المجتمعات، وإن اختلفت طرقها وأشكالها عمّا كانت عليه في العصور القديمة.

ويتعرض أكثر من ١٥٠ مليون طفل لعمل الأطفال، مما يمثل قرابة واحد من كلّ عشرة أطفال في جميع أنحاء العالم، وفقًا لمنظمة العمل الدولية[١].

وبحسب منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف)، يعمل طفل واحد من كلّ ستة أطفال، في مخالفة صريحة لاتفاقية حقوق الطفل.

أخطر ألوان الرّق

هناك نوع مغفول عنه من العبودية والرق القديم الجديد، وهو أخطر ألوان الرق؛ لأنه السبب والمنشأ لكلّ أشكاله وأنواعه، وهو عبودية الإنسان للشهوات والأهواء.

حيث تتنازع الإنسان في ميوله وسلوكه جهتان مرجعيتان:

١. مرجعية العقل والضمير، التي توجه ميول الإنسان وسلوكه نحو قيم الخير والعدل، واحترام إنسانية الآخرين وحقوقهم.

٢. مرجعية الشهوات والأهواء، وهي تدفع الإنسان نحو تحصيل اللذات والرغبات، وخدمة المصالح الذاتية الأنانية، دون مراعاة

(١) صحيفة الإندبندنت عربية، مقال، (أكثر من ٤٠ مليون شخص لا يزالون ضحايا الرق الحديث).

لأيّ قيم أو مبادئ.

وحين ينقاد الإنسان لأهوائه وشهواته، يتقلّص دور العقل والضمير في قراراته وسلوكه، فيضرّ نفسه، ويضرّ من حوله، ويصبح أداة لإفساد الحياة.

بالتأكيد فإنّ من يستعبد أخاه الإنسان، ويسترقّه، وينكّل به، لا ينطلق من مرجعية عقله وضميره، وإنما تسيّره لذلك شهواته وأهواؤه.

وكذلك من يمارس الاغتصاب والاعتداء على أعراض الناس.

ومن يمارس الفساد واختلاس المال العام، أو نهب أموال الآخرين، كشركائه في الإرث، أو دائنيه، أو المتعاملين معه، إنما يقوم بذلك انقيادًا لأهوائه وشهواته.

مشكلة الحضارة المادية

مشكلة الإنسان في هذا العصر خاصة، أنه يعيش في ظلّ حضارة مادية، تحرّض الأهواء والشهوات عند بني البشر، وتسوقهم للانقياد لها، فمثلًا على الصعيد الأخلاقي، نرى كيف تسعى دول واتجاهات غربية، لنشر ثقافة الابتذال الجنسي، وأنماط الانحراف السلوكي، كالمثلية، والتعري، وتشجيع العلاقات الجنسية المنفلتة.

وقد أقرّ مجلس الشيوخ الأمريكي (الثلاثاء ٢٩ نوفمبر ٢٠٢٢م) (مشروع قانون «لحماية زواج المثليين» في سائر أنحاء

مرجعية الشهوات والأهواء، وهي تدفع الإنسان نحو تحصيل اللذات والرغبات، وخدمة المصالح الذاتية الأنانية، دون مراعاة لأيّ قيم أو مبادئ.

وحين ينقاد الإنسان لأهوائه وشهواته، يتقلّص دور العقل والضمير في قراراته وسلوكه، فيضرّ نفسه، ويضرّ من حوله، ويصبح أداة لإفساد الحياة.

الولايات المتحدة).

وهنا يأتي دور الدين الذي يوجه الإنسان للإصغاء لصوت عقله ونداء ضميره، ويمنحه الإرادة والاستقامة لكبح جماح أهوائه وشهواته، حتى يكون هو المسيطر عليها، ولا تكون هي المسيطرة عليه، وبذلك يمتلك حريته الحقيقية.

وفور اعتماد هذا النص، قال الرئيس الأميركي (جو بايدن) في بيان إنه «مع إقرار مجلس الشيوخ اليوم بأصوات من الحزبين (الديمقراطي والجمهوري) قانون احترام الزواج، فإن الولايات المتحدة على وشك أن تعيد التأكيد على حقيقة أساسية: الحب هو الحب، ويجب أن يكون للأميركيين الحقّ في الزواج من الشخص الذي يحبونه»[1].

ومن الناحية العملية، يلغي هذا القانون كلّ التشريعات السابقة التي تحدّد الزواج على أنه ارتباط بين رجل وامرأة.

ويريد الغربيون فرض ثقافتهم وسلوكهم الشاذ على سائر الأمم والشعوب، وقد حاولوا استغلال مناسبة المونديال الرياضي في قطر ٢٠٢٢م للترويج لهذا السلوك الشاذ، لو لا الضوابط التي وضعتها الدولة المضيفة لإفشال محاولاتهم.

كما قام عدد من السفراء الغربيين برفع العلم الخاص بالمثليين في المناسبات المرتبطة بهم، على مباني سفاراتهم في بعض الدول الإسلامية، ونشروا تغريدات بهذا الخصوص، أثارت الامتعاض، وقُوبلت بالرفض والاستنكار في مجتمعات تلك الدول.

---

(١) موقع قناة الجزيرة، مجلس الشيوخ الأميركي يقرّ قانونًا «لحماية زواج المثليين»، ٣٠/ ١١/ ٢٠٢٢م.

الدين وتحرير الإنسان

وهنا يأتي دور الدين الذي يوجه الإنسان للإصغاء لصوت عقله ونداء ضميره، ويمنحه الإرادة والاستقامة لكبح جماح أهوائه وشهواته، حتى يكون هو المسيطر عليها، ولا تكون هي المسيطرة عليه، وبذلك يمتلك حريته الحقيقية، كإنسان يتميّز بمرجعية العقل والضمير، وينطلق منها في مواقفه وقراراته وسلوكه.

الرقيق قد فرضت عليه العبودية، بينما يختار عبد الشهوة الرّق لنفسه، ولأنّ الرقيق قد يفوز في آخرته، بينما يخسر عبد الشهوة آخرته، ولأنّ الرقيق يعيش إنسانيته وصدقه داخل نفسه، بينما يدمّر عبد الشهوة إنسانيته، ويسحق ضميره ووجدانه، وقد يدمر حياته ويعيش فيها مذلة العار والسقوط.

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات، الآيات: ٤٠-٤١].

وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «طُوبَى لِمَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ وَلَمْ تَغْلِبْهُ، وَمَلَكَ هَوَاهُ وَلَمْ يَمْلِكْهُ»(١).

وعنه عليه السلام: «عَبْدُ اَلشَّهْوَةِ أَذَلُّ مِنْ عَبْدِ اَلرِّقِّ»(٢).

لماذا يكون عبد الشهوة أذلّ من عبد الرق؟

لأنّ الرقيق قد فرضت عليه العبودية، بينما يختار عبد الشهوة الرّق لنفسه، ولأنّ الرقيق قد يفوز في آخرته، بينما يخسر عبد الشهوة آخرته، ولأنّ الرقيق يعيش إنسانيته وصدقه داخل نفسه، بينما يدمّر عبد الشهوة إنسانيته، ويسحق ضميره ووجدانه، وقد يدمر حياته ويعيش فيها مذلة العار والسقوط.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٨٢٠.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٤١.

ورأينا كيف أنّ رئيس أهم وأقوى دولة في العالم (الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون) واجه مذلة التحقيق والمحاسبة، وتلطّخ بالعار أمام شعبه، وأمام العالم، لاستجابته لشهوة جنسية.

ورأينا عددًا من رؤساء دول، وأصحاب مناصب ونفوذ، واجهوا مذلة المحاكمة والسجن، بتهم الفساد بسبب شهوة المال.

وفي بلادنا المملكة العربية السعودية تحدثت بيانات هيئة الرقابة ومكافحة الفساد (نزاهة)، عن قضاة كانوا موضع الثقة والتقدير، لكنهم خانوا الأمانة والدين والوطن، واستحقوا العقوبة والتشهير، بسبب انزلاقهم في مطب الشهوة والفساد.

وكم من إنسان دمرت حياته، وتحطّم مستقبله، وضاعت دنياه وآخرته، بسبب الانقياد لشهوة عابرة.

وقد نشر موقع بي بي سي (الخميس ١ ديسمبر ٢٠٢٢م) تقريرًا عن تعرّض عدد من الأثرياء والشخصيات في بعض الدول للاختطاف من قبل مسلّحين، وتعذيبهم والاستيلاء على أموالهم، عبر تطبيق مواعدة لترتيب لقاءات غرامية جنسية.

وذكر التقرير الذي نشر تحت عنوان: (كيف يستغلّ المجرمون تطبيقات المواعدة للإيقاع بالأثرياء؟) أحداثًا وإحصاءات عن مدينة (ساو باولو) أكبر وأغنى مدينة في البرازيل، أنّ «أكثر من ٩٠ في المئة من عمليات الخطف التي سجلتها الشرطة المحلية»، تتم عبر استدراج الراغبين في ممارسة الشهوات الجنسية من الأثرياء. حيث يتصل رجل بامرأة عبر تطبيق مواعدة، ويتبادل الرسائل معها، ويرتبان موعدًا للقاء وجهًا لوجه، وعندما يصل إلى المكان المتفق عليه، يختطفه مسلّحون.

وتخضع الضحية للتعذيب النفسي، وأحيانًا الجسدي، للاستيلاء على حساباته المصرفية.

هكذا يكون الانقياد للشهوة طريقًا للدمار والسقوط.

وهنا يأتي دور الدين في تحصين الإنسان من سيطرة الأهواء والشهوات، ليكون حرًّا حقيقيًّا، وحتى لا يقع في أذلّ رقّ وعبودية.

زواج الفاقدين لزوجاتهم[1]

الجمعة ١٥ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ | ٩ ديسمبر ٢٠٢٢م،

جاء في الكافي بسند موثق عن زرارة عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الإمام محمد الباقر عليه السلام، قَالَ: «أَوْصَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام إِلى عَلِيٍّ عليه السلام أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَةَ أُخْتِهَا مِنْ بَعْدِهَا، فَفَعَلَ»[2].

وجاء في رواية أنّ مما أوصت به فاطمة الزهراء عليها السلام لأمير المؤمنين علي عليه السلام قالت له: «يَا اِبْنَ عَمِّ: أُوصِيكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ بَعْدِي بِابْنَةِ أُخْتِي أُمَامَةَ فَإِنَّهَا تَكُونُ لِوُلْدِي مِثْلِي، فَإِنَّ اَلرِّجَالَ لاَ بُدَّ لَهُمْ مِنَ اَلنِّسَاءِ»[3].

من الطبيعي أن يترك فقد المرأة الصالحة فراغًا كبيرًا في حياة الرجل، وحزنًا عميقًا في نفسه.

فالمرأة هي محور حياة الأسرة، وعماد استقرارها، وهي ربّة البيت، ونوره وسراجه، ونبع العطف والحنان فيه.

لذلك فإنّ الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، يعتبر الزوجة الصالحة خير فائدة ومكسب يناله الرجل، بعد تقوى الله سبحانه، حيث ورد عنه صلى الله عليه وآله:

(١) بثت بعنوان: الزهراء عليها السلام ووصيتها الخاصة لعلي عليه السلام.
(٢) الكافي، ج٥، ص٥٥٥، حديث٦.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩١.

«مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ»[1].

كلما كانت المرأة أكثر عطاءً في حياتها العائلية، وأكثر اتصافًا بصفات الفضل والكمال، كان دورها وأثرها أكبر في حياة الرجل، وفي استقرار وسعادة كيان الأسرة.

وورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «مَا أَفَادَ عَبْدٌ فَائِدَةً خَيْرًا مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِذَا رَآهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»[2].

وكلما كانت المرأة أكثر عطاءً في حياتها العائلية، وأكثر اتصافًا بصفات الفضل والكمال، كان دورها وأثرها أكبر في حياة الرجل، وفي استقرار وسعادة كيان الأسرة.

وحين تُفقد مثل هذه المرأة، فلا يمكن وصف مدى الفراغ والحسرة والألم، الذي يعصف بنفس زوجها وأولادها.

ولأنّ سيّدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام هي النموذج الأمثل للمرأة الكاملة، فهي سيّدة نساء العالمين، وبضعة رسول الله صلى الله عليه وآله، لذلك كان وقع فقدها عظيمًا على نفس أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وقد عبّر الإمام عليه السلام عن عمق ألمه وحزنه في قوله بعد دفنها: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي»[3].

وينسب إليه عليه السلام أنه قال في رثائها:

نَفْسِي عَلَى زَفَرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَاتِ

(١) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب أفضل النساء، حديث ١٨٦٢.
(٢) الكافي، ج٥، ص٣٢٧.
(٣) نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٠٢، ومن كلام له عليه السلام عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام.

لَا خَيْرَ بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا أَبْكِي مَخَافَـةَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي[1]

زواج علي بعد فاطمة

ولأنّ أمر الحياة والممات بيد الله، لا يشركه في ذلك أحد، وأمره نافذ في جميع خلقه، فلا خيار إلّا التسليم لأمره والرضا بقضائه وقدره.

وأولياء الله هم في مقدّمة المسلِّمين لأمره، الراضين بقضائه وقدره، فإنّهم يتحلّون بالصبر والثبات عند المصائب، وإن عظم وقعها على نفوسهم، ويواصلون حياتهم حسب التعاليم الإلهية، ليكونوا نماذج وقدوات للعباد.

فمع كلّ الألم والحسرة، بفقد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، إلّا أنّ أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام بعد وفاتها، اختار زوجة تنتظم بها حياته العائلية.

وكانت الزهراء قد أوصته بذلك، واقترحت عليه زوجة معينة، كما ورد في الرواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام التي أخرجها الكليني في الكافي بسند موثّق: «أَوْصَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام إِلى عَلِيٍّ عليه السلام أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَةَ أُخْتِهَا مِنْ بَعْدِهَا، فَفَعَلَ»[2].

وجاء في روضة الواعظين وبصيرة المتعظين لأبي علي الفتّال النيشابوري (ت: ٥٠٨ هـ)، أنها عليها السلام أوصت عليًّا: «يَا اِبْنَ عَمِّ: أُوصِيكَ أَوَّلًا أَنْ تَتَزَوَّجَ بَعْدِي بِابْنَةِ أُخْتِي أُمَامَةَ فَإِنَّهَا تَكُونُ لِوُلْدِي مِثْلِي فَإِنَّ اَلرِّجَالَ لاَ بُدَّ لَهُمْ مِنَ اَلنِّسَاءِ»[3].

(١) بحار الأنوار، ج٢٢، ص ٥٤٧..
(٢) الكافي، ج٥، ص٥٥٥، حديث٦.
(٣) الشيخ أبو علي، محمّد بن الحسن المعروف بالفتّال النيسابوري، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، ج١، ص١٥١.

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة: (ولما كبرت أمامة، تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بعد موت فاطمة ﷺ، وكانت فاطمة وصت عليًّا أن يتزوجها، فلما توفيت فاطمة تزوجها)[1].

وأُمامة بنت أبي العاص بن الربيع، أمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وُلدت أمامة على عهد رسول الله ﷺ، وكان يحبّها، وحملها في الصلاة، وكان إذا ركع أو سجد تركها، وإذا قام حملها[2].

كما ذكر مثل ذلك أبو نعيم الأصفهاني في كتابه معرفة الصحابة، ج٦، ص٣٢٦٨.

وتشير بعض الروايات، إلى أنّ عليًّا بادر إلى الزواج من أمامة، بعد مدّة قصيرة من وفاة فاطمة الزهراء ﷺ، بل نقل الشيخ المجلسي في بحار الأنوار عن كتاب قوت القلوب: (أنه تزوج بعد وفاتها بتسع ليال)[3].

وقفتان اجتماعيتان

ولنا هنا وقفتان اجتماعيتان:

الوقفة الأولى: يواجه بعض الأزواج بعد وفاة زوجته نوعًا من التحسّس النفسي والعائلي، يعوّق سعيه للإقدام على الزواج من جديد. فيعيش الفراغ النفسي والعاطفي، ويرتبك برنامج حياته، وهذا خطأ كبير.

قد يكون هذا العائق من قبله، وقد يفرض عليه من قبل أبنائه وبناته، أو سائر أقربائه.

إنّ من يفقد زوجته تكون حاجته إلى الزواج حاجة ملحّة، فقد تعوّد

(١) عز الدين بن الأثير، أسد الغابة، ط العلمية، ج٧، ص٢٠.
(٢) ابن الأثير، أسد الغابة – ط العلمية، ج٧، ص٢٠، ترجمة رقم ٦٧٢٤.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٢، ص٩٢.

على وجود امرأة إلى جانبه، فشعوره بالفراغ بعد غيابها يكون كبيرًا، من الناحية النفسية، وفيما يرتبط بترتيب شؤون حياته المنزلية، إضافة إلى الجانب البيولوجي الغريزي.

وحتى لو تجاوز مرحلة الحاجة الغريزية الجنسية، فإنه لن يستغني عن امرأة تؤنسه وتساعده، وتبعد عنه مشاعر الوحدة والعزلة، وتكمل معه مشوار الحياة.

وهذا ما تؤكده الرواية الواردة عن فاطمة الزهراء عليها السلام في قولها: «فَإِنَّ اَلرِّجَالَ لاَ بُدَّ لَهُمْ مِنَ اَلنِّسَاءِ».

والنصوص الدينية التي تحث على الزواج وتذمّ العزوبة، تنطبق على الحالات المختلفة في حياة الرجل والمرأة، ولا تختصّ بمرحلة الشباب والقوة، ولا بالزواج الأول فقط، بل تحث الإنسان رجلًا وامرأة على العيش ضمن حياة زوجية، وتجنّب حياة العزوبة، في مراحل العمر المختلفة، يقول السيد محمد كاظم اليزدي في العروة الوثقى: (يستفاد من بعض الأخبار كراهة العزوبة، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «أراذل موتاكم العزّاب»، ولا فرق على الأقوى في استحباب النكاح بين من اشتاقت نفسه، ومن لم تشتق، لإطلاق الأخبار، ولأنّ فائدته لا تحصر في كسر الشهوة)(١).

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عليه السلام فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجَةٍ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ عليه السلام: إِنِّي مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ

وقد يتردد بعض الأزواج الفاقدين لزوجاتهم في قرار الزواج من جديد، من منطلق الإخلاص والوفاء للزوجة الراحلة، لكنّ ذلك يتحقق بالدعاء لها بالرحمة، وإهداء ثواب أعمال الخير لروحها، وليس بالعزوف عن الزواج.

(١) العروة الوثقى/ كتاب النكاح/ المسألة ١.

الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَإِنِّي بِتُّ لَيْلَةً لَيْسَتْ لِي زَوْجَةٌ»[1].

وقد يتردد بعض الأزواج الفاقدين لزوجاتهم في قرار الزواج من جديد، من منطلق الإخلاص والوفاء للزوجة الراحلة، لكنّ ذلك يتحقق بالدعاء لها بالرحمة، وإهداء ثواب أعمال الخير لروحها، وليس بالعزوف عن الزواج.

ولا أحد يستطيع المزايدة على وفاء رسول الله ﷺ لزوجته خديجة ﷺ، ووفاء أمير المؤمنين علي ﷺ لزوجته فاطمة ﷺ، لكنّهما لم يتأخرا في الزواج بعدهما.

ويحصل في بعض الحالات، أنّ أبناء وبنات الزوجة الراحلة أو أقربائها، يثبّطون عزيمة زوجها عن أخذ زوجة جديدة، بمبررات عاطفية، حيث يسوؤهم أن يروا امرأة أخرى تحلّ مكان أمهم، وهذه حالة عاطفية ساذجة، لا تأخذ بعين الاعتبار مصلحة الأب، وتسبب له ضررًا بالغًا.

وقد يكون المبرر الحقيقي عند بعض الأبناء، خوفهم من مشاركة الزوجة الجديدة في إرث أبيهم، لو قدّر الله وفاته، وهذه أنانية مقيتة، وحالة من الطمع والحرص، غير مقبولة شرعًا ولا عقلًا.

الوقفة الثانية: مدى استعداد الزوجة الجديدة، لاحتضان أبناء زوجها من زوجته الراحلة.

فإذا تركت الزوجة أبناءً صغارًا، فإنّ الزوج يحمل همّ تربيتهم، ويكونون بحاجة إلى من يفيض عليهم العطف والحنان بعد فقد أمهم، فهم يعيشون حالة من اليتم، ومشاعر الحزن، وانكسار النفس.

ومن أجل ذلك أوصت فاطمة الزهراء ﷺ عليًّا أن يتزوج ابنة أختها

(١) الكافي، ج٥، ص٣٢٩.

أمامة، حيث قالت: «فَإِنَّهَا تَكُونُ لِوُلْدِي مِثْلِي».

وحين تقوم الزوجة الجديدة بهذا الدور لأبناء زوجها، تنال بذلك عظيم الأجر والثواب، وتكسب أبناءً لم تتحمّل عناء حملهم وولادتهم.

لكن بعض النساء يترددن في الزواج ممن له أولاد صغار، من زوجة سابقة، هربًا من أعباء المشاركة في تربيتهم ورعايتهم، وهنّ بذلك يحرمن أنفسهن من أجر عظيم، وفضل كبير.

إنّ ديننا يحثّنا على كفالة الأيتام ورعايتهم، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ» وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ، يَعْنِي: السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى[1].

وعنه ﷺ: «إنّ في الجَنَّةِ دارا يُقالُ لَها دارُ الفَرَحِ لا يَدخُلُها إلاّ مَن فَرَّحَ يَتامَى المؤمنينَ»[2].

ونجد الآن في بلادنا وفي مختلف بلدان العالم، عوائل تبادر لاحتضان الأيتام، ومجهولي الأبوين، انطلاقًا من دوافع إنسانية تطوعية نبيلة، وطلبًا للأجر والثواب، فقد كشفت إحصائية رسمية، أنّ آلاف الأطفال اللقطاء في السعودية، يعيشون في كنف أسر في المملكة، مع تزايد الإقبال على تربيتهم؛ امتثالًا للعادات والتقاليد وتعاليم الشريعة الإسلامية، التي تحضّ على كفالة الأطفال الأيتام أو مجهولي الأبوين (اللقطاء).

وقالت عضو مجلس هيئة حقوق الإنسان في السعودية، سارة العبدالكريم في تصريحات لقناة «الإخبارية»، إنّ ١٢ ألف أسرة في

(١) صحيح الترمذي، حديث١٩١٨.
(٢) كنز العمال، حديث٦٠٠٨.

المملكة، تكفل أبناء من أبوين مجهولين، يعيشون معهم في منازلهم كأبناء لهم[1].

فإذا كانت هذه العوائل تحتضن أطفالًا لا تعرف أصلهم وفصلهم، فكيف تتردد بعض النساء في احتضان أبناء زوجها، ومن سيكونون إخوانًا لأولادها، وبمثابة أبناءٍ لها؟

إننا بحاجة لنشر ثقافة التكافل الاجتماعي، وتنمية روح التطوع والبذل والعطاء.

(١) نقلًا عن قناة الإخبارية. https://www.sarayanews.com/article/673163

التطوع خير الدنيا والآخرة

الجمعة ٢٢ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ | ١٦ ديسمبر ٢٠٢٢م.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٤].

كيف يستثمر الإنسان النعم التي يُغدقها الله تعالى عليه في هذه الحياة؟

إنّ النزعة الذاتية الساذجة، تدفع الإنسان لتوظيف هذه النعم في تحصيل الرغبات، والمصالح المادية الآنية.

لكنّ هذه النزعة الذاتية إذا خضع لها الإنسان، تحجب عنه البعد الروحي المعنوي في شخصيته، وتتجاهل انتماءه الاجتماعي، وتُغفل مستقبله الأخروي. فيكون همّه تلبية الرغبات المادية لذاته في هذه الحياة.

وهنا يأتي الهدي الإلهي، عبر الرسالات السماوية، ومن أعماق الضمير والوجدان الإنساني،

ليوجه الإنسان إلى الطريق الأمثل لاستثمار نعم الله عليه في هذه الحياة، وذلك بالاهتمام بالغير إلى جانب الذات.

قد يتصور الإنسان أنّ الأفضل له الاستئثار بما يحصل عليه من مكاسب وإمكانات، ومراكمتها وادّخارها لذاته، فيزداد فرحه كلّما ارتفع رصيده في حساباته البنكية، وتضاعفت ممتلكاته العقارية، ولا يريد أن ينقص منها شيء بالعطاء للآخرين، والإنفاق على المصالح العامة، لكنّ الله تعالى يؤكد للإنسان خطأ هذا التصور.

إنّ الله تعالى أعطاك هذه النعم، لتستفيد منها لذاتك، ولتبذل منها لغيرك، وتعطي منها للآخرين.

يقول تعالى: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٣].

والآية الكريمة تذكّر الإنسان بأنّ إمكاناته ليست من ذاته، وإنّما هي عطاء من الله، وهو مأمور بأن يعطي منها للآخرين.

ويقول تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ [سورة المنافقون،الآية: ١٠].

فأنت مطالب بالإنفاق مما رزقك الله.

وقد يتصور الإنسان أنّ الأفضل له الاستئثار بما يحصل عليه من مكاسب وإمكانات، ومراكمتها وادّخارها لذاته، فيزداد فرحه كلّما ارتفع رصيده في حساباته البنكية، وتضاعفت ممتلكاته العقارية، ولا يريد أن ينقص منها شيء بالعطاء للآخرين، والإنفاق على المصالح العامة، لكنّ الله تعالى يؤكد للإنسان خطأ هذا التصور.

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨٠].

إنّ البخل شرٌّ للإنسان؛ لآثاره السلبية المقيتة على نفسه، وعلى مكانته الاجتماعية، ولأنه سبب لغضب الله وعذابه يوم القيامة.

العطاء للذات

إنّ العطاء والبذل للآخرين هو في حقيقته عطاء للذات.

يقول تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٢].

ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ [سورة محمد،الآية: ٣٨].

ويقول تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٤].

إنّ التطوع والعطاء، وفي مقابله البخل والشّحّ، لا ينحصر في الجانب المالي، بل يكون في الفكر والجهد والجاه أيضًا.

فالعطاء كما هو مطلوب في مجال الإمكانات المالية، فإنه مطلوب أيضًا على مستوى القدرات الفكرية، والجهد البدني، والجاه الاجتماعي، وكذلك فإنّ البخل مرفوض في كلّ هذه المجالات.

وحين يتوفق الإنسان لتجاوز حالة الشّحّ والبخل، ويرتقي إلى ممارسة التطوع والعطاء، فإنه ينال الفلاح والفوز، ويكسب الخير في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٩، سورة التغابن، الآية: ١٦].

إنّ التطوع ينمّي المشاعر الإيجابية في نفس الإنسان، ويعزّز القيم الفاضلة في شخصيته، ويوثّق صلته بمحيطه الاجتماعي، ويحقّق له رضا الرّب، والنجاة والنعيم في الآخرة.

وإذا سادت روح التطوع والعطاء في المجتمع، يكون أكثر تماسكًا وقوة واستقرارًا.

تقدّم وتفاؤل

وبحمد الله تعالى، فإننا نشهد في مجتمعنا حراكًا تطوعيًّا، يزيدنا ثقة وتفاؤلًا في مستقبل هذا المجتمع.

وقد أبرزت الاحتفالية الجميلة التي شاركت فيها (٢٣) جمعية و(١٤) جهة مهتمة بالعمل التطوعي في منطقة القطيف، تحت مظلّة مركز التنمية الاجتماعية بالقطيف، بالشراكة مع جمعية سيهات، لتفعيل يوم التطوع السعودي والعالمي، تحت شعار (عطاء وطن)، أبرزت مستوًى متقدّمًا من التفاعل والتجاوب الاجتماعي، مع مؤسسات العمل التطوعي.

بدأ الملتقى فعالياته في قاعة الأمير فيصل بن فهد للمناسبات بسيهات، يوم الاثنين ١٢ ديسمبر، واستمرّ حتى يوم الخميس ١٤ ديسمبر.

كان الملتقى مناسبة رائعة، تجتمع فيها جهات العمل التطوعي تحت سقف واحد، وبجهد تشاركي، لإتاحة الفرصة لاطلاع الجمهور على مشاريع وإنجازات هذه الجمعيات والمؤسسات، ولإذكاء روح التنافس والتسابق نحو الخيرات.

خُصّصت فيه مسابقة لأفضل مشروع تطوعي، وتكريم (٣) متطوعين حازوا أكثر عدد من الساعات التطوعية لكلّ جمعية، فكان عددهم (٦٦) متطوعًا حاز هذه الجائزة.

إلى جانب تكريم (٥) من روّاد العمل التطوعي لكلّ جمعية، وبلغ عددهم (١٣٠) شخصًا.

جزى الله القائمين على هذه الفاعلية الرائعة خير الجزاء، وشكرًا لمئات المتطوعين الذين شاركوا فيها من أبناء وبنات المجتمع، ولمن حضر وتفاعل مع هذا الحفل الرائع البهيج.

ونتطلّع إلى المزيد من عطاء الخيّرين في المجتمع.

تطلّعات وآمال

إنّ المأمول **أولًا**: مزيد من الإقبال من أبناء المجتمع، لرفد هذه الجمعيات والمؤسسات التطوعية.

ثانيًا: استكمال منظومة العمل التطوعي التخصصي.

فلا تزال هناك كثير من المجالات الشاغرة في المجتمع، على الصعيد الصحي والتعليمي والبيئي والثقافي، تنتظر مبادرات لتأسيس جمعيات تطوعية، خاصة وأنّ بلادنا تطمح ضمن رؤية ٢٠٣٠ للوصول إلى رقم مليون متطوع.

ثالثًا: تعزيز ونشر ثقافة العمل التطوعي، داخل الأسرة، وفي المدرسة، وفي الإعلام، وعبر الخطاب الديني.

احترام الآخر الديني

الجمعة ٢٩ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ | ٢٣ ديسمبر ٢٠٢٢م.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[سورة الحج، الآية: ١٧].

بمناسبة أعياد ميلاد المسيح نبي الله عيسى بن مريم ﷺ، التي يحتفي بها المسيحيون، وهم من أكثر أتباع الديانات عددًا ونفوذًا في العالم، لذلك أصبحت هذه المناسبة توقيتًا عالميًّا، نريد أن نتأمل في بعض الآيات القرآنية التي يمكننا أن نستنتج منها رؤية حول تعدّد الديانات، والتعامل مع أتباعها.

الاعتراف والقبول بوجود الآخر

أولًا: نلحظ في الآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. [سورة الحج، الآية:

١٧] اعترافًا وقبولًا بوجود أتباع الديانات المختلفة، وتسميتهم بأسماء دياناتهم، وقد تكرّر مثل هذا الاعتراف في آيتين أخريين.

ففي سورة البقرة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

القرآن الكريم يلفت نظر المؤمنين به إلى حقيقة واقعية، هي وجود مجتمعات ذات ديانات أخرى، تتمسّك بدياناتها، ولا تنضوي تحت راية الإسلام.

فلا بُدّ من الإقرار والاعتراف بوجودها، وتنظيم العلاقة معها.

وفي سورة المائدة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

مع تأكيد القرآن الكريم على أحقية الشريعة الإلهية التي جاء بها النبي محمد ﷺ، وأنّها خاتمة الشرائع الإلهية، وأنّ على كلّ من بلغته هذه الدعوة الإلهية أن يتبعها، فالنبي محمد ﷺ رسول إلى البشرية جمعاء.

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ، الآية: ٢٨].

لكنّ القرآن الكريم يلفت نظر المؤمنين به إلى حقيقة واقعية، هي وجود مجتمعات ذات ديانات أخرى، تتمسّك بدياناتها، ولا تنضوي تحت راية الإسلام.

فلا بُدّ من الإقرار والاعتراف بوجودها، وتنظيم العلاقة معها.

وقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن أتباع الديانات الأخرى، وسبل التعامل معهم.

وفي هذه الآيات إشارة إلى استمرار وبقاء تعدّدية الديانات، والاختلاف بين أتباعها حول أحقية كلٍّ منها إلى يوم القيامة، فالفصل والحسم هناك يكون من قبل الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٣].

ويقول تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ * وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة الحج، الآيات: ٦٧-٦٩].

ولعلّ تكرار الإشارة إلى هذه الحقيقة، في عدد من الآيات الكريمة، يستهدف معالجة حالة الحماس والاندفاع، عند بعض أتباع كلّ ديانة، لإنهاء وجود الديانة الأخرى.

كما تؤكد الآيتان (٦٢ من سورة البقرة، و٦٩ من سورة المائدة) أنّ المعيار عند الله هو الإيمان بالمبدأ والمعاد، والعمل الصالح، وليس التسميات والعناوين.

يكسب الطفل اللغة والعادات وأنماط الحياة من عائلته التي يتربى في أحضانها، كذلك يتشرّب معتقدها الديني، وينشأ على حبّ ذات الرموز والمقدّسات التي تؤمن بها عائلته، ويلتزم مذهبها ومسلكها.

الدين نشأة عائلية اجتماعية

ثانيًا: تشير الآيات القرآنية إلى أنّ غالب الناس يتلقون دينهم عبر نشأتهم العائلية، ويرثونه من آبائهم وأسلافهم.

يقول تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٢٢].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٢٣].

وروى ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجّسَانِهِ»(١).

كما يكسب الطفل اللغة والعادات وأنماط الحياة من عائلته التي يتربى في أحضانها، كذلك يتشرّب معتقدها الديني، وينشأ على حبّ ذات الرموز والمقدّسات التي تؤمن بها عائلته، ويلتزم مذهبها ومسلكها.

هذا هو واقع الناس الديني في كلّ الأزمنة والبقاع، وهو السبب الرئيس لبقاء الأديان والمذاهب، حيث تتوارثها الأجيال عن طريق التربية والتنشئة.

فمن يولد ويتربّى في عائلة مسيحية كاثوليكية يصبح مسيحيًّا كاثوليكيًّا، وسيكون أرثوذكسيًّا لو ولد من عائلة أرثوذكسية، أو بروتستانتيًا إن تربى في أسرة بروتستانتية.

وكذلك من يولد في أسرة يهودية، يصبح يهوديًّا على مذهب أسرته، والشيء ذاته يحصل لدى العوائل الإسلامية، حيث يكون أبناؤها مسلمين على مذاهب أهلهم، سنة وشيعة وغيرها.

وقد يفارق الإنسان فيما بعد دين أهله ومذهب عائلته، إلى دين ومذهب آخر يقتنع به، لكنها تبقى حالات استثنائية، قياسًا إلى واقع الحال العام في مسيرة المجتمعات البشرية.

(١) صحيح البخاري، حديث١٣٥٨.

كما أنّ للبيئة التي يعيش فيها الإنسان، دورًا في تعزيز ما ورثه من دين، حيث يصبح هوية اجتماعية، ويجد الإنسان نفسه منساقًا للتفاعل والتكيّف مع بيئته، ليحظى بحمايتها ولا يكون شاذًا عنها، منبوذًا من قبلها.

إنّ معظم الناس في مختلف الأديان والمذاهب، لا يتعاطون مع المعتقد الديني كمسألة شخصية وقرار فردي، كما هو الواجب عقلًا على الإنسان، بل يتعاطون مع المعتقد كخيار اجتماعي، فيوفّرون على أنفسهم عناء التفكير فيه، ومسؤولية البحث في الخيارات البديلة.

لذلك يشعر أتباع كلّ دين ومعتقد بالرضا عمَّا هم عليه، وتوحي لهم أجواء التوافق العام في مجتمعهم بالثقة في معتقدهم، خاصة وهم ينشأون على حبٍّ وتقديس زعامات وقيادات تأخذ في نفوسهم موقع التأثير والإجلال، ولا يتصورون أنّها تسير بهم على خطأ، أو توجههم لباطل.

وهذا ما نبّه إليه الإمام جعفر الصادق بعض أتباعه، ممن بدا منهم الحماس والاندفاع في دعوة الآخرين إلى المعتقد والمذهب، قال عليه السلام: «لاَ تُخَاصِمُوا اَلنَّاسَ لِدِينِكُمْ فَإِنَّ اَلْمُخَاصَمَةَ مَمْرَضَةٌ لِلْقَلْبِ... ذَرُوا اَلنَّاسَ فَإِنَّ اَلنَّاسَ أَخَذُوا عَنِ اَلنَّاسِ»[1].

ويقول تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].

فكلّ أمة يعيش أبناؤها الرضا عن دينهم، والاقتناع بانتمائهم.

---

(١) الكافي، ج١، ص١٦٦.

لا إكراه في الدين

ثالثًا: عدم إمكانية الغاء أتباع أيّ ديانة، أو قسرهم وقهرهم على ترك ديانتهم.

إنّ الدين كعقيدة ورأي، شأن يرتبط بداخل الإنسان وأعماق نفسه وقلبه، ولا يمكن أن تفرض عليه دون اقتناع منه، وقد يضطر في حال القهر أن يتظاهر بالقبول والاقتناع، لكنه في الحقيقة غير معتقد ولا مقتنع، وإذا ما سنحت له الفرصة بزوال القهر، فسيعلن رأيه، ويمارس ديانته.

يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦].

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية: ٩٩].

ويقول تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٠].

احترام إنسانية الآخر وحقوقه

رابعًا: إنّ التعامل مع أتباع الديانات الأخرى، ينطلق من احترام إنسانيتهم واختيارهم، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٠].

فكلّ بني آدم مشمولون بمنحة الكرامة الإلهية، على اختلاف أديانهم وتوجهاتهم، حيث لم تقل الآية ولقد كرمنا المسلمين أو المؤمنين.

وورد عن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا

نَظِيرٌ لَكَ فِي اَلْخَلْقِ»[1].

ويقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨].

والتعامل الحسن مع الآخرين يقدّم لهم صورة مشرقة عن انتمائك ودينك.

إنّ احترام إنسانية الآخر واختياره، هو القاعدة للتعايش السلمي بين الناس.

ورد عن الإمام محمد الباقر ﷺ: «صَلاَحُ شَأْنِ اَلنَّاسِ اَلتَّعَايُشُ»[2].

إنّ البعض يصْعُبُ عليه أن يعترف للآخرين بحقّ الاختيار لتوجهاتهم وآرائهم، ويرى أنّ كلّ من خالفه في الدين أو المذهب، أو الاتجاه الفكري، فهو خبيث وسيّئ ومغرض، وهذه نظرة خطأ، غالبًا ما يكون سببها العقد النفسية، أو الروح العنصرية، أو ضيق الفكر.

إنّ ما تراه حقًّا قد لا يراه الآخر كذلك، لذلك يشير القرآن الكريم إلى أنّ أكثر الناس لا يعلمون.

يقول تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٧].

ويقول تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٧].

وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن مسعود: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النبيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِياءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، فَهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن

(١) نهج البلاغة، رسالة رقم، ٥٣، ومن كتاب له ﷺ كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.
(٢) بحار الأنوار، ج٧١، ص١٦٧.

وجْهِهِ، ويقولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»[1].

ولقد ورد أنّ النبي محمدًا ﷺ بعد ما أصابه العنا والأذى في أحد، قيل له: لو دعوت عليهم، فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، فإنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[2].

دعا لهم بالهداية ولم يدعو عليهم بالهلاك والنار.

(١) صحيح البخاري، حديث٦٩٢٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٠، ص١١٦، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج١، ص١٠٥.

العام الجديد بين الاسترسال والمراجعة

الجمعة ٦ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ | ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٢م.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «تَخَيَّرْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ خُلْقٍ أَحْسَنَهُ فَإِنَّ اَلْخَيْرَ عَادَةٌ»(١).

تتشكل حياة الإنسان من مجموعة من العادات، تشمل جميع جوانب حياته.

فمعظم ممارسات الإنسان يؤديها بطريقة معينة اعتاد عليها وألفها، فنومه ويقظته، وأكله وشربه، وكلامه وحركته، وتعامله مع الناس والأشياء، وسائر الأمور، كلّها تتم بصورة تلقائية دون مجهود عقلي أو تركيز.

إنّ أيَّ عمل جديد يقوم به الإنسان، يحتاج في البداية إلى جهد نفسي، وتركيز عقلي، لاتخاذ قرار القيام بذلك العمل، ثم لاختيار طريقة أدائه وانجازه، لكنه بالممارسة والتكرار يصبح سلوكًا

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٢٤.

روتينيًا، يؤديه بعفوية ويسر.

تتكون عادات حياة الإنسان بداية، من تأثيرات البيئة التي يتربى وينشأ فيها، ثم يكون لثقافته ومعارفه وظروف حياته، ونمط شخصيته وصفاته النفسية، تأثير على نوعية العادات التي تتشكل في حياته، وعلى طريقة أدائه وانجازه للأعمال والممارسات التي يقوم بها.

كقيادة السيارة، أو الرياضة، أو الخطابة، أو الكتابة، أو استخدام الكمبيوتر وسائر الأجهزة، وكذلك مختلف الأعمال، فقد يتهيّب الإنسان بعضها في البداية، ويتردد في القيام بها، ويتحمّل شيئًا من الصعوبة في أدائها، ثم تصبح أمرًا سهلًا بعد أن يتعوّدها ويألفها.

إنّ النسبة الأكبر من حركة الإنسان وممارساته، هي من النوع الذي تحكمه العادة، والطريقة المألوفة عند الإنسان، وهناك نسبة محدودة من الممارسات الجديدة التي قد تطرأ على برنامج الإنسان، فإذا تكررت أخذت المسار ذاته.

لذلك يكاد الإنسان يكون مجموعة عادات تمشي على الأرض.

تشكيل العادة ورسوخها

تتكون عادات حياة الإنسان بداية، من تأثيرات البيئة التي يتربى وينشأ فيها، ثم يكون لثقافته ومعارفه وظروف حياته، ونمط شخصيته وصفاته النفسية، تأثير على نوعية العادات التي تتشكل في حياته، وعلى طريقة أدائه وانجازه للأعمال والممارسات التي يقوم بها.

وتتعزّز العادة في حياة الإنسان كلّما استمر عليها زمنًا أطول، بحيث يصعب عليه تجاوزها، والتخلي عنها. مع قدرته على ذلك لو تحلّى بالإرادة والعزم.

صحيح أنّ «لِلْعَادَةِ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ سُلْطَانٌ»[1] كما ورد عن الإمام علي عليه السلام، لكنه سلطان يمكن مقاومته.

تغيير العادات والسلوك

قد يواجه الإنسان صعوبة في تغيير بعض عاداته، فإذا ما قرّر التغيير، وتسلّح بالإرادة، وقاوم الرغبة والميل إلى تلك العادة، فإنه يحقّق التغيير ويتجاوز تلك العادة.

وهذا ما نراه في حياة كثير من الناس، من ذوي الإرادة والوعي، فهناك من يتوفق لترك بعض المعاصي والمنكرات بعد زمن من ممارستها، وهناك كثير ممن ترك عادة لازمته زمنًا طويلًا كالتدخين والمخدرات، وما كان يتصور أن يكون قادرًا على تركها.

إنّ مشكلة الإنسان هي الاسترسال، وأصل معنى الاسترسال: هو الاستمرار في السير أو الكلام أو العمل، دون التفات أو توقف.

من هنا جاءت النصوص الدينية تشجع الإنسان على التسلح بالإرادة لمقاومة سلطان العادة.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «بِغَلَبَةِ اَلْعَادَاتِ اَلْوُصُولُ إِلَى أَشْرَفِ اَلْمَقَامَاتِ»[2].

وورد عنه عليه السلام: «غَالِبُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى تَرْكِ اَلْعَادَاتِ وَجَاهِدُوا أَهْوَائَكُمْ تَمْلِكُوهَا»[3].

وعلى الإنسان أن يستثمر الفرص والظروف المساعدة لمراجعة بعض عاداته وأساليب حياته، حتى يتجاوز العادات السيئة، والأساليب الخطأ، وقد لا تكون العادة سيئة والأسلوب خطأ، لكنّها أقلّ جودة، فعليه أن يرتقي إلى العادة الأجود والأسلوب الأفضل.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٠٣.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٠٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٧٣.

وورد عنه عليه السلام: «غَيِّرُوا اَلْعَادَاتِ تَسْهَلُ عَلَيْكُمُ اَلطَّاعَاتُ»[1].

وورد عنه عليه السلام: «ذَلِّلُوا أَنْفُسَكُمْ بِتَرْكِ اَلْعَادَاتِ وَقُودُوهَا إِلَى فِعْلِ اَلطَّاعَاتِ»[2].

العام الجديد فرصة للمراجعة

وعلى الإنسان أن يستثمر الفرص والظروف المساعدة، لمراجعة بعض عاداته وأساليب حياته، حتى يتجاوز العادات السيئة، والأساليب الخطأ، وقد لا تكون العادة سيئة، والأسلوب خطأ، لكنّها أقلّ جودة، فعليه أن يرتقي إلى العادة الأجود والأسلوب الأفضل.

وهذا ما يشير إليه الإمام علي عليه السلام فيما ورد عنه: «تَخَيَّرْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ خُلْقٍ أَحْسَنَهُ فَإِنَّ اَلْخَيْرَ عَادَةٌ»[3].

ومن الفرص المناسبة، والظروف المساعدة لتغيير العادات، التحولات الزمنية، كبداية العام الجديد، خاصة مع وجود الأجواء المصاحبة للانتقال من عام يأفل، إلى عام جديد يطلّ على الحياة.

وهناك دعاء يثير في نفس الإنسان التطلع للتحول والتغيير إلى الأفضل، في العام الجديد، فقد ورد في بعض المصادر أنه يقرأ في بداية العام الجديد، «يَا مُحَوِّلَ الْحَوْلِ وَالْأَحْوَالِ، حَوِّلْ حَالَنَا إِلَى أَحْسَنِ الْحَالِ». وَبِرِوَايَةٍ أُخْرَى: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ يَا مُدَبِّرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَا مُحَوِّلَ الْحَوْلِ وَالْأَحْوَالِ حَوِّلْ حَالَنَا إِلَى أَحْسَنِ الْحَالِ»[4].

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٧٢.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٢٥٥.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٢٤.
(٤) محمد باقر المجلسي، زاد المعاد، ص٣٢٨.

إنّ من وظائف الدعاء إثارة التطلّعات السامية والطموحات الراقية في نفس الإنسان، وتحفيزه للسعي من أجل تحقيقها، فحينما يطلب الإنسان من الله شيئًا، عليه أن يسعى ويبذل جهده للوصول إلى مطلبه، فيرفده الله تعالى بالدعم والتوفيق لإنجازه وتحقيقه، وإلّا فإنّ «اَلدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلاَ وَتَرٍ»[1] كما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

إنّ على الإنسان وهو يستقبل عامًا جديدًا ضمن المتداول في بيئته ومحيطه، فهناك تواريخ مختلفة لرأس السنة باختلاف الثقافات، حيث تبدأ السنة عند المسلمين حسب التقويم الهجري، بشهر المحرم. بينما تبدأ السنة الميلادية الجديدة عند المسيحيين بالأول من شهر يناير كانون الثاني. كما يبدأ العام الفارسي والكردي الجديد في ٢٠-٢١ آذار/ مارس من كلّ عام ويسمّونه (نوروز)، أي اليوم الجديد. وهناك بداية العام الصيني، وبداية العام الكوري، وبداية العام الأمازيغي، وغيرها.

عليه أن يقوم بمراجعة لسيرته وسلوكه، ولا يبقى مسترسلًا مع عاداته وأساليبه دون إعادة نظر وتفكير. فإذا وجد لديه عادة أو سلوكًا خطأ، أو مرجوحًا، فليقرّر تغييره وتجاوزه في السنة الجديدة. وليفكر في إنشاء عادات جديدة حسنة مفيدة لدنياه وآخرته.

فيما يرتبط بإدارته لذاته، في الجانب الصحي والمعيشي، والثقافي والعبادي، وفيما يرتبط بعلاقته مع من حوله من أسرته وأقربائه وأصدقائه وأبناء مجتمعه.

---

(١) نهج البلاغة، حكمة، ٣٣٧.

حين تختلف وجهات النظر

الجمعة ١٣ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ | ٦ يناير ٢٠٢٣م.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا»(١).

اختلاف وجهات النظر بين الناس، في مختلف القضايا والأمور شيء طبيعي، وذلك لعوامل وأسباب عديدة، منها:

١. تفاوت مستوى الإدراك والفهم، فبعض الناس يكون أكثر دقة وذكاءً وعمقًا، في تناول المسائل والأمور، مما يوصله لاستنتاجات قد لا يصل إليها من هو أقلّ منه إدراكًا وذكاءً.

٢. مدى توفر المعطيات العلمية والموضوعية في بحث أيّ قضية أو مسألة، فمن تتوفر له معلومات أكثر، قد يختلف رأيه عمّن يفتقد تلك المعلومات.

(١) نهج البلاغة، حكمة: ٣٥٢.

من هنا قال الخضر لموسى كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [سورة الكهف، الآيات: ٦٧-٦٨].

٣. اختلاف زاوية النظر للقضية والأمر. والذي قد يؤثر على تكوين الرأي والموقف حولها.

٤. الخلفية الفكرية والنفسية، فالإنسان ليس جهازًا آليًا محايدًا كالكمبيوتر، بل هو كائن ذو مشاعر وأحاسيس، وانطباعات وتصورات، وحين تتباين الخلفيات، قد تختلف الاستنتاجات والآراء.

٥. الأمراض الأخلاقية والنزعات المصلحية، بأن يتبنّى الانسان وجهة نظر، انطلاقًا من حالة عناد، أو مناوءة لأحد، أو خدمة لغرض ومصلحة شخصية أو فئوية.

تفسير وجهة النظر الأخرى

ونلحظ هنا عدّة مناشئ لاختلاف وجهات النظر، وتكمن حالة السوء والانحراف في الأخير منها.

فعندما تواجه اختلافًا مع أحد في الرأي، عليك أن تفسّر بأحد التفسيرات الإيجابية، ولا تلجأ إلى التفسير السلبي، إلّا إذا كانت لديك معطيات وأدلة تثبته، وليس مجرّد تخمين وظن.

إنّ اتهام الآخر بأنه ينطلق من سوء وخبث في وجهة نظره، دون دليل قاطع، هو سوء ظنٍّ منهي عنه شرعًا وأخلاقًا. فكما لا ترضى أن يساء الظنّ بك، لا يصح لك إساءة الظنّ بغيرك.

إنّ اتهام الآخر بأنه ينطلق من سوء وخبث في وجهة نظره، دون دليل قاطع، هو سوء ظنٍّ منهي

عنه شرعًا وأخلاقًا. فكما لا ترضى أن يساء الظنّ بك، لا يصح لك إساءة الظنّ بغيرك.

وسوء الظنّ من كبائر المعاصي والذنوب. إنّ الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٢].

وكثير من الظنّ الذي يعتري الإنسان تجاه الآخرين، هو الظنّ السيئ الذي يجب اجتنابه، حتى لا يقع في الإثم، أما الظنّ الإيجابي فهو أمر حسن.

ورد عن رسول الله ﷺ: «اطْلُبْ لِأَخِيك عُذْرًا فَإِنْ لَمْ تَجِدْ لَهُ عُذْرًا فَالْتَمِسْ لَهُ عُذْرًا»(١).

وعن الإمام علي عليه السلام: «لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا»(٢).

لا يصح للإنسان أن يتهم الآخرين في دينهم، بأن يحكم عليهم بالضلال أو الابتداع، أو العناد أو الغرض السيئ، دون أن يمتلك دليلًا قاطعًا على ذلك.

وعنه عليه السلام: «سُوءُ الظَّنِّ يُفسِدُ الأُمورَ ويَبعَثُ على الشُّرورِ»(٣).

وعنه عليه السلام: «حُسْنُ الظَّنِّ راحَةُ الْقَلْبِ وَسَلامَةُ الدّينِ»(٤).

وعنه عليه السلام: «مَن حَسُنَ ظَنُّهُ بِالناسِ حازَ

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٩٧، ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام. كما في عيون الحكم والمواعظ، ص٨٦.
(٢) نهج البلاغة، حكمة: ٣٥٢.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٩٩.
(٤) عيون الحكم والمواعظ، ص٢٢٩.

مِنهُمُ الَمحَبَّةَ»[1].

ونريد أن نركز على مجالين من سوء الظنّ واتهام الآخر، عند اختلاف وجهات النظر.

وجهات النظر الفكرية والدينية

المجال الأول: الاختلاف في وجهات النظر الفكرية والدينية، حيث تتنوع وجهات النظر بين الناس في أمور الدين، حتى ضمن الدين الواحد، والمذهب الواحد. إما لاختلاف الاجتهاد، أو لاختلاف التقليد للمجتهدين، أو لاختلاف المدرسة الفكرية، أو لاختلاف القناعات، والاطمئنان إلى بعض الآراء والمواقف.

وهنا لا يصح للإنسان أن يتهم الآخرين في دينهم، بأن يحكم عليهم بالضلال أو الابتداع، أو العناد أو الغرض السيئ، دون أن يمتلك دليلًا قاطعًا على ذلك.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَنِ اتَّهَمَ أَخَاهُ فِي دِينِهِ، فَلَا حُرْمَةَ بَيْنَهُمَا»[2]، أي يكون قد انتهك حرمته، وتجاوز حقّ أخوته الدينية.

وتصل حالة الوعي والورع بالإنسان المؤمن إلى إعذار مخالفه في الرأي، وإن كان حادًّا في موقفه تجاهه، أو كان رأيه ضعيف المستند. كما في القصتين التاليتين:

ينقل الأولى منهما المرجع الديني المعاصر السيد موسى الزنجاني، وهي أنه كان الشيخ الحاج محمد إبراهيم الكلباسي، والسيد محمد باقر حجة الإسلام الشفتي، المرجعين الأولين في أصفهان، لكن طريقة كلٍّ

(١) المصدر نفسه، ص٤٦٢.
(٢) الكافي، ج٢، ص٣٦١.

منهما كانت مختلفة تمامًا عن الآخر.

كان الشيخ الكلباسي يدفن سهم الإمام؛ لأنه يتبنّى هذا الرأي، بأنّ سهم الإمام من الخمس، يحفظ للإمام بدفنه، لوجود خبر يقول: «إنّ الأرض تُظهر كنوزها عند ظهور القائم، وأنه إذا قام دلّه الله على الكنوز فيأخذها من كلّ مكان» في حين أنّ السيد الشفتي كلّف أشخاصًا بمراقبته، لمعرفة مكان المال الذي يدفنه، ليستخرجه ثم يصرفه في محلّه.

مع هذا الاختلاف الكبير في طريقة العمل، كانا في منتهى الصداقة معًا بشكل استثنائي.

عندما يكون الإيمان والتقوى حقيقيين في نفس الإنسان، فإنّ اختلاف الرأي لا يؤثر على الصداقة[1].

أنموذج للورع والإنصاف

وكان الفقيه المحدّث الشيخ يوسف البحراني (ت: ١١٨٦هـ) صاحب (الحدائق الناضرة)، على خلاف شديد مع العلامة الشيخ محمد باقر الشهير بالوحيد البهبهاني (ت: ١٢٠٦هـ)، في موضوع الأصوليين والإخباريين، فالشيخ البحراني زعيم مدرسة المحدّثين الإخباريين، والوحيد البهبهاني، زعيم المدرسة الأصولية، وكان يردّ آراء الشيخ يوسف بعنف، ووصل به الأمر إلى أن

ففي أيّ عمل جمعي، قد تختلف وجهات النظر بين أعضاء الفريق، ويجب أن يتحاوروا ويتناقشوا لإنضاج آرائهم وتقريبها، والتوافق تجاهها، فإذا لم يتفقوا في وجهات النظر فليعذر بعضهم بعضًا، وليحتكموا إلى النظام الإداري المعتمد لديهم. ولا يصح إساءة الظنّ، واتهام أيّ طرف للآخر، بسوء القصد والغرض.

(١) من سيرة العلماء على لسان السيد موسى الزنجاني، ترجمة الشيخ محسن آل مبارك، ص٧٨.

أفتى ببطلان الصلاة خلف الشيخ يوسف البحراني، لكنّ الشيخ يوسف أفتى بصحة الصلاة خلف الوحيد[1].

روى الشيخ عبد الله المامقاني في كتاب (تنقيح المقال) عن أبيه أن المولى البهبهاني سئل عن الصلاة خلف الشيخ يوسف صاحب الحدائق – وكانا معاصرين – فقال: لا تصح.. وسُئل الشيخ يوسف عن الصلاة خلف البهبهاني؟. فقال: تصح.. فقيل له: كيف تصححها خلف من لا يصحح الصلاة بصلاتك؟!.. قال: وأيّ غرابة في ذلك؟! إنّ واجبي الشرعي يحتم عليَّ أن أقول ما أعتقد، وواجبه الشرعي يحتم عليه ذلك، وقد فعل كلٌّ منّا بتكليفه وواجبه .. وهل تسقط عنه العدالة لمجرد أنه لا يصحح الصلاة خلفي؟!..

وللشيخ محمد جواد مغنية تعليق على هذه القصة الرائعة يقول مشيرًا إلى الشيخ يوسف البحراني: أرأيت هذا القلب الكبير الذي لا يخفق بغير الإيمان؟.. أرأيت هذا الصدر الرحب الذي يتسع للعدالة، وإن تكن عليه لا له؟.. أرأيت هذه النفس التي لا تعرف إلّا الصدق والإنصاف والتواضع.. وليس من شك أنّ هذا المنطق غريب على أكثرية شيوخ هذا العصر؛ لأنّ كلّ شيخ من هذه الأكثرية أو الكثرة يرى الدين مجسّمًا في شخصه بالذات.. فعدم الثقة به معناه عدم الثقة بالدين، وهذا عنده حدّ الكفر أو الفسق على الأقلّ.

والآن – أيّها القارئ – هل ظهر لك الفرق بين الأنانيين والمزيّفين الذين يكيّفون الدين حسب شهواتهم وأهوائهم، وبين صاحب الحدائق الذي اتقى الله حقًّا، ونطق بكلمة الحقّ والإخلاص، مؤثرًا أمر الله

(١) الشيخ علي البلادي البحراني، أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ج١، ص٤٣٥.

ورضاه على نفسه وهواه[1].

وجهات النظر في العمل الاجتماعي

المجال الثاني: الاختلاف في وجهات النظر ضمن المؤسسات الأهلية والاجتماعية، كإدارة الجمعيات والأندية والمساجد والمآتم والمواكب واللجان والهيئات.

ففي أيّ عمل جمعي، قد تختلف وجهات النظر بين أعضاء الفريق، ويجب أن يتحاوروا ويتناقشوا لإنضاج آرائهم وتقريبها، والتوافق تجاهها، فإذا لم يتفقوا في وجهات النظر تجاه برنامج أو قضية، فليعذر بعضهم بعضًا، وليحتكموا إلى النظام الإداري المعتمد لديهم. ولا يصح إساءة الظنّ، واتهام أيّ طرف للآخر، بسوء القصد والغرض.

ذلك أنّ الله هو العالم بما في القلوب والنيّات.

عن أسامة بن زيد قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا[2] الْحُرَقَاتِ[3] مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ ﷺ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟»[4].

(١) محمد جواد مغنية، مع علماء النجف، طبعة ١٩٩٢، دار ومكتبةالهلال، بيروت، ص٧٤.
(٢) فصبحنا القوم: أي فاجأناهم وهجمنا عليهم في الصباح قبل أن يشعروا.
(٣) الحرقات: بطن من جهينة.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، حديث١٦٩.

كيان الأسرة والاختراقات العاطفية

الجمعة ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ | ١٣ يناير ٢٠٢٣م.

جاء في سنن الترمذي والمستدرك على الصحيحين ومسند أحمد بن حنبل عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمُرُّ بِبَابِ فَاطِمَةَ عليها السلام سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، يَقُولُ: «الصَّلَاةُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[1].

إنّ غرض هذا الحديث وأمثاله إبراز مكانة أهل البيت عليهم السلام، وتقديمهم كأسرة نموذجية تقتدي بها أجيال الأمة. كونها أسرة تعيش الاستقرار والانسجام في أعلى درجاته، وتجسّد التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية.

وما أحوج مجتمعاتنا إلى نموذج الأسرة الصالحة الناجحة، خاصة ونحن نعيش عصرًا تواجه فيه الأسرة تحدّيات خطيرة، تهدّد وجودها وتماسكها.

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٨٧، حديث: ٤٨١٢. مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص٢٨٥، سنن الترمذي، ج٥، ص٣٥٢.

ففي معظم المجتمعات المعاصرة، هناك ظاهرة التفكك الأسري، وتزايد حالات الطلاق، وكثرة المشاكل والنزاعات الأسرية.

وللتفكك الأسري تداعيات وآثار على الصحة النفسية لأبناء المجتمع، وعلى الأمن الاجتماعي العام، حيث يُنتج حالاتٍ من القلق والاكتئاب، والعقد النفسية المختلفة، ويوقد نيران العداوة والبغضاء، ويدفع نحو الانحرافات السلوكية والأخلاقية.

خطر الاختراقات العاطفية

ونركز في حديثنا حول أحد العوامل والأسباب المهمة، في حصول التفكك الأسري، وهو الاختراقات العاطفية.

إنّ الانجذاب الغريزي العاطفي بين الزوجين محور أساس في العلاقة الزوجية، ذلك أنّ الإطار الزوجي يمثل الاستجابة المشروعة لحاجة غريزية عند الرجل والمرأة. وضمن هذا الإطار يجب أن تتركز حالة الانجذاب والانشداد العاطفي.

فإذا ما حصل اختراق خارجي، لاستقطاب عواطف الرجل أو المرأة الغريزية، لجهة أخرى خارج الإطار الزوجي، فإنّ ذلك يشكل خطرًا على كيان الأسرة، حيث يضعف الانجذاب القائم بين الزوجين، وعند انكشافه للطرف الآخر، يعتبرها خيانة، وتنهار ثقته، ويفقد اطمئنانه بشريك حياته، مما يوجه ضربة قاصمة لكيان الأسرة.

فإذا ما حصل اختراق خارجي، لاستقطاب عواطف الرجل أو المرأة الغريزية، لجهة أخرى خارج الإطار الزوجي، فإنّ ذلك يشكل خطرًا على كيان الأسرة، حيث يضعف الانجذاب القائم بين الزوجين، وعند انكشافه للطرف الآخر، يعتبرها خيانة، وتنهار ثقته، ويفقد اطمئنانه بشريك حياته، مما يوجه ضربة قاصمة لكيان الأسرة.

من هنا تحرص التعاليم الدينية على حماية الأسرة من حدوث الاختراقات العاطفية، ليبقى الانجذاب قويًّا بين الزوجين، دون السماح لأيّ استقطاب غريزي عاطفي آخر يدخل على الخط.

التزام الحشمة والعفاف

من أجل ذلك جاء التأكيد الديني على التزام الحشمة والعفاف، في العلاقة بين الجنسين في المجتمع.

إنّ التلاقي والتعامل بين الجنسين أمر تفرضه طبيعة الحياة المشتركة، وليس صحيحًا ولا ممكنًا الفصل بينهما، خاصة مع تطور الحياة الاجتماعية، لكنّ رعاية الحشمة والعفاف أمر ممكن ومطلوب، وهو لا يعوق الرجل ولا المرأة عن ممارسة وظائف الحياة، والمشاركة في أدائها.

وعند تجاوز الاحتشام والعفاف في المحيط الاجتماعي العام، تكون الفرصة متاحة لحصول الاختراقات الغريزية العاطفية، وما يترتب عليها من آثار تهدّد كيان الأسرة بالتفكك والانهيار.

لذلك تؤكد التعاليم الدينية على طرفي المجتمع الرجال والنساء، الالتزام بأخلاق العفة والاحتشام، يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور، الآيات: ٣٠-٣١].

عند تجاوز الاحتشام والعفاف في المحيط الاجتماعي العام، تكون الفرصة متاحة لحصول الاختراقات الغريزية العاطفية، وما يترتب عليها من آثار تهدّد كيان الأسرة بالتفكك والانهيار.

وحين تبدي المرأة تساهلًا في الالتزام

بعفّتها واحتشامها، فإنّ ذلك يغري ضعاف النفوس من الرجال بالتعرض لها، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٢].

كيف تحصل عمليات الاختراق؟

ومما يسهّل عمليات الاختراق العاطفي، برود العلاقات العاطفية بين الزوجين، فيبحث الزوج أو الزوجة عن إشباع العاطفة خارج الإطار الزوجي، ويحصل التجاوب مع أيّ إشارة تنبعث من هنا أو هناك.

ولمواقع التواصل الاجتماعي دور كبير في تشجيع وتسهيل الاختراق العاطفي، الذي يبدأ غالبًا بتبادل المراسلات والصور، وقد يتم التعارف والتلاقي من خلال برامجه.

مما يسهّل عمليات الاختراق العاطفي، برود العلاقات العاطفية بين الزوجين، فيبحث الزوج أو الزوجة عن إشباع العاطفة خارج الإطار الزوجي، ويحصل التجاوب مع أيّ إشارة تنبعث من هنا أو هناك.

وقد يكون الاختراق استدراجًا عفويًا، وذلك يوجب الحذر من الخطوات الأولى، التي قد تبدأ بكلام عاطفي عابر، أو نظرة مريبة.

وقد يكون اختراقًا مقصودًا، وهناك ذئاب بشرية، من بعض الرجال الذين يتجرؤون على انتهاك أعراض الآخرين، ويستخدمون مختلف سبل الخديعة والمكر للإيقاع ببنات الناس في شباك ابتزازهم.

انتهاك حرمة الكيان الزوجي

وإذا كان الدين يحرم أيّ علاقة غريزية عاطفية بين رجل وامرأة أجنبية، فإنّ الحرمة تكون أشدّ على من له ارتباط زوجي، وحسب التعبير

الشرعي يكون محصنًا أو محصنة.

فحرام جدًّا أن يقيم الرجل علاقة عاطفية مع امرأة متزوجة، إنه بذلك ينتهك حرمة كيان له حصانته وقداسته، ويعمل على هدمه وتخريبه. كما يسهم في إضعاف حرمة الأعراض، فيكون عرضه أيضًا مهدّدًا بالانتهاك.

قد يكون الاختراق استدراجًا عفويًا، وذلك يوجب الحذر من الخطوات الأولى، التي قد تبدأ بكلام عاطفي عابر، أو نظرة مريبة.

وقد يكون اختراقًا مقصودًا، وهناك ذئاب بشرية، من بعض الرجال الذين يتجرؤون على انتهاك أعراض الآخرين.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «عِفُّوا عَنْ نِسَاءِ اَلنَّاسِ تُعَفَّ نِسَاؤُكُمْ»(١).

إنّ من يغار على عرضه ويريد صيانته، لا يعتدي على أعراض الآخرين، لذلك ورد عن الإمام علي عليه السلام: «مَا زَنَا غَيُورٌ قَطُّ»(٢).

وعنه عليه السلام: «دَلِيلُ غَيْرَةِ اَلرَّجُلِ عِفَّتُهُ»(٣).

وعَنْه عليه السلام قَالَ: «إِنَّ أَشَدَّ اَلنَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَقَرَّ نُطْفَتَهُ فِي رَحِمٍ تَحْرُمُ عَلَيْهِ»(٤).

وحرام جدًّا أن تقيم المرأة المتزوجة علاقة عاطفية مع رجل أجنبي، فيكون ذلك سببًا لتدمير بيتها العائلي، وإفساد حياتها دنيًا وآخرة.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اِشْتَدَّ غَضَبُ اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى اِمْرَأَةٍ ذَاتِ بَعْلٍ مَلَأَتْ عَيْنَهَا مِنْ غَيْرِ زَوْجِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ أَحْبَطَ اَللَّهُ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلَتْهُ - فَإِنْ أَوْطَأَتْ فِرَاشَهُ غَيْرَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اَللَّهِ أَنْ يُحْرِقَهَا بِالنَّارِ بَعْدَ

(١) الكافي، ج٥، ص٥٥٤، حديث٥.
(٢) نهج البلاغة، حكمة: ٣٠٥.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص٢٤٩.
(٤) الكافي، ج٥، ص٥٤١، حديث١.

أَنْ يُعَذِّبَهَا فِي قَبْرِهَا»[1].

وورد عن الإمام جعفر الصادق ﷺ قَالَ: «ثَلاَثَةٌ ﴿لاَ يُكَلِّمُهُمُ اَللَّهُ﴾، ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مِنْهُمُ اَلْمَرْأَةُ تُوطِئُ فِرَاشَ زَوْجِهَا»[2].

وعلى الرجل أن يتقيَ الله في أعراض الناس، ولا يستجيب لرغبته وشهوته على حساب دينه وآخرته، وعلى حساب حياة الآخرين.

وعلى المرأة أن تكون حذرة يقظة، فإنّها الخاسر الأكبر، فهي قد تصبح ضحية ابتزاز يدمر حياتها ومستقبلها، إن استجابت لأيّ إغراء، خاصة إذا كانت متزوجة.

(١) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٢٣٢، حديث٢.
(٢) الكافي، ج٥، ص٥٤٣، حديث١.

الإنفاق الخيري وحاجات المجتمع

الجمعة ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ | ٢٠ يناير ٢٠٢٣م.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٠].

من أهم وظائف التربية الدينية، تنمية روح العطاء في نفس الإنسان، ودفعه لتحمّل المسؤولية تجاه محيطه الاجتماعي.

فكما يسعى الإنسان لتوفير متطلبات حياته الشخصية، ويهتم بتحصيل المكاسب والمصالح لذاته، عليه أن يفكر في حاجات الآخرين من حوله، ويهتم بالمصلحة العامة لمجتمعه.

الاهتمام بالأبعاد المختلفة

ولتعدّد أبعاد الحياة الاجتماعية، فإنّ الدين يوجه الى الاهتمام بمختلف الجوانب والأبعاد، وتفقّد الحاجات المختلفة لأبناء المجتمع.

وتتحدّث الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ

وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. عن ثمانية موارد لصرف الزكاة والصدقات، تلامس أبعادًا مختلفة في الحياة الاجتماعية.

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وقد بحث المفسّرون والفقهاء في مفهومي الفقير والمسكين، فهل هما مفهوم واحد، وتكرار اللفظين من باب التأكيد، حسبما يرى البعض؟ أم أنّ لهما معنيين مختلفين؟ حسبما يرى أغلب المفسّرين والفقهاء، أنّ الفقير هو من لا تتوفر له كامل احتياجاته، بينما المسكين يطلق على ذي الحاجة الأشدّ، فقد لا يمتلك حتى القوت والغذاء ليومه، لذلك جاءت آيات تتحدّث عن إطعام المسكين.

كما يسعى الإنسان لتوفير متطلبات حياته الشخصية، ويهتم بتحصيل المكاسب والمصالح لذاته، عليه أن يفكر في حاجات الآخرين من حوله، ويهتم بالمصلحة العامة لمجتمعه.

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [سورة الحاقة، الآية: ٣٤].

ويقول تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [سورة المجادلة، الآية: ٤].

ويقول تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٤].

مما يوحي أنّ المساكين هم الجياع.

المورد الثالث: ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، فالذين يسعون في جباية الزكاة وجمع التبرعات، وإدارة بيت المال، يستحقون أجرة لعملهم.

المورد الرابع: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾، وهم الذين يراد استقطابهم إلى الدين، والاستعانة بهم لخدمة مصلحة الأمة، من خارجها، وكذلك الذين يراد تعزيز انتمائهم للدين من داخل الأمة.

المورد الخامس: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، وهو: تحرير العبيد، وتخليصهم من الرقّ، يوم كان الرقّ سائدًا في المجتمعات.

المورد السادس: ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾، وهم الذين تحمّلوا ديونًا عجزوا عن أدائها.

المورد السابع: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقد حصر بعض المفسّرين هذا العنوان فيما يرتبط بالجهاد، لكنّ معظم مفسرّي الشيعة وفقهائهم، يرونه شاملًا لكلّ مصالح الإسلام والمسلمين.

يقول السيد الطباطبائي: (أي وللصرف في سبيل الله، وهو كلّ عمل عام يعود عائدته إلى الإسلام والمسلمين، وتحفظ به مصلحة الدين، ومن أظهر مصاديقه الجهاد في سبيل الله، ويلحق به سائر الأعمال، التي تعمّ نفعه، وتشمل فائدته، كإصلاح الطرق، وبناء القناطر ونظائر ذلك)[1].

المورد الثامن: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، وهو المنقطع في سفره، فيعطى ما يمكنه من العودة إلى وطنه.

تكامل منظومة العمل الخيري

إنّ تنوع موارد صرف الزكاة والصدقات، فيه إشارة وتوجيه إلى ضرورة الاهتمام بالإنفاق في مختلف أبعاد الحياة الاجتماعية، ولمختلف حاجات أبناء المجتمع.

إنّ للحياة الاجتماعية أبعادًا مختلفة، تحتاج كلّها إلى الاهتمام والرعاية، فهناك

إنّ للحياة الاجتماعية أبعادًا مختلفة، تحتاج كلّها إلى الاهتمام والرعاية، فهناك البعد الروحي، والعلمي، والصحي، والبيئي، والثقافي، والاجتماعي.

ولكلّ واحد من هذه الأبعاد مجالاته وميادينه، ولا يصح إهمال أيّ واحدٍ منها ولا التقليل من شأنه.

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٣١١.

البعد الروحي، والعلمي، والصحي، والبيئي، والثقافي، والاجتماعي.

ولكلّ واحد من هذه الأبعاد مجالاته وميادينه، ولا يصح إهمال أيّ واحدٍ منها، ولا التقليل من شأنه.

قد تتوجه أنت للاهتمام ببعد معيّن، فتنفق فيه من جهدك ومالك، لإدراكك مدى أهميته، وقدرتك على العطاء فيه، بينما يتوجه غيرك لبعد آخر، فتتكامل الجهود في تغطية مختلف الحاجات.

تقدير الاهتمام بمختلف المجالات

قد يسيطر على ذهن البعض اهتمام معيّن في الشأن الاجتماعي، وهذا أمر طبيعي مفهوم، لكن من غير المفهوم أن ينظر إلى من يتحرّك في أبعاد اجتماعية أخرى نظرة سلبية، فيقلّل من أهمية عملهم وسعيهم في تلك الأبعاد. وهذا خطأ كبير، وتثبيط لعمل الخير.

فمثلًا: هناك من يهتم بالمشاريع والأعمال الدينية، كبناء المساجد والحسينيات، وإقامة الشعائر الدينية، وينفق من ماله وجهده في سبيل ذلك، وهذا عمل مهم؛ لأنّ تعزيز الدين وترسيخه، وإبراز مظاهره وشعائره، أمر مطلوب وأساس في المجتمع الإسلامي.

لا يصح للمهتمين بالعمل الديني التثبيط عن الاهتمامات الأخرى، أو التقليل من شأنها، فإنّ الدين نفسه يدعو إلى الاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع، ويدعو إلى العمل والمعرفة، وإلى التقدّم الاقتصادي، وإلى رعاية الصحة وحماية البيئة، والارتقاء بمستوى المجتمع في مختلف المجالات.

لكنه لا يصح للمهتمين بالعمل الديني التثبيط عن الاهتمامات الأخرى، أو التقليل من شأنها، فإنّ الدين نفسه يدعو إلى الاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع، ويدعو إلى العمل والمعرفة، وإلى التقدّم الاقتصادي، وإلى رعاية الصحة وحماية البيئة، والارتقاء بمستوى

المجتمع في مختلف المجالات.

إنّ رسول الله ﷺ كان يصرف على سباق الخيل، مع تحمّله لمسؤوليات دينية وجهادية واجتماعية أخرى، كما ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام «أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ أَجْرَى اَلْخَيْلَ وَجَعَلَ سَبَقَهَا أَوَاقِيَّ مِنْ فِضَّةٍ»[1].

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ «سَابَقَ بَيْنَ اَلْخَيْلِ وَأَعْطَى اَلسَّوَابِقَ مِنْ عِنْدِهِ»[2].

وجاء في فتاوى السيد السيستاني: (يجوز أن يكون العوض المقرّر في السبق أو الرماية عينًا، وأن يكون دينًا، وأن يبذله أجنبي أو أحد الطرفين، أو من بيت المال)[3].

إنّ بناء المساجد الواسعة، وإشادة العتبات المقدسة، وإقامة الحسينيات والشعائر، ودعم الأندية الرياضية، والمؤسسات الصحية، والمراكز الثقافية، والبرامج الفنية، وسائر الاهتمامات المفيدة للمجتمع، كلّ ذلك أمر مطلوب ولا يصح التقليل من شأنها، أو التثبيط عن الإنفاق عليها، بمبرر وجود الفقراء والمحتاجين

ومن يهتم بهذه الأبعاد والجوانب فهو يخدم الدين، وينفع عباد الله.

الإنفاق الخيري لا ينحصر في الفقراء

هناك من يرفع شعار الاهتمام بالفقراء والمحتاجين، ويستهين بالجهود التي تبذل في المجالات الدينية أو الثقافية والاجتماعية. وهذا توجه سلبي خطأ.

إنّ بناء المساجد الواسعة، وإشادة العتبات المقدسة، وإقامة الحسينيات والشعائر، ودعم الأندية الرياضية، والمؤسسات الصحية،

---

(١) الكافي، ج٥، ص٤٩، حديث٧.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٩، ص٢٥٥، حديث٢٤٥٣٧.
(٣) منهاج الصالحين، ج٢، ص١٦٠، مسألة ٥٧٠.

والمراكز الثقافية، والبرامج الفنية، وسائر الاهتمامات المفيدة للمجتمع، كلّ ذلك أمر مطلوب ولا يصح التقليل من شأنها، أو التثبيط عن الإنفاق عليها، بمبرر وجود الفقراء والمحتاجين، فكلّ بُعدٍ يجب أن يأخذ نصيبه من الاهتمام، أما تحديد الأولويات ومقدار الحاجة في كلّ مجال، فهذا ما يجب أن يكون محلّ دراسة ونقاش، وليس فرصة للتهريج والتثبيط.

جاء في نهج البلاغة «أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلْيُ الْكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ، فَقَالَ قَوْمٌ: لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَ بِهِ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ، كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ، وَمَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةُ بِالْحَلْيِ؟ فَهَمَّ عُمَرُ بِذَلِكَ، وَسَأَلَ عَنْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقَالَ عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ، وَالْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ، وَالْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا، وَكَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ؛ وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَانًا، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَانًا، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَوْلَاكَ لَافْتَضَحْنَا، وَتَرَكَ الْحَلْيَ بِحَالِهِ»[1].

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٧٠.

صنّاع الفتن بين الشعوب والمجتمعات

الجمعة ٥ رجب ١٤٤٤هـ | ٢٧ يناير ٢٠٢٣م.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٥].

حين نقرأ تاريخ الحروب والنزاعات، بين المجتمعات والجماعات، نجد أنّ قسمًا منها ينشأ بسبب تصرّفات ومواقف متشنجة، من أفراد ضمن هذه الجماعة أو تلك، يقابله انفعال وردّ فعل مشابه، من أفراد في الجماعة الأخرى، ثم يصبح النزاع شاملًا بين الجماعتين.

وقد ذكروا أنّ بعض الحروب بين القبائل العربية في الجاهلية، انطلقت من تصرّفات فردية استفزازية، قادت إلى حروب طويلة.

فكُليب يصيب ضرع ناقة امرأة يقال لها البسوس

بسهم، فتندلع على إثرها حرب ضروس. استمرّت ما يقارب الأربعين سنة.

وزعيم قبلي يمدّ رجله مهدّدًا من يجرأ على إصابتها، قائلًا: «أنا والله أعزّ العرب، فمن زعم أنه أعزّ منّي فليضرب هذه بالسيف»، فيستجيب لاستفزازه شخص من قبيلة منافسة، ويضرب رجله فتقع معركة.

وفي عصرنا الحاضر، فإنّ الحرب العالمية الأولى في أوروبا، أشعل شرارتها طالب جامعي صربي، قام باغتيال ولي عهد النمسا وزوجته، أثناء زيارتهما لسراييفو في ٢٨ يوليو/ حزيران ١٩١٤م، وانتهت بصراع عنيف لأربع سنوات شاركت فيه أكثر من ٧٠ دولة، وراح ضحيتها ٢٢ مليون إنسان.

ونجد مثل ذلك في الحروب الدينية والنزاعات الطائفية، التي قد تنشب بسبب كلمة متطرفة، أو ممارسة متشنجة، من أفراد ضمن هذه الديانة أو ذاك المذهب.

وقد عاصرنا تداعيات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م والهجوم على برجي مركز التجارة الدولية في مانهاتن في الولايات المتحدة الأمريكية، من قبل مجموعة إرهابية تنتسب إلى الإسلام، هذه التداعيات التي أدخلت العالم كلّه في نفق جديد، وأدت إلى احتلال أفغانستان ثم العراق، وما رافق ذلك من أحداث ساخنة لا تزال آثارها مستمرّة إلى اليوم.

لذلك فإنّ الله تعالى يحذّر المجتمعات من حصول الفتن، فآثارها الخطيرة تتعدّى صانعيها وتصيب المجتمع كلّه، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٥].

التطرف اليميني الغربي

وهذا هو ما يجب أن يثير القلق على المستوى العالمي، من الممارسات اليمينية المتطرفة في الدول الغربية، ضدّ المقدّسات الإسلامية، وآخرها ما حصل في السويد في الأسبوع الماضي (٢٢/ ٠١/ ٢٠٢٣م)، من إقدام زعيم حزب يميني متشدد (راسموس بالودان) على حرق القرآن، بعد أن أخذ رخصة من الشرطة السويدية، للتظاهر في خمس مناطق بالعاصمة ستوكهولم، لإحراق القرآن في كلّ منطقة، وفي منشور له على حسابه على (فيسبوك) قال: (إنّ الغرض من التظاهرة السّخرية من الإسلام وإهانة محمد)، وقد اختار لمظاهراته الأحياء التي يقطنها عدد كبير من المواطنين ذوي الأصول الأجنبية والمسلمين، ونقلت عنه وكالة (يورو نيوز) الأوربية قوله: (نريد أن يستيقظ السويديون، إحدى الطرق لفعل ذلك هي إظهار ردّ فعل بعض الناس عند إحراق القرآن).

وخرجت مظاهرات احتجاجية على حركته أدت إلى صدامات عنيفة، وإصابة ٢٦ شرطيًا و١٤ مدنيًا. وتخللها رشق بالحجارة وإحراق سيارات، أعقبها اعتقالات واسعة. مما يهدّد التعايش في المملكة الأوروبية الهادئة.

وتشير تقارير وتحليلات غربية، إلى تصاعد تيار اليمين ا لمتطرف في عموم الدول الأوربية، الذي يتبنّى فكرة تفوق الرجل الأبيض. ويشكّل هذا التيار أخطر التهديدات في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية.

إنّ المقصود من هذه الممارسات المتطرفة ضدّ الإسلام والمسلمين إشعال حرب دينية، وصدام حضاري، بين الوجود الإسلامي في البلدان الغربية، ومجتمعات تلك البلدان، وبين الشعوب الإسلامية والعالم الغربي.

إنّ هؤلاء ينطلقون من فكر متطرف، ونزعة عنصرية، ليحرّضوا على الكراهية، ويشعلوا الحروب والمواجهات.

إنّ على المسلمين أن يواجهوا هذا الاستهداف لدينهم ومقدّساتهم ووجودهم، ولكن بخطط حكيمة مدروسة، حتى لا يقعوا في فخ صدام الحضارات، واستخدام الأساليب المشينة، والممارسات العنفية الإرهابية.

وهم يعزفون على وتر العاطفة الدينية، والهوية الحضارية، بخطاب شعبوي بغيض، ليستقطبوا أبناء مجتمعاتهم.

وقد تقف وراءهم بعض القوى السياسية لتحقيق أغراض مصلحية.

إنّ على المسلمين أن يواجهوا هذا الاستهداف لدينهم ومقدّساتهم ووجودهم، ولكن بخطط حكيمة مدروسة، حتى لا يقعوا في فخ صدام الحضارات، واستخدام الأساليب المشينة، والممارسات العنفية الإرهابية.

حرية التعبير عن الرأي مبرر زائف

ومن المؤسف والمؤلم أن تفسح الحكومات الغربية المجال لهؤلاء المتطرفين، ليشعلوا الحروب والفتن في داخل البلدان الغربية نفسها، نظرًا للوجود الإسلامي فيها، وعلى مستوى العلاقات الدولية مع الحكومات والبلدان الإسلامية.

والمبرّر الذي يطرحونه حرية التعبير عن الرأي هو مبرّر زائف مرفوض؛ لأنّ الإساءة للآخرين، والتحريض على الكراهية، لا تدخل ضمن حرية التعبير عن الرأي.

كما أنّ النتائج والتبعات الخطيرة لهذه الممارسات المتطرفة، تضرّ بالأمن والسلم العالمي، والشعوب تتطلّع لقرارات من الأمم المتحدة

بتجريم الازدراء بالأديان، والتعدّي على المقدّسات الدينية لكلّ الأمم والشعوب.

إن القوانين الغربية تُجرّم التشكيك في المحرقة (الهولوكوست)، وتعتبره معاداة للسامية، عقوبتها السجن ١٥ سنة.

وكذلك فإنّ القانون السويدي يجرّم أيّ حرق لعلم المثليين؛ لأنه يشكّل تحريضًا ضدّ مجموعة من المواطنين، ولا يجرّم حرق القرآن، الكتاب المقدّس لأكثر من ملياري مسلم، منهم عشرات الآلاف مواطنون سويديون!

إنّها ازدواجية مفضوحة.

تبرير الإساءة لرموز المذاهب الإسلامية

ونجد شبيهًا بهذا التبرير الغربي المرفوض، ما يطرحه بعض المتطرفين في داخلنا الإسلامي، من تبرير إساءاتهم لمقدّسات المذهب المخالف لهم، بأنّ ذلك ضمن حرية التعبير عن المعتقد، وممارسة الشعيرة المذهبية، إنه مبرّر مرفوض؛ لأنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام وجهوا شيعتهم للالتزام بأعلى درجات الأدب في التعامل مع المخالفين في الدين والمذهب.

وعلينا أن نرفض أيّ صوت متطرف، أو ممارسة متشنّجة، تسبب توترًا مذهبيًّا طائفيًّا في أوطاننا ومجتمعاتنا.

في هذا السياق نستحضر رواية وردت في الكافي عَنِ اَلْحَارِثِ بْنِ اَلْمُغِيرَةِ قَالَ: لَقِيَنِي

إنّ على العلماء والواعين في كلّ مجتمع ألّا يسمحوا للعناصر المتطرفة الفاقدة للرشد العقلي، وهم السفهاء حسب التعبير القرآني، وما ورد في الرواية، أن يعبثوا بسمعة المجتمع، وعلاقاته مع المكونات الوطنية والاجتماعية الأخرى.

أَبُو عَبْدِ اللّهِ [الإمام جعفر الصادق عليه السلام] فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «مَنْ ذَا أَحَارِثٌ؟»

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: «أَمَا لَأَحْمِلَنَّ ذُنُوبَ سُفَهَائِكُمْ عَلى عُلَمَائِكُمْ».

ثُمَّ مَضى، فَأَتَيْتُهُ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَدَخَلْتُ، فَقُلْتُ: لَقِيتَنِي، فَقُلْتَ: «لَأَحْمِلَنَّ ذُنُوبَ سُفَهَائِكُمْ عَلى عُلَمَائِكُمْ؟» فَدَخَلَنِي مِنْ ذلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

فَقَالَ: «نَعَمْ، مَا يَمْنَعُكُمْ إِذَا بَلَغَكُمْ عَنِ الرَّجُلِ مِنْكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، وَمَا يَدْخُلُ عَلَيْنَا بِهِ الْأَذى أَنْ تَأْتُوهُ، فَتُؤَنِّبُوهُ، وَتَعْذِلُوهُ، وَتَقُولُوا لَهُ قَوْلًا بَلِيغًا»؟

فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِذا لَا يُطِيعُونَا، وَلَا يَقْبَلُونَ مِنَّا؟

فَقَالَ: «اهْجُرُوهُمْ، وَاجْتَنِبُوا مَجَالِسَهُمْ»[1].

إنّ على العلماء والواعين في كلّ مجتمع ألّا يسمحوا للعناصر المتطرفة الفاقدة للرشد العقلي، وهم السفهاء حسب التعبير القرآني، وما ورد في الرواية، أن يعبثوا بسمعة المجتمع، وعلاقاته مع المكونات الوطنية والاجتماعية الأخرى.

عليهم أن يردعوا هذه العناصر، ويحاصروها اجتماعيًّا، حتى لا تتمدّد ويتّسع تأثيرها على الجمهور، لما تطرح من شعارات عاطفية، وخطاب شعبوي، يسبّب الضرر والأذى لخطّ أهل البيت عليهم السلام، ويمزّق ساحة الأمة، فكما نرفض تبريرات الغرب للإساءة لديننا، بأنه من حرية التعبير، كذلك يجب أن نرفض التبرير للإساءة لرموز سائر المذاهب، بأنه تعبير عن حرية المعتقد وشعائر المذهب.

---

(١) الكافي، ج٨، ص١٦٢، حديث١٦٩.

حياة الإمام الكاظم بين المعاناة والإنجاز

الجمعة ٢٥ رجب ١٤٤٤هـ | ١٦ فبراير ٢٠٢٣م.

ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «إيّاكَ والكَسَلَ والضَّجَرَ؛ فإنّهما يَمنَعانِكَ مِن حَظِّكَ مِن الدنيا والآخِرَةِ»(١).

واجه الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، في حياته ألوانًا من الظلامات والمصائب، حتى استشهد في غياهب السجون مسمومًا، كما عانى سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام من الظالمين لهم.

وقد وجّه الأئمة شيعتهم لاستذكار الظلامات والمصائب التي حلّت بهم، كما ورد في عدد من الروايات، وكانوا يشجعون الشعراء الموالين لهم على استحضار معاناتهم في قصائدهم، ويستقبلونهم، ويسمعون منهم تلك القصائد، ويشيدون بها، كما جاء في إنشاد دعبل الخزاعي لقصيدته بمحضر الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

(١) الكافي، ج ٥، ص ٨٥.

ولاهتمام الأئمة باستذكار ظلاماتهم، أهداف تربوية وعقدية وسياسية:

أولًا: لإدانة خطّ الظلم والجور الذي تسلّط على الأمة، وسعى لإبعاد الأئمة ومحاصرتهم، ومنعهم من القيام بدورهم الرسالي، ولمقاومة التعتيم الإعلامي على الجرائم المرتكبة بحقّهم.

ثانيًا: لتأكيد مشاعر الولاء لأهل البيت عبر التعاطف مع مظلوميتهم.

ثالثًا: لإبراز جانب من جوانب الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام، في التضحية والثبات والاستقامة على المبدأ، رغم فظاعة المصائب التي تعرّضوا لها.

استحضار إنجازات الأئمة

لكنّ أهمية استذكار مصائب أهل البيت، لا ينبغي أن تكون على حساب استحضار إنجازاتهم، وعطاءاتهم للأمة.

إنّ الاقتصار على ذكر الظلامات والمصائب في حياة الأئمة، وتغييب الجانب الآخر من تراثهم الزاخر، وسيرتهم الحافلة بالإنجاز والعطاء، هو ظلامة أخرى لهم، ومخالف لما أكّدوا عليه من إحياء أمرهم، وهو تعلّم علومهم وبثّها في الأمة، كما ورد في رواية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «رَحِمَ اللّهُ عَبدًا أحيا أمرَنا، فَقُلتُ لَهُ: فَكَيفَ يُحيي أمرَكُم؟ قالَ عليه السلام: يَتَعَلَّمُ عُلومَنا ويُعَلِّمُهَا النّاسَ، فَإِنَّ النّاسَ لَو عَلِموا مَحاسِنَ كَلامِنا لاتَّبَعونا»[1].

ذكر المصائب والظلامات دون استحضار العطاء والإنجازات، قد يكرّس حالة سلبية في النفوس، بالميل إلى العزلة والانكماش، والتخلّي عن تحمّل المسؤوليات، والتشكيك في جدوى السعي والعمل.

(١) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٣٠٧.

كما أنّ ذكر المصائب والظلامات، دون استحضار العطاء والإنجازات، قد يكرّس حالة سلبية في النفوس، بالميل إلى العزلة والانكماش، والتخلّي عن تحمّل المسؤوليات، والتشكيك في جدوى السعي والعمل.

إنّ البعض يكاد يصوّر الإمام، وكأنه مشغول في حياته بمصائبه، لا همّ له إلّا الحزن ومكابدة الآلام.

الإنجاز والعطاء في حياة الإمام الكاظم

وحين نقرأ حياة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، كمثل ونموذج، نجد فيها عطاءً ثريًّا وإنجازات ملهمة، مع كلّ ما عاناه من ألوان المصائب والظلامات.

حيث تقاذفته السجون خمس مرات لعدّة سنوات، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في بعض الفترات، وفجع بقتل عدد من أعلام وأفراد أسرته من العلويين، ورغم كلّ هذه المصائب، واصل الإمام عليه السلام تحمّل مسؤولياته تجاه الدين والأمة، متساميًا على تلك الآلام والمعاناة، وكان شعلة من الحركة النشاط، وهو بذلك يقدم أروع الدروس لأجيال الأمة، بعدم الخضوع للآلام، والاستسلام للمشاكل مهما كانت، ومقاومة حالة الكسل والضجر كما ورد في كلامه عليه السلام: «إيّاكَ والكَسَلَ والضَّجَرَ؛ فإنّهما يَمنَعانِكَ مِن حَظِّكَ مِن الدنيا والآخِرَةِ»[1].

واصل الإمام عليه السلام تحمّل مسؤولياته تجاه الدين والأمة، متساميًا على تلك الآلام والمعاناة، وكان شعلة من الحركة النشاط، وهو بذلك يقدم أروع الدروس لأجيال الأمة، بعدم الخضوع للآلام، والاستسلام للمشاكل مهما كانت، ومقاومة حالة الكسل والضجر

ونشير هنا باختصار وإيجاز، لبعض

(١) الكافي، ج ٥، ص: ٨٥.

جوانب عطاءاته وإنجازاته.

المجال العلمي والفكري

كان يغتنم الفرص لبثّ العلوم والمعارف، وقد أخذ من علمه وروى عنه عدد كبير من الفقهاء والعلماء والمحدثين، وأحصى الباحثون أسماء (٣٢٠) من الرواة عنه، وجمع أحد العلماء (الشيخ عزيز الله عطاري) الروايات والأحاديث الواردة عنه عليه السلام، فبلغت نحو ثلاثة آلاف رواية وحديث، طبعت تحت عنوان (مسند الإمام الكاظم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام) في ثلاثة مجلّدات، تنوف على ألف صفحة.

تربية الكوادر والقيادات

تخرّج من مدرسته العلمية والتربوية، عدد كبير من القيادات العلمية والفكرية والإدارية، ومن جملتهم:

- محمد بن أبي عمير، من عيون العلماء وكبار الفقهاء.
- هشام بن الحكم، من كبار المتكلمين والفلاسفة.
- أخوه علي بن جعفر.
- علي بن يقطين البغدادي، أصبح الوزير الأول لهارون الرشيد، وقد أراد ترك منصبه فنهاه الإمام، وقال له: «لاَ تَفْعَلْ فَإِنَّ لَنَا بِكَ أُنْسًا وَلِإِخْوَانِكَ بِكَ عِزًّا وَعَسَى أَنْ يَجْبُرَ اَللَّهُ بِكَ كَسْرًا»[1].
- يونس بن عبدالرحمن، وصفه ابن النديم بأنه علامة زمانه[2].

وعشرات غيرهم.

(١) بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٣٦.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٢٧٢، (الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان).

الدور الاجتماعي

كان عليه السلام يتفقّد أحوال المحتاجين من الناس، فيبعث لهم صرارًا من المال، تتراوح بين مئتي وأربعمئة دينار، وكان يضرب بصراره المثل، فيقال: (عجبًا لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي القلّة والفقر). وقد بعث لبعض من أساء إليه صرّة فيها ألف دينار.

وحَدَّثَ عِيسَى بن مُحَمَّد بن مغيث القرشي، قال: زَرَعْتُ بِطِّيخًا وَقِثَّاءً وَقَرْعًا، فِي مَوْضِعٍ بِالْجَوَّانِيَةِ عَلَى بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عِظَام، فَلَمَّا قَرُبَ الْخَيْرُ، وَاسْتَوَى الزَّرْعُ، بَيَّتَنِي الْجَرَادُ، فَأَتَى عَلَى الزَّرْعِ كُلِّهِ، وَكُنْتُ غَرِمْتُ عَلَى الزَّرْعِ وَفِي ثَمَنِ جَمَلَيْنِ مِئَةً وَعِشْرِينَ دِينَارًا، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ، طَلَعَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «أَيْشِ حَالُكَ؟» فَقُلْتُ: أَصْبَحْتُ كَالصَّرِيمِ، بَيَّتَنِي الْجَرَادُ فَأَكَلَ زَرْعِي، قَالَ: «وَكَمْ غَرِمْتَ فِيهِ؟» قُلْتُ: مِئَةً وَعِشْرِينَ دِينَارًا مَعَ ثَمَنِ الْجَمَلَيْنِ، فَقَالَ: «يَا عَرَفَةُ [مولًى له]، زِنْ لابن الْمُغِيثِ مِئَةً وَخَمْسِينَ دِينَارًا، نُرْبِحُكَ ثَلاثِينَ دِينَارًا وَالْجَمَلَيْنِ»[1].

ويشكو إليه شخص من أهل الري أموالًا عليه طائلة في ديوان حاكم الريّ، فيكتب له الإمام رسالة لإسقاطها عنه.

العمل الاقتصادي والمعيشي

تتحدّث الروايات التاريخية، عن خوضه شخصيًّا غمار العمل والكدح، في مجال الزراعة واستصلاح الأراضي.

عَنِ اَلْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا اَلْحَسَنِ عليه السلام يَعْمَلُ فِي أَرْضٍ لَهُ قَدِ اِسْتَنْقَعَتْ قَدَمَاهُ فِي اَلْعَرَقِ، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ،

(١) تهذيب الكمال للمزي، حديث٣٣٢٢. ومثله في تاريخ بغداد، ج١٥، ص١٤.

أَيْنَ اَلرِّجَالُ؟ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، قَدْ عَمِلَ بِالْيَدِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَمِنْ أَبِي فِي أَرْضِهِ»، فَقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: «رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ وَأَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ وَآبَائِي كُلُّهُمْ كَانُوا قَدْ عَمِلُوا بِأَيْدِيهِمْ، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ اَلنَّبِيِّينَ وَاَلْمُرْسَلِينَ وَاَلْأَوْصِيَاءِ وَاَلصَّالِحِينَ»[1].

هكذا نجد أنّ المصائب والمعاناة التي كابدها الإمام موسى الكاظم عليه السلام في حياته، لم تصرفه عن أداء مهمّاته، وتحمّل مسؤولياته تجاه عائلته ومجتمعه ودينه، ولم تشغله عن الاهتمامات الرسالية، ورعاية مصالح الدين والأمة.

ونُقل: إنه عليه السلام استنبط نحو سبعين ما بين عين وبئر.

وكانت له قرى وضيع زراعية منها: صريا وقد تشدّد الرّاء، تبعد عن المدينة حوالي خمسة كيلومترات، وقد بعث كفنًا لشطيطة التي بعثت له درهم خمس من نيسابور، وقال: إنه من قطن قريتنا صريا، ومنها مزرعة باسم (نقمى) قريبًا من جبل أحد، ومزرعة (ساية) وهي قرية في أطراف المدينة وفيها عيون، و(اليسيرة، أو اليسيرية) وهي أرض زراعية اشتراها الإمام عليه السلام بثلاثين ألف دينار.

إدارة العائلة

بعض الروايات تتحدّث عن عدد كبير له من الأولاد، لكنّ الأرجح ما اختاره الشيخ المفيد أنّ له سبعة وثلاثين ولدًا ذكرًا وأنثى.

وتشير رواية نقلها الشيخ الصدوق في العيون إلى أنّ هارون الرشيد سأل الإمام مرة: يَا أَبَا اَلْحَسَنِ، مَا عَلَيْكَ مِنَ اَلْعِيَالِ؟ فَقَالَ عليه السلام: «يَزِيدُونَ عَلَى اَلْخَمْسِمِئَةِ» قَالَ: أَوْلاَدٌ كُلُّهُمْ؟ قَالَ «لاَ أَكْثَرُهُمْ مَوَالِيَّ وَحَشَمٌ، فَأَمَّا اَلْوَلَدُ فَلِي نَيِّفٌ وَثَلاَثُونَ»[2].

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٧، ص٣٨.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٨٨.

منهم ابنته الفاضلة فاطمة المعروفة بالمعصومة، المدفونة في قم، وهي شقيقة الإمام الرضا عليه السلام.

وابنه أحمد المعروف بشاه جراغ، المدفون في شيراز، وله فضل ومكانة، وابنه القاسم المدفون في أطراف الحلّة بالعراق، قال الشيخ الطبرسي: إنّ لكلّ واحدٍ من أولاد أبي الحسن موسى عليه السلام فضلًا ومنقبة مشهورة[1].

وقد تضمنّت وصيته عليه السلام فقرات حول إدارة أسرته، وزواج بناته من بعده، والإنفاق على زوجاته وأولاده وبناته من ثلثه وصدقاته.

وهكذا نجد أنّ المصائب والمعاناة التي كابدها الإمام موسى الكاظم عليه السلام في حياته، لم تصرفه عن أداء مهمّاته، وتحمّل مسؤولياته تجاه عائلته ومجتمعه ودينه، ولم تشغله عن الاهتمامات الرسالية، ورعاية مصالح الدين والأمة.

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى، ج٢، ص٣٧.

أولادنا يستحقُّون اهتمامًا أكبر

الجمعة ٤ شعبان ١٤٤٤هـ | ٢٤ فبراير ٢٠٢٣م.

عن بُرَيْدَةَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»(١).

ونحن نحتفي بميلاد السبط الثاني لرسول الله ﷺ، الحسين بن علي وابن فاطمة، علينا أن نستحضر بعض المشاهد التي تنقلها كتب الحديث والتاريخ المعتمدة، عن الاهتمام الكبير الذي أولاه رسول الله ﷺ لسبطيه الحسنين.

حيث يكشف لنا هذا الاهتمام عن حبّ رسول الله ﷺ العميق لسبطيه الحسنين، ويدلّ على فضلهما وعظيم مكانتهما، كما يقدّم لنا دروسًا مهمّة في المسؤولية تجاه الأبناء، وضرورة بذل

(١) صحيح الترمذي، حديث ٣٧٧٤.

الاهتمام الأكبر بهم.

مسؤوليات ضخمة لم تشغله عنهما

ولد الإمام الحسين عليه السلام في السنة الرابعة للهجرة على الأرجح، وبينه وبين أخيه الحسن أقلّ من سنتين، وكان النبي صلى الله عليه وآله يعيش ذروة انشغاله ببناء المجتمع الإسلامي الناشئ، وتأسيس الكيان الجديد، ومواجهة عدوان القوى المناوئة للدين والكيان الإسلامي، من يهود ومشركين ومنافقين، فلا يكاد يفرغ من معركة حتى يضطرّ إلى خوض معركة أخرى، ولا ينتهي من تبيين تشريع إلهي حتى ينزل عليه الوحي بتشريع آخر، وكان معنيًا بإدارة شؤون المجتمع، ومعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، التي كانت تثيرها التحدّيات الداخلية والخارجية.

مع كلّ هذه المسؤوليات والمهام القيادية الضخمة، إلّا أنه صلى الله عليه وآله لم ينشغل بها عن الاهتمام بالشأن التربوي بسبطيه الحسنين عليهما السلام، مع أنّ لهما خير أبوين يباشران تربيتهما، هما علي وفاطمة عليهما السلام.

مع كلّ هذه المسؤوليات والمهام القيادية الضخمة، إلّا أنه صلى الله عليه وآله لم ينشغل بها عن الاهتمام بالشأن التربوي بسبطيه الحسنين عليهما السلام، مع أنّ لهما خير أبوين يباشران تربيتهما، هما علي وفاطمة عليهما السلام.

لكنه صلى الله عليه وآله كان يشرف على تربيتهما، ويبدي الاهتمام بهما، لتبيين مكانتهما للأمة، وليرسي المنهج التربوي المطلوب في المجتمع الإسلامي.

معالم في المنهج التربوي

ونشير هنا إلى معالم من هذا المنهج التربوي النبوي، من خلال اهتمامه صلى الله عليه وآله بالحسنين.

أولًا: إغداق العطف والحنان عليهما:

إنّ العطف والحنان حاجة أساس لتغذية نفس الطفل، لا تقلّ عن حاجة جسمه للغذاء.

وكما يتأثر نمو جسمه بنقص وسوء التغذية، فإنّ نموّه النفسي يتأثر بمستوى إشباع عواطفه وأحاسيسه.

عن سلمان الفارسي: «دَخَلتُ عَلى رَسولِ اللّه ﷺ وعِندَهُ الحَسَنُ وَالحُسَينُ عليهما السلام يَتَغَدَّيانِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَضَعُ اللُّقمَةَ تارَةً في فَمِ الحَسَنِ عليه السلام، وتارَةً في فَمِ الحُسَينِ عليه السلام، فَلَمّا فَرَغَ مِنَ الطَّعامِ أخَذَ رَسولُ اللّهِ ﷺ الحَسَنَ عليه السلام عَلى عاتِقِهِ، وَالحُسَينَ عليه السلام عَلى فَخِذِهِ»[1].

في المجتمع الجاهلي كان هناك تجاهل لهذا الجانب، خاصة من قبل الآباء، كما يبدو من بعض الروايات:

فقد ورد عن عائشةَ قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُم. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَأَمْلِكُ لك أَنْ نَزَعَ الله من قَلْبِك الرحمة»[2].

وعن أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[3].

ممارسة اللعب مهمة لتكامل النمو العضلي لجسم الطفل، ولإثراء خياله، وتنمية مشاعره، والتعبير عن أحاسيسه.

(١) بحار الأنوار، ج٣٦، ص٣٠٤، حديث١٤٣.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث ٥٩٩٨.
(٣) المصدر نفسه، حديث ٥٩٩٧.

ثانيًا: إتاحة فرصة اللعب لهما وملاعبتهما

ممارسة اللعب مهمة لتكامل النمو العضلي لجسم الطفل، ولإثراء خياله، وتنمية مشاعره، والتعبير عن أحاسيسه.

ورد عنه ﷺ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ صَبِيٌّ فَلْيَتَصَابَ لَهُ»(١).

أي يتقمّص شخصية الصبي مع ابنه، بأن يلعب معه كأيِّ صبي في سنّه.

وورد أنّ اَلنَّبِيُّ ﷺ قال للحسن والحسين: «قُومَا اَلْآنَ فَاصْطَرِعَا»، فَقَامَا لِيَصْطَرِعَا وَقَدْ خَرَجَتْ فَاطِمَةُ فِي بَعْضِ حَاجَتِهَا، فَدَخَلَتْ فَسَمِعَتِ اَلنَّبِيَّ وَهُوَ يَقُولُ: «إِيهِ يَا حَسَنُ، شُدَّ عَلَى اَلْحُسَيْنِ فَاصْرَعْهُ»(٢).

إنّ احترام الطفل يعزّز شخصيته وثقته بنفسه، بينما احتقاره منشأ لإضعاف ثقته وتعقيد نفسيته.

لذلك كان رسول الله ﷺ يُظهر تقديره واحترامه لسبطيه أمام الناس، ترسيخًا لهذا المبدأ، وتعريفًا للأمة بمقامهما،

وعن أبي أيّوب الأنصاري: دَخَلتُ عَلى رَسولِ اللّه ﷺ، وَالحَسَنُ وَالحُسَينُ عليهما السلام يَلعَبانِ بَينَ يَدَيهِ وفي حِجرِهِ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللّه، أتُحِبُّهُما؟ قالَ: «وكَيفَ لا اُحِبُّهُما وهُما رَيحانَتايَ مِنَ الدُّنيا، أشُمُّهُما»(٣).

ثالثًا: إظهار المحبة والاحترام لهما

إنّ احترام الطفل يعزّز شخصيته وثقته بنفسه، بينما احتقاره منشأ لإضعاف ثقته وتعقيد نفسيته.

لذلك كان رسول الله ﷺ يُظهر تقديره واحترامه لسبطيه أمام الناس،

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٤٨٣.
(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص٤٤٣.
(٣) المعجم الكبير، ج٤ ص١٥٦ ، حديث٣٩٩٠.

ترسيخًا لهذا المبدأ، وتعريفًا للأمة بمقامهما، فقد سمع منه عدد كبير من الأصحاب قوله ﷺ: «الحَسَنُ والحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبابِ أهلِ الجنةِ»(١).

وقوله ﷺ عنهما: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»(٢).

وكان ﷺ يُبدي الاهتمام بهما في غمرة قيامه بمهامه الدينية والقيادية، فعن بريدة: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»(٣).

وعن عبداللّه بن شدّاد عن أبيه: خَرَجَ عَلَينا رَسولُ اللّه ﷺ في إحدى صَلاتَي العِشاءِ، وهُوَ حامِلٌ حَسَنا أو حُسَينا عليه السلام، فَتَقَدَّمَ رَسولُ اللّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاةِ فَصَلّى، فَسَجَدَ بَينَ ظَهرانَي صَلاتِهِ سَجدَةً أطالَها، قالَ أبي: فَرَفَعتُ رَأسي وإذَا الصَّبِيُّ عَلى ظَهرِ رَسولِ اللّه ﷺ وهُوَ ساجِدٌ، فَرَجَعتُ إلى سُجودي. فَلَمّا قَضى رَسولُ اللّهِ ﷺ الصَّلاةَ، قالَ النّاسُ: يا رَسولَ اللّهِ! إنَّكَ سَجَدتَ بَينَ ظَهرانَي صَلاتِكَ سَجدَةً أطَلتَها، حَتّى ظَنَنّا أنَّهُ قَد حَدَثَ أمرٌ، أو أنَّهُ يوحى إلَيكَ. قالَ ﷺ: «كُلُّ ذلِكَ لَم يَكُن، ولكِنَّ ابني ارتَحَلَني، فَكَرِهتُ أن اُعجِلَهُ حَتّى يَقضِيَ حاجَتَهُ»(٤).

تحدّيات التربية في هذ العصر

إننا بحاجة لإعادة النظر في مستوى اهتمامنا بأبنائنا وبناتنا في هذا

(١) صحيح الترمذي، حديث٢٩٦٥.
(٢) صحيح البخاري، حديث٣٧٥٣.
(٣) صحيح الترمذي للألباني، حديث ٣٧٧٤.
(٤) سنن النسائي، ج٢، ص٢٢٩.

العصر، حيث يجد الإنسان نفسه منهمكًا في انشغالات واهتمامات متعدّدة، تستهلك جهده ووقته، كما يعيش الإنسان في هذا العصر أجواء التنافس على تحصيل المكاسب والمصالح الذاتية، وتحقيق الرّغبات الشخصية، وهذا ما أضعف الاهتمام بالأبناء، وأصبح تعويل الأسرة على دور المؤسسات الوظيفية، كالحضانة والروضة والمدرسة ورعاية الخادمة في المنزل.

واندفع الأبناء نتيجة لانشغال الوالدين عنهما في كثير من الأحيان، للإقبال على الأجهزة الإلكترونية، والعيش عبرها في العالم الافتراضي، حيث أصبح الأطفال مدمنين على استخدام هذه الأجهزة، منشدّين إليها، أكثر من انشدادهم لوالديهم وأخوتهم وزملائهم في معظم الحالات.

إنّ من الآثار المحتملة لإدمان التكنولوجيا على المراهقين، الانحراف الأخلاقي، والتوجه إلى العلاقات غير الشرعية، والتوجه إلى إدمان المخدِّرات، والعزلة الاجتماعية، وعدم المشاركة مع الآخرين، وإهمال الدروس والواجبات.

وقد يجد الوالدان أنّ انشغال الولد بهذه الأجهزة يملأ فراغه، ويريحهم من بعض إزعاجه وأعباء الاهتمام به، لكنّ تأثير الإقبال غير المنظم على الأجهزة الإلكترونية فيه أخطار بالغة، حذّرت منها منظمة الصحة العالمية، والمؤسسات المعنية بشأن الطفولة، وقد صنّفت منظمة الصحة العالمية (WHO) الإدمان على ألعاب الكمبيوتر كمرضٍ معترف به.

وجاء في رسالة على موقع المنظمة (في ١ يناير ٢٠٢٢م)، إنه تم تصنيف المرض على أنه «اضطراب سلوك إدماني».

وفي عام ٢٠١٩، تم تسجيل أول حالة سريرية لدخول المراهقين إلى

المستشفى بسبب إدمان ألعاب الفيديو[1].

ويلاحظ الخبراء أنّ الحماس المفرط لألعاب الكمبيوتر مصحوب ليس فقط بالإدمان، ولكن أيضًا بعواقب سلبية على صحة الطفل، كضعف البصر، وانحناء العمود الفقري، والأرق.

وفي كثير من الأحيان عند الأطفال، وبسبب الحماس المفرط لألعاب الكمبيوتر، تنخفض مهارات التعلم، ويُلاحظ التهيج والعدوانية.

إنّ أولادنا أمانة من الله في أعناقنا، وسيسألنا الله تعالى عن أيّ تقصير تجاههم، كما أنّ صلاحهم ونجاحهم، سعادة لنا في الدنيا والآخرة، وسنتحمّل أعباء أيّ شقاء أو انحراف في حياة أبنائنا.

فلنصرف جهدًا ووقتًا أكثر في الاهتمام بهم.

حتى لا يضيع أبناؤنا في العالم الافتراضي

ينمو الأطفال في عالم محاط بوسائل إعلامية مختلفة، يمكن الوصول إليها بسهولة ويسر. وقد يجد الآباء صعوبة في مواكبة التطور المتسارع في المحتوى، والمميّزات، والتطبيقات الجديدة التي يتم تقديمها باستمرار.

إنه لا يُنكر أنّ للأجهزة الإلكترونية فوائد، ولا يمكن منع الأبناء عنها، لكن لا ينبغي إطلاق العنان لتسيطر وتهيمن على نفسية الطفل، بل يجب تقنين وتنظيم التعامل معها، وتشجيع الطفل على الهوايات والأنشطة المختلفة، وأن يصرف الوالدان وقتًا في التحادث مع الأبناء، ومشاركتهم في بعض الألعاب والاهتمامات.

إنّ من الآثار المحتملة لإدمان التكنولوجيا على المراهقين،

(١) وكالة أنباء (سبوتنيك)، ١/ ١/ ٢٠٢٢م، منظمة الصحة العالمية تعترف بإدمان ألعاب الفيديو كمرض.

الانحراف الأخلاقي، والتوجه إلى العلاقات غير الشرعية، والتوجه إلى إدمان المخدِّرات، والعزلة الاجتماعية، وعدم المشاركة مع الآخرين، وإهمال الدروس والواجبات، والفشل في الدراسة، وعدم وجود اهتمامات شخصية، أو ممارسة رياضة وهواية مفضّلة، والإرهاق الجسدي والنفسي، والضعف العام.

وقد أثبتت العديد من الأبحاث التي تم إجراؤها تأثير الإدمان الإلكتروني على الصحة النفسية، بسبب قضاء الأشخاص العديد من الساعات أمام التصفح على الإنترنت، التي أثرت على قدرتهم في التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى الإصابة بالاكتئاب الحادّ والقلق.

أولادنا أمانة في أعناقنا

حقًّا إنّ أبناءنا وبناتنا يستحقّون منّا اهتمامًا أكبر، خاصة وهم يواجهون تحدّيات أجواء المغريات، والنشاط المكثف لاتجاهات الفساد الأخلاقي، والتيارات الفكرية المختلفة، التي تسعى لتذويب هُوية مجتمعاتنا، وإضعاف انتمائنا الثقافي.

إنّ أولادنا أمانة من الله في أعناقنا، وسيسألنا الله تعالى عن أيّ تقصير تجاههم، كما أنّ صلاحهم ونجاحهم، سعادة لنا في الدنيا والآخرة، وسنتحمّل أعباء أيّ شقاء أو انحراف في حياة أبنائنا.

فلنصرف جهدًا ووقتًا أكثر في الاهتمام بهم، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

كيف نشكر اللّه؟

الجمعة ١١ شعبان ١٤٤٤هـ | ٣ مارس ٢٠٢٣م

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

[سورة سبأ، الآية: ١٣]

يفرح الإنسان حينما يحصل على مكسب ونعمة، وحينما يتجاوز محنة أو مشكلة.

ويدفعه وجدانه وعقله لإبداء الشكر والامتنان لمن كان منشأً وسببًا لحصول النعمة، أو تجاوز المحنة.

وانطلاقًا من الإيمان بأن الله تعالى هو خالق الكون، ومدبّر الحياة، فإنه تعالى مصدر كلّ نعمة، ودافع كلّ نقمة.

يقول تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٥٣].

من هنا يحكم العقل بوجوب شكر الله تعالى على نعمه، ويأتي الدين ليذكّر الإنسان ويرشده إلى

ما يحكم به عقله ووجدانه، فشكر المنعم في الأصل واجب عقلًا، قبل أن يكون واجبًا شرعًا.

ولكن كيف يكون الشكر لله تعالى على نعمه، وبأيِّ طريقة وأسلوب؟

مراتب الشُّكر

هناك ثلاث مراتب للشُّكر:

الأولى: أن يدرك بقلبه أنّ النعمة من الله، ويتوجه إليه بالشُّكر من أعماق نفسه.

هناك ثلاث مراتب للشُّكر:
الأولى: أن يدرك بقلبه أنّ النعمة من الله، ويتوجه إليه بالشُّكر من أعماق نفسه.
الثانية: أن يظهر شكر الله تعالى بلسانه، وهو الإعلان التعبيري عن الحمد والثناء على الله، بما أفاض عليه من النعم.
الثالثة: الشكر بالمبادرة العملية لفعل الخير.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَنْ أَنْعَمَ اَللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَعَرَفَهَا بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَهَا»[1].

الثانية: أن يظهر شكر الله تعالى بلسانه، وهو الإعلان التعبيري عن الحمد والثناء على الله، بما أفاض عليه من النعم.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «تَمامُ الشُّكرِ قولُ الرجُلِ: الحَمدُ للّه رَبِّ العالَمِينَ»[2].

وعنه عليه السلام: «كانَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله إذا وَرَدَ علَيهِ أمرٌ يَسُرُّهُ، قالَ: الحَمدُ للّه على هذِهِ النِّعمَةِ»[3].

الثالثة: الشكر بالمبادرة العملية لفعل الخير.

وهذا ما تشير اليه الآية الكريمة: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ

(١) الكافي: ج٢، ص٩٦، حديث١٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٥، ١٠.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٧، حديث١٩.

مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، ويستنتج المفسّرون من قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ أنّ المقصود قلّة الشاكرين لله تعالى على مستوى الشكر العملي، أما الشكر باللسان فقد يلهج به كثيرون.

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «شُكرُ المؤمِنِ يَظهَرُ في عَمَلِهِ، شُكرُ المُنافِقِ لا يَتَجاوَزُ لِسانَهُ»[1].

ظاهرة إيجابية لافتة

من الظواهر الإيجابية اللّافتة في ميدان العمل الخيري والتطوعي، في المجتمعات الغربية، أنّ كثيرًا من المبادرات الخيرية يطلقها أشخاص كانوا يعيشون أزمة أو محنة في حياتهم، فلمّا تجاوزوها دفعهم وجدانهم لتبنّي عمل خيري تطوعي، يعالج المشكلة التي كانوا يعانون منها. وكأنّ ذلك نوع من الشكر، بدافع فطري وجداني، على النعمة التي نالوها، والمحنة التي تجاوزوها.

وأذكر هنا بعض الشّواهد والنماذج:

قرأت عن منظّمة باسم «أصدقاء الأطفال»، في مدينة بورتلاند في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تأسّست عام ١٩٩٣م، على يد رجل أعمال، عاش طفولة مريرة صعبة مع عائلته، ونشأ في حي فقير مليء بالمشكلات، وبعد أن نجح في مجال ريادة الأعمال، قرّر أن يبادر لفعل شيءٍ من الممكن أن يُجنّب الأطفال ما مرّ به، ويوفر لهم بيئة صحية

من الظواهر الإيجابية اللّافتة في ميدان العمل الخيري والتطوعي في المجتمعات الغربية، أنّ كثيرًا من المبادرات الخيرية يطلقها أشخاص كانوا يعيشون أزمة أو محنة في حياتهم، فلمّا تجاوزوها دفعهم وجدانهم لتبنّي عمل خيري تطوعي، يعالج المشكلة التي كانوا يعانون منها.

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٢٩١.

كم من إنسان يوسّع الله تعالى عليه الرزق بعد فقر وضيق؟ إنّ عليه أن يشكر النعمة بأن يتحسّس معاناة من يعيشون معاناة ضيقه السّابق.

وكم من إنسان يمنّ الله عليه بالصحة والعافية والنجاة من مرض خطير، فعليه أن يشكر الله بمساعدة المرضى الآخرين.

وكم من إنسان كان يعيش الفراغ والانحراف، فأتاح الله له فرصة الهداية، فعليه أن يعمل لهداية الآخرين.

وملائمة للنُّمو في حياتهم، فقرّر إنشاء منظّمة تهتم بالأطفال الذين يعيشون حياة صعبة لفقر عوائلهم، أو تخلّف وضعهم الاجتماعي، أو لتفكّك الأسرة، وذلك بتعيين موجّه لكلّ طفل من هذه الفئة، يطلق عليه (صديق الطفل) وهو موظف لدى المنظّمة بمرتّب، ويختار ضمن مواصفات تؤهّله لدوره، يكون معنيًا بمتابعة وضع الطفل، وقضاء وقت محدّد معه يوميًّا أو أسبوعيًّا، ضمن الخطة الموضوعة للمتابعة، إلى أن يتخرّج من الثانوية، ويلتحق بالجامعة. وتقوم المنظّمة بتقويم مستمرٍّ لبرنامجها بالتعاون مع باحثين من عدّة جامعات للتطوير الدائم[1].

مبادرات متنوعة

ونقرأ في مبادرة أخرى أنّ امرأة فقدت ابنها دهسًا أمام المدرسة، وحينما تجاوزت صدمة الحادث الأليم، صارت تقوم بدور الحماية للطلاب عند دخولهم وخروجهم من المدرسة، بداية الدوام الدراسي ونهايته، وتشجّع الآخرين على القيام بهذا الدّور.

ونقرأ عن مصابٍ بفشل كلوي يجد له متبرّعًا ينقذه من معاناته، فينشئ مؤسّسة للحثّ على التبرّع بالأعضاء.

وعن ممثل أمريكي كان ينتمي لعائلة فقيرة، وكان يمرّ على متجر

(١) مصطفى المزعل، الفرصة الأخيرة.. تجربة قيادية ثقافية، ص٨٩، عن موقع المنظمة https://friendspdx.org

يبيع حلوى (سنيكرز) فيتحسّر؛ لأنه لا يمتلك ثمن شراء قطعة منها وهو في الرابعة عشرة من عمره، فكان يغافل الموظّف في المتجر ويسرق قطعة من الحلوى في معظم الأيام، وبعد أن كبر وأصبح ممثلًا، وله دخل وفير، استذكر تلك السيرة في صغره، ففكر في القيام بمبادرة عملية للتكفير عن ذنبه، فكان يشتري كمية الحلوى في المتجر للتوزيع على الأطفال، الذين لعلّ بعضهم لا يمتلك قيمتها كما كان هو يعاني في صغره، ووثّق ذلك بمقطع فيديو لمتابعيه على وسائل التواصل الاجتماعي.

ويستنتج المفسّرون من قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ أنّ المقصود قلّة الشاكرين لله تعالى على مستوى الشكر العملي، أما الشكر باللسان فقد يلهج به كثيرون.

توجيه قرآني

ويمكننا أن نستوحي التوجيه لمثل هذه المبادرات من قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۞ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۞ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

فإنّ الله تعالى بعد أن يمتنّ على نبيّه ﷺ بنعمه، يوجّهه للشكر العملي المتجانس مع تلك النعم.

كم من إنسان يوسّع الله تعالى عليه الرزق بعد فقر وضيق؟ إنّ عليه أن يشكر النعمة بأن يتحسّس معاناة من يعيشون معاناة ضيقه السّابق.

وكم من إنسان يمنّ الله عليه بالصحة والعافية والنجاة من مرض خطير، فعليه أن يشكر الله بمساعدة المرضى الآخرين.

وكم من إنسان كان يعيش الفراغ والانحراف، فأتاح الله له فرصة

الهداية، فعليه أن يعمل لهداية الآخرين.

نسأل الله تعالى أن يديم علينا نعمه، وأن يمنحنا المزيد من فضله، وأن يوفّقنا لشكره من أعماق قلوبنا وبألسنتنا وصالح أعمالنا.

مزالق الخصومات

الجمعة ١٨ شعبان ١٤٤٤هـ | ١٠ مارس ٢٠٢٣م.

ورد في كتاب الكافي بسند صحيح عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَةَ، فَإِنَّهَا تَشْغَلُ الْقَلْبَ، وَتُورِثُ النِّفَاقَ، وَتَكْسِبُ الضَّغَائِنَ»[1].

كما يحرص الإنسان على اجتناب ما يسبّب لجسمه الألم والأذى، عليه أن يحرص على اجتناب ما يسبّب له الأذى والألم النفسي، فهو أشدّ وجعًا وخطرًا على كيانه ووجوده.

وغالبًا ما تكون النّزاعات والخصومات البينية أهم مصدر للأذى والألم النفسي، فإذا تورّط الإنسان في نزاع وخصومة مع أحدٍ في محيطه الاجتماعي، فإنّ ذلك يهدّد استقراره النفسي، ويستفزّ أحاسيسه ومشاعره، وقد ينمّي لديه نزعات عدائية بمبرّر الدفاع عن الذات.

وكلّما كانت الخصومة في دائرة أقرب للإنسان اجتماعيًّا، كانت أشدّ إيلامًا وخطرًا على نفسه،

(١) الكافي، ج٢، ص٣٠١، حديث٨.

كالنّزاعات العائلية، وبين الأقارب والأرحام، والزّملاء والأصدقاء.

وذلك لوجود حالة من التداخل المصلحي والنفسي بين الإنسان ومن يعيشون في دائرة القرب منه، وهم يعرفون أسراره ونقاط ضعفه، فيكونون أقدر على الإضرار به، وخصومتهم أكثر إيلامًا.

على الإنسان أن يحرص على تجنّب الخصومات والنزاعات، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. ولو بالتنازل عن بعض حقوقه ومصالحه، فإنه بالخسارة المادية يحمي ذاته من الآلام النفسية والخسارة الأخلاقية المعنوية.

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «عَدَاوَةُ اَلْأَقَارِبِ أَمَضُّ مِنْ لَسْعِ اَلْعَقَارِبِ»[1].

الهروب من الخصومات

لذلك على الإنسان أن يحرص على تجنّب الخصومات والنزاعات، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. ولو بالتنازل عن بعض حقوقه ومصالحه، فإنه بالخسارة المادية يحمي ذاته من الآلام النفسية والخسارة الأخلاقية المعنوية.

على الإنسان العاقل أن يتجنّب العداوات والخصومات، فلا يبادر أحدًا بخصومة، ولا يصدر منه ما يسبب نزاعًا أو عداءً من قول أو فعل.

وإذا ما حاول أحدٌ أن يستدرجه لعداوة أو صراع، فليتحلَّ بالذكاء وضبط النفس؛ كي لا يقع في الفخ، فإنّ الخصومة نفق لا يعرف الإنسان إذا دخله كيف يخرج منه.

يقول تعالى في صفة عباده الأتقياء: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٦٣].

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٣٩.

ويقول تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[سورة الزخرف، الآية: ٨٩].

ورد أنّ الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام كان ماشيًا فاعترضه شخص معتديًا عليه بالسّبّ والشّتم، فأشاح بوجهه وسكت عنه، فقال الرجل: إِيَّاكَ أَعْنِي، فَقَالَ عليه السلام: «وَعَنْكَ أُغْضِي»(١).

وجاء عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «وَلاَ عُوقِبَ اَلْأَحْمَقُ بِمِثْلِ اَلسُّكُوتِ عَنْهُ»(٢).

وعلى الإنسان أن يتلافى الدخول في أيِّ جدلٍ أو نقاش قد يؤدي إلى خصومة، وإن كان معتقدًا بصحة رأيه وموقفه، وهذا ما تشير إليه النصوص الدينية التي تحذّر من المشاركة في الجدل العقيم الذي لا يؤدي إلى نتيجة مفيدة، ويطلق عليه (المراء).

ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «لاَ يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ اَلْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ اَلْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»(٣).

وورد عن الإمام علي عليه السلام: «ثَمَرَةُ اَلْمِرَاءِ اَلشَّحْنَاءُ»(٤).

على الإنسان أن يتلافى الدخول في أيِّ جدلٍ أو نقاش قد يؤدي إلى خصومة، وإن كان معتقدًا بصحة رأيه وموقفه، وهذا ما تشير إليه النصوص الدينية التي تحذّر من المشاركة في الجدل العقيم الذي لا يؤدي إلى نتيجة مفيدة، ويطلق عليه (المراء).

حين تضطرّ للخصومة

لكنّ بعض الخصومات قد تفرض نفسها على الإنسان من قبل الآخرين.

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٩٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٦٨، ص٤٢٤.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٨.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٢٧.

فبعض الناس قد تكون هوايته اختلاق صراعات مع الآخرين، وينقلون أنّ أعرابيًّا كان كثير السُّباب، فلما مات أوصى أن يكتب على قبره:

أيُّهـــا الزائـــر قبـــري أتـــلُ مـــا خُـــطّ أمامـــك
هاهنـــا صـــارت عظامـــي ليتهـــا صـــارت عظامـــك

هنا على الإنسان إن لم يستطع الفرار من الخصومة، لتعلّقها بمصلحة أو حقّ لا يمكنه التنازل عنه، عليه أن يواجه الخصومة بتعقّل، وألّا تسيطر عليه الحالة الانفعالية، فتخرج به عن الضوابط الشرعية والأخلاقية.

المزالق الخطرة

إنّ من أخطر مساوئ الخصومات، أن تدفع الإنسان للانزلاق في الطرق الملتوية، واستخدام الأساليب القذرة، بمبرر الدفاع عن الذات والانتصار من الخصم.

وتحذيرًا من هذا الخطر يُشير ما روي عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ بَالَغَ فِي اَلْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اَللَّهَ مَنْ خَاصَمَ»[1].

على الإنسان إن لم يستطع الفرار من الخصومة، لتعلّقها بمصلحة أو حقّ لا يمكنه التنازل عنه، عليه أن يواجه الخصومة بتعقّل، وألّا تسيطر عليه الحالة الانفعالية، فتخرج به عن الضوابط الشرعية والأخلاقية.

ومن الأساليب غير المشروعة في مواجهة الخصم، الافتراء والبغي عليه، والنيل منه خارج مورد الخصومة.

ونجد مثل هذه الممارسات حتى في النزاعات العائلية، فإذا حصل خلاف بين زوجين مثلًا، شهّر كلٌّ منهما بالآخر، وألصق به مختلف

(١) نهج البلاغة، حكمة رقم ٢٩٥.

التُّهم، وانتهك كلّ حرماته وأسراره.

وقد يحدث ذلك بين الأخوة والأقارب، حين يختلفون على حصصهم في الإرث مثلًا.

كما يحدث بين أصدقاء الأمس، حينما تحوّلهم الخصومة إلى أعداء، يجتهد الواحد مهم في تدمير الآخر، وإيقاع أكبر قدر من الضّرر به.

إنّ ذلك مصداق للفجور في الخصومة الذي هو من سمات النفاق، حيث ورد عن النبي ﷺ أنه قال في صفات المنافق: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1].

(١) صحيح البخاري، حديث٢٤٥٩. ومثله في الخصال، ج١، ص٢٥٤.

ثقافة التّشدد

الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٤٤هـ | ١٧ مارس ٢٠٢٣م

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾

[سورة يونس، الآية: ٥٩].

تنطلق التشريعات الدينية من منطلقين أساسين:

الأول: تجسيد العبودية والطّاعة لله تعالى في حياة الإنسان.

الثاني: تحقيق المصلحة للإنسان في دنياه وآخرته.

وتأخذ التشريعات الدينية ظروف الإنسان النفسية والاجتماعية والمعيشية بعين الاعتبار، فهي تتصف باليُسر ورفع الحرج، كما تؤكّد ذلك النصوص الدينية.

يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٥].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٨].

كما وردت أحاديث متضافرة مستفيضة عن النبي ﷺ وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام تؤكّد على هذا النهج في التشريع الديني، وبناءً عليه قرّر الفقهاء المسلمون قاعدة (نفي العسر والحرج) واعتبروها حاكمة على جميع التشريعات، فأيّ حكمٍ يكون الالتزام به سببًا للعسر والحرج، يسقط وجوب الالتزام به على الإنسان؛ لأنه تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦].

إنّ الله تعالى لم يجعل تشريعاته عائقًا للإنسان عن تسيير شؤون حياته، والارتقاء بها. حتى لا يكون ذلك سببًا لاستثقال الدين والنفور منه.

لكنّ بعض المتديّنين قد ينحون منحى التّشدد والمبالغة في الأخذ بالأحكام الشرعية.

والحرج: المشقة التي تكون فوق المتعارف، ويشخّصها المكلّف نفسه، فالذي يرفع التكليف هو الحرج الشخصي. والعسر بمعنى الحرج.

وحينما يُطلق اللفظان معًا الحرج والعسر، يُقصد بالحرج المشقة النفسية، وبالعسر المشقة البدنية والمادية.

بين اليُسر والتّشدد

وبهذا النّهج يستطيع الفرد المتديّن، والمجتمع المتدين، الإدارة الأفضل لحياته ضمن إطار المبادئ الدينية.

إنّ الله تعالى لم يجعل تشريعاته عائقًا للإنسان عن تسيير شؤون حياته، والارتقاء بها. حتى لا يكون ذلك سببًا لاستثقال الدين والنفور منه.

لكنّ بعض المتديّنين قد ينحون منحى التّشدد والمبالغة في الأخذ بالأحكام الشرعية.

وقد اتسعت عند هذه الجهات مساحة الواجبات والاحتياطات والمستحبات في القضايا العبادية، كما اتسعت مساحة التحريم والحظر في مجالات الحياة، حتى أصبحت حياة المتديّنين ضمن هذه التوجهات، غابة من التعقيدات والعوائق والموانع، عن الاستمتاع بمباهج الحياة، مع أنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. [سورة المائدة، الآية: ٨٧].

ومع وضوح اليُسر في الأحكام الشرعية، حسب النصوص المعتمدة، وفتاوى المراجع والفقهاء، إلّا أنّ هذه الجهات، تطرح مقولات مفادها الإعراض عن التيسير في الأحكام الشرعية.

فمثلًا مسألة حلّية وطهارة ما يؤخذ من سوق المسلمين، التي عنونها الفقهاء بعنوان: (قاعدة سوق المسلمين).

ومفادها: أنّ اللحوم والشّحوم والجلود المعدّة للأكل أو للاستعمال فيما يلزم فيه تذكية الحيوانات، محكوم عليها بالتذكية إن أخذت من سوق المسلمين، ما لم يعلم المكلّف بعدم حصول التذكية، أو أنّها مستوردة من غير بلاد المسلمين، مع عدم احتمال مراعاة من استوردها لإحراز التذكية الشرعية.

وما يصنع في بلاد الإسلام من اللحم، كاللحوم المعلّبة، أو جلود الحيوانات كالأحزمة والأحذية، محكوم بالتذكية ظاهرًا، من دون الحاجة إلى الفحص، بغضّ النظر عن بعض الاختلافات المذهبية في

جزئيات التذكية، كالإخلال باستقبال القبلة.

والمدار في كون البلد منسوبًا إلى الإسلام، غلبة السكان المسلمين فيه، بحيث ينسب عرفًا إليه، ولو كانوا تحت سلطة مستعمرين كافرين.

لا حاجة للفحص والسؤال

وقد وردت روايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، تنهى عن السؤال والفحص، عمّا يؤخذ من سوق المسلمين.

وفي كتاب (وسائل الشيعة) باب عنوانه (طهارة ما يشترى من مسلم ومن سوق المسلمين، والحكم بذكاته ما لم يعلم أنه ميتة) أورد فيه اثنتي عشرة رواية حول الموضوع.

منها ما جاء عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ: سَأَلْتُهُ [الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام] عَنِ اَلرَّجُلِ يَأْتِي اَلسُّوقَ فَيَشْتَرِي جُبَّةَ فِرَاءٍ لاَ يَدْرِي أَذَكِيَّةٌ هِيَ أَمْ غَيْرُ ذَكِيَّةٍ، أَيُصَلِّي فِيهَا؟ فَقَالَ عليه السلام: «نَعَمْ لَيْسَ عَلَيْكُمُ اَلْمَسْأَلَةُ، إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ [الإمام محمد الباقر عليه السلام] كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اَلْخَوَارِجَ ضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِجَهَالَتِهِمْ، إِنَّ اَلدِّينَ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ»[1].

هكذا يدين الإمام ثقافة التّشدد، وينسبها للخوارج، ويعتبرها ناتجة عن الجهل بمقاصد الدين وأغراضه.

وعنه بسند صحيح عَنِ اَلرِّضَا عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ اَلْخَفَّافِ يَأْتِي اَلسُّوقَ فَيَشْتَرِي اَلْخُفَّ لاَ يَدْرِي أَذَكِيٌّ هُوَ أَمْ لاَ، مَا تَقُولُ فِي اَلصَّلاَةِ فِيهِ وَهُوَ لاَ يَدْرِي، أَيُصَلِّي فِيهِ؟ قَالَ عليه السلام: «نَعَمْ أَنَا أَشْتَرِي اَلْخُفَّ مِنَ اَلسُّوقِ وَيُصْنَعُ لِي وَأُصَلِّي فِيهِ وَلَيْسَ عَلَيْكُمُ اَلْمَسْأَلَةُ»[2].

(١) وسائل الشيعة، ج٣، ص٤٩١، حديث٤٢٦٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٩٢، حديث٤٢٦٥.

وعن حمّاد بن عيسى قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاَللَّهِ [الإمام جعفر الصادق عليه السلام] يَقُولُ: «كَانَ أَبِي يَبْعَثُ بِالدَّرَاهِمِ إِلَى اَلسُّوقِ فَيَشْتَرِي بِهَا جُبُنًا، فَيُسَمِّي وَيَأْكُلُ وَلاَ يَسْأَلُ عَنْهُ»[1]، مع احتمال استخدام أنفحة من حيوان غير مذكى في صناعة الجبن.

وعَنِ اَلْفُضَيْلِ وَزُرَارَةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ: أَنَّهُمْ سَأَلُوا أَبَا جَعْفَرٍ [الإمام محمد الباقر عليه السلام] عَنْ شِرَاءِ اَللَّحْمِ مِنَ اَلْأَسْوَاقِ وَلاَ يُدْرَى مَا يَصْنَعُ اَلْقَصَّابُونَ، قَالَ عليه السلام: «كُلْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَسْوَاقِ اَلْمُسْلِمِينَ وَلاَ تَسْأَلْ عَنْهُ»[2].

كما أفرد الشيخ المجلسي في بحار الأنوار بابًا بعنوان: (حكم ما يؤخذ من سوق المسلمين ويوجد في أرضهم)، أورد فيه عددًا من الروايات، ثم عقّب عليها بقوله: (قد ظهر من تلك الأخبار وغيرها، أنّ ما يباع في أسواق المسلمين، من الذبايح واللحوم والجلود والأطعمة حلال طاهر، لا يجب الفحص عن حاله، ولا أعرف فيه خلافًا بين الأصحاب، ولا فرق في ذلك عندهم بين ما يوجد بيد معلوم الإسلام أو مجهوله، ولا في المسلم بين من يستحلّ ذبيحة الكتابي أم لا، عملًا بعموم الأدلة)[3].

وهذا ما يُفتي به الفقهاء في الماضي والحاضر، ولم يفتِ أحدٌ بخلافه.

وقد ذهب جمع من الفقهاء إلى القول بكراهة السؤال، ولعلّ الأكثر ذهبوا إلى ذلك.

قال صاحب الجواهر: (ما يباع في أسواق المسلمين من الذبائح واللحوم والجلود يجوز شراؤه، ولا يلزم الفحص عن حاله أنه جامع

(١) وسائل الشيعة، ج٣، ص٤٩٢، حديث٤٢٦٧.
(٢) الكافي، ج٦، ص٢٣٧، حديث٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٨٣.

لشرائط الحلّ أو لا، بل لا يستحب، بل لعلّه مكروه، للنهي عنه)[1].

ويشير صاحب الجواهر إلى أنّ النصوص الواردة عن الأئمة عليهم السلام في حلّية ما يؤخذ من سوق المسلمين، جاءت في وقت كان فيه سوق المسلمين يسوده الرأي القائل بحلّية ذبائح أهل الكتاب، ومع ذلك كان موقف الأئمة عليهم السلام التأكيد على الحلّية، قال ما نصّه: (فما عن التحرير من اعتبار كون المسلم ممن لا يستحل ذبائح أهل الكتاب واضح الضعف، خصوصًا بعد اشتهار الجواز بين المخالفين الذي كان في ذلك الزمان لا يعرف سوق إلّا لهم، ومورد النصوص الأخذ منهم)[2].

ويقول السيد الخوئي: (بل وفي بعض الأخبار الحث والترغيب على معاملة الطهارة والذّكاة مع ما يؤخذ من أسواق المسلمين، فعن الحسن بن الجهم قال: قُلْتُ لِأَبِي اَلْحَسَنِ [الإمام الرضا عليه السلام]: أَعْتَرِضُ اَلسُّوقَ فَأَشْتَرِي خُفًّا، لاَ أَدْرِي أَ ذَكِيٌّ هُوَ أَمْ لاَ؟ قَالَ: «صَلِّ فِيهِ»، قُلْتُ: وَاَلنَّعْلُ؟ قَالَ: «مِثْلُ ذَلِكَ»، قُلْتُ: إِنِّي أَضِيقُ مِنْ هَذَا، قَالَ: «أَتَرْغَبُ عَمَّا كَانَ أَبُو اَلْحَسَنِ عليه السلام يَفْعَلُهُ»[3])[4].

هناك من المتديّنين من يحذّر من الأكل مما في سوق المسلمين، بدعوى احتمال عدم ذكاتها واقعًا، فتترك حينئذٍ أثرًا نفسيًّا وروحيًّا، حيث تسلب التوفيق، وتمنع الاقبال على العبادة، وتحجب الدعاء، وتؤثّر في صلاح الذرية، وأمثال ذلك من النتائج السَّلبية التي يتحدّثون عنها.

وليس هناك أيّ دليلٍ على صحة هذه الفكرة.

ويضيف رحمه الله: (ثم إنّ أمّارية السُّوق لا يعتبر فيها الإيمان؛ لأنّ الأسواق في تلك الأزمنة كان أهلها من العامة الذين يرون طهارة

(١) جواهر الكلام، ج٣٦، ص١٣٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٣٦، ص١٣٩.
(٣) الكافي، ج٣، ص٤٠٤.
(٤) الشيخ ميرزا علي الغروي، التنقيح في شرح العروة الوثقى، تقرير بحث السيد أبو القاسم الخوئي، كتاب الطهارة، ج٢، ص٥٣٨.

الميتة بالدّبغ؛ لقلة الشيعة وتخفّيهم في زمانهم (عليهم السلام) ومع هذا حكموا باعتبارها)[1].

ويرى السَّيد السبزواري أنّ الأرجح شرعًا عدم الفحص والسؤال عمّا يؤخذ من سوق المسلمين، بل قد يكون الفحص والسؤال حرامًا في بعض الحالات، حيث قال ما نصّه: (الظاهر مرجوحية التفحّص والسؤال في سوق المسلم ومورد يده؛ لما تقدّم في بعض الأخبار: «ليس عليكم المسألة»، بل قد يحرم إن كان من الوسواس، أو أوجب الاستخفاف بالقواعد الشرعية)[2].

السَّيد الشيرازي: (وما اشتهر في بعض الألسنة من أنّ الحرام الواقعي يؤثر أثره، لم أجد عليه دليلًا، بل سيرة النبي ﷺ والأئمة والعلماء الرّاشدين على خلافه، وإنّ المعيار الظاهر.

ويؤكد السَّيد الشيرازي على حلية ما يشترى من سوق المسلمين من الذبائح واللحوم، ولا يلزم الفحص عن حاله، وإن ظُنّ بعدم صحته[3].

صناعة ثقافة التّشدد

وليس خفيًّا أنّ غرض الشرع من ذلك، التيسير على الناس، وتكريس الثقة وحسن الظنّ في وسط الاجتماع الإسلامي.

مع كلّ هذا الوضوح في الحكم الشرعي، فإنّ هناك من المتديّنين من يحذّر من الأكل مما في سوق المسلمين، بدعوى احتمال عدم ذكاتها واقعًا، فتترك حينئذٍ أثرًا نفسيًّا وروحيًّا، حيث تسلب التوفيق، وتمنع الاقبال على العبادة، وتحجب الدعاء، وتؤثّر في صلاح الذرية، وأمثال

(١) المصدر نفسه، ص٥٣٩.
(٢) السيد السبزواري، مهذب الأحكام، ج١، ص٣٢٨.
(٣) الفقه، ج٧٥، ص٤١٤.

ذلك من النتائج السَّلبية التي يتحدّثون عنها.

وليس هناك أيّ دليلٍ على صحة هذه الفكرة.

وقد يستندون إلى بعض الروايات التي تتحدّث عن مساوئ أكل الحرام، كما ورد عن النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ لُقْمَةَ حَرَامٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَلَمْ تُسْتَجَبْ لَهُ دَعْوَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَكُلُّ لَحْمٍ يُنْبِتُهُ اَلْحَرَامُ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»[1].

إنّ من حقّ الإنسان أن يمتنع عن شراء ما لا يرغب فيه أو لا يرتاح له نفسيًّا لسبب أو لآخر، لكن لا يصح له أن ينسب ذلك إلى الدّين، ويعتبره حكمًا شرعيًّا، فذلك نوع من التشريع المحرم.

لكنّ مثل هذه الروايات تتحدّث عن أثر أكل الحرام، وليس أكل الحلال، وقد ثبت بالدليل أنّ الأكل من سوق المسلمين حلال، فلا يسمّى أكل حرامًا.

وسياق مثل هذه الروايات، التحذير من أكل المال المغصوب، والمأخوذ بغير حقٍّ، أو ما حرّم أكله بدليل شرعي.

أمّا ما حكم الشرع بحلّيته ظاهرًا، فلا يوجد دليل على الادّعاء بأنّ له أثرًا وضعيًّا سيئًا على نفس الإنسان، لو كان في الواقع غير مذكًّى، إنّ هذا الادّعاء الذي لا دليل عليه، يستهدف تعطيل مفعول حكم شرعي أكّدت عليه نصوص كثيرة، ويجسّد عنوانًا رئيسًا في التشريع الديني، وهو اليسر ورفع الحرج، كما يعزّز أجواء الثقة وحسنّ الظنّ في الوسط الاجتماعي الإسلامي.

يقول السَّيد الشيرازي: (وما اشتهر في بعض الألسنة من أنّ الحرام الواقعي يؤثر أثره، لم أجد عليه دليلًا، بل سيرة النبي ﷺ والأئمة

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص٣١٤.

والعلماء الرّاشدين على خلافه، وإنّ المعيار الظاهر)[1].

وقد قُدم للسَّيد السيستاني السؤال التالي حول الموضوع: (البعض يُردّد دائمًا أنّ تطبيق قاعدة السوق والأكل منه فيه آثار وضعية تترتب على المسلم كقسوة القلب وغيرها، فهل هناك أثر أم لا؟ أفتونا مأجورين).

فكان نص جوابه: (لا تأثير للحلال)[2].

كما قدم للسَّيد صادق الشيرازي سؤال مشابه، فأجاب: (لا أشكال فيه، وليس من الثابت ترتب جميع الآثار الوضعية المذكورة في مثل هذه الحالات)[3].

أنّ ثقافة التّشدد تخالف وتباين ثقافة اليُسر والتيسير التي تؤكّدها النصوص الدينية.

وتؤدي ثقافة التّشدد خاصّة في هذا العصر إلى تشويه صورة الدين، واستثقال أبناء الجيل للالتزام بأحكامه، وتنفير الناس منه.

التبرير باختلاف الزمن والظروف

وبعضهم يثير مسألة اختلاف الظروف الحاضرة في مجتمع المسلمين عن الماضي، انطلاقًا من أنّ حالة الالتزام بالأحكام والضّوابط الشرعية كانت أفضل في الزمن الماضي، وأنّ استيراد اللحوم من البلدان الأجنبية أصبح الآن هو السّائد، فلا مجال للثقة في سوق المسلمين حاضرًا، وعدم الفحص والسؤال، لكنّ الأدلة مطلقة، وتدلّ الروايات الواردة أنّ المخالفات للأحكام الشرعية في هذا المجال كانت قائمة في زمن النص الإسلامي بدرجة أو أخرى، وكان هناك اختلاف في شرائط التذكية

(١) الفقه، ج٧٥، ص٤١٤.

(٢) استفتاء خطي بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ، ونشر على شبكة المنير https://www.almoneer.org/?act=artc&id=1368

(٣) https://alshirazi.com/rflo/ajowbeh/arshif/alatama.htm

الشرعية بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم، ولذلك كانت القضية محلّ سؤال وتردّد عند أصحاب الأئمة، لكنّ موقف الأئمة كان واضحًا على هذا الصَّعيد، فقد ورد عَنْ أَبِي اَلْجَارُودِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ [الإمام محمد الباقر عليه السلام] عَنِ اَلْجُبْنِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى أَنَّهُ يُجْعَلُ فِيهِ اَلْمَيْتَةُ، فَقَالَ: «أَمِنْ أَجْلِ مَكَانٍ وَاحِدٍ يُجْعَلُ فِيهِ اَلْمَيْتَةُ حُرِّمَ فِي جَمِيعِ اَلْأَرَضِينَ؟ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مَيْتَةٌ فَلاَ تَأْكُلْهُ، وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ فَاشْتَرِ وَبِعْ وَكُلْ، وَاَللَّهِ إِنِّي لَأَعْتَرِضُ اَلسُّوقَ فَأَشْتَرِي بِهَا اَللَّحْمَ وَاَلسَّمْنَ وَاَلْجُبْنَ، وَاَللَّهِ مَا أَظُنُّ كُلَّهُمْ يُسَمُّونَ»[1].

لذلك يقول السيد الشيرازي: (وبذلك يظهر، أنّ القول بأنّ زماننا حيث صار المسلمون غير مبالين ليس مثل زمن الرواية، مخدوش، كما أنّ القول بأنّ في زماننا تستورد اللحوم عن بلاد الكفار ولم يكن كذلك زمان الروايات، غير تام، إذ كلا الأمرين لا يقفان أمام الإطلاقات، وفي الأزمنة السابقة أيضًا كان كثر منهم غير مبالين، وكانوا يستحلّون ذبائح الكفار)[2].

الحكم الشرعي والحالة المزاجية

إنّ من حقّ الإنسان أن يمتنع عن شراء ما لا يرغب فيه أو لا يرتاح له نفسيًّا لسبب أو لآخر، لكن لا يصح له أن ينسب ذلك إلى الدّين، ويعتبره حكمًا شرعيًّا، فذلك نوع من التشريع المحرم.

يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٥٩].

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢٥، ص١١٩، حديث ٣١٣٨٠.
(٢) الفقه، ج٧٥، ص٤١٦.

ومن أراد الاحتياط لنفسه، فذلك شأن شخصي لا ينبغي له أن يفرضه على الآخرين، ولا أن يأخذ موقف المزايدة على ما ورد عن الأئمة عليهم السلام، فهم لم يوجّهوا السّائلين لهم عن هذا الموضوع للاحتياط، وكذلك فإنّ فتاوى الفقهاء لم تُشر إلى الاحتياط.

كما أنّ ثقافة التّشدد تخالف وتباين ثقافة اليُسر والتيسير التي تؤكّدها النصوص الدينية.

ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»[1].

وفي رواية أخرى: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ اَلسَّمْحَةِ اَلسَّهْلَةِ»[2].

وتؤدي ثقافة التّشدد خاصّة في هذا العصر إلى تشويه صورة الدين، واستثقال أبناء الجيل للالتزام بأحكامه، وتنفير الناس منه.

(١) المعجم الكبير للطبراني، حديث٧٦١٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٤، ص ١٣٦.

الانفتاح على القرآن

الجمعة ٢ رمضان ١٤٤٤هـ | ٢٤ مارس ٢٠٢٣م.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٨٥].

حينما يريد القرآن أن يعرّف شهر رمضان، ويبيّن فضله وخصائصه، فإنه يكتفي بوصفه أنه ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، فهو أهم تعريف، وأفضل توصيف، حيث اختاره الله تعالى زمنًا لنزول رسالة الهداية لبني البشر.

وتشير روايات وردت في بعض كتب الحديث الشيعية[١] والسنية[٢] إلى أنّ الكتب السماوية السابقة، كالتوراة والإنجيل والزبور أنزلت في شهر رمضان أيضًا.

(١) الكافي، ج٢، ص٦٢٩، حديث٦. تهذيب الأحكام، ج٤، ص١٩٤، حديث٥٥٢.

(٢) السنن الكبرى، ج٩، ص٣١٧، حديث ١٨٦٤٩. المعجم الأوسط، ج٤، ص١١١، حديث٣٧٤٠.

مما يدلّ على مكانة هذا الشهر الكريم، ويقتضي مزيد الاهتمام بالقرآن الكريم فيه.

فإنّ لقراءة القرآن في شهر رمضان فضلًا عظيمًا، جاء في خطبةٍ لرسول الله ﷺ في استقبال شهر رمضان: «مَنْ تَلا فيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ كانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ»(١).

وورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «لِكُلِّ شَيءٍ رَبيعٌ، ورَبيعُ القُرآنِ شَهرُ رَمَضانَ»(٢).

إنّ تلاوة القرآن ينبغي أن تكون برنامجًا يوميًّا ثابتًا في حياة الانسان المسلم، وينبغي أن يصحب التلاوة تأمل وتدبّر في معاني الآيات ومقاصدها، وليس مجرّد الحكاية لألفاظها.

يقول الشيخ المجلسي في تعليقه على هذه الرواية: (أي كما أنّ الأشجار تنمو في الربيع وتظهر آثارها وأثمارها، كذلك القرآن في شهر رمضان يكثر ثوابه وتظهر آثاره أكثر من سائر الأزمان)(٣).

التلاوة الواعية

إنّ تلاوة القرآن ينبغي أن تكون برنامجًا يوميًّا ثابتًا في حياة الانسان المسلم، ورد بسند حسن في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الْقُرْآنُ عَهْدُ اللهِ إِلى خَلْقِهِ، فَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَهْدِهِ، وَأَنْ يَقْرَأَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسِينَ آيَةً»(٤).

وينبغي أن يصحب التلاوة تأمل وتدبّر في معاني الآيات ومقاصدها، وليس مجرّد الحكاية لألفاظها.

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص٩٣.
(٢) الكافي، ج٢، ص٦٣٠، حديث١٠.
(٣) مرآة العقول، ج١٢، ص٥١٩.
(٤) الكافي، ج٢، ص٦٠٩.

ورد عن الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «آيَاتُ الْقُرْآنِ خَزَائِنُ، فَكُلَّمَا فُتِحَتْ خِزَانَةٌ، يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا»(١).

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْقُرْآنَ لَا يُقْرَأُ هَذْرَمَةً (السّرعة في القراءة)، وَلكِنْ يُرَتَّلُ تَرْتِيلًا، فَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ، فَقِفْ عِنْدَهَا، وَسَلِ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - الْجَنَّةَ، وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ، فَقِفْ عِنْدَهَا، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ النَّارِ»(٢).

إنّ القرآن يدعونا إلى التدبّر في آياته. يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد، الآية: ٢٤].

ويقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص، الآية: ٢٩].

وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ألا لا خَيْرَ في قِراءَةٍ لَيْسَ فيها تَدَبُّرٌ»(٣)، والتدبّر هو النظر في عواقب الأمور ونهاياتها، ويتمثل هنا بالتفكير في مقاصد الآيات وغاياتها.

إنّ القراءة من دون تأمل تكون قراءة سطحية، تتعامل مع القرآن كحروف، وكلمات بلا معانٍ ولا مفاهيم. وكأنّ القراءة مطلوبة كعمل طقوسي، من أجل التعبّد والتبرك.

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «ولا يَكُن هَمُّ أحَدِكُم آخِرَ السُّورَةِ»(٤).

إنّ البعض قد يعتقد بعدم أهليته لإدراك وفهم شيء من معاني القرآن، وأنّ تلك مهمّة الراسخين في العلم فقط، وهذا خطأ كبير. ينافي الأمر الالهي بالتدبّر والتفكر، وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُخَاطِبَ خَلْقَهُ بِمَا لَا يَعْقِلُونَ».

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٠٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٦١٧.
(٣) الكافي، ج١، ص٢٦.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٦١٤.

أهليّة التدبّر في القرآن

إنّ البعض قد يعتقد بعدم أهليته لإدراك وفهم شيء من معاني القرآن، وأنّ تلك مهمّة الراسخين في العلم فقط، وهذا خطأ كبير. ينافي الأمر الالهي بالتدبّر والتفكر، وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُخَاطِبَ خَلْقَهُ بِمَا لَا يَعْقِلُونَ»(١).

إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [سورة القمر، الآية: ١٧].

من الطبيعي أن يتفاوت مستوى الفهم والاستنتاج، بتفاوت الذكاء والعلم والمعرفة.

فكلّما كان الإنسان أكثر معرفة وخبرة، كانت قدرته على استيعاب مضامين الآيات أكبر وأعمق، لكنّ معظم آيات القرآن الكريم يستطيع الإنسان العادي أن يفهم معناها بمستوى إدراكه.

إننا بحاجة إلى ثقافة تحفّزنا إلى الانفتاح أكثر على القرآن الكريم، وتجاوز التعامل الطقوسي والشكلي مع تلاوته.

إنّ قراءة آية واحدة بتفكير وتأمّل، أفضل من قراءة عشرات الآيات من دون تدبّر.

إنه تعالى يقول: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، و﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾.

وهو يخاطب الناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

لكنّ تطور الاستخدام اللغوي، قد يجعل بعض الكلمات في القرآن غير مفهومة المعنى عند أبناء الجيل الحاضر، فهناك كلمات عربية قلّ تداولها، أو تغيّرت دلالاتها، وهنا يمكن

(١) وسائل الشيعة، ج١٧، ص٣٢٥، حديث ٢٢٦٧٤.

الاستعانة بالتفاسير المختصرة التوضيحية، التي تبيّن معاني المفردات في الآيات الكريمة، وتشير إلى المقصود من مجمل الآية، وهناك مصاحف مطبوعة وعلى هامشها تفسير توضيحي مختصر، لكلّ صفحة من صفحات المصحف الشريف، وينبغي أن يختار الإنسان لتلاوته اليومية واحدًا من هذه المصاحف.

الاهتمام بالقرآن الكريم

إننا بحاجة إلى ثقافة تحفّزنا إلى الانفتاح أكثر على القرآن الكريم، وتجاوز التعامل الطقوسي والشكلي مع تلاوته.

إنّ قراءة آية واحدة بتفكير وتأمّل، أفضل من قراءة عشرات الآيات من دون تدبّر.

جاء في رواية عن إبراهيم بن العباس أنّ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام كان يختم القرآن فِي كُلِّ ثَلَاثَةٍ وَيَقُولُ: «لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْتِمَهُ فِي أَقْرَبَ مِنْ ثَلَاثَةٍ تَخَتَّمْتُ، وَلَكِنِّي مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ قَطُّ إِلَّا فَكَّرْتُ فِيهَا وَفِي أَيِّ شَيْءٍ أُنْزِلَتْ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ، فَلِذَلِكَ صِرْتُ أَخْتِمُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»[1].

فإذا كان الإمام مع علوّ مقامه وعظيم علمه، يبدي هذا الاهتمام بالتدبّر في القرآن، والتأمّل في آياته، فإنّ ذلك يدعونا إلى أن نبديَ اهتمامًا أكبر بالقرآن الكريم.

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يهتمون بالقرآن الكريم أعلى درجات الاهتمام، ويؤكّدون على أتباعهم وشيعتهم أن يكونوا

إنّ بعض المسلمين يبدون اهتمامًا بالقرآن الكريم، ويغفلون عن إبداء الاهتمام المناسب بشأن العترة النبوية، والبعض الآخر يبدون الاهتمام بشأن أهل البيت عليهم السلام، ويغفلون عن إبداء الاهتمام المناسب بشأن القرآن الكريم، وكلاهما تقصير غير مقبول.

(١) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٨٠.

أسبق الناس للاهتمام بالقرآن الكريم، حيث يؤكّد أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته الأخيرة قائلًا: «اللَّهَ اللَّهَ فِي الْقُرْآنِ لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»(١).

إنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام أولى من غيرهم بالاهتمام الأكثر بالقرآن الكريم، وتعظيم شأنه، كما يهتمّون بإحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام.

فكما نؤسس حسينيات ومجالس لإحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام، ينبغي أن نؤسس مؤسسات ومراكز للقرآن الكريم.

وكما نخصّص أوقافًا لمجالس أهل البيت عليهم السلام والإطعام في مناسباتهم، نحتاج إلى أوقاف مخصصة للشأن القرآني.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ترك في أمّته ثِقلين: الكتاب والعترة، فقد جاء الحديث عنه صلى الله عليه وآله بأسانيد صحيحة، وطرق كثيرة، في مصادر السنة والشيعة، أنه صلى الله عليه وآله قال: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ. وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»(٢).

إنّ بعض المسلمين يبدون اهتمامًا بالقرآن الكريم، ويغفلون عن إبداء الاهتمام المناسب بشأن العترة النبوية، والبعض الآخر يبدون الاهتمام بشأن أهل البيت عليهم السلام، ويغفلون عن إبداء الاهتمام المناسب بشأن القرآن الكريم، وكلاهما تقصير غير مقبول.

تعظيم شأن القرآن

إنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام أولى من غيرهم بالاهتمام الأكثر بالقرآن الكريم، وتعظيم شأنه، كما يهتمّون بإحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام.

فكما نؤسس حسينيات ومجالس لإحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام، ينبغي

(١) نهج البلاغة خطبة ٤٧.
(٢) سنن الترمذي، حديث ٣٧٨٨.

أن نؤسس مؤسسات ومراكز للقرآن الكريم.

وكما نقيم المناسبات والمواسم لذكريات أهل البيت عليهم السلام، علينا أن نقيم المناسبات القرآنية.

وكما نخصّص أوقافًا لمجالس أهل البيت عليهم السلام والإطعام في مناسباتهم، نحتاج إلى أوقاف مخصصة للشأن القرآني.

وينبغي أن نهتمَّ بتشجيع الكفاءات والكوادر القرآنية، كما نشجّع الخطباء والروادید.

وبحمد الله تعالى فقد بدأ مجتمعنا مسيرة الاهتمام بالشأن القرآني، حيث تأسست عدد من اللجان القرآنية، وأصبح عندنا عدد من القرّاء المجيدين لتلاوة القرآن، ومن الحافظين لكتاب الله تعالى، وعلينا أن ندعم هذا التوجه ونشجعه، لنكون كما أراد لنا أئمتنا الطاهرون صلوات الله وسلامه عليهم.

لماذا نقرأ القرآن؟

الجمعة ٩ رمضان ١٤٤٤هـ | ٣١ مارس ٢٠٢٣م.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٢١].

تؤكّد النصوص الدينية على أهمية تلاوة القرآن، والتدبّر في آياته، كقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [سورة المزمل، الآية: ٤].

وقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[سورة المزمل، الآية: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[سورة النساء، الآية: ٨٢].

وآيات كثيرة جاءت بصيغ مختلفة.

كما وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، تحثّ على المواظبة والإكثار من تلاوة القرآن، في مختلف الأحوال والظروف.

فقد ورد عن النبي ﷺ: «أَفْضَلُ اَلْعِبَادَةِ قِرَاءَةُ اَلْقُرْآنِ»(١).

وعنه ﷺ: «عَلَيْكَ بِتِلاَوَةِ اَلْقُرْآنِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»(٢).

وعنه ﷺ: «نَوِّرُوا بُيُوتَكُمْ بِتِلاَوَةِ اَلْقُرْآنِ»(٣).

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «اَلْقُرْآنُ عَهْدُ اَللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ فَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ اَلْمُسْلِمِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَهْدِهِ وَأَنْ يَقْرَأَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسِينَ آيَةً»(٤).

إنّ الدعوة إلى تلاوة القرآن موجّهة إلى كلّ الناس، على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم، وفي مختلف الأجيال والعصور.

فالقرآن كتاب مفتوح للجميع، إنه ليس كتابًا تخصّصيًّا لا تستفيد منه إلّا نخبة من أهل الاختصاص.

وعنه عليه السلام: «مَا يَمْنَعُ اَلتَّاجِرَ مِنْكُمُ اَلْمَشْغُولَ فِي سُوقِهِ إِذَا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ أَنْ لاَ يَنَامَ حَتَّى يَقْرَأَ سُورَةً مِنَ اَلْقُرْآنِ فَتُكْتَبَ لَهُ مَكَانَ كُلِّ آيَةٍ يَقْرَؤُهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَيُمْحَى عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ»(٥).

إنّ الدعوة إلى تلاوة القرآن موجّهة إلى كلّ الناس، على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم، وفي مختلف الأجيال والعصور.

فالقرآن كتاب مفتوح للجميع، إنه ليس كتابًا تخصّصيًّا لا تستفيد منه إلّا نخبة من أهل الاختصاص.

وليس كتابًا معنيًا بمجال محدّد لا يهتم به غير المعنيين بذلك المجال، ومضامينه ليست موجّهة لطبقة أو جماعة معيّنة ليكون الاهتمام به في حدودها.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص١٦٨.
(٢) الكافي، ج٨، ص٧٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٦١٠.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٠٩.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٦١١.

كما لا يختصّ خطابه بعصرٍ من العصور، أو ظرف من الظروف، فتنتهي أغراضه بانتهائها.

إنه رسالة الله للناس أجمعين، منذ نزوله إلى قيام يوم الدين.

يقول تعالى: ﴿هُذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٣٨].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[سورة الزمر، الآية: ٤١].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [سورة القمر، الآية: ١٧].

واستجابة لهذه الدعوة المؤكدة، توارثت أجيال الأمة الاهتمام بتلاوة القرآن الكريم، وحفظ آياته.

حتى إنه لم يحفظ كتاب، ولم تتداول نصوص كتاب، كالقرآن الكريم في تاريخ البشرية.

الأغراض المستهدفة

إنّ للتأكيد على تلاوة القرآن في جميع أوساط الأمة، أغراضًا وآثارًا مستهدفة، لعلّ من أهمها ما يلي:

أولًا: حماية وجود القرآن، وضمان حفظه وصيانته، فقد تعرّضت الكتب السماوية السابقة للضياع والتغيير والتحريف، وأراد الله تعالى للقرآن الكريم الحفظ والاستمرارية، يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ومن أبرز الوسائل التي حفظ الله تعالى بها القرآن، هذا التداول المكثّف له بين

من أبرز الوسائل التي حفظ الله تعالى بها القرآن، هذا التداول المكثّف له بين المسلمين، حيث توارثته أجيال الأمة بالتواتر، منذ أن تلقّاه الجيل الأول من رسول الله ﷺ، حيث جمع على عهده وتحت إشرافه.

المسلمين، حيث توارثته أجيال الأمة بالتواتر، منذ أن تلقّاه الجيل الأول من رسول الله ﷺ، حيث جمع على عهده وتحت إشرافه، كما تؤكّد ذلك الحقائق، وتؤيّده روايات أهل البيت عليهم السلام، أما الروايات المتداولة عن جمع القرآن على يد الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، فهي مليئة بالثغرات، كما أشار إلى ذلك بعض أعلام أهل السنة.

ثانيًا: تعزيز حالة الانفتاح المباشر على الله سبحانه، وتوثيق الصّلة بين العبد وربه، وبين الإنسان والمصدر الأساس لدينه.

وهذا ما تشير إليه بعض النصوص الدينية، التي تعطي لتلاوة القرآن الكريم منزلة التخاطب والتحادث المباشر مع الله سبحانه.

فقد ورد عن النبي ﷺ: «إذا أحَبَّ أحدُكُم أن يُحَدِّثَ رَبَّهُ فَلْيَقرأ القرآنَ»(١).

وعنه ﷺ: «ألا مَن اشتاقَ إلَى اللهِ فَلْيَستَمِعْ كلامَ اللّه»(٢).

وروي أنّ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام كان إِذَا قَرَأَ ﴿يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قَالَ: «لَبَّيْكَ اَللَّهُمَّ لَبَّيْكَ»(٣).

إنّ القرآن يؤكّد على التواصل المباشر بين العبد وربه، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾[سورة البقرة، الآية: ١٨٦].

لقد ابتليت الديانات السابقة، بوجود طبقة من الكهنة الذين عملوا على إيجاد حاجز فاصل بين الناس وربّهم، ليأخذوا هم دور الوساطة، بما يُمكّنهم من تحقيق أغراضهم ومصالحهم، فحرّفوا الكتب المقدّسة،

(١) كنز العمال، حديث ٢٢٥٧.
(٢) المصدر نفسه، حديث ٢٤٧٢.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٨٠.

وكتموا بعضها، وغيّروا الأحكام، وقطعوا الطريق إلى الله، وأعطوا لأنفسهم دور محاسبة العباد على ذنوبهم، وإصدار صكوك الغفران.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[سورة التوبة، الآية: ٣٤].

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٤٦].

لكنّ الإسلام فتح باب التواصل المباشر بين العباد وربّهم، ودعاهم لقراءة وحيه ورسالته.

ثالثًا: ليستفيد الإنسان من بركات القرآن ويهتدي بهديه.

تلاوة القرآن مستويات ودرجات

إنّ تلاوة القرآن درجات ومراتب، فهناك من يقرأ القرآن تعبّدًا ولا يلتفت إلى مضامينه ومعانيه، إمّا لضعف وعيه وإدراكه، أو لغفلته، لكنّه حين يقرأ بقصد التقرّب والثواب فسيشمله الله بفضله. وهذا من معاني القراءة الميسّرة للقرآن، يقول تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾.

لكنّ القراءة الأفضل، التي ينبغي للإنسان أن يتطلّع إليها ويتمثّلها، هي قراءة التفاعل والوعي، حتى يستفيد ويأخذ بأعلى حدٍّ يمكنه من بركات القرآن.

القراءة الأفضل، التي ينبغي للإنسان أن يتطلّع إليها ويتمثّلها، هي قراءة التفاعل والوعي، حتى يستفيد ويأخذ بأعلى حدٍّ يمكنه من بركات القرآن.

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢١].

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢١].

وذلك يشبه ما تحدّث به القرآن الكريم عن تفاوت مستوى التقوى، حيث يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن، الآية: ١٦]، ويقول تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

ورد عن النبي ﷺ: في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ «يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ»(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿اَلَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ اَلْكِتٰابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاٰوَتِهِ﴾ قَالَ: «يُرَتِّلُونَ آيَاتِهِ، وَيَتَفَهَّمُونَ مَعَانِيَهُ، وَيَعْمَلُونَ بِأَحْكَامِهِ»(٢).

وعن النبي ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا جَلَاؤُهَا؟

قَالَ ﷺ: «تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ»(٣).

وعنه ﷺ: «إِنَّ هَذَا اَلْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اَللَّهِ تَعَالَى فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَةِ اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا اِسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّهُ اَلنُّورُ اَلْمُبِينُ وَاَلشِّفَاءُ اَلنَّافِعُ تَعَلَّمُوهُ فَإِنَّ اَللَّهَ يُشَرِّفُكُمْ بِتَعَلُّمِهِ»(٤).

وعنه ﷺ: «إنَّ اللّهَ تعالى لا يُعَذِّبُ قَلبا وَعَى القرآنَ»(٥).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ اَلْقُرْآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اِخْتَلَطَ اَلْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ»(٦).

---

(١) الشوكاني: فتح القدير، ج١، ص١٥٨.
(٢) ميزان الحكمة، ج٩، ص٣٥٠.
(٣) كنز العمال، حديث ٢٤٤١.
(٤) مستدرك الوسائل، ج٤، ص٣٣٢.
(٥) كنز العمال، حديث٢٤٠٠.
(٦) الكافي، ج٢، ص٦٠٣.

الاستجابة للقرآن

الجمعة ١٦ رمضان ١٤٤٤هـ | ٧ أبريل ٢٠٢٣م.

﴿إِنَّ هَٰذَا القرآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٩].

يتفاوت مستوى الاستفادة من قراءة القرآن واستماعه، حسب اختلاف مقاصد القراءة ودوافعها.

فهناك من يقرأ القرآن بقصد البركة ونيل ثواب التلاوة، كما هو السّائد عند أكثر المسلمين، وقد يُهدون ثواب التلاوة لموتاهم.

وهناك من يقرأ القرآن ليتذوّق بلاغة التعبير في آياته، وفصاحة ألفاظه وكلماته، أو يستمع التلاوة من صوتٍ حسنٍ الأداء والإيقاع، إعجابًا بموسيقاه الجميلة.

وهناك من يقرأ القرآن لكسب الأجرة أو المكافأة.

وهناك من يقرؤه لتحصيل استفادة علمية، في اللغة أو التاريخ أو الفقه، أو سائر حقول العلم والمعرفة.

وكلّها مقاصد نبيلة، لكن ما يجب أن يكون مقصدًا أساسًا في قراءة القرآن، هو الاهتداء بالقرآن، والاستجابة لأوامره وتعاليمه.

حاجة الإنسان إلى الهداية حاجة ملحّة، وبدونها يعيش الضّياع والضّلال، إنه كائن متميّز، فضّله الله على سائر مخلوقاته، بما منحه من عقل وإرادة، وينطوي على نزعات ورغبات متصارعة في أعماق نفسه، فكيف يستفيد من عقله؟ وكيف يستخدم إرادته؟ وكيف يتعامل مع نزعاته ورغباته المختلفة؟

إنّ القرآن يقرّر أنّ وظيفته ومهمّته هداية الإنسان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا القرآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[سورة الإسراء، الآية: ٩]، ويقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القرآن هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة، الآية:١٨٥].

ويقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية:٢].

ويقول تعالى: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ القرآن وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النمل، الآيتان: ١-٢] والهدى إراءة الطريق الموصل إلى المطلوب.

الحاجة إلى الهدى

وحاجة الإنسان إلى الهداية حاجة ملحّة، وبدونها يعيش الضّياع والضّلال، إنه كائن متميّز، فضّله الله على سائر مخلوقاته، بما منحه من عقل وإرادة، وينطوي على نزعات ورغبات متصارعة في أعماق نفسه، فكيف يستفيد من عقله؟ وكيف يستخدم إرادته؟ وكيف يتعامل مع نزعاته ورغباته المختلفة؟

ولأنّ الإنسان اجتماعي مدنيٌّ بطبعه، فهو يعيش مشكلة إدارة العلاقة مع محيطه الاجتماعي، حيث تختلف الآراء والتوجهات، وتتضارب المصالح والإرادات.

ويواجه الإنسان تساؤلات تفرض نفسها عليه، ككائن مفكّر، حول مصدر ونهاية وجوده، وعن هدف ومعنى حياته، وتقلقه الحيرة أمام هذه التساؤلات، وتتأثر حياته بنوعية الإجابات عليها.

إنّ الإنسان كثيرًا ما يجد نفسه أمام خيارات مختلفة متعدّدة، على صعيد الأفكار والآراء، والمواقف والتصرّفات، فيحتار في معرفة الصحيح والأصح منها، وحتى حينما يعرف، فقد يواجه ضغوطًا من داخل نفسه، أو من محيطه الاجتماعي تصرفه عن اختيار الصواب.

من هنا يكون الهدى حاجة دائمة للإنسان، ليتجنّب متاهات الضّلال والضّياع، والقرآن أنزله الله ليكون مصدر هدًى، يُري الإنسان طريق الحقّ والصواب، في مختلف الشؤون والمجالات.

كما يصف القرآن نفسه بأنه نور، ووظيفة النور الإضاءة، ليرى الإنسان موقع وجوده، ومسار حركته، ويرى الأشياء من حوله.

يقول تعالى: ﴿... قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المائدة الآيتان: ١٥-١٦].

ويقول تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ

على الإنسان أن يستحضر في نفسه، أنّ ما يقرؤه خطابٌ من الله تعالى إليه، وليس كما يقرأ كتابًا تاريخيًّا أو لأحد المؤلفين، بل كما يقرأ الرسالة أو الخطاب الذي يأتيه من مقام يحترمه ويجلّه، ويرى نفسه في حاجة لإرشاده، وملزمًا بتوجيهه،

رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية:١].

كيف نهتدي ونستنير بالقرآن؟

لكنّنا نجد أنّ كثيرًا ممن يقرؤون القرآن لا يستضيئون بنوره في حياتهم، ولا يستجيبون لهدايته.

فكيف يهتدي الإنسان ويستنير بقراءة القرآن؟

عليه **أولًا**: أن يستحضر في نفسه، أنّ ما يقرؤه خطابٌ من الله تعالى إليه، وليس كما يقرأ كتابًا تاريخيًّا، أو لأحد المؤلفين، بل كما يقرأ الرسالة أو الخطاب الذي يأتيه من مقام يحترمه ويجلّه، ويرى نفسه في حاجة لإرشاده، وملزمًا بتوجيهه، كما إذا جاءت الموظف رسالة أو تعليمات من إدارته، أو جاءت رسالة إلى خادم من مخدومه، أو من حبيب إلى حبيبه، فإنه يتعامل معها باهتمام.

إنّ استحضار هذا المعنى هو ما تشير إليه بعض النصوص الدينية، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ اَلْقُرْآنَ فَكَأَنَّمَا أُدْرِجَتِ اَلنُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ إِلاَّ أَنَّهُ لاَ يُوحَى إِلَيْهِ»[1].

وعنه عليه السلام: «لَقَدْ تَجَلَّى اللّهُ لِخَلْقِهِ في كَلامِهِ وَلكِنَّهُمْ لا يُبْصِرُونَ»[2].

ثانيًا: أن يتأمّل ما يقرأ، ويحاول فهمه والتدبّر فيه، ليعرف ما تقوله الآيات القرآنية، ويتفاعل مع مضمونها.

ورد عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: (قَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَأَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَقَرَأْتُ سُورَةَ

(١) وسائل الشيعة، حديث ٧٧٠٤.
(٢) بحار الأنوار ج٨٩، ص١٠٧، حديث ٢.

النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[سورة النساء، الآية: ٤١]، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ)[١].

وعن زر بن حبيش قال: (قَرَأتُ القُرآنَ مِن أوَّلِهِ إلى آخِرِهِ فِي المَسجِدِ الجامِعِ بِالكوفَةِ عَلى أميرِ المُؤمِنينَ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ عليه السلام - إلى أن قال - فَلَمّا بَلَغتُ رَأسَ العِشرينَ مِن حم عسق: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٢٢] بَكى حَتَّى ارتَفَعَ نَحيبُهُ)[٢].

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ القرآن إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ مِنَ القرآن فِيهَا مَسْأَلَةٌ أَوْ تَخْوِيفٌ أَنْ يَسْأَلَ عِنْدَ ذَلِكَ خَيْرَ مَا يَرْجُو، وَيَسْأَلَهُ الْعَافِيَةَ مِنَ النَّارِ وَمِنَ الْعَذَابِ»[٣].

الالتزام بتطبيق القرآن

ثالثًا: أن يقرأ مع الاستعداد للاستجابة والتفاعل مع أوامر القرآن وتوجيهاته، وهذا ما تؤكّد عليه النصوص الدينية حول قراءة القرآن.

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِنْ لَمْ يُنْهِكْ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ»[٤].

وورد عنه صلى الله عليه وآله: «رُبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ وَالقرآن يَلْعَنُهُ»[٥].

وجاء عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «وَرَجُلٌ قَرَأَ القرآن، فَحَفِظَ

(١) صحيح البخاري، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، حديث ٥٠٥٠.
(٢) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢٠٦، حديث ٢.
(٣) وسائل الشيعة، ج٦، ص١٧١، حديث ٧٦٥٦.
(٤) كنز العمال، حديث٢٧٧٦.
(٥) بحار الأنوار، ج٨٩، ص ١٨٤، حديث١٩.

حُرُوفَهُ، وَضَيَّعَ حُدُودَهُ، وَأَقَامَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ، فَلَا كَثَّرَ اللهُ هؤُلَاءِ مِنْ حَمَلَةِ القرآن»[1].

يقول الشيخ محمد الغزالي: (قد تكون مشكلتنا اليوم في التعامل مع القرآن، كالعاصي من البشر، الذي يسمع آيات تدعو إلى التوبة، فلا يدرك أبعاد معصيته، وضرورة الالتفات إلى التوبة المودعة في الآيات، وإنما يلتفت إلى موسيقى القراءة ونغم التالي، فيقول: «الله.. الله» للنغمة التي يسمعها)[2].

إنّ من يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٦]. عليه أن يتحقّق من أيّ فكرة ترد إلى ذهنه، ومن أيّ معلومة تصله، ولا يحقّ له أن يتبع الظّنون والأقاويل.

وإنّ من يقرأ قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٣]، عليه أن يحرص على حفظ لسانه من أيّ كلمة بذيئة أو مسيئة.

وإنّ من يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. [سورة النور، الآية: ٢٢] عليه أن يتحلّى بالحلم والصّفح والعفو، عمّن أخطأ بحقّه أو أساء إليه.

إنّ القرآن كتاب هداية وحياة، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٤].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٦٢٧، حديث١.
(٢) محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، ص٥٣.

القرآن ومنهجية التفكير

الجمعة ٢٣ رمضان ١٤٤٤هـ | ١٤ أبريل ٢٠٢٣م.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٤]

تشير آيات كثيرة في القرآن الكريم، إلى أنّ من أهم أغراض نزول آياته، هو تحفيز الناس إلى التفكير، واستخدام عقولهم بمنهجية سليمة.

حيث ورد في عدد من الآيات القرآنية، أنّ الله تعالى أنزل آيات القرآن، رجاء أن تدفع الناس إلى التفكير والتعقّل، واستخدمت الآيات لفظ (لعلّ) الذي يدلّ على التوقّع والرّجاء.

يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٤].

ويقول تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٩].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢].

العقل وآلية عمله

إنّ العقل هو ما يميّز الإنسان عن سائر المخلوقات، إنه القدرة الهائلة التي يتعرّف بها الإنسان على خالقه، ومن ثمَّ يدرك معنى حياته، وبالعقل يكتشف الإنسان أنظمة الكون وسنن الحياة، فيعمر الأرض، ويسخّر إمكانات الطبيعة، للارتقاء بمستوى معيشته، وتطوير حياته.

إنّ أكثر الناس لا يلتفتون إلى قيمة هذا الكنز العظيم، الذي منحهم الله إيّاه (العقل)، ولا يستثيرون قدراته بالتفكير والنظر والتأمل، ويعيشون خمول الفكر، وكسل العقل. فمهارات التفكير أشبه بالعضلات في الجسم، تقوى بممارسة الحركة والتدريب، وتضعف وتصاب بالضمور لقلّة الحركة.

إنّ كلّ ما حقّقه الإنسان من تقدّم عبر تاريخه الطويل، في المجال العلمي والصناعي والتكنولوجي، وفي جميع المجالات، هو بفضل هذه القدرة العقلية التي منحها الله له.

يقوم العقل بمهمّته عبر عملية التفكير، التي تنطوي على عدد هائل من الأنشطة العقلية، مثل: التذكر، والملاحظة، والتخيّل، والتقييم، والتحليل، والاستنتاج، وهي أنشطة ذهنية غير محسوسة، تحدث داخل مخّ الإنسان، لا يعرف الإنسان عن أسرارها إلّا شيئًا ضئيلًا، إنّ أيّ عملية تفكير يقوم بها الإنسان لاتّخاذ قرار وإن كان بسيطًا، تستلزم أنشطة ذهنية متعدّدة الأبعاد، تتم بسرعة لا يكاد يحسّ بها الإنسان، ولعلّ من أوضح تعريفات التفكير المختلفة أنه: (مجموعة من العمليات العقلية التي تحدث في مخّ الإنسان، ويتم فيها توظيف المهارات الذهنية للوصول إلى نتيجة ما).

الكنز المغفول عنه

إنّ أكثر الناس لا يلتفتون إلى قيمة هذا الكنز العظيم، الذي منحهم الله إيّاه (العقل)، ولا يستثيرون قدراته بالتفكير والنظر والتأمل، ويعيشون خمول الفكر، وكسل العقل. فمهارات التفكير أشبه بالعضلات في الجسم، تقوى بممارسة الحركة والتدريب، وتضعف وتصاب بالضمور لقلّة الحركة.

إنّ الله تعالى يصف من لا يستخدمون عقولهم بأنهم يفقدون ميزتهم الإنسانية، ويصبحون كالحيوانات التي تسيّرها الغرائز والرغبات، بل أسوأ حالًا منها؛ لأنّ الحيوانات لا تمتلك قدرة عقلية ترجع إليها، بينما يتمتع الإنسان بهذه القدرة العظيمة لكنه يتجاهلها، يقول تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. [سورة الأعراف، الآية: ١٧٩].

إنّ ممارسة التفكير تستلزم من الإنسان بذل جهد ذهني، وتركيز نفسي، وذلك ما يستصعبه كثير من الناس، فيتهرّبون من خوض غمار التفكير.

إنّ من أهم أسباب انصراف الإنسان عن التفكير، اعتماده على الآخرين، وثقته غير الواعية بهم، كتقليد أسلافه، وزعامات مجتمعه، والأخذ بما هو سائد في بيئته، وفي وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي.

يقول توماس أديسون: (٥٪ من الناس يفكرون، و١٠٪ منهم يعتقدون أنّهم يفكرون، بينما ٨٥٪ يفضلون أن يموتوا على أن يفكروا)[1].

وقد نزل القرآن في بيئة يسودها الجهل

(١) د. صلاح الفضلي، التحيّزات الذهنية، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م، ص١٠١.

وخمول الفكر، فكانت المساحة الأوسع في آياته دعوة إلى إثارة العقل، واستخدام التفكير، وإمعان النظر، وتكرّر ذلك في الآيات الكريمة بجمل وتعبيرات مختلفة، مثل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، وأمثالها في مئات من الآيات القرآنية.

اتّباع الآخرين وإغفال العقل

إنّ من أهم أسباب انصراف الإنسان عن التفكير، اعتماده على الآخرين، وثقته غير الواعية بهم، كتقليد أسلافه، وزعامات مجتمعه، والأخذ بما هو سائد في بيئته، وفي وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي.

وقد ركّز القرآن الكريم، على تحذير الإنسان من الانسياق خلف الآخرين، دون وعيٍ وتفكير.

هناك أهل اختصاص قد ترجع إليهم في مجال اختصاصهم، عند الاطمئنان إليهم، ويحذّر القرآن الإنسان من السير خلف الأوهام والظنون، واتباع الهوى والرغبة.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠٤].

ويقول تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٦٧].

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [سورة الفرقان، الآيات: ٢٧-٢٩].

ويقول تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [سورة المدثر، الآية: ٤٥].

منهجية التفكير

يوجّه القرآن الإنسان إلى أن يفكر في كلّ أمر، ليسير فيه على علم، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الاسراء، الآية: ٣٦].

كما يوجه القرآن الإنسان، ألّا يقبل أو يرفض أيّ فكرة حتى يفكّر فيها، وأن يدرس الخيارات والآراء المختلفة، ليأخذ بأصوبها وأحسنها، يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر، الآيتان: ١٧- ١٨].

وحين يعرض عليه أحد فكرة أو أمرًا، يجب أن يطالبه بالدليل والبرهان، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١١].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤٨].

نعم هناك أهل اختصاص قد ترجع إليهم في مجال اختصاصهم، عند الاطمئنان إليهم، يقول تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٣].

ويقول تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦٦].

ويحذّر القرآن الإنسان من السير خلف

إنّ على من يقرأ القرآن أن يتأمل في آياته التي تدعو إلى التفكير واستخدام العقل، وأن يستجيب لدعوة القرآن، فيستثير فكره في كلّ ما يواجهه ويهمّه، ضمن منهجية سليمة، تعتمد الدليل والبرهان، وتبتعد عن التقليد الأعمى واتّباع الظنّ والهوى.

الأوهام والظنون، واتباع الهوى والرغبة.

يقول تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ [سورة النجم، الآية: ٢٣].

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص، الآية: ٢٦].

كما يوجه القرآن الإنسان، ألّا يقبل أو يرفض أيّ فكرة حتى يفكّر فيها، وأن يدرس الخيارات والآراء المختلفة، ليأخذ بأصوبها وأحسنها.

أولوية التفكير المنهجي

إنّ القرآن يهتم بالدرجة الأولى، لتوجيه الإنسان نحو استخدام عقله، وفق منهجية سليمة، أما القضايا العبادية فهي تأتي في الدرجة التالية، لذلك فإنّ مساحتها في آيات القرآن، أقلّ بكثير من مساحة الحديث عن العقل والتفكّر والعلم.

إنّ الحديث عن الوضوء مثلًا، جاء في أقلّ من نصف آية في القرآن الكريم، هي الآية (٦) من سورة المائدة، كذلك فإنّ الحديث عن الحج والصوم ورد في آيات معدودة قليلة.

أما الآيات القرآنية الداعية إلى التفكير والتعقل والمعرفة والعلم، فتقدّر بالمئات في القرآن الكريم.

إنّ على من يقرأ القرآن، أن يتأمل في آياته التي تدعو إلى التفكير واستخدام العقل، وأن يستجيب لدعوة القرآن، فيستثير فكره في كلّ ما يواجهه ويهمّه، ضمن منهجية سليمة، تعتمد الدليل والبرهان، وتبتعد عن التقليد الأعمى واتّباع الظنّ والهوى.

وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، لتؤكّد على أهمية التعقّل والتفكير، وأنّها المعيار والمقياس في اتّباع القرآن، والتزام الدين.

ورد عن رسول الله ﷺ: «إذا بَلَغَكُم عَن رَجُلٍ حُسنُ حالٍ فَانظُروا في حُسنِ عَقلِهِ، فَإِنَّما يُجازى بِعَقلِهِ»[1].

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «تَفَكُّرُ ساعَةٍ خَيرٌ مِن عِبادَةِ سَنَةٍ»[2].

قال سُلَيمانُ الدَّيلَمِيُّ: قُلتُ لِأَبي عَبدِاللّهِ (جعفر الصادق عليه السلام): فُلانٌ مِن عِبادَتِهِ ودينِهِ وفَضلِهِ كذا وكذا، فَقالَ: «كَيفَ عَقلُهُ؟» قُلتُ: لا أدري، فَقالَ: «إنَّ الثَّوابَ عَلى قَدرِ العَقلِ»[3].

وورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «لَيسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكّرُ فِى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[4].

(١) الكافي، ج ١، ص ١٢، حديث ٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٧١، ص٣٢٧، حديث٢٢.
(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ٥٠٤، حديث٦.
(٤) الكافي، ج٢، ص٥٥، حديث٤.

القرآن وتعزيز الصحة النفسية

الجمعة ٣٠ رمضان ١٤٤٤هـ | ٢١ أبريل ٢٠٢٣م.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة يونس، الآية: ٥٧].

في أكثر من آية في القرآن الكريم، يصف الله تعالى القرآن بأنه شفاء، يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٤٤]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة الإسراء، الآية: ٨٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية: ٥٧].

والشِّفاء: البُرء من المرض، وتفيد هذه الآيات أنّ القرآن يقدّم العلاج والدواء لما يصيب الإنسان من أمراض وأسقام.

وحينما يُذكر المرض والشفاء منه، يتبادر إلى الذهن الأمراض الجسمية، التي يتعرّض لها كلّ أبناء البشر، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «لَيسَ للأجسامِ نَجاةٌ مِن الأسقامِ»[1]، وهي أمراض مختلفة متنوعة، تهدّد حياة الإنسان، وتشلّ بعض أجهزة جسمه، وتسبّب له الأذى والصّعوبة والإرباك في عيشه.

ليست مهمّة القرآن الكريم تقديم الوصفات الطبية لأمراض الجسم، ولا معالجة أسقام البدن، فتلك مهمّة المتخصّصين في المجال الطبي، والخبراء في الشؤون الصّحية.

فهل أنّ القرآن يقدّم للإنسان وصفات الشفاء والعلاج من هذه الأمراض الجسمية؟

هناك من يرى أنه يمكننا التماس الشفاء من القرآن لأمراض الجسم، وإذا كان ذلك بمعنى التبرك والتوسّل والاستشفاع إلى الله تعالى بآيات القرآن الكريم ضمن قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ فهذا أمر صحيح، لكنّه ليس بديلًا عن السّعي للعلاج بمراجعة الأطباء واستعمال الدواء.

إنّ التوسّل والدّعاء يرفع معنويات المريض ويزيد ثقته ويقوّي نفسه، فيعزّز المناعة الصحية، ويساعد على الاستجابة للبرنامج العلاجي. أما الاكتفاء بالتوسّل والدعاء فهذا ما لا يؤيّده الفهم الصحيح للنصوص الدينية، ولم تشرّعه سيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

التداوي ومراجعة الأطباء

ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «يا أيُّـها الناسُ تَداوَوا، فإنّ اللّهَ تعالى لم يَخلُقْ داءً إلّا خَلَقَ لَهُ شِفاءً، إلّا السّامَ، والسّامُ المَوتُ»[2].

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٧٤٥٩.
(٢) كنز العمّال، حديث ٢٨٠٩٠.

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَرِضَ فَقَالَ: لَا أَتَدَاوَى حَتَّى يَكُونَ الَّذِي أَمْرَضَنِي هُوَ الَّذِي يَشْفِينِي، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: لَا أَشْفِيكَ حَتَّى تَتَدَاوَى، فَإِنَّ الشِّفَاءَ مِنِّي»[1].

ليست مهمّة القرآن الكريم تقديم الوصفات الطبية لأمراض الجسم، ولا معالجة أسقام البدن، فتلك مهمّة المتخصّصين في المجال الطبي، والخبراء في الشؤون الصّحية.

وكان الأنبياء والأئمة يأمرون الناس بالرجوع إلى الأطباء لعلاج أمراضهم، كما جاء في سيرتهم، فقد أمر صلى الله عليه وآله بنقل سعد حينما جرح إلى خيمة رُفَيْدَة، التي كانت أقامتها في مسجد النبي صلى الله عليه وآله لمداواة الجرحى[2].

وجاء عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، قَالَ: جُرِحَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: «ادْعُوا لَهُ الطَّبِيبَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يُغْنِي عَنْهُ الطَّبِيبُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً»[3].

وعن جابر: إنَّ رَسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله عادَ مَريضًا وأنَا مَعَهُ، فَقالَ: «ألا نَدعو لَكَ طَبيبًا؟»

قالَ: وأنتَ تَأمُرُ بِهذا يا رَسولَ اللّهِ؟!

قالَ: «نَعَم، إنَّ اللّهَ لَم يُنزِل داءً إلّا وقَد أنزَلَ لَهُ دَواءً»[4].

بل إنّ التاريخ ينقل لنا مشاهد من رجوع بعض الأئمة إلى الأطباء، فحين أصيب الإمام

إنّ التوسّل والدّعاء يرفع معنويات المريض ويزيد ثقته ويقوّي نفسه، فيعزّز المناعة الصحية، ويساعد على الاستجابة للبرنامج العلاجي. أما الاكتفاء بالتوسّل والدعاء فهذا ما لا يؤيّده الفهم الصحيح للنصوص الدينية، ولم تشرّعه سيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

(١) بحار الأنوار، ج٦٢، ص٦٦.
(٢) سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٧٩.
(٣) مصنّف بن أبي شيبة، حديث ٢٢٩٢٨.
(٤) تاريخ بغداد: ج١٤، ص٣٤٨.

علي عليه السلام بضربة ابن ملجم (جُمِعَ لَهُ أطِبّاءُ الكوفَةِ)[1]، وكان على رأسهم الطّبيب أثير بن عمرو السّكوني.

إنّ البعض يتعامل مع القرآن الكريم وكأنه صيدلية لعلاج مختلف الأمراض، فلوجع الرأس اقرأ الآية الفلانية، ولآلام القلب اقرأ الآيات الفلانية، وحدّدوا آيات لإزالة وجع الأسنان، وألم العين وضعفها، ولزيادة البصر، ولإزالة البواسير، بل وحدّدوا بعض الآيات لتقوم مقام منبّه الساعة، تقرؤها عددًا من المرات لتستيقظ في الساعة التي تريد، وآيات للعثور على المسروقات وما أشبه، وألّفت لذلك كتب تتداول في بعض الأوساط.

إنّ من أهمّ مناشئ الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان، هو القلق، والوقوع تحت تأثير الضغوط النفسية، بسبب المشاكل التي تواجه الإنسان، والعوائق التي تمنعه من تحقيق رغباته وتطلّعاته.

الشفاء الذي يقدّمه القرآن

إنّ الآية الكريمة تحدّد منطقة ونوعية الأمراض التي جاء القرآن لشفائها، فتقول: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ والمقصود بها داخل ذات الإنسان، وأعماق نفسه، فكما يصاب الجسم بالأمراض والأسقام، كذلك تصاب نفس الإنسان وروحه بمختلف العلل والآفات.

ولا تقل خطورة أمراض النفس والروح عن خطورة أمراض الجسم، بل هي أشدّ وأخطر ضررًا على الإنسان.

جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة له: «وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ... فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً

(١) مقاتل الطالبيّين، ص٥١.

مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ»[1].

القلق والاضطرابات النفسية

إنّ من أهمّ مناشئ الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان، هو القلق، والوقوع تحت تأثير الضغوط النفسية، بسبب المشاكل التي تواجه الإنسان، والعوائق التي تمنعه من تحقيق رغباته وتطلّعاته.

وقد أطلق بعض الباحثين على هذا العصر: عصر الاضطرابات النفسية.

وذكر موقع أخبار الأمم المتحدة[2] في منشور له بتاريخ ١٧ حزيران ٢٠٢٢م أنه في العام الأول من جائحة كوفيد ١٩ ارتفعت معدّلات حالات القلق والاضطراب بأكثر من ٢٥٪.

وحسب تقارير المنظمات الصحية العالمية فإنّ في عام ٢٠١٩، كان هناك ٣٠١ مليون شخص مصابون باضطراب القلق، وكان هناك ٢٨٠ مليون شخص مصابون بالاكتئاب[3].

آيات القرآن الكريم ترسّخ في نفس الإنسان أنّ كلّ الأحداث تقع ضمن تدبير الله، وأنّ الأحداث لا تقع اعتباطًا بل هي غائية، إما منحة أو محنة، وأنّ الحدث المؤلم وسيلة لتقويم الذات وفرصة لرقيها.

وتبلغ نسبة الاضطراب النفسي في السعودية بشكل عام حوالي ٣٤ في المئة[4]،

(١) نهج البلاغة الخطبة: ١٧٦.

(٢) https://www.who.int/ar/news/item/29-07-1443-covid-19-pandemic-triggers-25-in-crease-in-prevalence-of-anxiety-and-depression-worldwide

(٣) صحيفة الشرق الأوسط: ما هي أنواع الأمراض النفسية؟ وما هي الأشكال الثمانية الأكثر شيوعاً؟ ٠٦ رَجب ١٤٤٤ هـ الموافق ٢٩ يناير ٢٠٢٣م.

(٤) صحيفة اليوم: ٣٤ ٪ من السعوديين مضطربون نفسيًا، ٣ ربيع الثاني ١٤٤٥هـ الموافق ١٨أكتوبر ٢٠٢٢م.

وأن ٢ من كل ٥ من الشباب السعودي تم تشخيصهم باضطرابات الصحة النفسية خلال فترة من فترات حياتهم[١].

والاكتئاب من الأمراض النفسية المنتشرة في السعودية، ونسبته حسب آخر إحصائية (٢٠٢٢م) هو ١٢,٧. وأعلى نسبة للإصابة بالاكتئاب كانت بين المواطنين أصحاب الدخل الضّعيف. والنسبة الأعلى للإصابة بالقلق والاكتئاب بين الجنسين كانت من نصيب النساء[٢].

يتحدّث الآن كثير من علماء النفس في الغرب عن دور الإيمان في إزالة القلق والضغوط النفسية، وما يبعثه التدين من أمن وطمأنينة، ومن صحة في النفوس والأبدان.

وما يزيد واقع الاضطراب النفسي سوءًا أنّ السواد الأكبر لا يخضع للعلاج وتقدّر نسبتهم بـ ٨٠ في المئة[٣].

القرآن يبعث الاطمئنان في النفس

وآيات القرآن الكريم حيث تؤكّد على الإيمان بالله المدبّر للكون والحياة، الحكيم الذي لا يجري في الحياة شيءٍ إلّا بأمره وتدبيره وحكمته، وأنه رحيم بخلقه وعباده، هذه الآيات تزرع في نفس الإنسان الطمأنينة والرضا، وتساعده على تجاوز آثار الضغوط النفسية.

ويرى غوردن ألبورت في كتابه (الفرد ودينه): (أنّ لبّ الصحة النفسية، وجزء كبير من الصحة الجسمية كذلك، كامن في طبيعة

---

(١) https://www.kscdr.org.sa/ar/node/3479 المسح الوطني السعودي للصحة النفسية في المملكة العربية السعودية.

(٢) واس: «مركز تعزيز الصحة النفسية» يعلن عن مؤشر الصحة النفسية في المملكة لعام ٢٠٢٢م، ١٨ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ١١ يناير ٢٠٢٣م.

(٣) المسح الوطني السعودي للصحة النفسية، https://impacthon.ncnp.gov.sa/health-the-challenge-of-poor-response-to-mental-disorders

معتقدات الفرد، معتقداته الثانوية فيما يتعلّق بالمواقف الاجتماعية في عالمه الدنيوي، ومعتقداته الكبرى فيما يتعلّق بطبيعة الكون الذي يعيش فيه)[1].

إنّ التوكل يعني أن يبذل الإنسان كلّ جهده وطاقته لدرء الخطر عن نفسه، ولتحقيق تطلّعاته، بهمّة وثقة عالية، ولا يعني التواكل والقعود عن الحركة والتقصير في السّعي.

إنّ آيات القرآن الكريم ترسّخ في نفس الإنسان أنّ كلّ الأحداث تقع ضمن تدبير الله، وأنّ الأحداث لا تقع اعتباطًا بل هي غائية، إما منحة أو محنة، وأنّ الحدث المؤلم وسيلة لتقويم الذات وفرصة لرقيها.

ويتحدّث الآن كثير من علماء النفس في الغرب عن دور الإيمان في إزالة القلق والضغوط النفسية، وما يبعثه التدين من أمن وطمأنينة، ومن صحة في النفوس والأبدان.

ويعتقد بعض الباحثين أنّ علاقة الدين بالضغوط النفسية تقوم على ثلاث نقاط رئيسة: البحث عن المعنى، والسيطرة على الحدث، وتقدير الذات، وهم يرون أنّ ضعف هذه النقاط هو السبب الرئيس للضغوط النفسية. وفي الوقت نفسه يرون أنّ الدين ينمّي هذه النقاط الثلاث، فهو يعطي معنًى للأحداث، ويوفّر نوعًا من السّيطرة عليها، ويرفع من تقدير الإنسان لذاته[2].

التوكل الإيجابي

إنّ قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٥١]، يمنح الإنسان عميق الرضا

(١) آزاد علي إسماعيل، الدين والصحة النفسية، ص٧٦.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٥.

والطمأنينة والتكيف مع أشدّ الأحداث والنكبات.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية، ١٥٥-١٥٦].

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٢٨].

إنّ على من يقرأ القرآن الكريم، أن يفتح نوافذ قلبه لأشعة الأمل والثقة والتفاؤل، التي تبعثها آياته الصادقة، ليزداد إيمانًا بربه وتوكّلًا عليه، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢].

إنّ التوكل يعني أن يبذل الإنسان كلّ جهده وطاقته لدرء الخطر عن نفسه، ولتحقيق تطلّعاته، بهمّة وثقة عالية، ولا يعني التواكل والقعود عن الحركة والتقصير في السّعي.

عن أنس بن مالك قال: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ، قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»)[1].

(١) سنن الترمذي، حديث٢٥١٧.

حماية المنجزات

خطبة الجمعة ٨ شوال ١٤٤٤هـ | ٢٨ أبريل ٢٠٢٣م.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾. [سورة محمد، الآية: ٣٣].

من الطبيعي أن يفرح الإنسان، ويُسرّ حينما يحقّق أيّ منجز من المنجزات المهمة، لكنّ تحقيق الإنجاز يجعله أمام تحدٍ أكبر، وهو الحفاظ على ذلك الإنجاز، وحمايته من التلاشي والضّياع.

فهناك من ينشغل بفرحة إنجازه، ويغفل عن حماية منجزه، فيضيع الإنجاز من بين يديه، وذلك حين يصيبه الغرور، أو تتسلل عوامل الضعف والفساد إلى منجزه، أو يتوانى عن استثماره وتطويره.

فقد يتفوق طالب في دارسته في مرحلة من المراحل، ويحقّق التميّز، بجهدٍ واهتمام، لكن عليه

أن يحافظ على مستوى نشاطه واهتمامه، ليواصل مسيرة التفوق والتميّز في المراحل اللاحقة، وإلّا فإنه سيتراجع إلى مستوى الطلاب العاديين، ويفقد نتائج إنجازه السّابق.

وقد يحقّق رجل أعمال تقدّمًا اقتصاديًّا، باغتنامه لبعض الفرص، وقيامه بمشاريع ناجحة، لكنّه إذا ما تراخى في عمله، أو ضعف في إدارته، فستتبخر ثروته، وقد يصبح أسيرًا للديون والأزمات المالية.

فهناك من ينشغل بفرحة إنجازه، ويغفل عن حماية منجزه، فيضيع الإنجاز من بين يديه، وذلك حين يصيبه الغرور، أو تتسلل عوامل الضعف والفساد إلى منجزه، أو يتوانى عن استثماره وتطويره.

وفي المجال الروحي والمعنوي، فإنّ الإنسان إذا وفّقه الله للقيام بأعمال الخير والصّلاح، من عبادات يتقرّب بها إلى الله سبحانه، ومن خدمة يقدّمها لعباد الله، فإنّ عليه أن يحافظ على مكتسباته الروحية، وأعماله الصالحة، حتى لا تتسلّل إليها عوامل البطلان والفساد.

وهذا ما تؤكّد عليه الآية الكريمة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾. [سورة محمد، الآية: ٣٣].

(وَالْإِبْطَالُ: جَعْلُ الشَّيْءِ بَاطِلًا، أَيْ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، فَالْإِبْطَالُ تَتَّصِفُ بِهِ الْأَشْيَاءُ الْمَوْجُودَةُ)[1].

ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «اَلْإِبْقَاءُ عَلَى اَلْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ اَلْعَمَلِ»[2].

(١) التحرير والتنوير، ج٢٦، ص١٢٧.
(٢) الكافي، ج٢، ص٢٩٦.

مكتسبات شهر رمضان

لقد تفضّل الله علينا بأن بلّغنا شهر رمضان، ووفقنا لصيامه، وأداء الطاعات فيه، حيث عاشت مجتمعاتنا أجواءً روحية وإيمانية عالية، بالإقبال على المساجد والمجالس الدينية، وإحياء ليالي القدر بالبرامج العبادية، وكانت هناك استجابة سخية لمشاريع البذل والعطاء، في إفطار الصائمين، ومساعدة المحتاجين، والتفاعل مع الجمعيات الخيرية.

وأمرنا الله تعالى أن نعيش فرحة تحقيق هذه الإنجازات، بإعلان العيد، بعد إتمام الشهر الكريم، فالحمد لله على نعمته وتوفيقه.

فإنّ الإنسان إذا وفّقه الله للقيام بأعمال الخير والصّلاح، من عبادات يتقرّب بها إلى الله سبحانه، ومن خدمة يقدّمها لعباد الله، فإنّ عليه أن يحافظ على مكتسباته الروحية، وأعماله الصالحة، حتى لا تتسلّل إليها عوامل البطلان والفساد.

لكنّ الآية الكريمة بعمومها وإطلاقها تحذّرنا من إبطال هذا العمل العظيم، والإنجاز الكبير، الذي منَّ الله علينا بتحقيقه في شهر رمضان المبارك.

فكيف نحمي هذا المنجز ونصونه من البطلان والتلاشي؟

أولًا: المحافظة على آثار الصوم

بأن نحافظ على آثار الصوم في نفوسنا وسلوكنا، بتنمية القدرة على التحكم في الرّغبات والشهوات، ذلك أنّ غرض الصوم هو تعزيز التّقوى في نفس الإنسان.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٨٣].

وخلال شهر كامل يكبح الصائم رغباته وحاجاته المنافية للصوم، ليتدرّب على مخالفة الرّغبات المنافية للدين وقيم الأخلاق.

جاء في خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام في يوم الفطر: «اِعْلَمُوا عِبَادَ اَللَّهِ أَنَّ أَدْنَى مَا لِلصَّائِمِينَ وَاَلصَّائِمَاتِ أَنْ يُنَادِيَهُمْ مَلَكٌ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: أَبْشِرُوا عِبَادَ اَللَّهِ، فَقَدْ غُفِرَ لَكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَكُونُونَ فِيمَا تَسْتَأْنِفُونَ»[1].

من الطبيعي أن يفرح الإنسان، ويُسرّ حينما يحقّق أيّ منجز من المنجزات المهمة، لكنّ تحقيق الإنجاز يجعله أمام تحدٍ أكبر، وهو الحفاظ على ذلك الإنجاز، وحمايته من التلاشي والضّياع.

إنّ على الإنسان أن يفعّل نتائج هذه الدورة التدريبية المكثفة في سلوكه، فلا يستجيب للأهواء والشهوات، ويقع في المعاصي والذنوب، كما يقول الشاعر أحمد شوقي متحدّثًا عمّن ينتكسون إلى الذّنوب بعد شهر رمضان:

رَمَضانُ وَلّى هاتِها يا ساقي ... مُشتاقَةً تَسعى إِلى مُشتاقِ
ما كانَ أَكثَرَهُ عَلى أُلّافِها ... وَأَقَلَّهُ في طاعَةِ الخَلّاقِ
اللَهُ غَفّارُ الذُنوبِ جَميعِها ... إِن كانَ ثَمَّ مِنَ الذُنوبِ بَواقي
بِالأَمسِ قَد كُنّا سَجينَي طاعَةٍ ... وَاليَومَ مَنَّ العيدُ بِالإِطلاقِ[2]

ثانيًا: المداومة على السنن الحسنة

إنّ أجواء شهر رمضان المبارك تحفّز الإنسان للالتزام ببعض البرامج الدينية والاجتماعية، وعلينا الاستمرار على هذه السنن والعادات الطيبة التي مارسناها في الشهر الكريم، بالمقدار الممكن، من مواظبة على تلاوة

(١) بحار الأنوار، ج٨٧، ص٣٦٢.
(٢) أحمد شوقي، ديوان الشوقيات، قصيدة «رمضان ولّى»، ص٤٣٢.

القرآن، وحضور المساجد، والتواصل الاجتماعي، والبذل والعطاء.

سُئِلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»[1].

وورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ وَإِنْ قَلَّ»[2].

ثالثًا: المحافظة على رصيد الثواب الإلهي

هذا الثواب الذي نرجو أنه قد تراكم لنا من بركات الشهر الكريم، فلا نحرق ذلك الرّصيد بالأعمال السيئة، لا سمح الله.

وقد تحدّث القرآن الكريم في عدد من آياته عن إحباط الأعمال الصالحة، بمعنى إبطالها وإلغاء ثوابها، بسبب ارتكاب بعض المفاسد.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. [سورة الحجرات، الآية: ٢].

ويشير عدد من النصوص الدينية إلى أنّ بعض السيئات تأكل الحسنات.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾. [سورة البقرة، الآية: ٢٦٤].

وورد عن النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا

(١) صحيح مسلم، حديث ٧٨٢.
(٢) الكافي، ج٢، ص٨٢، حديث ٢.

تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[1].

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اَللَّهِ غَرَسَ اَللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي اَلْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ غَرَسَ اَللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي اَلْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ غَرَسَ اَللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي اَلْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَ اَللَّهُ أَكْبَرُ غَرَسَ اَللَّهُ لَهُ شَجَرَةٌ فِي اَلْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، إِنَّ شَجَرَنَا فِي اَلْجَنَّةِ لَكَثِيرٌ. قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنْ إِيَّاكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا عَلَيْهَا نِيرَانًا فَتُحْرِقُوهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَأَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَلاٰ تُبْطِلُوا أَعْمٰالَكُمْ﴾»[2].

(١) سنن أبي داود، حديث ٤٩٠٣. ومثله في بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٥٥.
(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص٦٠٧، حديث ٩٦٨.

دور الأسرة في المعركة ضدّ المخدّرات

الجمعة ١٥ شوال ١٤٤٤هـ | ٥ مايو ٢٠٢٣م.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦].

يمثل انتشار المخدّرات تحدّيًا بالغ الخطورة أمام مختلف المجتمعات الإنسانية، وخاصة في البلدان النامية.

لأنّ الإدمان على المخدرات يفتك بصحة الإنسان الجسمية والنفسية والعقلية، ويستنزف الإمكانات المادية، وقد يدفع إلى ارتكاب مختلف الجرائم، مما يشكّل خطرًا على استقرار الأسرة وأمن المجتمع.

ورغم الإجراءات التي تتخذها الدول والحكومات للحدّ من تهريب وترويج المخدّرات، إلّا أنّ الجهات المستفيدة من نشرها وترويجها،

تتفنّن في استخدام مختلف الطرق والوسائل الماكرة لتحقيق أغراضها.

إغراق مجتمعنا بالمخدِّرات

ومن الطبيعي أن تكون بلادنا مستهدفة من جهات ترويج المخدّرات، وذلك لأنّ في بلادنا ملاءمة وسيولة مالية، تجعلها سوقًا مغرية جاذبة لمافيات وعصابات تجارة المخدّرات.

> **إنه لم يعد الحديث عن خطر المخدّرات على أبنائنا حديثًا عن خطر قادم، بل هو خطر محدق قائم، لا يقتصر انتشاره على أوساط الشباب والرجال، بل غزا أوساط الفتيات والنساء، وشهدت مختلف مناطق المملكة وقوع جرائم مرعبة بسبب تناول المخدّرات.**

ولأنّ بلادنا تمثّل أجلى وأعرق رمزية روحية دينية، باحتضانها الحرمين الشريفين، وكونها مهبط الوحي، ومهد انبثاق الإسلام، وقبلة المسلمين، لذلك تريد الجهات المعادية إضعاف روح الانتماء والالتزام الديني في نفوس وسلوك أبناء هذه البلاد، عن طريق نشر المفاسد الأخلاقية، ومن أسوئها إدمان المخدّرات.

ولأنّ بلادنا تعيش حالة نهوض، ومشاريع تنمية جادّة، يراد إفشالها وإرباكها بتحييد وتعطيل طاقات أبنائها وشبابها، بإيقاعهم في فخ الإدمان على المخدّرات، ومن ثمّ يصبحون خطرًا على أمن المجتمع والوطن.

إنّ أرقام الكميات الهائلة التي تحبط الجهات الأمنية محاولات تهريبها إلى البلد، تدلّ على أنّ هناك استهدافًا لإغراق مجتمعنا بالمخدّرات.

خطر محدق قائم

خلال الأيام القريبة الماضية، أسفرت حملات للجهات الأمنية والحكومية في خمسة أيام، عن ضبط نحو ١٦,٩ مليون قرص من مادة الإمفيتامين المخدّر والكبتاجون، في ١٧ منطقة ومحافظة، بواقع نحو

٣,٣ ملايين قرص مخدّر يوميًّا، فيما تم القبض على ٧١ من المتورطين في محاولات التهريب والترويج والحيازة[١].

إنّ المهربين للمخدّرات يتفنّنون في وسائل إجرامهم، ويبتكرون أساليب شيطانية متجدّدة لا تخطر على بالٍ، لكنّ جهود القوى الأمنية لهم بالمرصاد.

إنه لم يعد الحديث عن خطر المخدّرات على أبنائنا حديثًا عن خطر قادم، بل هو خطر محدق قائم، لا يقتصر انتشاره على أوساط الشباب والرجال، بل غزا أوساط الفتيات والنساء، وشهدت مختلف مناطق المملكة وقوع جرائم مرعبة بسبب تناول المخدّرات، كالحادث الفظيع الذي وقع في مدينة صفوى في السنة الماضية[٢]، حيث أقدم شاب مصاب بآفة المخدّرات، على محاصرة أبيه وأمه وأخيه وأخته في غرفة مغلقة، وأضرم فيها النيران، ليقضيَ على حياتهم في آخر ساعة من نهار صيامهم[٣].

إنّ نجاح هذه المعركة، والانتصار في الحرب على المخدّرات، يتطلّب تضافر الجهود الأهلية المجتمعية، إلى جانب جهود الأجهزة الحكومية، في قيادة المعركة.

وقد كشفت وزارة الصحة أنّ في المملكة أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ شخص مدمن[٤]، ونسبة قليلة منهم يسعون للعلاج، وقد تتسع مساحة المدمنين لا سمح الله، إن لم يبذل الجهد الكافي لمحاصرتها وتقليصها.

---

(١) https://www.alwatan.com.sa/article/1124597

(٢) حدث الحريق يوم الخميس ٢٠ رمضان ١٤٤٣ هـ الموافق ٢١ أبريل ٢٠٢٠م، وكان من ضحاياه: الأب زهير علي سلمان الملا، وزوجته صديقة السيد حسين آل درويش، وابنهما محمد (٢٩ سنة)، وابنتهما عقيلة (١٧ سنة).

(٣) https://www.sobranews.com/sobra/169826

(٤) https://www.alwatan.com.sa/article/1124894

وهذا ما دفع قيادة الوطن، لإعلان المواجهة الحاسمة، والحرب الشاملة على المخدّرات، حيث تصدّى سمو ولي العهد لرئاسة اللجنة الوطنية لمكافحة المخدّرات، وأصبحنا نسمع عن إنجازات أمنية يومية جبّارة على هذا الصعيد، وأصبح هناك تفعيل صارم لنظام العقوبات ضدّ المهربين والمروجين والمتعاطين.

إنّ نجاح هذه المعركة، والانتصار في الحرب على المخدّرات، يتطلّب تضافر الجهود الأهلية المجتمعية، إلى جانب جهود الأجهزة الحكومية، في قيادة المعركة.

الأسرة المتضرر الأول والأكبر

ونركز حديثنا عن دور الأسرة في المعركة ضدّ المخدّرات. فالأسرة لها دور أساس في توجيه مسار حياة أفرادها، كما أنّها المتضرر الأول والأكبر من وقوع أحد أفرادها في براثن المخدّرات، فإذا كان الزوج أو الزوجة أو أحد الأبناء والبنات متعاطيًا للمخدّرات، فقد يحوّل حياة الأسرة جميعها إلى جحيم، ويسلبهم الشعور بالسّعادة والأمان.

ويتجلّى دور الأسرة في بُعد الوقاية والحماية، وبُعد العلاج والإنقاذ.

إنّ استقرار الأسرة، وتماسكها الداخلي، واحتضانها لأفرادها، يوفّر جوًّا من الحماية، ووقاية أبنائها من متاهات الفساد والانحراف.

وغالبًا ما يكون ضحايا المخدّرات من أبناء الأسر المتفككة، أو المُهمِلة لأبنائها.

إنّ استقرار الأسرة، وتماسكها الداخلي، واحتضانها لأفرادها، يوفّر جوًّا من الحماية ووقاية أبنائها من متاهات الفساد والانحراف.

وغالبًا ما يكون ضحايا المخدّرات من أبناء الأسر المتفككة، أو المُهمِلة لأبنائها.

المراقبة والمبادرة بالتوعية

إنّ الملاحظة والمراقبة الحكيمة لسلوك الأبناء، وشبكة علاقاتهم، ومبادرتهم بالتوعية حول التحدّيات التي تواجههم في مراحل حياتهم المختلفة، عنصر مهم في الوقاية والتحصين.

إنّ المروجين يستغلّون أوقات الامتحانات، لإغراء الطلاب والطالبات، بتناول الحبوب المنشّطة، كي تساعدهم على السّهر والمذاكرة، فتكون طريقًا للإدمان.

ويستدرجون بعض من يعمل في قيادة حافلات المسافرين ونقل البضائع، بنفس الإغراء، أي تناول الحبوب المنشّطة، ليستطيعوا مواصلة السياقة لمدة طويلة دون شعور بالنعاس، والحاجة إلى النوم، ثم ينضم هؤلاء إلى قائمة المدمنين والمروجين.

كما أنّ رفقاء السوء، خاصة في الرحلات والسفرات، وأوقات الفراغ في أيام العطل، يمثل فرصة للمروجين، فلا بُدّ من انتباه الأسر والعوائل.

وتفيد بعض الدراسات أنّ الأبناء الذين يتلقون رسائل توعوية عن أضرار المخدّرات من والديهم، أقلّ عرضة لاستخدامها بنسبة ٥٠٪.

إنّ بعض الآباء قد ينشغل عن رعاية أبنائه بحضور المجالس الليلية والديوانيات، أو كثرة الأسفار، أو سائر الهوايات، بينما قد تختطف أبناءه الجهات الفاسدة، أو شبكات التواصل الاجتماعي، وحينئذٍ تتحول حياة الأسرة كلّها إلى جحيم.

أعراض تعاطي المخدّرات

وتتحدّث الدراسات والتقارير عن بروز بعض الدلائل والمؤشّرات

على شخصية وسلوك من يبدأ بتعاطي المخدِّرات، فعلى الأسرة أن تلاحظ سلوك أبنائها.

ومن تلك المؤشّرات:

١. ارتفاع وتيرة صرف المال عند الولد، بأن يطلب من أهله المزيد من المال. وقد تختفي بعض المبالغ والحاجيات من البيت، لقيام الولد المتعاطي بسرقتها لتمويل شرائه للمخدِّرات.

٢. حالات العزلة والانكفاء لحاجته لذلك أوقات التعاطي.

٣. التغيّرات المزاجية بسرعة الغضب، أو استخدام العنف، والإساءة للوالدين.

٤. دخول أصدقاء جدد على حياة الولد.

٥. كثرة الغياب عن المنزل.

٦. انخفاض الاهتمام الدراسي.

٧. عدم الاهتمام بالمظهر والاناقة.

وبعض المتورّطين في تعاطي المخدِّرات قد لا تبدو عليهم أعراض واضحة، كما لا يعني وجود عرض من هذه الأعراض، أو حتى عدد منها، حتمية ابتلاء الولد بالمخدِّرات، لكنّ ذلك يستوجب الاهتمام والمتابعة للتأكد من الأمر.

دور العلاج والإنقاذ

أما في مجال العلاج والإنقاذ، فإنّ على الأسرة أن تتعامل في البداية مع مَنْ تورّط مِنْ أبنائها في تعاطي المخدّرات، تعاملًا حكيمًا بشفقة، كما

هو التعامل مع الفرد المريض، بالاجتهاد في إبعاده عن أسباب وقوعه وتورطه، وبتكثيف النصح والتوعية له، وبإقناعه بسلوك طريق العلاج.

فقد أنشأت الدولة مستشفيات للصحة النفسية، وعلاج حالات الإدمان، مثل مستشفى إرادة (الأمل سابقًا)، حيث تستمرّ دورة العلاج مدة شهرين، تكلف ٩٠,٠٠٠ ريال لكلّ مريض بمعدل ١٥٠٠ ريال لليوم الواحد.

إنّ بعض الأسر تحاول التستر على من تورّط من أبنائها، وتستعيب الذهاب به إلى العلاج، حتى لا ينكشف الأمر أمام الآخرين، لكنّ النتائج حينئذٍ ستكون وخيمة، وعلى المجتمع أن يعيد النظر في التعاطي مع موضوع انحراف بعض أبناء الأسرة، فلا يتسرّع في تحميل أسرته المسؤولية؛ لأننا نعيش عصرًا قد تتغلّب فيه عناصر التأثير الخارجي على تربية الأسرة.

كما أنّ حالة الشقاء قد تسيطر على نفوس بعض الأبناء، حتى مع صلاح أسرتهم، وعدم تقصيرها في تربيتهم.

لذلك يحدّثنا القرآن الكريم عن خيانة زوجتي نبيين، يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [سورة التحريم، الآية: ١٠].

كما يحدثنا عن ضلال ابن نبي الله نوح ﷺ، يقول تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [سورة هود، الآيتان: ٤٥-٤٦].

ويحدثنا التاريخ عن انحراف بعض أبناء الأئمة الطاهرين، وبعض

أبناء العلماء الصالحين.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقد وردت خمس مرات في القرآن الكريم، لتؤكّد على مسؤولية الفرد أولًا وبالذات عن أعماله ومواقفه؛ لأنّ الله منحه الإرادة والاختيار، ولا يتعدّى دور العوامل الأخرى كالتربية الأسرية مستوى التأهيل والإعداد، دون الفرض وسلب القدرة على الاختيار.

المشاركة المجتمعية في الحرب على المخدِّرات

الجمعة ٢٢ شوال ١٤٤٤هـ | ١٢ مايو ٢٠٢٣م.

﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾.

[سورة النساء،الآية: ٣٨]

العنصر الأشدّ خطورة في تعاطي المخدِّرات، هو حصول حالة الاعتماد النفسي والجسمي على تناول المخدِّر، والوصول إلى مرحلة الإدمان، فيصبح المدمن أسير رغبة قهرية للاستمرار في تعاطي المادة المخدِّرة، والحصول عليها بأيِّ وسيلة، مع الميل إلى زيادة الجرعة المتعاطاة، مما يسبّب اعتمادًا نفسيًّا وجسميًّا.

ويقع المدمن تحت ضغط جسمي ونفسي شديد، يدفعه للحصول على المخدِّر وتناوله، ويكون مندفعًا لذلك بقوة، ومستعدًّا لاستخدام مختلف الوسائل مهما كانت إجرامية وعدوانية.

إنّ المتورّط في الإدمان على المخدِّرات، قد

يفقد السيطرة على نفسه، ويندفع للقيام بأيِّ عمل تحت ضغط الحاجة للحصول على المخدِّر، أو تحت تأثير المخدِّر، الذي يتحوّل إلى قوة شيطانية تحكم تصرفاته، إنه أبرز مصداق لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٨].

الوقوع في فخّ المخدِّرات

حينما يبدأ الفرد تجربة تناول المخدِّر لا يكون مدركًا لآثاره، فقد يدفعه لذلك حبّ الاستطلاع، أو بهدف الابتهاج، أو لأنه يعيش حالة فراغ، أو استجابة ومحاكاة للزملاء والأصدقاء، أو للتعبير عن تمرّد، أو هربًا من الهموم والمشاكل، حيث يعيش بتناول المخدِّر حالة من النشوة والتخيّل النفسي، الذي يبعده عن مشاكله وهمومه.

إنّ الجرعة الأولى بداية السّقوط الخطير، والنهاية المأساوية، حيث يجد نفسه بعد ذلك أسيرًا في هذا الفخ، ويكون هاجسه الأساس ومطلبه الأهم هو المخدِّر، والحصول عليه بأيِّ طريقة وثمن، وقد يكون ثمنه كبيرًا

إنّ الجرعة الأولى بداية السّقوط الخطير، والنهاية المأساوية، حيث يجد نفسه بعد ذلك أسيرًا في هذا الفخ، ويكون هاجسه الأساس ومطلبه الأهم هو المخدِّر، والحصول عليه بأيِّ طريقة وثمن، وقد يكون ثمنه كبيرًا؛ لأنّ القوانين تحظر تداوله، لذلك فإنه يسلك الطرق الملتوية والإجرامية والعدوانية، من أجل الحصول عليه، وهنا تكون الخطورة على حياة الفرد، وكيان الأسرة، وأمن المجتمع والوطن.

تدمير حياة الفرد

إنّ الإدمان يدمّر حياة الفرد، حيث يقوده إلى الانحراف والإجرام، ويسلبه إنسانيته، ويفقده أيّ تطلّع وطموح، عدا الحصول على كمية من المواد المخدِّرة.

كما يقضي معظم المدمنين وقتًا طويلًا تحت تأثير المخدِّر، مما يؤدي إلى إهمال الصحة، والتسيّب الدراسي، وعدم الالتزام الوظيفي والعملي، فضلًا عن الاهتمام بتنمية أيّ طاقة أو موهبة في شخصيته.

وبحسب منظمة الصحة العالمية فإنّ تعاطي المخدِّرات مسؤول عن وفاة ٥٠٠ ألف شخص كلّ عام.

وتتحدّث التقارير عن الآثار التدميرية لبعض المخدِّرات على شخصية متعاطيها، كمادة (الشَّبو) واسمه العلمي (ميثامفيتامين)، ويُعرف بأسماء عدّة، أشهرها الثلج أو الكريستال ميث، وهو مادة خطيرة جدًّا تسبب الإدمان، ويرتبط بمشاكل صحية جسدية وعقلية مزمنة[1].

وعلى صعيد الأسرة، فإنّ المدمن، لا يرجى منه تحمّل مسؤولية إدارة أسرته، بل يكون عبئًا على أسرته، ومدمّرًا لها.

خطر على أمن المجتمع والوطن

والمدمن يصبح خطرًا على الأمن الاجتماعي؛ لأنه قد ينشر داءه إلى الآخرين، ولا يتورّع عن القيام بأيّ إجرام أو عدوان، تحت ضغط الحاجة إلى المخدِّر، أو بفعل تأثيره، وخاصة بعض المخدِّرات كالشَّبو الذي يخلق من المدمن شخصية شديدة العدوانية، يشعر بالثقة والقوة، ويصعب عليه النوم، وقد (يصاب بجنون العظمة أو الهلوسة، أو يشعر بالضيق الشديد والحزن.

المدمن يصبح خطرًا على الأمن الاجتماعي؛ لأنه قد ينشر داءه إلى الآخرين، ولا يتورّع عن القيام بأيّ إجرام أو عدوان، تحت ضغط الحاجة إلى المخدِّر، أو بفعل تأثيره، وخاصة بعض المخدِّرات كالشَّبو

وقد تتسبّب الجرعات العالية المتكرّرة في

(١) https://mubasher.aljazeera.net/news/health/2022/12/24.

نوبات من «الذهان»، تشمل أوهام جنون العظمة والهلوسة، والسلوكيات غير العادية، أو العدوانية أو العنيفة التي يمكن أن تستمرّ أيامًا.

ويمكن أن تؤدي الجرعات المفرطة إلى السكتات القلبية أو فقدان الوعي أو الوفاة)[1].

وأشارت (إحدى الدراسات التي أجريت في مدينة جدة، إلى ارتفاع في عدد الوفيات المتعلقة بتعاطي الميثامفيتامين (الشبو) بنسبة ٥٠٠٪ خلال الفترة من عام ٢٠١٦ إلى ٢٠١٨م)[2].

المدمنون ثغرة في جدار الأمن الوطني، حيث تستغلّهم الجهات المعادية للوطن، وكثيرًا ما تستفيد الجماعات الإرهابية من سلاح المخدِّرات في الاستقطاب وتطويع مجنّديها.

إنّ كثيرًا من الأحداث السلبية التي رصدت، كالقتل والانتحار والسرقة والاعتداء على الآخرين والوفاة المفاجئة، تحدث بسبب تعاطي المخدِّرات.

وقال تقرير نشره موقع معهد (بروكينجز) في واشنطن أنّ ٣ من بين ٥ سجناء يعانون مشكلة الإدمان على المخدِّرات[3].

والمدمنون ثغرة في جدار الأمن الوطني، حيث تستغلّهم الجهات المعادية للوطن، وكثيرًا ما تستفيد الجماعات الإرهابية من سلاح المخدِّرات في الاستقطاب وتطويع مجنّديها.

وتدفع المكلّفين منهم بأعمال العنف والإرهاب إلى تناول المخدِّرات ليكونوا أكثر وحشيةً وتهورًا.

---

(١) الجزيرة مباشر (مصدر سابق).

(٢) https://sabq.org/saudia/5xi1j72i5aصحيفة سبق الالكترونية.

(٣) https://www.alwatan.com.sa/article/364608
١٥٠٠ ريال تكلفة علاج مدمن المخدِّرات يوميًّا، صحيفة الوطن، ١١ يناير ٢٠١٨ - ٢٤ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ.

من هنا تتخذ الحكومات والدول أشدّ الإجراءات ضدّ ترويج المخدِّرات، التي أصبحت أكبر معضلة تواجه العالم، ومن أخطر الظواهر ومشكلات العصر الحديث.

وأشار تقرير الهيئة الدولية لمراقبة المخدِّرات والمؤثرات العقلية، الصادر بتاريخ ٢٠١٩م إلى وجود ٢٦٩ مليون شخص يتعاطون المخدِّرات حول العالم.

والإحصاءات العالمية تفيد أنّ تعاطي المخدِّرات يمثل ٥٪ من العالم.

من أهمّ مجالات المشاركة المجتمعية هو مجال بثّ الوعي بأخطار المخدِّرات، وطرق الاستدراج إليها من قبل المروّجين.

استنفار الجهد المجتمعي

يؤكّد الخبراء والمختصّون، الأمميون أنه مهما بلغت كفاءة أجهزة مكافحة المخدِّرات في الدولة، فإنّها لا تضبط إلّا نحو ١٥٪ من المخدِّرات الداخلة إلى أراضيها[١].

وبعض أنواع المخدِّرات كالشَّبو التي تصنّع محليًّا تضاعف المشكلة.

إنّ ذلك هو ما يوجب استنفار الجهد المجتمعي إلى جانب جهود الدولة في الحرب على المخدِّرات.

ومن أهمّ مجالات المشاركة المجتمعية، بثّ الوعي بأخطار المخدِّرات، وطرق الاستدراج إليها من قبل المروّجين.

إنّ توعية أبناء المجتمع وخاصة الشباب، حتى لا يستدرجوا ولا

---

(١) https://www.alriyadh.com/2010534 إجراءات غير مسبوقة ضدّ المخدِّرات: صحيفة الرياض، الخميس ١٤ شوال ١٤٤٤هـ ٤ مايو ٢٠٢٣م.

يقعوا في شباك مروجي المخدِّرات، أمر بالغ الأهمية، فبحسب الأبحاث إنّ ٥٦٪ من المتعاطين أعمارهم دون ١٩ سنة، و٤٪ تعاطوا المخدِّرات قبل سنّ ١٣ سنة.

هناك عصابات ومافيات تعمل على مستوى العالم لترويج المخدِّرات، وجني العائدات المالية الضخمة. إنّ السُّوق السوداء للمخدِّرات في العالم تقدّر بـ ٣٠٠ مليار دولار سنويًّا[1]، كما أنّ وجود الحروب، وانفلات الأمن في بعض المناطق، يجعلها بؤرًا لإنتاج المخدِّرات وترويجها في العالم، وخاصة في المناطق المحيطة بها، من أجل تمويل المليشيات المسلّحة فيها.

لا بُدّ من قيام مؤسسات أهلية ومبادرات مجتمعية، تهتمّ بنشر الوعي في صفوف أبناء المجتمع، وترشد الأسر إلى أفضل طرق الحماية والتعامل مع الحالات المرضية، وتساعد على إنقاذ المدمنين وعلاجهم، على غرار الجمعية الخيرية للمتعافين (تعافي) ومقرّها الدمام، وجمعية (كفى) في مكة المكرمة، وجمعية (عون) في منطقة عسير.

مستشفى الجبر لعلاج الإدمان

وأشيد هنا بالمبادرة المجتمعية الرائعة، التي قامت بها مؤسسة عبدالعزيز ومحمد وعبداللطيف، أبناء حمد الجبر في الأحساء، وهي إنشاء مستشفى الجبر لعلاج الإدمان، بكلفة أولية تقدر بـ ٣٥ مليون ريال، يشتمل على ستّ عيادات خارجية، وثلاث عيادات طب نفسي، ومبنى لاستضافة المتعافين من الرجال يتكون من ٣٠ غرفة، ومبنى

(١) https://www.alwatan.com.sa/article/1125030 في بيتنا مدمن، صحيفة الوطن، الأحد ٠٧ مايو ٢٠٢٣ - ١٧ شوال ١٤٤٤هـ.

آخر لاستضافة المتعافيات من النساء يتكون من ٢٠ غرفة، إضافة إلى الخدمات التي تساعد المتعافين على قضاء أوقاتهم في المركز من صالات ألعاب رياضية، ومكتبة، وقاعات طعام، وغرف لاستقبال زيارات ذوي المتعافين.

جمعيات ولجان تخصّصية

إنه لا بُدّ من تأسيس جمعيات تخصّصية، ضمن أنظمة العمل التطوعي المعمول بها في البلاد، كما يمكن للجمعيات الخيرية والأندية الرياضية، تكوين لجان تهتم بالتوعية وإنقاذ المدمنين.

وقد بادرت جمعية مضر الخيرية بالقديح، لإنشاء لجنة السلامة المجتمعية (التعافي)، منذ ١٥ عامًا، وبلغ عدد المتعافين الذين تلقّوا الدعم والمساندة من الجمعية أكثر من ٥٠٠ شخص، تم تأهيل بعضهم بعد التعافي، والبحث لهم عن فرص عمل، وتقديم مساعدات زواج لهم.

كما هيّأت الجمعية سكنًا خيريًّا لاستقبال المدمنين المتعافين بعد خروجهم من المستشفى، يطلق عليه منزل منتصف الطريق، لحمايتهم من الانتكاسة والعودة إلى الأجواء السلبية السابقة، بلغ عدد المستفيدين منه حوالي ١٣٧ شخصًا.

وتهتم الجمعية بمساعدة أسر المدمنين، ورفع مستواهم المعيشي، ونأمل أن تقوم جمعيات أخرى بتأسيس لجان مشابهة.

وفي إطار هذه الحملة التي تقوم بها الدولة على المخدِّرات، يجب التبليغ عن المروّجين للمخدِّرات، فهم تجار الموت والسُّموم بين أبنائنا وبناتنا، ولا ينبغي التستر عليهم، ولا الشفقة بهم، ولا الخوف منهم، وقد اعتمدت الجهات الأمنية إجراءات لحفظ وصيانة المبلّغين عن هؤلاء المجرمين.

الإنتاجية والعمل في فكر الإمام الصادق

الجمعة ٢٩ شوال ١٤٤٤هـ | ١٩ مايو ٢٠٢٣م.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يُحِبُّ جَمْعَ الْمَالِ مِنْ حَلَالٍ»[١].

استثمر الإمام جعفر الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨هـ) الظرف الذي عاش فيه، لنشر أكبر قدر من المعارف والعلوم في أوساط الأمة، وحفظ لنا التاريخ شيئًا مهمًّا من تراث الإمام الصادق عليه السلام.

فقد نُقل عن الحسن بن علي الوشّاء[٢] أنه قال: (إني أدركت في هذا المسجد - مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ، كلّ يقول: حدّثني جعفر بن محمد)[٣].

وقال الشيخ المفيد: (نقلَ النّاسُ عن الإمام الصادق عليه السلام منَ العلوم ما سارتْ به الرُّكْبانُ، وانتشرَ

(١) الكافي، ج٥، ص٧٢، حديث٥.

(٢) وجه علمي بارز ومحدّث في أواخر القرن الثاني للهجرة.

(٣) رجال النجاشي، ص٤١.

ذكرُه في البُلْدانِ، ولم يَنْقُلْ عن أَحدٍ من أَهلِ بيتهِ العلماء ما نُقِلَ عنه، ولا لقِيَ أحدٌ منهم من أَهلِ الآثارِ ونَقَلةِ الأخبارِ، ولا نَقَلُوا عنهم كما نقلوا عن أَبي عبداللهِ عليه السلام، فإنّ أصحابَ الحديثِ قد جمعوا أَسماءَ الرُّواةِ عنه منَ الثِّقاتِ، على اختلافِهم في الآراءِ والمقالاتِ، فكانوا أربعةَ آلافِ رجلٍ).[1]

وقد أصدر العلامة الباحث الشيخ عزيز الله العطاردي (ت: ١٤٣٥هـ) مسندًا جمع فيه الروايات الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام في (٢٢) مجلّدًا، وبلغت الأحاديث المروية عنه (٣٨٥٥٩) حديثًا[2].

شؤون إدارة الحياة

وإذا كان العلماء قد اهتمّوا أكثر بالأحاديث المعنية بالمعارف العقدية والفقهية، فإنّ مساحة واسعة مما روي عن الإمام الصادق عليه السلام يتناول شؤون إدارة الحياة، وذلك ما يجب الاهتمام به وعدم اغفاله؛ لأنّ الدين معنيٌّ بتوجيه الناس لحسن إدارة حياتهم، ولأنّ الإمام الصادق عليه السلام مع اهتمامه بقضايا العقيدة والعبادة، ركّز في توجيهه وتربيته لمن حوله، على حسن إدارة شؤون الحياة، ليكونوا نموذجًا وقدوة للمجتمع الإيماني الذي يسير على نهج أهل البيت عليهم السلام.

إذا كان العلماء قد اهتمّوا أكثر بالأحاديث المعنية بالمعارف العقدية والفقهية، فإنّ مساحة واسعة مما روي عن الإمام الصادق عليه السلام يتناول شؤون إدارة الحياة

ومن المجالات التي نجد فيها كثافة في التوجيه من قبل الإمام الصادق عليه السلام، مجال الحثّ على الإنتاجية والعمل.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص١٧٩.

(٢) الشيخ عزيز الله العطاردي، مسند الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، ط١، ٢٠٠٥م «نشر عطارد»، طهران – إيران.

وهذا يشير إلى أنّ الإمام الصادق عليه السلام، كما كان يهتم بالبناء الفكري والعقدي، وبالبرامج والشعائر العبادية، فإنه كان يهتم بالتربية والحثّ على الإنتاجية والعمل في الجانب الاقتصادي، ليكون الفرد المؤمن أكثر من غيره حرصًا واجتهادًا، على العمل والإنتاج والكسب، وليكون مجتمع المؤمنين أكثر من غيره ثراءً وتقدّمًا اقتصاديًّا.

ونستعرض بعض الروايات الواردة عنه عليه السلام على هذا الصعيد كنماذج ومؤشّرات في عدّة عناوين:

أولًا: التطلّع إلى الكسب والثروة:

انتشرت في بعض أوساط الأمة ثقافة تدعو إلى التصوف والزهد، بالمعنى السَّلبي، وأنّ المؤمن عليه أن يُعرض عن كسب الثروة والمال، وأن يكتفيَ بقوت الكفاف، وأن يجعل همّه العبادة وكسب الثواب بها في الآخرة.

ولعلَ الحاكمين والمتلاعبين بالثروة آنذاك، كانوا ينشرون هذه الثقافة، ليرضى الناس بفقرهم، وليتهمّش دورهم.

في مقابل هذه الثقافة، كان الإمام الصادق عليه السلام يبشّر بثقافة التطلّع إلى الكسب والثروة، كقيمة دينية.

انتشرت في بعض أوساط الأمة ثقافة تدعو إلى التصوف والزهد بالمعنى السَّلبي، وأنّ المؤمن عليه أن يُعرض عن كسب الثروة والمال، وأن يكتفيَ بقوت الكفاف، وأن يجعل همّه العبادة وكسب الثواب بها في الآخرة.

ومما ورد عنه عليه السلام أنه قال: «سَلُوا اللهَ الْغِنى فِي الدُّنْيَا وَالْعَافِيَةَ، وَفِي الْآخِرَةِ الْمَغْفِرَةَ وَالْجَنَّةَ»[1].

فأنْ يطلب المؤمن من الله الغنى في

(١) الكافي، ج٥، ص٧١، حديث٤.

الدنيا، يعني أنه يتطلّع لذلك ويهتمّ به، وأنّ عليه أن يسعى إليه.

وورد عنه عليه السلام: «لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يُحِبُّ جَمْعَ الْمَالِ مِنْ حَلَالٍ يَكُفُّ بِهِ وَجْهَهُ، وَيَقْضِي بِهِ دَيْنَهُ، وَيَصِلُ بِهِ رَحِمَهُ»(١).

إنه كلام مهم يقوله الإمام الصادق عليه السلام، فمن لا يرغب في كسب ا لمال والثروة، لإدارة شؤون حياته، ومساعدة الآخرين، فهو يفتقد نوازع الخير في نفسه، إنه لا خير فيه.

وعنه عليه السلام: «لا تَدَعْ طَلَبَ الرِّزقِ مِن حِلِّهِ، فإنّهُ أعوَنُ لَك على دِينِكَ، واعقِلْ راحِلَتَكَ وتَوَكَّلْ»(٢).

وهنا يصدر الإمام عليه السلام أمرًا بعدم إضاعة أيّ فرصة للكسب المشروع، فإنّ الثروة رصيد قوة للحالة الدينية، وعلى الإنسان ألّا يتهيّب الدخول في أيّ مشروع عمل بعد التخطيط السَّليم، وبالتوكل على الله، وذلك هو معنى (اعقِلْ راحِلَتَكَ وتَوَكَّلْ).

ثانيًا: عائق الكسل

قد يرغب كثيرون في الحصول على المزيد من المال والثروة، لكنّهم يتقاعسون عن بذل الجهد وتحمّل التعب، فيكتفون بمستوى محدود من الدخل، إيثارًا للراحة والتراخي.

ونرى أنّ كثيرًا من أبنائنا يفضّلون العمل الوظيفي ولو كان بدخل منخفض، على التوجه للأعمال الحرة المهنية والتجارية، إيثارًا للراحة في العمل الوظيفي، على تحمّل المسؤولية ومواجهة شيءٍ من المغامرة والعناء.

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٧٢، حديث٥.
(٢) أمالي الطوسيّ، ص١٩٣، حديث٣٢٦.

وبعضهم إن لم يجد فرصة وظيفية، يبقى عاطلًا عن العمل، وكلًّا على غيره، مع تمتّعه بالصحة والقوة.

وقد وردت عن الإمام الصادق عليه السلام تحذيرات كثيرة، عن الخضوع للكسل والضَّجر والتقاعس، في تحصيل المصالح المعيشية والدنيوية.

ورد عنه عليه السلام: «عَدُوُّ اَلْعَمَلِ اَلْكَسَلُ»(١).

فمن استسلم للكسل لا يعمل، وإذا عمل يختلق المبرّرات لترك عمله، أو التهاون في أدائه، فيكون فاشلًا في عمله.

وعنه عليه السلام: «مَنْ كَسِلَ عَمَّا يُصْلِحُ بِهِ أَمْرَ مَعِيشَتِهِ فَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ لِأَمْرِ دُنْيَاهُ»(٢).

ويروي الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: «قَالَ أَبِي [الصادق عليه السلام] لِبَعْضِ وُلْدِهِ: إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّهُمَا يَمْنَعَانِكَ مِنْ حَظِّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(٣).

إنّ على الإنسان أن يربّي أبناءه على الفاعلية والنشاط، ويزرع في نفوسهم حبّ العمل، ومقاومة تسلّل الكسل والضَّجر إلى حياتهم، عبر توعيتهم بأنّ نتيجة الكسل الفشل في الدنيا والآخرة.

ثالثًا: الأئمة قدوات في العمل والإنتاج

دعوة الأنبياء والأئمة إلى الإيمان بالله تعالى وعبادته، لا تعني إهمال الحياة، والانقطاع إلى البرامج والشعائر الطقوسية، بل تعني التعبّد إلى الله تعالى بإعمار الأرض، وإصلاحها، وتطوير الحياة فيها، لذلك كان

(١) الكافي، ج٥، ص٨٥، حديث١.
(٢) المصدر نفسه، حديث٣.
(٣) المصدر نفسه، حديث٢.

الأنبياء والأئمة إلى جانب عظيم إيمانهم، وكثرة برامجهم العبادية، يجتهدون في الكدح والعمل، ليكونوا قدوات لبني البشر.

وهذا ما كان يتحدّث عنه الإمام الصادق عليه السلام، ويقوم به.

فقد ورد عنه عليه السلام: «لَا تَكْسَلُوا فِي طَلَبِ مَعَايِشِكُمْ فَإِنَّ آبَاءَنَا كَانُوا يَرْكُضُونَ فِيهَا وَيَطْلُبُونَهَا»(١).

وورد عنه عليه السلام في حديث له عن الإمام علي عليه السلام: «لَقَدْ أَعْتَقَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ كُلُّ ذَلِكَ تَحَفَّى فِيهِ يَدَاهُ وَتَعْرَقُ جَبِينُهُ الْتِمَاسَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخَلَاصِ مِنَ النَّارِ»(٢).

وعنه عليه السلام: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَخْرُجُ فِي الْهَاجِرَةِ فِي الْحَاجَةِ قَدْ كُفِيَهَا يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يُتْعِبُ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ»(٣).

وعنه عليه السلام: «إِنِّي لَأَعْمَلُ فِي بَعْضِ ضِيَاعِي حَتَّى أَعْرَقَ، وَإِنَّ لِي مَنْ يَكْفِينِي لِيَعْلَمَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنِّي أَطْلُبُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ»(٤).

رابعًا: لا للتقاعد عن العمل

ليس صحيحًا أن يكون مستوى عمل الإنسان وإنتاجه، في حدود حاجته ومتطلّبات حياته، بل يجب أن يكون بمستوى طاقته وقدرته، فما دام قادرًا على العمل عليه ألّا يتوقف عنه، دفعًا لحركة الإنتاج في الحياة.

وهذا ما يجب أن تستحضره شريحة المتقاعدين، فإذا كنت لست بحاجة لمزيد من المال، اعتمادًا على مدّخراتك وعلى راتبك التقاعدي،

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٥٧، حديث٣٥٧٦.
(٢) الكافي، ج٨، ص١٦٣، حديث١٧٣.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٦٣، حديث٣٥٩٦.
(٤) الكافي، ج٥، ص٧٧، حديث١٥١.

فإنّ المجتمع والحياة بحاجة إلى مزيد من الفاعلية والإنتاج.

كما أنّ العمل ليس مصدرًا للثروة فقط، بل لتدوير التجربة، وتعزيز الخبرات، واستمرار حيوية النفس والفكر.

عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصادق عليه السلام: «أَيَّ شَيْءٍ تُعَالِجُ؟» قُلْتُ: مَا أُعَالِجُ الْيَوْمَ شَيْئًا. فَقَالَ: «كَذَلِكَ تَذْهَبُ أَمْوَالُكُمْ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ»[1].

إنّ الإمام يشتدّ في الكلام والعتاب لتلميذه وصاحبه، لا لأنه قصّر في أمر ديني، أو ارتكب معصية أو خطأً أخلاقيًّا، بل لأنه بقي عاطلًا عن العمل، معتمدًا على ما لديه من مال، فيحذِّره الإمام من ضياع ماله مع مرور الوقت، وعدم استمرارية الدخل.

وعَنْ أَسْبَاطِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ [الصادق عليه السلام] فَسَأَلَنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ مُسْلِمٍ مَا فَعَلَ، فَقُلْتُ: صَالِحٌ، وَلَكِنَّهُ قَدْ تَرَكَ التِّجَارَةَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام «عَمَلُ الشَّيْطَانِ ـ ثَلَاثًا ـ أَمَا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله اشْتَرى عِيرًا أَتَتْ مِنَ الشَّامِ، فَاسْتَفْضَلَ فِيهَا مَا قَضى دَيْنَهُ، وَقَسَمَ فِي قَرَابَتِهِ؟ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ إِلى آخِرِ الْآيَةِ، يَقُولُ الْقُصَّاصُ: إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَكُونُوا يَتَّجِرُونَ، كَذَبُوا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَدَعُونَ الصَّلَاةَ فِي مِيقَاتِهَا، وَهُوَ أَفْضَلُ مِمَّنْ حَضَرَ الصَّلَاةَ وَلَمْ يَتَّجِرْ»[2].

إنه درس عظيم من الإمام الصادق عليه السلام، يجب أن نتأمّله ونقف عنده، فهو يصف تخلّي أحد أصحابه عن العمل والتجارة، بأنه عمل الشيطان!! ويستدلّ بما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله من ممارسته للبيع والشراء، مع أنه في

(١) الكافي، ج٥، ص١٤٨، حديث٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٧٥، حديث٨.

موقع القيادة للأمة، على أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يزهد في فرص العمل والكسب.

ويردّ على من يقدّمون للأمة ثقافة زائفة، تدفع للانشغال بالعبادة عن الكسب، بأنّهم يخطئون ويكذبون في تفسيرهم للنصوص الدينية.

ورُوِيَ عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ رَآنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ تَأَخَّرْتُ عَنِ السُّوقِ فَقَالَ لِي: «اغْدُ إِلَى عِزِّكَ»[1].

إنّ كثيرين من أبناء مجتمعنا يمكنهم أن يكونوا أكثر دخلًا وإنتاجًا وثراءً، ففي بلادنا حركة تنمية مكثفة، ومشاريع عملاقة، وفرص اقتصادية واعدة، وما نحتاج إليه هو بثّ ثقافة التطلّع، وتربية أبنائنا على الفاعلية والنشاط.

فالعمل والكسب، يوفّر للإنسان أسباب العزّة والقوة في شخصيته، ودوره الاجتماعي.

وعَنْ مُعَاذٍ بَيَّاعِ الْأَكْسِيَةِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «يَا مُعَاذُ، أَضَعُفْتَ عَنِ التِّجَارَةِ أَوْ زَهِدْتَ فِيهَا»، قُلْتُ: مَا ضَعُفْتُ عَنْهَا وَمَا زَهِدْتُ فِيهَا، قَالَ: «فَمَا لَكَ؟» قُلْتُ: كُنَّا نَنْتَظِرُ أَمْرًا وَذَلِكَ حِينَ قُتِلَ الْوَلِيدُ[2]، وَعِنْدِي مَالٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ فِي يَدِي وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيَّ شَيْءٌ، وَلَا أَرَانِي آكُلُهُ حَتَّى أَمُوتَ، فَقَالَ: «لا تَتْرُكُهَا؛ فَإِنَّ تَرْكَهَا مَذْهَبَةٌ لِلْعَقْلِ، اسْعَ عَلَى عِيَالِكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ هُمُ السُّعَاةَ عَلَيْكَ»[3].

هكذا يرفض الإمام الصادق ﷺ كلّ المبرّرات التي ذكرها صاحبه معاذ للتقاعد عن عمله في التجارة، فإنّ حصول أحداث سياسية مقلقة، أو وجود مدّخرات كافية لحاجات الإنسان، وأمثال ذلك من الأمور لا تبرّر ترك العمل والكسب، ويشير الإمام ﷺ إلى أنّ ترك العمل يضعف وعي الإنسان وخبرته الاجتماعية، ويعبّر عن ذلك بقوله: «مَذْهَبَةٌ لِلْعَقْلِ».

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٩٢، حديث٣٧١٩.
(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. قتل عام ١٢٦.
(٣) الكافي، ج٥، ص١٤٨، حديث٦.

خامسًا: حركة المال

يتحمّل الإنسان مسؤولية تنمية ما يحوزه من مال وثروة، فلا يصح له أن يهمل أو يجمّد ما تراكم لديه من ثروات ليكون مجرّد أرقام وكنوز، بل عليه أن يحرّك ثروته لتكون ضمن عجلة التنمية في مجتمعه ووطنه.

ورد عنه عليه السلام: «تَعَاهُدُ اَلرَّجُلِ ضَيْعَتَهُ مِنَ اَلْمُرُوءَةِ»[1].

أي إنّ إهمال الإنسان للمنطقة الزراعية التي تحت يده، مخالف لتحمّل المسؤولية.

وعنه عليه السلام: «إِصْلَاحُ الْمَالِ مِنَ الْإِيمَانِ»[2].

وَرَوَى زُرَارَةُ عَنِ الإمام الصادق عليه السلام أنه قَالَ: «مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلُ بَعْدَهُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ الصَّامِتِ»[3]، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ يَصْنَعُ؟ قَالَ: «يَضَعُهُ فِي الْحَائِطِ وَالْبُسْتَانِ وَالدَّارِ».[4] ولعلّ المقصود أن يحرّك ماله في نشاط زراعي أو عقاري.

وعن مُحَمَّدِ بْنِ عُذَافِرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَعْطَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ [الصادق عليه السلام] أَبِي أَلْفًا وَسَبْعَمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَالَ لَهُ: «اتَّجِرْ بِهَا»، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ لِي رَغْبَةٌ فِي رِبْحِهَا، وَإِنْ كَانَ الرِّبْحُ مَرْغُوبًا فِيهِ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَرَانِيَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ مُتَعَرِّضًا لِفَوَائِدِهِ»، قَالَ: فَرَبِحْتُ لَهُ فِيهَا مِائَةَ دِينَارٍ، ثُمَّ لَقِيتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ رَبِحْتُ لَكَ فِيهَا مِائَةَ دِينَارٍ، قَالَ: فَفَرِحَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، فَقَالَ لِي: «أَثْبِتْهَا فِي رَأْسِ مَالِي»[5].

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص٤٣٦، حديث١٥١٩٤.
(٢) الكافي، ج٥، ص٨٧، حديث٣.
(٣) الذهب والفضة.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٧٠، حديث٣٦٤٢.
(٥) الكافي، ج٥، ص٧٦، حديث١٢.

إنّ كثيرين من أبناء مجتمعنا يمكنهم أن يكونوا أكثر دخلًا وإنتاجًا وثراءً، ففي بلادنا حركة تنمية مكثفة، ومشاريع عملاقة، وفرص اقتصادية واعدة، وما نحتاج إليه هو بثّ ثقافة التطلّع، وتربية أبنائنا على الفاعلية والنشاط، وخلق أجواء تنافسية دافعة لمزيد من الإنتاج، بتأسيس الشركات والصناعات ومجالات الاستثمار المختلفة.

تزيين عمل السوء

الجمعة ٦ ذو القعدة ١٤٤٤هـ | ٢٦ مايو ٢٠٢٣م.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾[سورة محمد، الآية: ١٤].

يدرك الإنسان بفطرته ووجدانه، أنّ هناك أعمالًا حسنة يجدر به أن يقوم بها، وأنّ هناك أعمالًا سيئة عليه أن يتجنّبها.

وكما منحه الله القدرة على التمييز بين الخير والشر، منحه الحرية والاختيار، ليقرّر نوعية العمل الذي يقوم به، يقول تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٣].

فإذا قام بالعمل الحسن، استحقّ ثواب الله، ونال تقدير العقلاء ذوي الفطرة السليمة، وشعر بالراحة والرضا في أعماق نفسه، أما إذا اتخذ القرار الخطأ، وقام بالعمل السيئ، فإنه يستحقّ العقاب

من الله، واللوم من العقلاء، والشعور بالمساءلة والتوبيخ داخل ضميره ووجدانه، وهو ما يطلق عليه القرآن الكريم النفس اللوامة يقول تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [سورة القيامة، الآية: ٢].

إنّ وقوع الإنسان في العمل السيئ أمر متوقع، بسبب وجود نوازع الهوى والشهوة في نفسه، لكن يقظة الضمير والوجدان، تساعد الإنسان على التراجع عن الخطأ.

إنّ وقوع الإنسان في العمل السيئ أمر متوقع، بسبب وجود نوازع الهوى والشهوة في نفسه، لكن يقظة الضمير والوجدان، تساعد الإنسان على التراجع عن الخطأ.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٥].

ورد عن النبي محمد: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[1].

الالتفاف على الضمير والوجدان

لكنّ المشكلة الخطيرة التي قد تصيب الإنسان، هي محاولة الالتفاف على الضمير والوجدان، وأن يسعى لخداع ذاته، وإيهام نفسه، بأنّ العمل السيئ الذي قام به هو عمل حسن، وحينئذٍ يقطع على نفسه خطّ الرجعة عنه، والتوبة منه، بل قد يزداد إصرارًا عليه.

وقد تناول القرآن الكريم هذه المشكلة النفسية الخطيرة، في عدد من الآيات، واستخدم لها مصطلح التزيين، بمعنى تصوير العمل السيء، وإظهاره أمام النفس بأنه حسن.

---

(١) سنن الترمذي، حديث ٢٤٩٩.

يقول تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ [سورة محمد، الآية: ١٤].

ويقول تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [سورة فاطر، الآية: ٨].

ويقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢].

ويقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٢].

إنّ عملية التزيين قد تحصل من داخل النفس، نتيجة ضغط الرغبة في القيام بعمل السوء، مع محاولة تلافي توبيخ الضمير.

وقد يكون للشيطان دور في عملية التزيين هذه، يقول تعالى: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النحل، الآية: ٦٣].

ويقول تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٤٣].

وقد يكون لقرناء السوء دور في صناعة التزيين، يقول تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٢٥].

إنّ أساليب خداع النفس وتزيين عمل السوء متنوعة مختلفة، وغالبًا تنطلق من أحد مسارين:

الأول: ادّعاء مصلحة الذات

حيث يصور الإنسان لنفسه، أنّ هذا العمل السيئ ينتج له مصلحة كبيرة، هو في حاجة إليها، مثلًا الرشوة، والحصول على مبالغ

يعمد الإنسان إلى تغليف عمل السوء بعنوانٍ حسن، فهو لديه غرض سيئ، لكنه يضع له غلافًا جميلًا برّاقًا، ليخدع نفسه، ويسكت صوت ضميره.

ضخمة منها، لكنّ الإنسان يتغافل أو يتجاهل هنا أنّ عمل السوء يورّطه في المشاكل والأزمات، وليس هو الخيار المناسب لخدمة الذات، وإن كان يجلب منفعة عاجلة، فهو حرام شرعًا، ويخالف الفطرة والعقل، ويعاقب عليه القانون.

الثاني: استعارة العناوين القيمية

بأن يعمد الإنسان إلى تغليف عمل السوء بعنوانٍ حسن، فهو لديه غرض سيئ، لكنه يضع له غلافًا جميلًا برّاقًا، ليخدع نفسه، ويسكت صوت ضميره، فمثلًا: الاندفاع إلى إقامة علاقة عاطفية مع فتاة أو امرأة أجنبية، بمبرر النصيحة أو المساعدة لها، واستغلال وجود مشكلة أو حاجة في البين.

وكذلك رفع شعار ممارسة الحرية ورفض الوصاية من الآخرين. لكنّ ادعاء الحرية المطلقة دون قيود ولا حدود، هذا منزع شيطاني.

ونواجه الآن موجة عالمية غربية تريد تزيين الرذائل الأخلاقية، كالإباحية والمثلية والخلاعة والمجون، كلّ ذلك تحت عنوان الحريات الشخصية وحقوق الإنسان، ويريدون فرضها على الشعوب.

وتعيش الجاليات الإسلامية في الغرب معاناة قاسية، من أجل التمسّك بهويتها الثقافية، وقيمها الأخلاقية، حيث تفرض بعض الدول الغربية في مراحل التعليم تلقّي ثقافة المثلية والشذوذ الجنسي، وتحاسب العوائل المسلمة التي تتحدّث لأبنائها عمّا يخالف ذلك.

استغلال العناوين الدينية

وقد يحصل تنافس أو تحاسد بين طرفين في الساحة الدينية، فيندفع

أحدهما للنيل من الآخر، وتصفية الحساب معه، باستخدام عنوان ديني، مثل الردّ على الانحراف العقدي، وفي كثير من الأحيان تكون مجرّد عنوان ومبرر، وإلّا فالمسألة التي يتهم الآخر بالانحراف فيها، هي مسألة اجتهادية نظرية قابلة للاختلاف، وقد تكون مسألة فرعية جزئية، ثم ما هي درجة خطورتها؟ ألا توجد انحرافات أخطر منها؟ ولعلّها لو صدرت من أحد آخر غير منافسه لما اهتم بالردّ عليها.

إنّ على الإنسان أن يكون واضحًا مع نفسه، وعلى بيّنة من ربه، في أيّ عمل يقوم به؛ لأنّ الله هو الرقيب والعالم بخبايا النفوس، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٩]، وهو المحاسب يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة، الآية: ١٨].

التربية على برِّ الوالدين

الجمعة ١٣ ذو القعدة ١٤٤٤هـ | ٢ يونيو ٢٠٢٣م.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٤].

أعلنت الأمم المتحدة الأول من شهر يونيو كلّ عام (اليوم العالمي للوالدين) لتكريم الوالدين في جميع أنحاء العالم، وكان هذا الإعلان عام ٢٠١٢م.

وبهذه المناسبة سنخصّص حديثنا حول هذا الموضوع.

أعظم قيمة أخلاقية

إنّ برَّ الوالدين هو أعظم قيمة أخلاقية يلتزم بها الانسان، ذلك أنه يدرك أنّ لهما، بعد الله ، الفضل الأول والأكبر عليه، في وجوده ونشأته ورعايته، وألّا أحد في الوجود يوازيهما في حبه والحنوّ عليه، وبذل الجهد في سبيل راحته وسعادته، خاصة في

بداية حياته، ووقت ضعفه وصغره.

ومن يتنكر لحقّ والديه فإنه يتجرّد من أيّ قيمة أخلاقية أو مشاعر إنسانية.

من هنا تقرن الآية الكريمة شكر الله بشكر الوالدين، يقول تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾، وتوحي بالتهديد في المخالفة، بالإشارة إلى الرجوع إلى الله، والحساب أمامه يوم القيامة.

إنّ برَّ الوالدين هو أعظم قيمة أخلاقية يلتزم بها الانسان، ذلك أنه يدرك أنّ لهما، بعد الله ، الفضل الأول والأكبر عليه، في وجوده ونشأته ورعايته.

ومن يتنكر لحقّ والديه فإنه يتجرّد من أيّ قيمة أخلاقية أو مشاعر إنسانية.

وفي آية أخرى يردف الله تعالى الأمر بعبادته وتوحيده، بالأمر بالإحسان إلى الوالدين، يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٢٣].

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ»[١].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا؟ قَالَ ﷺ: «هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ»[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، ورد عن الإمام جعفر الصادق ﷺ: «إِنْ ضَرَبَاكَ فَقُلْ لَهُمَا غَفَرَ الله لَكُمَا»[٣].

وحسنًا فعلت الأمم المتحدة حين أعلنت يومًا عالميًّا للوالدين، ففي هذا العصر، نحتاج لاستحضار هذه القيمة الأخلاقية الإنسانية الكبرى،

---

(١) سنن الترمذي، حديث ١٨٩٩.
(٢) سنن ابن ماجه، باب بر الوالدين، حديث ٣٦٦٠.
(٣) الكافي، ج٢، ص١٥٧.

في أذهان ونفوس الجيل المعاصر، أكثر من أيّ عصر مضى.

ذلك لأنّ ثقافة الحضارة المادية السائدة، ترسّخ الروح الأنانية الفردية في نفس الإنسان، وتُعلي من شأن الاستجابة لرغباتها الذاتية، على حساب كلّ القيم والمبادئ.

فالإنسان المستغرق في نزعته المادية الذاتية، ما عادت تهمّه عواطف أمه، أو مشاعر أبيه، بمقدار ما يهمّه تحصيل المكاسب، وتحقيق التطلّعات الشخصية.

لكن كيف نربي أبناءنا على البر بالوالدين؟

أولًا: حسن التربية

كلما اهتم الوالدان بحسن تربية الأبناء، كانوا أقرب إلى البر بالوالدين، أما إذا حصل إهمال وتقصير في العناية بالأبناء، فينعكس سلبًا على تعاملهم مع الوالدين.

إنّ الانشغال عن الأبناء، أو التضييق عليهم في المعيشة، أو سوء التعامل معهم كاستخدام العنف، قد يؤدي إلى توريطهم بعقوق الوالدين.

ورد عن النبي ﷺ: «لَعَنَ الله وَالِدَيْنِ حَمَلاَ وَلَدَهُمَا عَلَى عُقُوقِهِمَا»[1].

وعنه ﷺ: «رَحِمَ الله مَنْ أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بِرِّهِ، وَهُوَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْ سَيِّئَتِهِ، وَيَدْعُوَ لَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله»[2].

حين يعيش الأولاد في ظلّ أسرة مستقرة، يسود فيها الاحترام بين الوالدين، فإنّ ذلك ينمّي انشداد الأولاد وحبّهم للوالدين، ويعزّز برّهما في نفوسهم.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٥٢، حديث ٥٧٦٢.
(٢) بحار الأنوار، ج ١٠٤، ص٩٨، كنز العمال، حديث ٤٥٤١٧.

ثانيًا: الانسجام بين الوالدين

حين يعيش الأولاد في ظلّ أسرة مستقرة، يسود فيها الاحترام بين الوالدين، فإنّ ذلك ينمّي انشداد الأولاد وحبّهم للوالدين، ويعزّز برّهما في نفوسهم.

إنه لا يصح موقف اللامبالاة، ولا الحياد تجاه حالات عقوق الوالدين، حيث يختار البعض عدم التدخل حتى لا تتأثر علاقته بطرف من الأطراف، إنّ ذلك خطأ كبير، والمطلوب هو التدخل الإيجابي، وبالأسلوب المناسب للأمر بأهم معروف هو البر بالوالدين، والنهي عن أسوأ منكر، وهو عقوق الوالدين.

بينما حين يكون هناك خلاف وصراع أمام الأولاد، فإنه يسقط النموذج المثالي من أعينهم، وتنمو لديهم مشاعر غير سوية تجاه الوالدين أو أحدهما.

إنّ على الوالدين أن يبعدا الأولاد عن أجواء خلافاتهما، ولا يصح أبدًا تعبئة الأولاد ضدّ أحد الوالدين، كما يحصل كثيرًا في حالات الخلاف أو الانفصال بين الزوجين.

ثالثًا: نموذج الاقتداء

حين يرى الأولاد طريقة تعامل الوالدين مع والديهم، فسيكون نموذجًا محفّزًا لهم على اتباع نفس النموذج.

لذلك ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «بَرُّوا آبائَكُمْ يَبَرَّكُمْ أَبْناؤُكُمْ»[1].

من هنا ينبغي أن يهتم الوالدان بإظهار الاحترام والتزام البر بالوالدين أمام الأولاد، بل وإشراكهم في مظاهر الاحترام والبر والخدمة لوالدي الوالدين.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٢١، حديث٤٩٨٥.

رابعًا: نشر ثقافة البر بالوالدين

على كلّ واحد منَّا أن يهتم في أيّ موقع كان، بتعزيز هذه القيمة الأخلاقية الإنسانية العليا، فالمعلم والمدير والصديق والإعلامي والفنان والموجه الديني، كلّهم معنيون بهذا الأمر.

وحين يلحظ أيّ فرد في المجتمع خللًا في سلوك أحد على هذا الصعيد، فليتحمل مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنه لا يصح موقف اللامبالاة، ولا الحياد تجاه حالات عقوق الوالدين، حيث يختار البعض عدم التدخل حتى لا تتأثر علاقته بطرف من الأطراف، إنّ ذلك خطأ كبير، والمطلوب هو التدخل الإيجابي، وبالأسلوب المناسب للأمر بأهم معروف هو البر بالوالدين، والنهي عن أسوأ منكر، وهو عقوق الوالدين.

ومن المهم وجود مؤسسات ومبادرات اجتماعية تعزّز قيمة وسلوك البر بالوالدين، كانت في مجتمعنا مبادرة بعنوان سيّدة جمال الأخلاق في برّ الوالدين، ومبادرة البر بالوالدين، فيجب تجديد مثل هذه المبادرات وتطويرها وابتكار مبادرات جديدة.

معطيات التكافل الاجتماعي

الجمعة ٢٠ ذو القعدة ١٤٤٤هـ | ٩ يونيو ٢٠٢٣م.

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

من الوظائف الأساسية للدين، تنمية الحس الاجتماعي في نفس الإنسان، ليعيش التوازن في مشاعره وسلوكه، بين نزعته الذاتية الأنانية، وبين انتمائه الاجتماعي.

ذلك أنّ حياة الفرد لا يمكن أن تنفصل عن واقع المجتمع الذي يعيش فيه، فهناك ارتباط واتصال تفرضه طبيعة الحياة الإنسانية.

وإذا كان الإنسان لا يحتاج إلى تذكير للاهتمام بذاته، لأنّ حاجاته ورغباته تفرض نفسها عليه، فإنه يحتاج إلى التذكير بواجبات انتمائه الاجتماعي، والتفكير في مساعدة الآخرين، حتى لا تطغى عليه

(١) صحيح مسلم، حديث٢٥٨٦.

نزعته الذاتية.

وفي هذا السياق تؤكد التوجيهات الدينية على مسألة التكافل الاجتماعي.

والتكافل لغة من الكَفالة، ويقصد منها الضمان والتعهد بالرعاية، وتستخدم عادة في الالتزام بتأمين حاجات ومتطلبات الحياة للآخرين.

ومنه قوله تعالى في شأن الصديقة مريم عليها السلام: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. [سورة آل عمران، الآية: ٣٧] أي أوكل الله أمر رعايتها، وتوفير متطلبات حياتها إلى النبي زكريا عليه السلام.

هناك شريحة من الناس في كل مجتمع، لا يستطيعون توفير متطلبات حياتهم بقدراتهم الذاتية، بشكل دائم أو مؤقت.

هذه الشريحة الضعيفة لا بُدّ وأن يلتزم القادرون من المجتمع بكفالتها، وتوفير متطلبات الحياة لها.

وكذلك قوله تعالى في قصة النبي موسى عليه السلام: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [سورة القصص، الآية: ١٢].

فالتكافل الاجتماعي التزام الناس برعاية بعضهم لبعض، وتوفير احتياجات حياتهم.

فهناك شريحة من الناس في كل مجتمع، لا يستطيعون توفير متطلبات حياتهم بقدراتهم الذاتية، بشكل دائم أو مؤقت.

هذه الشريحة الضعيفة لا بُدّ وأن يلتزم القادرون من المجتمع بكفالتها، وتوفير متطلبات الحياة لها.

وللتكافل الاجتماعي معطيات كبيرة تعود على الفرد والمجتمع، نشير إلى أهمها:

١/ منح السعادة والرضا

إنّ التكافل الاجتماعي يصنع أجواء السعادة والرضا في أوساط

المجتمع الذي يحققه.

فالفقير والمحتاج إذا أهمله المجتمع، يعيش حالة الاستياء والسُّخط، وقد يصل إلى حدّ الحقد على مجتمعه، بينما حين يجد الرعاية والاهتمام، يشعر بالرضا عمّن حوله، والسرور لانتظام أمور حياته.

كذلك فإنّ من يقدّم الرعاية للفقير والمحتاج، يغمر نفسه الشعور بالسعادة والرضا والبهجة.

إنّ تنمية المشاعر الإيجابيّة تجاه الناس، يوفر للإنسان فرص الكسب المعنوي، والشعور بالراحة النفسية، والرضا الداخلي، وهو ما يوازي فرحه بالمكاسب المادية.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَسَرَّةُ اَلْكِرَامِ فِي بَذْلِ اَلْعَطَاءِ»[1].

ومما ينسب للإمام الحسن بن علي عليه السلام أنه قال:

إذا ما أتاني سائلٌ قلت: مرحبا بمن فضله فرضٌ عليَّ معجّلُ
ومَنْ فضلهُ فضلٌ على كلّ فاضلٍ وأفضلُ أيام الفتى حين يُسألُ[2]

وكان الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ يَقُولُ: «مَرْحَبًا بِمَنْ يَحْمِلُ لِي زَادِي إِلَى الْآخِرَةِ»[3].

وعنه عليه السلام: «اَلْكَرِيمُ يَبْتَهِجُ بِفَضْلِهِ، وَاَللَّئِيمُ يَفْتَخِرُ بِمِلْكِهِ»[4].

إنّ العطاء للآخرين، ومساعدة المحتاجين،

إنّ العطاء للآخرين ومساعدة المحتاجين، هي فرصة للكسب المعنوي، يحرص المؤمن الواعي على اغتنامها، وعدم التفريط فيها.

(١) عيون الحكم، ص٤٨٨.
(٢) نور الأبصار، ص١١١.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٩٨.
(٤) المصدر نفسه، ج٧٨، ص١٦١.

فرصة للكسب المعنوي، يحرص المؤمن الواعي على اغتنامها، وعدم التفريط فيها.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إِنَّ اَلرَّجُلَ لَيَسْأَلُنِي اَلْحَاجَةَ، فَأُبَادِرُ بِقَضَائِهَا مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا، فَلاَ يَجِدُ لَهَا مَوْقِعًا إِذَا جَاءَتْهُ»[1].

٢/ حماية الأمن الاجتماعي

إذا كان هناك خلل في حياة من يعيشون حول الإنسان، فإنّ ذلك ينتج تأثيرًا سلبيًا على حياته الخاصة، فوجود الفقراء والمحتاجين في المجتمع، قد يؤدي إلى حدوث مشاكل أمنية وأخلاقية، كالاضطرابات وحدوث الجرائم المختلفة.

تدرك الدول المتقدمة أن وجود شعوب فقيرة، ومجتمعات متخلفة، ينتج مشاكل ومضاعفات للدول والمجتمعات المتقدّمة، ومن مظاهرها قضية الهجرة غير الشرعية كما يطلقون عليها، ووجود حركات الإرهاب وعصابات الإجرام.

وهذا ما تؤكده الدراسات الاجتماعية، وتجارب الشعوب والأمم في الماضي والحاضر.

وهو ما دفع المجتمعات الرأسمالية المادية، مع رسوخ الثقافة الذاتية الأنانية فيها، إلى التوجه لفكرة الضمان الاجتماعي، وإنشاء المؤسسات الإنسانية الخيرية.

وعلى الصعيد العالمي، تدرك الدول المتقدمة أن وجود شعوب فقيرة، ومجتمعات متخلفة، ينتج مشاكل ومضاعفات للدول والمجتمعات المتقدّمة، ومن مظاهرها قضية الهجرة غير الشرعية، كما يطلقون عليها، ووجود حركات الإرهاب وعصابات الإجرام.

٣/ مصداقية الانتماء الديني والقيمي

إنّ إيمان الإنسان بالله تعالى، والتزامه بعبادته وطاعته، يفرض عليه

(١) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٧٩.

الاهتمام بمن حوله من عباد الله، ولا يتحقق الإيمان والتديّن بمجرد تحصيل الاعتقادات، وأداء الشعائر والعبادات، بل يحتاج إلى ممارسة العطاء للآخرين، وإبداء الاهتمام بعباد الله.

يقول تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٧٧].

إنّ الحديث الشريف الوارد عن رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1]، يرسم صورة للمجتمع الإيماني، أنه قائم على التكافل الاجتماعي، ويُشبِّه كيان المجتمع بجسم الإنسان، الذي لا يمكن أن يتمتع بالراحة إذا كان عضو منه مصابًا بالمرض؛ لأنّ آثار المرض، وألم الوجع، لن تنحصر في منطقة العضو المريض فقط، بل تؤثر على الجسم كلّه.

إنّ مسألة المسكن من أهم ما يقلق العوائل الفقيرة في الوقت الحاضر، فقد يتوفر القوت والغذاء بشكل أو بآخر، لكنّ توفير المسكن للعوائل الفقيرة أو محدودة الدخل، إن لم تكن تملك مسكنًا، أصبح مشكلة كبيرة، خاصة مع ارتفاع مستوى الإيجارات.

معيار التديّن

في مجتمعاتنا هناك شرائح تعاني من بعض المشاكل والحاجات، وعوائل تعيش في مستوى الفقر، ولا تتوفر لها مقومات الحياة الكريمة.

(١) صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث٢٥٨٦.

إنّ اغفال وضع هذه العوائل، يخدش صورة الإيمان في واقع المجتمع، حيث تؤكد النصوص الدينية على المسؤولية الاجتماعية، تجاه حالات الفقر والحاجة.

يروي الإمام محمد الباقر عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ، قَالَ: وَمَا مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يَبِيتُ وَفِيهِمْ جَائِعٌ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: «ما آمَنَ بي مَن باتَ شَبْعانَ وجارُهُ طاوِيًا، ما آمَنَ بي مَن باتَ كاسِيًا وجارُهُ عارِيًا»(٢).

وهذا يشمل مختلف الحاجات ومتطلّبات الحياة، كالسَّكن مثلًا، لذلك ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَنْ كَانَ لَهُ دَارٌ وَاحْتَاجَ مُؤْمِنٌ إِلَى سُكْنَاهَا فَمَنَعَهُ إِيَّاهَا، قَالَ اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَلاَئِكَتِي عَبْدِي بَخِلَ عَلَى عَبْدِي بِسُكْنَى اَلدُّنْيَا، وَعِزَّتِي لاَ يَسْكُنُ جِنَانِي أَبَدًا»(٣).

وينطبق ذلك على من يستطيع تقديم المساعدة لتوفير السكن للمحتاجين إليه.

مسكن آمن لحياة كريمة

إنّ مسألة المسكن من أهم ما يقلق العوائل الفقيرة في الوقت الحاضر، فقد يتوفر القوت والغذاء بشكل أو بآخر، لكنّ توفير المسكن للعوائل الفقيرة أو محدودة الدخل، إن لم تكن تملك مسكنًا، أصبح مشكلة كبيرة، خاصة مع ارتفاع مستوى الإيجارات.

---

(١) الكافي، ج٢، ص٦٦٨، حديث١٤.
(٢) مستدرك الوسائل، ج٨، ص٤٢٩، حديث٥.
(٣) الكافي، ج٢، ص٢٦٨، حديث٣.

من هنا ندعو إلى الاهتمام بهذا الجانب، ونأمل من أصحاب الخير، وأهل العطاء في مجتمعنا الكريم، مساعدة العوائل الفقيرة، في موضوع توفير المسكن اللائق، أو توفير ايجار المسكن.

وقد أطلقت خيرية القطيف هذه الأيام مبادرة مهمة بعنوان (مسكن آمن لحياة كريمة).

ويشير تقرير لجنة التكافل في الجمعية: إلى أنّها ترعى ٤٩٨ أسرة تتكون من ١٤٣٠ فردًا.

وأنّ ٥٠٪ من هذه الأسر المستفيدة من رعاية الجمعية، لا تمتلك مسكنًا، وعددها ٢٨٠ أسرة، تعاني مشكلة توفير مبالغ الإيجار السنوي للسكن.

والإيجارات هي الثقل الأكبر، والحاجة الملحة لهذه الفئات المستهدفة، من حيث توفير البيئة السليمة، والسكن الآمن، والاستقرار الأسري.

إنّ خيرية القطيف توفر ما نسبته ٤٠ إلى ٥٠٪ من قيمة الإيجارات، وتتطلّع إلى زيادة هذه النسبة حسب المقدرة المالية المتوفرة.

لذلك تدعو الجمعية في مبادرتها إلى تجاوب أهل الخير في المجتمع لتأمين هذه المبالغ المطلوبة.

ونأمل التجاوب مع هذه المبادرة الكريمة، ونشكر إدارة الجمعية على قيامها بهذه الأعباء، وإطلاق مثل هذه المبادرات التي تعزّز التكافل الاجتماعي.

ضعف التركيز والشرود الذهني

الجمعة ٢٧ ذو القعدة ١٤٤٤هـ | ١٦ يونيو ٢٠٢٣م.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إِيّاكَ وَالْغَفْلَةَ فَإِنَّ الْغَفْلَةَ تُفْسِدُ الْأَعْمالَ»(١).

وعنه عليه السلام: «ضادُّوا الْغَفْلَةَ بِالْيَقْظَةِ»(٢).

يتحدّث علماء النفس عن ظاهرة يعاني منها كثير من الناس، هي ظاهرة التشتت الذهني وقلّة التركيز، فكما يصنّف الناس إلى انطوائيين ومنفتحين، أو عقلانيين واندفاعيين، يمكن تقسيمهم إلى من يعانون من الشرود الذهني وأصحاب التركيز العالي.

من يتمتع بقوة التركيز، حينما يتجه للتفكير في أمر، أو انجاز عمل، يكون ذهنه حاضرًا فيما يفكر فيه، أو يؤديه من عمل، مما يجعله أقدر على الإنتاج، وأفضل في الأداء.

أما من يعاني من ضعف التركيز، فإنّ تفكيره

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٧٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٢٧.

يسرح ويمرح خارج ما يُفترض أن يهتم به من أمر، أو يقوم به من عمل، فيكون الجسم حاضرًا، بينما الذهن في مكان آخر. مما يسبب له الوقوع في الأخطاء، ويفقده الكثير من المنافع.

وقد لا يحصل التشتت الذهني في كلّ المجالات، فقد يكون الإنسان مشتت الذهن في شؤون الحياة الشخصية، بينما يكون نبيهًا حاضر الذهن في مجال التعلم أو العمل.

من أمراض العصر

وفي هذا العصر اتسعت مساحة الشرود الذهني، وضعف التركيز بين الناس، نتيجة ضغوط الحياة، وتشعب الاهتمامات.

ففي عالم اليوم، تحاصر الإنسان مؤثرات متنوعة، تساهم في تشتت الذهن وإضعاف التركيز، وتؤثر على الإنسان في عمله، وعلاقاته وتفاعله مع الآخرين.

الكاتب (كال نيوبورت)[1] ألّف كتابًا بعنوان: (العمل العميق)، تحدّث فيه عن التركيز في العمل، والنجاح فيه، وسط عالم حافل بما يشتت الذهن.

نتائج وآثار

ضعف التركيز يجعل الإنسان غير قادر على التفكير بوضوح، أو انجاز العمل بإتقان.

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «إِيّاكَ وَالْغَفْلَةَ، فَإِنَّ الْغَفْلَةَ تُفْسِدُ

(١) أكاديمي ومؤلف أمريكي، أستاذ مشارك في علوم الحاسوب في جامعة جورج تاون الأمريكية.

الْأَعْمالَ»[1].

إنّ بعض الطلاب يعانون من هذه المشكلة، فلا يهضمون المادة العلمية؛ لأنّ تفكيرهم يذهب إلى مكان آخر. وكذلك بعض من يستمعون الخطب والمحاضرات، أو يتحدّثون مع طرف آخر.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «سَمْعُ اَلْأُذُنِ لاَ يَنْفَعُ مَعَ غَفْلَةِ اَلْقَلْبِ»[2].

وقد تتفاقم حالة تشتت الانتباه، ونقص التركيز، لتصبح حالة مرضية، ويقدّر العلماء أنّ نسبة الإصابة بهذه الحالة المرضية تتراوح بين ٧٪ إلى ١٥٪ في مجتمعات مختلفة.

وكما قال أحد الباحثين: (ركز كلّ تفكيرك في العمل الذي تعكف على تنفيذه، فإنّ أشعة الشمس لا تحرق إلّا إذا تجمعت في بؤرة واحدة).

ويشير بحث علمي إلى أنّ عقولنا تشرد في ٥٠٪ من أوقات يقظتنا، يتشتّت انتباهنا بسهولة، سواء بفعل مشتتات داخلية أو خارجية، هذه المشتتات تجعل عقولنا تشرد بعيدًا عمّا نفعله، وهذا التشتت ينطوي على عواقب وخيمة، لا سيّما في مجالات عالية الخطورة كالطب أو الجيش أو القضاء.

سيشرد عقلك، وهذا طبيعي تمامًا، فالأمر لا يتعلق بالقضاء على الشرود، وإنما حينما يشرد عقلك تستعيده بلطف.

إنّ أفضل سُبل مواجهة ضعف التركيز والشرود الذهني، هو تعويد الإنسان نفسه على التركيز، والابتعاد عن المؤثرات الصارفة، والسعي

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٧٢.
(٢) عيون المواعظ والحكم، ص٢٨٦.

لاستعادة حضور الذهن كلّما انتبه الإنسان لشروده.

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «ضادُّوا الْغَفْلَةَ بِالْيَقْظَةِ»(١).

ونتحدّث هنا عن موردين يعرض فيهما الشرود الذهني غالبًا:

المورد الأول: الشرود الذهني في الصلاة

حيث ينبغي حضور القلب في الصلاة، لكنّ كثيرين يعانون من تحليق أذهانهم وأفكارهم إلى اهتمامات أخرى أثناء الصلاة.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مِنْ صَلاَتِهِ مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ»(٢).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إِنِّي لَأُحِبُّ لِلرَّجُلِ اَلْمُؤْمِنِ مِنْكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاَةٍ فَرِيضَةٍ أَنْ يُقْبِلَ بِقَلْبِهِ إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى وَلاَ يَشْغَلَ قَلْبَهُ بِأَمْرِ اَلدُّنْيَا»(٣).

سيشرد عقلك، وهذا طبيعي تمامًا، فالأمر لا يتعلق بالقضاء على الشرود، وإنما حينما يشرد عقلك تستعيده بلطف.

إنّ أفضل سُبل مواجهة ضعف التركيز والشرود الذهني، هو تعويد الإنسان نفسه على التركيز، والابتعاد عن المؤثرات الصارفة، والسعي لاستعادة حضور الذهن كلّما انتبه الإنسان لشروده.

إنّ للشيطان دورًا في إشغال ذهن الإنسان أثناء صلاته، لذلك ورد استحباب الاستعاذة بالله من الشيطان، قبل قراءة سورة الفاتحة بداية الصلاة، وكلما قرأ الإنسان القرآن، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٨].

وهدف الاستعاذة إشعار الإنسان بخطر الشيطان ليحترز منه، ويركز

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٢٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٨٤، ص٢٣٩، حديث٢١.
(٣) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٥، حديث٧١٠١.

اهتمامه وانتباهه.

وقيل إنَّما سمي مكان الصلاة محرابًا، كما يقول تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٩]؛ لأنّ الإنسان في صلاته يخوض حربًا ضدّ وساوس الشيطان، وهواجس النفس.

حالة شائعة

وكلّ إنسان يصلي معرض لهذه الحالة، حتى المؤمنون الأتقياء، والعلماء الثقاة:

جاء في مذكرات الشيخ فرج العمران (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية) ، ما ملخصه: صلّيت ذات ليلة مع حجة الإسلام السيد ماجد العوامي[1]، وكنت عن يسار صاحب الروضة، وهو ابن أخيه السيد باقر بن السيد علي العوامي، فخطرت ببالي مجموعة مؤلفات جدّي الشيخ عبدالله بن فرج بن عبدالله بن عمران، فحدّثت نفسي أنه ينبغي لي أن أسعى في طبعها ونشرها، فشرعت أسعى في هذا الغرض، واقترضت مبلغًا، وسافرت إلى النجف فلم تعجبني الطباعة فيها، ووصفوا لي مطبعة في صيدا – لبنان، فسافرت وطبعت ١٠٠٠ نسخة، وأبقيت منها هناك مئتي نسخة، ورجعت للعراق ووزعت جملة من النسخ على المكتبات المشهورة وكبار العلماء،

إنّ الانشغال أثناء قيادة السيارة هو نوع من الإهمال والتساهل واللامبالاة، وعواقبه وخيمة، قد يسبّب إزهاق الأرواح، أو إصابات الإعاقة الخطيرة، ويربك حياة الإنسان.

إنه يجب على الإنسان شرعًا وعقلًا أن يحفظ حياته، وأن يحمي نفسه من الأخطار، وألّا يكون سببًا في هلاك غيره، وتعريضه للخطر.

(١) مرجع ديني في القطيف (١٢٧٩هـ ـ ١٣٦٧هـ).

ورجعت إلى القطيف ومعي ١٠٠ نسخة، فلما وصلت المينا، قال السيد ماجد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فكأنّني كنت نائمًا فانتبهت، وقد أخذني الخجل، فقلت للسيد باقر العوامي بجانبي: أتدري إلى أين سافرت في الصلاة؟ قال: لا.

فقلت: إلى صيدا. فتعجب جدًا وتبسّم ضاحكًا.

ثم قال: (الله وكيل أنا ما سافرت إلّا إلى الحمّام وسبحت ورجعت).

أقول: فقمت وأعدت الصلاة احتياطًا[1].

ومما يساعد على إقبال القلب في الصلاة، التهيؤ لها بالوضوء والدعاء والأذان والإقامة، واستحضار النية، والاجتهاد في تجاوز الشرود الذهني إذا حصل.

المورد الثاني: قيادة السيارة

يحتاج الإنسان أثناء قيادة السيارة لدرجة كبيرة من الالتفات والتركيز، لتجنب حدوث المخاطر والحوادث، وللسيطرة على أيّ موقف طارئ.

إنّ شرود الذهن، وانشغال الفكر بأمور أخرى، قد تكون نتائجه وخيمة، إنّ البعض يسترسل في الحديث مع مرافقيه، وقد يكثر الحركة بالالتفات إليهم، والاشارة بيده، وسائر جسمه، والبعض ينشغل بالمكالمات الهاتفية، أو متابعة وسائل التواصل الاجتماعي، يستقبل الرسائل ويجيب عليها، ويتناول الطعام والشراب، وكلّ ذلك إضافة إلى عدم الحصول على النوم الكافي والراحة، يسبّب تشتت الانتباه، وضعف التركيز في القيادة.

(١) الشيخ فرج العمران، الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية، ج٣، ص٦٠.

أرقام مؤلمة

نشرت الصحافة المحلية أمس الخميس ١٥ يونيو ٢٠٢٣م (عن اللجنة الوزارية للسلامة المرورية، أنّ نتائج وإحصائية ملف السلامة المرورية للعام المنصرم ٢٠٢٢، شهدت زيادة في عدد الحوادث المرورية بالمملكة بما نسبته ٢٨٪ عن العام الذي سبقه بواقع ١,٨٥٠,٢٥٠ حادثًا، إذ بلغ عدد حوادث التلفيات ١,٨٣٣,٢٨٨ حادثًا، فيما كان مجموع الحوادث الجسيمة ١٦,٩٦٢ حادثًا وعدد المصابين ٢٤,٤٤٦، ووصل عدد الوفيات ٤٥٥٥ وفاة.

وفصّلت اللجنة أسباب الحوادث التي تصدرها الانحراف المباغت بـ ٤٧٤,٦٠٤ حوادث، ثم إهمال ترك مسافة آمنة ثانيًا بواقع ٤٥٩,١٢٤، وعدم التركيز مع القيادة ١٩٣,٨٢٧، ومخالفة أحقية المرور ١٨٤,٦١٠، وأخيرًا السير عكس الاتجاه ١٤,٣٧٩ حادثًا)[١].

وقد (حذّر مركز النقل المتكامل، التابع لدائرة البلديات والنقل في أبوظبي، من سلوكيات سلبية، تُشتّت انتباه قائدي المركبات، وتشغلهم عن الطريق، وتحدّ من سيطرتهم على قيادة مركباتهم، تشمل الاستخدام المفرط للهواتف، وتصفّح وسائل التواصل الاجتماعي أثناء القيادة، والانشغال مع الركاب داخل المركبة، إضافة إلى تناول المأكولات والمشروبات، والتزيّن بالمكياج أثناء القيادة.

لافتًا إلى أنّ الانشغال عن الطريق بتناول الطعام والشراب، خلال القيادة، يرفع نسبة حوادث المركبات إلى ٨٠٪)[٢].

---

(١) صحيفة الوطن، https://www.alwatan.com.sa/article/1128440

(٢) صحيفة الإمارات اليوم https://www.emaratalyoum.com/local-section/other/2023-01-21-1.1710614

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «اِنْتِبَاهُ اَلْعَيْنِ لاَ يَنْفَعُ مَعَ غَفْلَةِ اَلْقُلُوبِ»[1].

تساهل مرفوض

إنه يجب على الإنسان شرعًا وعقلًا أن يحفظ حياته، وأن يحمي نفسه من الأخطار، وألّا يكون سببًا في هلاك غيره، وتعريضه للخطر.

إنّ الانشغال أثناء قيادة السيارة هو نوع من الإهمال والتساهل واللامبالاة، وعواقبه وخيمة، قد يسبّب إزهاق الأرواح، أو إصابات الإعاقة الخطيرة، ويربك حياة الإنسان.

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٧٠.

المسافة الآمنة في العلاقات الاجتماعية

خطبة الجمعة ٥ ذو الحجة ١٤٤٤هـ | ٢٣ يونيو ٢٠٢٣م.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»[1].

من أخطر التحديات والامتحانات التي يواجهها الانسان في الحياة، امتحان العلاقة مع الآخرين في محيطه الاجتماعي، فحين تكون علاقته جيّدة مع من حوله، يكون أقرب إلى الرضا عن نفسه، والنجاح والسعادة في حياته.

وحين تتعثر علاقاته مع الآخرين، ينعكس ذلك سلبًا على استقراره النفسي، وتتعقد حياته، ويكون أقرب إلى التعاسة والشقاء.

ونريد تسليط الضوء، على زاوية مهمّة في هذا المجال، نطلق عليها مصطلح المسافة الآمنة،

(١) نهج البلاغة، حكمة: ٢٦٨.

ونقصد بها: أن يحدّد الإنسان المستوى والدرجة المناسبة في علاقته مع كلّ أحد.

ويستخدم هذا المصطلح (المسافة الآمنة) ضمن قواعد السلامة المرورية، بأن يترك قائد المركبة (السيارة) في حال السير، مسافة بينه وبين السيارة التي تسير أمامه، تتراوح بين ٥ و١٠ أمتار، وتزداد المسافة المطلوبة مع ازدياد السرعة، وذلك لتجنب الحوادث عند الوقوف المفاجئ، والانحراف المباغت.

هناك اختلاف في الآراء، وتضارب في المصالح، وتباين في الأمزجة والطباع، كما يحصل للإنسان تحولات وتغيّرات في عواطفه ومشاعره، والمسافة الآمنة تساعد على مواجهة ارتدادات أيّ تحول أو تغيير في سير العلاقة، وتقلل الخسائر والأضرار.

وأكثر الحوادث تحصل في مثل هذه الحالة، مع عدم ترك مسافة آمنة، ففي العام الماضي، بلغ عدد الحوادث في المملكة، بسبب الانحراف المباغت ٤٧٤,٦٠٤، وبسبب إهمال ترك المسافة الآمنة ٤٥٩,١٢٤.

ويبدو أنّ نسبة كبيرة من المشاكل في العلاقات الاجتماعية، سببها إهمال المسافة الآمنة في العلاقة بين الناس.

فهناك اختلاف في الآراء، وتضارب في المصالح، وتباين في الأمزجة والطباع، كما يحصل للإنسان تحولات وتغيّرات في عواطفه ومشاعره، والمسافة الآمنة تساعد على مواجهة ارتدادات أيّ تحول أو تغيير في سير العلاقة، وتقلل الخسائر والأضرار.

وفي الحديث عن حدود هذه المسافة الآمنة نذكر المعالم التالية:

أولًا: رعاية الحقوق

إنّ العلاقة السليمة تقوم على الاحترام المتبادل للحقوق، فإذا ما

تجاوزت على حقوق من ترتبط معه بعلاقة أيًّا كان، ولدًا، أو زوجًا، أو أخًا، أو صديقًا أو زميلًا، فقد يحصل بينك وبينه تصادم ونزاع واختلاف.

إنّ القرآن الكريم في حديثه عن الحقوق والالتزامات بين الزوجين يقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية:٢٢٩].

وفي العلاقة بين الوالد والأولاد، ورد في إحدى وصايا النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام: «يَا عَلِيُّ، لَعَنَ اَللَّهُ وَالِدَيْنِ حَمَلاَ وَلَدَهُمَا عَلَى عُقُوقِهِمَا، يَا عَلِيُّ يَلْزَمُ اَلْوَالِدَيْنِ مِنْ عُقُوقِ وَلَدِهِمَا مَا يَلْزَمُ اَلْوَلَدَ لَهُمَا مِنْ عُقُوقِهِمَا»(١).

وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أخيكَ اتِّكالًا عَلى ما بَينَكَ وبَينَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيسَ لَكَ بِأَخٍ مَن أضَعتَ حَقَّهُ»(٢).

وفي طليعة تلك الحقوق حقّ الاحترام وعدم الإهانة والإيذاء.

إنّ البعض في علاقاته العائلية، أو مع أصدقائه، أو العاملين تحت إدارته، يتصور أنّ له عليهم (ميانة) ونفوذًا، يخوّله التصرف معهم بحرية، متجاوزًا بعض حقوقهم المادية أو المعنوية، وقد يتحمّلون منه ذلك أحيانًا، لكنّ تراكمات وتكرار هذا التجاوز قد يفجّر العلاقة في أيّ لحظة من اللحظات.

إنّ البعض حينما يرتبط بأحد أو يصادقه، يمارس حالة الفضفضة أمامه، فيتحدث عن نقاط ضعفه الخاصة، أو عن شؤونه العائلية، أو قضايا عمله مما لا شأن للطرف الآخر به، وقد يقوده فضوله لتتبع أخبار الطرف الآخر وأسراره، وذلك ما يؤدي إلى أخطاء وارتدادات ضارة.

ثانيًا: احترام الخصوصيات والأسرار

على الإنسان أن يحافظ على خصوصيته وأسراره، في علاقاته مع الآخرين، حتى

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٤٨٣.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٩٢، حديث ٥٨٣٤.

القريبين منه، كما أنّ عليه أن يحترم خصوصية الآخرين وأسرارهم.

إنّ البعض حينما يرتبط بأحد أو يصادقه، يمارس حالة الفضفضة أمامه، فيتحدث عن نقاط ضعفه الخاصة، أو عن شؤونه العائلية، أو قضايا عمله، مما لا شأن للطرف الآخر به، وقد يقوده فضوله لتتبع أخبار الطرف الآخر وأسراره، وذلك ما يؤدي إلى أخطاء وارتدادات ضارة.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اِنْفَرِدْ بِسِرِّكَ وَلاَ تُودِعْهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ وَلاَ جَاهِلًا فَيَخُونَ»[1].

إنّ من تكشف له سرّك، حتى وإن كان متزنًا صالحًا، قد يحصل منه الخطأ والزلل، فيكشف سرّك للآخرين، أو يستغلّ معرفته بالسرّ فيما يضرّك بقصد أو بغير قصد.

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لا تَطَّلِعْ صَديقَكَ مِنْ سِرّكَ الّا ما لَوِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ عَدُوُّكَ لَم يَضُرُّكَ، فَإنَّ الصَّديقَ قَدْ يَكونُ عَدُوّكَ يَوْمًا مّا»[2].

فأنت لا تضمن استمرار المودة والعلاقة معه، فقد يحصل بينكما خلاف فيصبح عدوًّا لك، ويحدث مثل ذلك في العلاقات الزوجية، فقد يحصل الاختلاف أو الطلاق والانفصال، وعادة ما يستخدم كلا الطرفين أسرار الطرف الآخر ورقة في الصراع والخلاف.

وعنه عليه السلام: «سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ فَلا يَجْرِيَنَّ مِن غَير أوداجِكَ»[3].

ثالثًا: الاعتدال والتوازن

وهو مطلوب من الإنسان في كلّ المجالات، فلا إفراط ولا تفريط،

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٣٤.
(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص٧٦٧، حديث١٠٣٦.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٧١، حديث١٥.

وفي مجال العلاقة مع الآخرين على الإنسان أن يحرص على التوازن والاعتدال، فلا يكون حبّه لآخر وعلاقته به، دافعًا لذوبانه فيه، وفقدانه لاستقلاله، أو تجاوز القيم والمبادئ من أجله، ولا أن يكون على حساب حقوق الآخرين.

فحتى حب الإنسان وبره لوالديه، لا ينبغي أن يكون على حساب حقوق زوجته، فنفقتها مثلًا ألزم عليه من نفقتهما شرعًا.

في مجال العلاقة مع الآخرين على الإنسان أن يحرص على التوازن والاعتدال، فلا يكون حبّه لآخر وعلاقته به، دافعًا لذوبانه فيه، وفقدانه لاستقلاله، أو تجاوز القيم والمبادئ من أجله، ولا أن يكون على حساب حقوق الآخرين.

وكذلك في مجال الخلاف وسوء التفاهم، على الإنسان أن يترك خط رجعة، ولا يبالغ في الخصومة، ولا يقطع العلاقة ما أمكن.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لاَ يَكُنْ حُبُّكَ كَلَفًا، وَلاَ بُغْضُكَ تَلَفًا، أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا»(١).

وفي مجال الثقة والاطمئنان بمن تربطك به علاقة رحم أو صداقة، لا ينبغي أن تكون سببًا للتساهل في توثيق الحقوق، اعتمادًا على حسن العلاقة والثقة.

ورد عن الإمام علي عليه السلام «اُبْذُلْ لِصَدِيقِكَ كُلَّ اَلْمَوَدَّةِ وَلاَ تَبْذُلْ لَهُ كُلَّ اَلطُّمَأْنِينَةِ»(٢).

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لا تَثِق بِأَخيكَ كُلَّ الثِّقَةِ؛ فَإِنَّ

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص٧٠٣، حديث١٥٠٦.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٤٨.

صِرعَةَ الإِستِرسالِ لَن تُستَقالَ»[1].

فقد تحصل شراكة مالية بين صديقين في مشروع، ولا يوقعان اتفاقًا واضحًا بينهما، اعتمادًا على علاقاتهما الوثيقة، وفيما بعد قد يقع اختلاف ما بينهما، فيتنكر أحدهما لشيءٍ من حقوق الآخر.

ومثل ذلك قد يقع بين الزوجين، حيث تبذل الزوجة من مالها لزوجها على سبيل الشراكة، أو القرض لبناء المنزل مثلًا، أو لإقامة مشروع استثماري، وحين لا يكون هناك توثيق اعتمادًا على الثقة والاطمئنان في العلاقة الزوجية، هنا قد يضيع حقّها، خاصة في حالة الخلاف والانفصال.

إنّ أطول آية في القرآن الكريم، تغطي صفحة كاملة أو تزيد في المصحف الشريف، مخصصة لموضوع توثيق الديون والحقوق، وهي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.

يقول تعالى في بدايتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.

وفي إحدى فقراتها يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَنْ ذَهَبَ حَقُّهُ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ لَمْ يُؤْجَرْ»[2].

ومما نقل في هذا الشأن تعاشروا كالإخوان، وتعاملوا كالأجانب[3].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٦٧٢، حديث٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٩٨، حديث٣.
(٣) الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص١٥٠.

توقعاتك من الآخرين

وينبغي الاعتدال في توقعاتك من الآخرين، وتفهّم ظروفهم.

ما يطلبه الزوج من زوجه، والصديق من أصدقائه، والوالدان من أبنائهما، ينبغي أن يكون ضمن دائرة الممكن، ويراعي فيه ظرف الطرف الآخر وأوضاعه، فلا يكون تحقيق ما تطلبه على حساب ظروف الآخرين وأحاسيسهم ومشاعرهم، فهذا ليس إنصافًا، وسيؤدي إلى تعقّد العلاقات معهم، كما يمكن أن يصيب الإنسان بعقدة نفسية؛ لأنه لم يتحقّق له ما أراد، لهذا ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إذا أَرَدتَ أن تُطاعَ فَاسأَلْ ما يُستَطاعُ»(١).

على الإنسان أن يخفض سقف توقعاته من الآخرين، ولا يلقي بعبئه على غيره، حتى ولو كانوا قريبين منه، ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصفه للمؤمن «قَليلُ المَؤونَةِ، كَثيرُ المَعونَةِ»(٢).

البعض يتصور أنّ هذا الحديث يطبّق مع الآخرين البعيدين فقط!

إنّ مفاد الحديث يجري في تعامل الإنسان حتى مع الزوجة والأولاد، وكذلك الزوجة مع زوجها، ينبغي أن تكون قليلة المؤونة.

على الإنسان أن يلتمس الأعذار للآخرين، حينما لا يستجيبون لطلباته وتوقعاته، ورد عن الإمام علي عليه السلام: «اِقْبَلْ أَعْذارَ النّاسِ تَسْتَمْتِعْ بِإِخائِهِمْ»(٣).

وحتى في مجال التقدير والإكرام للطرف الآخر ينبغي الاعتدال، فقد

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٥٦، حكمة رقم ٣٩.
(٢) بحار الأنوار: ج٦٧، ص٧١، حديث ٣٤.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص٧٧، حديث١٨٥٧.

ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «لاَ تُكْرِمِ اَلرَّجُلَ بِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِ»[1].

فالبعض من الناس مثلًا قد يصرّ على استضافة من يحترمه تقديرًا له، لكن ذلك يكون فيه مشقة وكلفة، لا تناسب وضعه وظروفه، فإذا اعتذر إليه ينزعج، وهذا خطأ ينافي الاعتدال في العلاقة.

(١) تحف العقول، ص٤٨٩.

ذكر الله وعيٌ وطمأنينة وانضباط

الجمعة ١٢ ذو الحجة ١٤٤٤هـ | ٣٠ يونيو ٢٠٢٣م.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٠٣].

بعد ظهر اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، يُنهي معظم الحجاج مناسك حجهم بمغادرة منى، بعد رمي الجمرات لليوم الثالث على التوالي. ومن يبقى منهم إلى الغروب في منى، يجب عليه المبيت فيها.

وإلى ذلك تشير الآية الكريمة التي تبدأ بالحث على ذكر الله في أيام الحج.

وقد تكرر في الآيات القرآنية التي تتحدث عن الحج، الحث على ذكر الله أيام الحج.

يقول تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

مَّعْلُومَاتٍ﴾[سورة الحج، الآيات: ٢٧-٢٨].

ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [سورة البقرة، الآيات: ١٩٨-٢٠٠].

الحج ليس رحلة سياحية يستمتع فيها الإنسان بمظاهر الطبيعة ومباهج الحياة، بل هو رحلة روحية إيمانية لا تخلو من المنافع الدنيوية.

ومن هذه الآيات استنتج أحد الفقهاء المعاصرين، وجوب كثرة ذكر الله في الحج، وليس على نحو الاستحباب فقط، كما هو الرأي السائد عند الفقهاء، يقول: (والملفت في هذه الآيات الأربع تكرّر الأمر فيها، بلغة تشديدية قلّما وجدناها بهذه الصورة التكرارية في النصوص الكتابية، مما يوجب الجزم بالوجوب، حتى لو كان كلّ واحدٍ منها لو لم ينضم إليه الآخر مشكوك الدلالة، وهو ما لا نسلّمه، ومثل هذه الدلالة القرآنية الحاسمة، لا يمكن اختزالها في الأذكار الواردة في الصلاة أو على الذبيحة أو ما شابه ذلك، كما لا يمكن رفع اليد عن دلالتها الحاسمة برواية أو روايتين، ما لم توجب الوثوق، فالمرجع هو النص الكتابي)[1].

الحج ليس رحلة سياحية يستمتع فيها الإنسان بمظاهر الطبيعة ومباهج الحياة، بل هو رحلة روحية إيمانية لا تخلو من المنافع الدنيوية، كما يقول تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

(١) حيدر حب الله، بحوث في فقه الحج، ص٢١٠ (ط١، ٢٠١٠، دار الانتشار العربي، بيروت - لبنان).

وفي الحج يعيش الإنسان مع ذكر الله دائمًا وأبدًا.

ذكر الله نهج في الحياة

والذكر الدائم لله ينبغي أن يكون نهجًا للمسلم في حياته، وليس في الحج فقط. حيث تؤكد الآيات القرآنية على استمرار الذكر في مختلف أوقات وحالات الإنسان.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٢].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة المنافقون، الآية: ٩].

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩١].

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ اَللَّهِ مَا اِسْتَطَعْتُمْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ اَللَّيْلِ وَاَلنَّهَارِ فَإِنَّ اَللَّهَ أَمَرَ بِكَثْرَةِ اَلذِّكْرِ لَهُ»[1].

ذكر الله يشكل إثارة دائمة لوعي الإنسان بوجوده وبالحياة من حوله، حيث يستحضر ذهن الإنسان، أنّ خلف وجوده وحياته خالقًا قادرًا مدبرًا، وأنه موجود ذو قيمة، ولوجوده هدف ومقصد.

ولكن ماذا يعني ذكر الله؟ هل هو مجرّد تلفظ باللسان؟

إنه يعني حضور الله بصفاته في ذهن الإنسان ونفسه، وانعكاساته على عمله وسلوكه.

أولًا: إثارة دائمة للوعي بالوجود

ذكر الله يشكل إثارة دائمة لوعي الإنسان بوجوده، وبالحياة من

(١) الكافي، ج٨، ص٢، حديث١.

حوله، حيث يستحضر ذهن الإنسان، أنّ خلف وجوده وحياته خالقًا قادرًا مدبرًا، وأنه موجود ذو قيمة، ولوجوده هدف ومقصد، وأنه راجع إلى ربه ومحاسب أمامه، وأنّ الكون تحت رعاية ربٍّ حكيم رحيم.

بينما الجاحد لله تعالى، والغافل عن الله، يشعر بالضياع والتيه، واللاهدفية واللاقيمة في هذه الحياة.

إنّ هناك فرقًا بين من يشعر أنه يعيش في بلد له سلطة حاكمة تديره، وترعى شؤون المقيمين فيه، وأنّ هناك طرقًا سالكة للتواصل مع هذه السلطة، لإبلاغها بالحاجات والطلبات، وبين من يعيش في بلد آخر، يشعر أن لا سلطة فيه قائمة تتحمل مسؤولية ما يجري في البلد، وتعالج حاجات المقيمين فيه، ويمكن التواصل معها.

ذكر الله يمنح الإنسان الطمأنينة والثقة، أمام تحدّيات الحياة ومشاكلها، حيث يستحضر الإنسان قدرة الرّب وعظمته ورحمته وفضله وحكمته.

ففي الصورة الأولى يشعر الإنسان بالأمن والمسؤولية، بينما هو يعيش القلق والاضطراب في ظلّ الصورة الثانية.

ذلك هو مثال يقرّب الفكرة للفرق بين شعور المؤمن المتصل بالله في هذه الحياة، وبين شعور الجاحد الغافل عن الله، حيث يضيّع نفسه، ويتلاشى المعنى في حياته.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة الحشر، الآية: ١٩].

ثانيًا: إلهام الطمأنينة والثقة

ذكر الله يمنح الإنسان الطمأنينة والثقة، أمام تحدّيات الحياة ومشاكلها، حيث يستحضر الإنسان قدرة الرّب وعظمته ورحمته وفضله وحكمته.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٢٨].

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٦].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٤٥].

ثالثًا: الانضباط السلوكي

حين تنبعث الشهوات في نفس الإنسان، وتتحرك انفعالاته الغضبية، فإنّ ذكر الله يكبح جِماح الشهوات، ويردّ عنفوان الغضب والانفعالات.

لأنه بذكر الله يستحضر أنّ الله عالم بما يفعل، ومطّلع عليه، وأنّ المعصية تسخطه، وأنه يعاقب العصاة بالنار والعذاب، وهنا يتراجع عن المعصية والخطأ خجلًا من الله، وحذرًا من حسابه وعقابه.

حين تنبعث الشهوات في نفس الإنسان، وتتحرك انفعالاته الغضبية، فإنّ ذكر الله يكبح جِماح الشهوات، ويردّ عنفوان الغضب والانفعالات.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٢٠١]

وورد عن النبي محمد ﷺ: «أَوْحَى اَللَّهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ اِبْنَ آدَمَ اُذْكُرْنِي عِنْدَ غَضَبِكَ أَذْكُرْكَ عِنْدَ غَضَبِي»[1].

وعن أبي مسعود [عقبة بن عمرو]: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِن خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عليه»، فَالْتَفَتُّ

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٢١.

فَإِذَا هو رَسولُ اللهِ ﷺ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، هو حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقالَ: «أَما لو لَمْ تَفْعَلْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ»[1].

وجاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مَنْ عَمَرَ قَلْبَهُ بِدَوَامِ اَلذِّكْرِ حَسُنَتْ أَفْعَالُهُ فِي اَلسِّرِّ وَاَلْجَهْرِ»[2].

وعنه عليه السلام: «ذِكْرُ اَللَّهِ مَطْرَدَةُ اَلشَّيْطَانِ»[3].

وعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (حَجَجْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ اَلْحُسَيْنِ عليه السلام، فَالْتَاثَتْ عَلَيْهِ اَلنَّاقَةُ فِي سَيْرِهَا [أي أبطأت في سيرها]، فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالْقَضِيبِ، ثُمَّ قَالَ: «آهِ لَوْ لاَ اَلْقِصَاصُ» وَرَدَّ يَدَهُ عَنْهَا)[4].

وورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «أَنْ يَذْكُرَ اَللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ اَلْمَعْصِيَةِ، يَهُمُّ بِهَا فَيَحُولُ ذِكْرُ اَللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تِلْكَ اَلْمَعْصِيَةِ، وَهُوَ قَوْلُ اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اَلَّذِينَ اِتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ اَلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾»[5].

هكذا يكون لذكر الله انعكاس على فكر الإنسان، ومشاعره النفسية، وسلوكه العملي، وبدون هذا الانعكاس يكون الذكر خاليًا من المحتوى والمضمون.

(١) صحيح أبي داوود، حديث٥١٥٩.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٦٤٤.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص٢٥٥.
(٤) وسائل الشيعة، ج١١، ص٤٨٥، حديث ١٥ (١٤٣٢٩).
(٥) بحار الأنوار، ج٦٦، ص٣٧٩.

الإمام علي فكرٌ مغيّب

الجمعة ١٨ ذو الحجة ١٤٤٤هـ | ٦ يونيو ٢٠٢٣م.

عن البراء بن عازب، قال: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في حجة الوداع التي حج فنزل في الطَّرِيقِ، فَأَمَرَ: الصَّلَاةُ جَامِعَةً فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فقال: «ألست بأولى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟» قَالُوا: بَلَى! قَالَ: «أَلَسْتُ بأولى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟»، قَالُوا: بَلَى! قَالَ: «فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ والِ مَنْ وَالَاهُ وعادِ مَنْ عَادَاهُ»[1].

لا يشك أيّ باحث منصف في تاريخ الدعوة الإسلامية، أنّ الإمام عليًّا كان هو الأكثر استيعابًا لمبادئ الرسالة ومفاهيمها، والأوسع إحاطة بالمعارف الدينية.

فقد كان الأقرب إلى رسول الله ﷺ، نشأ في حجره، حيث ولد عليه السلام قبل البعثة بعشر سنوات، وكان في صغره يرافق النبي ﷺ في خلواته بجبل حراء، وعندما ابتُعِثَ النبي ﷺ بادر للتصديق به، وهو لم يسجد لصنمٍ قطُّ، ولا تلوّث فكره بشرك

(١) صحيح ابن ماجة، حديث٩٤.

الجاهلية، لذلك اختصّه المسلمون دون كلّ الصحابة بقولهم: (كَرَّمَ اللهُ وَجْهَه)[1].

واستمرت مرافقته لرسول الله ﷺ إلى اللحظة الأخيرة من حياته.

حيث ورد عنه عليه السلام: «لَقَد قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وإنَّ رَأسَهُ لَفي حِجري، ولَقَد وَلِّيتُ غُسلَهُ بِيَدي»[2].

فهو قد رافق النبي ﷺ طوال حياته في الدعوة، وعاش تجربة تأسيس الكيان الإسلامي عن قرب أكثر من غيره.

وواكب نزول الوحي آية آية، فقد ورد عنه عليه السلام: «والله ما نَزَلَت آيَةٌ إلّا وقَد عَلِمتَ فيما نَزَلَت، وأينَ نَزَلَت، وعَلى مَن نَزَلَت، إنَّ رَبّي وَهَبَ لي قَلبًا عَقولًا ولِسانًا طَلِقًا»[3].

لذلك جاء في مسند ابن حنبل أنه ﷺ قال في حقّ عليٍّ: «أَقْدَمَ أُمَّتِي سِلْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا»[4].

وجاء في تفسير الطبري عن مكحول: قَرَأَ رَسولُ اللّه ﷺ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ ثُمَّ التَفَتَ إلى عَلِيٍّ فَقالَ: «سَأَلتُ الله أن يَجعَلَهَا اُذُنَكَ». قالَ عَلِيٌّ عليه السلام: «فَما سَمِعتُ شَيئًا مِن رَسولِ الله ﷺ فَنَسيتُهُ»[5].

كما واكب مسيرة الأمة وتطور الأحداث بعد رسول الله ﷺ، فهو لم يبايع أبا بكر في البداية؛ لأنه يرى نفسه الأحقّ والأجدر بخلافة رسول

---

(١) ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الحديثية، ص٤١.
(٢) الشيخ المفيد، الأمالي، ص٢٣٥، حديث٥.
(٣) الطبقات الكبرى، ج ٢ ص٣٣٨.
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٦، ص٧٩٣، حديث٢٠٥٧٣، (عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ).
(٥) جامع البيان في تفسير القرآن، ج ٢٣، ص٥٧٩.

الله ﷺ، للنص عليه كما في حديث الغدير، لكنه حفاظًا على وحدة الأمة ولتفويت الفرصة على أعدائها، دخل فيما دخل فيه المسلمون.

فكان قريبًا مما يجري ويحدث، حيث كان يستشيره الخليفة في النوازل والمشاكل.

فعَن سعيد بن المسيب قَالَ: (كَانَ عمر بن الْخطاب يتَعَوَّذ بِاللَّه من معضلة لَيْسَ لَهَا أَبُو الْحسن)[1].

ويقول السيد أبو الحسن الندوي: (وكان عليٌّ لسيّدنا عمر ناصحًا أمينًا، وقاضيًا في المعضلات حكيمًا، يفضّ المشكلات، ويزيح الشبهات، حتّى أُثر عن سيّدنا عمر أنّه قال: (لولا عليٌّ لهلك عمر)، واشتهر في التاريخ والأَدب، وذهب مثلًا: (قضية ولا أبا حسنٍ لها)، وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: أقضاهم عليٌّ، وقد استخلفه عمر عند رحيله إلى القدس)[2].

القدرات الفكرية المتميّزة

وإلى جانب إحاطته بعلوم الشريعة، فقد منحه الله بصيرة نافذة، وفكرًا وقّادًا، يتأمل به في شؤون الطبيعة والخلق، وقضايا المجتمع، وخبايا النفوس، وحركة المشاعر والسلوك عند بني البشر، فيكشف عمّا أودع الله تعالى في خلقه من مظاهر الحكمة والإبداع، وسنن الكون، وقوانين الوجود، ومآلات حركة التاريخ، ومسارات حياة الأمم والمجتمعات، ويتحدّث عن كلّ ذلك بأرقى مما تحدّث به الفلاسفة والمفكرون من عباقرة البشر، حتى

(١) كنز العمال، حديث٢٩٥٠٩، ومثله في الصواعق المحرقة، ج٢، ص٣٧١.
(٢) أبو الحسن الندوي، المرتضى، ص ١٠٣. (دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٩م).

قيل عن كلامه أنه: (دونَ كلامِ الخالِقِ، وَفَوْقَ كلامِ المَخْلوقِ)[1].

يقول العقاد: (والحقّ الذي لا مراء فيه أنه كان على نصيبٍ من الفطنة النافذة لا ينكره منصف، وأنه أشار على عمر وعثمان أحسن المشورة في مشكلات الحكم والقضاء، وأنه أشبه الخلفاء بالباحثين والمنقبين، أصحاب الحكمة ومذاهب التفكير، وعنه أخذ الحكماء الذين شرعوا علم الكلام، قبل أن يتطرق إليه علم فارس أو علم يونان.. وكان يفهم أخلاق الناس فهم العالم المراقب لخفايا الصدور، ويشرحها في عظاته وخطبه شرح الأديب أخلاق اللبيب)[2].

عطاؤه العلمي والفكري

كان عليٌّ متفردًا في علمه، متميّزًا في فكره، وكان سخيًّا في عطائه العلمي والفكري، لا يترك فرصة ولا مناسبة إلّا استثمرها في تبيين معالم الدين، ومقاصد الشريعة، وتوعية الناس وتثقيفهم، وتوسيع مداركهم الفكرية، وإصلاح سلوكهم الاجتماعي.

يقول المؤرخ المسعودي في كتابه مروج الذهب: (والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر المقامات، أربعمئة ونيف وثمانون خطبة، يوردها على البديهة، وتداول الناس ذلك عنه قولًا وعملًا)[3]، في حين أنّ عدد خطب نهج البلاغة التي جمعها الشريف الرضي ٢٣٩ خطبة، أي أقلّ من نصف العدد الذي ذكره المسعودي، المتوفى قبل الشريف الرضي بمئة عام تقريبًا.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٤.
(٢) عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام علي، ص٢١.
(٣) مروج الذهب، ج٢، ص٤٣١.

وقد ورد عنه عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأوصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، لله أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟»[1].

كان يحفّز من حوله للمناقشة والسؤال، حرصًا منه على أن يقدّم لهم أكبر قدرٍ من المعرفة والوعي، فكان يكرّر قوله: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي»[2].

وبذلك ترك للأمة ولأجيال البشر، تراثًا فكريًّا عظيمًا، لكنّ المتكالبين على السلطة والحكم، أرادوا حرمان الأمة والبشرية من كثير من عطائه الفكري، حيث ناوأوه وحاربوه، وعملوا على إشغاله بالمعارك والصراعات، وتأليب الناس عليه، ومحاصرة فكره وتراثه.

وفي عهد الدولة الأموية كان ذكر الإمام علي مخاطرة، والرواية عنه جرمًا، وأصبح يشتم على المنابر.

تغييب فكر عليٍّ

كانت نتيجة تلك السياسات المناوئة لعليٍّ، محاصرة فكره في تلك العصور، وتغييبه في القرون اللاحقة.

لذلك ليس غريبًا أن نجد أنّ البخاري لا ينقل عن عليٍّ إلّا عددًا محدودًا من الأحاديث في صحيحه، الذي أصبح كتاب الحديث الأول عند المسلمين، قياسًا بما نقله عن صحابة آخرين.

فقد نقل عن عليٍّ الذي رافق رسول الله ﷺ من قبل البعثة وبعدها إلى وفاته، وكان هو الأقرب إليه، تسعة وعشرين حديثًا، بينما أورد عن

(١) نهج البلاغة، خطبة: ١٨٢
(٢) المصدر نفسه، خطبة: ١٨٩.

أبي هريرة الذي أسلم في السنة السابعة للهجرة، ٤٤٦ حديثًا، ونقل عن بضعة رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء حديثًا واحدًا، بينما نقل عن أم المؤمنين عائشة ٢٤٢ حديثًا، حسب الإحصاء الذي جاء في مقدّمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني[١].

هذا التعتيم على تراث الإمام عليٍّ وأهل بيته، أثار الغرابة والتساؤل عند الباحثين المنصفين، ومن أواخر من أشار لهذه الظاهرة، الدكتور الكويتي إسماعيل الشطي في كتابه (جذور الثقافة)، يقول: (وإنه لأمر مستغرب أن يصلنا عن معاوية بن أبي سفيان مئة وثلاثة وستين حديثًا، بينما لم يصلنا عن معاصره الحسن بن علي سوى ثلاثة عشر حديثًا، وعن أخيه الحسين ثمانية أحاديث، وهما يشكلان ذخيرة الحديث في بيت محمد ﷺ)[٢].

نهج البلاغة لم يكن مقرّرًا دراسيًّا في الأزهر، ولا مصدرًا أساسيًّا يرجع إليه علماؤه، ولا كتابًا مهمًّا يتقصّدون قراءته، لكن من يطّلع عليه بالصدفة تصيبه الدهشة، ويسيطر عليه الانبهار والاعجاب.

واستمر تأثير ذلك الحصار والتغييب لفكر علي إلى عصرنا الحاضر، حيث تجد أعلامًا في الأمة، ومفكرين وباحثين كبارًا، لم يطّلعوا ولم يتعرّفوا على فكر عليٍّ إلّا عن طريق المصادفة.

محمد عبدُه ونهج البلاغة

فمثلًا الإمام الشيخ محمد عبدُه، مفتي الديار المصرية، ومن كبار علماء الأزهر، وأبرز رجالات الفكر الإسلامي في القرن التاسع عشر

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (تهذيب الساري في مقدمة فتح الباري)، ص٦٦٧- ٦٦٨.

(٢) جذور الثقافة في المنطقة العربية، ج٤، ص٩٧٨، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٢٠م)

(ت ١٩٠٥م)، الذي كان له دور أساس في التعريف بنهج البلاغة، ونشره في العصر الحديث في العالم العربي، حيث قام بشرح الكلمات التي تحتاج إلى شرحٍ لغوي.

فهو يقول في مقدّمة الكتاب: (وبعد، فقد أوفى لي حكم القدر بالاطّلاع على كتاب «نهج البلاغة» مصادفة بلا تعمّل: أصبته على تغيّر حال، وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية، وحيلة للتخلية، فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملًا من عباراته، من مواضع مختلفات، ومواضيع متفرقات، فكان يخيّل لي في كلّ مقام أنّ حروبًا شبّت، وغارات شنّت، وأنّ للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة).

(وأحيانا كنت أشهد أنّ عقلًا نورانيًّا، لا يشبه خلقًا جسدانيًّا، فصّل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الأعلى).

(وآنات كأنّي أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة، يعرّفهم مواقع الصواب، ويبصّرهم مواضع الارتياب، ويحذّرهم مزالق الاضطراب، ويرشدهم إلى دقائق السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة. ويصعّدهم شرف التدبير، ويشرّف بهم على حسن المصير).

إنّ تغييب فكر الإمام علي هو ظلم بحقّ الفكر والمعرفة، وخسارة للأمة والإنسانية، واستحضار فكر الإمام علي وبثه في ساحة الأمة، وعلى الصعيد العالمي يحقّق مكاسب عظيمة.

(وهو لم يترك غرضًا من أغراض الكلام إلّا أصابه، ولم يدع للفكر

ممرًّا إلّا جابه)[1].

نهج البلاغة لم يكن مقرّرًا دراسيًّا في الأزهر، ولا مصدرًا أساسيًّا يرجع إليه علماؤه، ولا كتابًا مهمًّا يتقصّدون قراءته، لكن من يطّلع عليه بالصدفة تصيبه الدهشة، ويسيطر عليه الانبهار والاعجاب.

مرتضى مطهري ونهج البلاغة

ويعلّق الشيخ مرتضى المطهري على ما حصل للشيخ محمد عبدُه مع نهج البلاغة قائلًا: (ولا عجب ولا استغراب في بُعد عالم غير شيعي عن (نهج البلاغة)، إنما العجيب الغريب غربة (نهج البلاغة) حتى في دياره بين شيعة علي عليه السلام، وحتى في الحوزات العلمية).

إنّ فكر عليٍّ يمثل الصورة المشرقة للإسلام في أصالته ونقائه، وفي تأكيده على القيم الإنسانية الأساس، التي هي مقاصد الدين، كالعدالة والكرامة والمساواة وحقوق الإنسان.

وفي مواجهة فكر التطرف والتشدّد، واتجاهات الإرهاب والعنف، ما أحوج شباب الأمة للانتهال من فكر عليٍّ الذي أسّس لمواجهة التطرف والعنف، وقاد المعركة ضدّ الخوارج المارقين.

ويتحدّث عن نفسه، وأنه بعد سنوات من دراسته في الحوزة العلمية في مشهد، ثم في الحوزة العلمية في قم، وإلى قرب حضوره لدروس بحث الخارج، يقول: (أعترف أنّي كنت حينئذٍ ككثير من أقراني من الطلبة، بعيدًا عن عوالم (نهج البلاغة) أتلقّاه وكأني غريب عنه، وأمرّ به وكأني بعيد عنه! حتى سافرت إلى مدينة أصفهان، فعرفني التوفيق هناك برجل عارف بنهج البلاغة، فأخذ ذلك الرجل بيدي وأوردني بعض مناهله، وحينذاك شعرت بأنّي لم أكن أعرف هذا الكتاب الكبير.. ومنذ ذلك الحين تبدّلت صورة (نهج البلاغة) في نظري، وتعلّق قلبي

(١) نهج البلاغة، شرح الإمام الشيخ محمد عبده، المقدمة، ص٩.

به وأحببته، وكأنه كتاب آخر غير الذي كنت أعرفه منذ صغري، وكأنّي اكتشفت عالمًا جديدًا)[1].

هذا هو حظّ فكر عليٍّ في الوسط الديني العلمي عند السنة والشيعة، فكيف تتوقع أن يكون حضوره في أوساط المثقفين من أبناء الأمة؟

رياض الرّيس ونهج البلاغة

نشير إلى نموذج واحد تحدّث عن تجربته في هذا المجال، وهو إعلامي وكاتب بارز، قرأ لمفكري الشرق والغرب، لكنه كان غافلًا عن نهج البلاغة، وزاهدًا في الاطّلاع عليه لسنوات.

إننا يجب أن نشعر بالتقصير تجاه فكر الإمام عليٍّ عليه السلام، ونحن ننتسب إليه، ونعلن انتماءنا لأهل البيت عليهم السلام، فما هو مستوى حضور فكره في أوساط مثقفينا وأدباءنا، وأين هو دور نهج البلاغة في بنائنا الثقافي، وواقعنا الاجتماعي، ومسارنا السلوكي؟

وما هو مدى سعينا لنشره على مستوى الأمة والعالم؟

يقول رياض الرّيس: (وقعت عيني على كتاب (نهج البلاغة) في ركن على رفٍّ من رفوف مكتبتي وقد علاه الغبار؛ لأنه لم يمسسه أحد منذ أن رُكن عليها قبل سنوات عشر أو يزيد. ومددت يدي وفتحته وقلّبت صفحاته، ومرت ساعات، حزمت أمري بعدها بأن أطرق هذا الباب الأساسي من أبواب المعرفة).

وبعد ذلك يقول: (عند ما فتح لي السيد الشريف الرضي الباب على مصراعيه في كتابه (نهج البلاغة)، كان ذلك بالنسبة لي ساعات ضياء وسط ظلمة كانت تخيّم على كلّ شيء حولنا، وعشت ردحًا من الأنوار في رحاب (نهج البلاغة)، وقد ملأني إحساس وكأننا نهضنا من أنقاض

(١) الشيخ مرتضى المطهري، في رحاب نهج البلاغة، ص٦-٧.

الذلّ الذي تمسّحنا فيه كلنا، وخرجنا من دركات العار التي وصلناها، وأتاح لي السيد الشريف الرضي عبر أيام طويلة، راحة كبرى).

(قرّرت أن أطرق باب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وأزوره في (نهج البلاغة)، سعيًا وراء حديث صحافي مع خليفة رسول الله ووالد سيّد الشهداء.

وهكذا كان. وخرج الموضوع، ونشر الحديث الصحافي في (صحيفة المستقبل) في ٢٦ شباط ١٩٨٣.

ولا أذكر أنّ موضوعًا كتبته حتى الآن، تناقلته الأيدي أكثر من هذا المقال)[1].

فكر عليٍّ مكاسب عظيمة

إنّ تغييب فكر الإمام علي هو ظلم بحقّ الفكر والمعرفة، وخسارة للأمة والإنسانية، واستحضار فكر الإمام علي وبثه في ساحة الأمة، وعلى الصعيد العالمي يحقّق مكاسب عظيمة.

إنّ فكر عليٍّ يمثل الصورة المشرقة للإسلام في أصالته ونقائه، وفي تأكيده على القيم الإنسانية الأساس، التي هي مقاصد الدين، كالعدالة والكرامة والمساواة وحقوق الإنسان.

وفي مواجهة فكر التطرف والتشدّد، واتجاهات الإرهاب والعنف، ما أحوج شباب الأمة للانتهال من فكر عليٍّ الذي أسّس لمواجهة التطرف والعنف، وقاد المعركة ضدّ الخوارج المارقين.

---

(١) رياض نجيب الريس، حديث صحفي مع الإمام علي بن أبي طالب، ص١٤- ١٧ (بتصرف).

وفي مقابل الصورة المشوهة عن الإسلام التي يبثّها اليمين المتطرف في الغرب، يجب أن ننشر في العالم فكر عليٍّ بمختلف اللغات الحيّة، يقول الأديب المسيحي اللبناني نصري سلهب: (لو قدّر «لنهج البلاغة» من ينقله، روحًا ومعنى، إلى بعض لغات الغرب، لأخذ عليٌّ مكانه بين أعظم المفكّرين الذين خاطبوا القلوب والعقول والضمائر)[1].

ويقول الفيلسوف والمستشرق الفرنسي هنري كوربان (ت: ١٩٧٨م) بعد أن اطّلع على نهج البلاغة: (وممّا نأسف له أنّ دراسة هذا الكتاب -نهج البلاغة- ظلّت مهملة في الغرب حتى الآن)[2].

إننا يجب أن نشعر بالتقصير تجاه فكر الإمام عليٍّ عليه السلام، ونحن ننتسب إليه، ونعلن انتماءنا لأهل البيت عليهم السلام، فما هو مستوى حضور فكره في أوساط مثقفينا وأدباءنا، وأين هو دور نهج البلاغة في بنائنا الثقافي، وواقعنا الاجتماعي، ومسارنا السلوكي؟

وما هو مدى سعينا لنشره على مستوى الأمة والعالم؟

وهل نقوم بإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام بالطريقة التي أمرونا بها فيما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «رَحِمَ اَللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا، قُلْتُ: وَكَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ: يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا اَلنَّاسَ»[3].

(١) نصري سلهب، في خطى علي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣م، ص٣٢٢.
(٢) هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص٨٢، (عويدات للنشر والطباعة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٩٨) ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٧٥، حديث ٦٩.

المنبر الديني بين المعرفة والموعظة

الجمعة ٢٦ ذو الحجة ١٤٤٤هـ | ١٤ يونيو ٢٠٢٣م.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٨].

للمنبر الديني وظيفتان رئيستان:

الوظيفة الأولى: المعرفة

وهي تعني تبيين المعارف الدينية، من عقائد ومفاهيم وأحكام، وعرض الأدلة والبراهين عليها، بما يناسب مستويات المستمعين، ومناقشة الإشكالات والتساؤلات التي تدور حولها. خاصة في ظروف الصراعات الفكرية مع الأديان والمذاهب والتوجهات الأخرى، لتثبيت الإيمان في نفوس جمهور المستمعين، وتحصينهم من تأثير التيارات المخالفة.

خطاب للجمهور

وهنا لا بُدّ من التأكيد على أنّ طبيعة المنبر الديني التوجه لمخاطبة الجمهور، فخطابه ليس خطابًا نخبويًّا كخطاب الأكاديميين والمتخصّصين في العلوم المختلفة.

قد يتوجه بعض الخطباء المقتدرين علميًّا لإنتاج خطاب ديني معرفي نخبوي، إذا كان أغلبية مستمعيهم من هذه الشريحة، أما الحالة العامة للمنبر الديني، فهو خطاب للجمهور بمستوياته المختلفة.

لكنّ الطبيعة الشعبية للمنبر الديني، لا تعني أن تكون الطروحات سطحية، وغير مواكبة لتطور مستوى التعليم والوعي عند أبناء المجتمع.

يجب الارتقاء بلغة المنبر الديني، وأسلوب عرضه للقضايا الدينية بما يتناسب مع المستوى العام للفكر والثقافة في هذا العصر، إنّ بعض الخطباء حين يعرض المعتقدات والمفاهيم والأحكام، يعرضها بلغة عصر سابق.

وقد يتوقع البعض من المنبر الديني عرض نظريات العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية الحديثة، وقد يندفع لذلك بعض الخطباء استجابة لهذه التوقعات، لكن ذلك ينبغي أن يكون بحدود الاستشهاد بها في عرض المقولات الدينية، لا تناولها بتفصيل يخرج المنبر عن وظيفته الأساس، ويحصل في بعض الحالات أن يجد الخطيب نفسه متورطًا في عرض نظرية لم يستوعبها لأنّها خارج اختصاصه.

الارتقاء بلغة المنبر

يجب الارتقاء بلغة المنبر الديني، وأسلوب عرضه للقضايا الدينية بما يتناسب مع المستوى العام للفكر والثقافة في هذا العصر، إنّ بعض

الخطباء حين يعرض المعتقدات والمفاهيم والأحكام، يعرضها بلغة عصر سابق. مع وجود تحدّيات فكرية عقدية جديدة، تختلف عمّا كانت تواجهه الأجيال في العصور الماضية، هناك الآن علم كلام جديد، وفكر إسلامي حديث، وتجديد في الأبحاث الفقهية.

الوظيفة الثانية: الموعظة

ويقصد بالموعظة: إيقاظ الضمير، وإحياء الوجدان، وإثارة العواطف الخيّرة في نفس الإنسان.

هنا ليس المسألة تقديم معرفة أو تبيين معلومة، والبرهنة على صحتها في دائرة النشاط العقلي، بل التوجه بالخطاب إلى أعماق النفس، لتحريك المشاعر والأحاسيس، وتعزيز المناعة الروحية النفسية، وتحصين سلوك الإنسان من الوقوع في الانحراف والمعصية والخطأ.

وهذا ما يحتاجه الإنسان لتحقيق الصلاح في مسيرة حياته، وليس المعرفة والعلم فقط، فمعظم أخطاء الإنسان لا تأتي من عدم معرفته، بل من سيطرة الأهواء والشهوات على نفسه. خاصة في هذا العصر الذي تسود فيه روح الأنانية، وتحريض الرغبات والشهوات.

الموعظة المؤثرة الجاذبة

يركّز القرآن الكريم على هدف التزكية، وأهمية الموعظة.

يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٢].

ويقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[سورة الشمس، الآيتان: ٩-١٠].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة يونس، الآية: ٥٧].

وورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «أَحْيِي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ»[١].

وعنه عليه السلام: «بِالْمَوَاعِظِ تَنْجَلِي الْغَفْلَةُ»[٢].

وإثارة العاطفة الدينية جزء من خطاب الموعظة؛ لأنه يشدّ الإنسان إلى القدوة الصالحة، ويوثق ارتباطه بها، ويدفع لاتباعها والتأسي بها.

إنّ بعض المثقفين قد ينتقدون الخطاب الوعظي، ويرون أنّ الخطاب يجب أن يكون في البعد المعرفي فقط، لكن هذا لا يتناسب مع استهدافات المنبر الديني المعني بالتأكيد على التزكية والتربية الروحية والأخلاقية، ومعالجة المشاكل الأسرية والاجتماعية.

والموعظة ينبغي أن تكون جاذبة مقنعة ومتناسبة مع لغة العصر.

إنّ بعض الخطباء قد يستعينون في وعظهم وإثارتهم للعواطف الولائية، بروايات موضوعة أو ضعيفة السند، أو بقصص أسطورية غير واقعية، أو بأحداث تاريخية غير ثابتة، أو غير مقبولة عقلًا أو ذوقًا، مما يعطي للمنبر الديني سمعة غير حسنة، ويشكّل مادة للاستغلال من قبل الجهات المخالفة للدين.

إنّ بعض الخطباء قد يستعينون في وعظهم وإثارتهم للعواطف الولائية، بروايات موضوعة أو ضعيفة السند، أو بقصص أسطورية غير واقعية، أو بأحداث تاريخية غير ثابتة، أو غير مقبولة عقلًا أو ذوقًا، مما يعطي للمنبر الديني سمعة غير حسنة، ويشكّل مادة للاستغلال من قبل الجهات المخالفة للدين.

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٨٥.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٩٦.

ثغرة في التراث الديني

ومن المؤسف وجود بعض الرواة والمحدثين والوعاظ في تراثنا الديني، الذين سوغوا لأنفسهم الوضع والكذب والاختلاق، بمبرر تشجيع الناس على أعمال الخير، وتنفيرهم من الشر، وزيادة حبّهم للأنبياء والأئمة.

وقد أشار الشيخ النوري (ت: ١٣٢٠هـ) في كتابه (اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر) إلى أنّ هناك من يتوسّل بالأخبار الكاذبة لإبكاء الناس على مصائب أهل البيت عليهم السلام.

وقال ابن الصلاح وهو من علماء الحديث (ت: ٦٤٣هـ): (والواضِعُونَ للحديث أصناف، وأعظمهم ضررًا قوم من المنسوبين للزّهد وضعوا الحديث احتسابًا فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركنوا إليهم)[١].

وقد تبنّى مقولته مع تغيير طفيف الشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي والد الشيخ البهائي[٢].

وروي عن عبدالله بن المسوّر أنه: (كان يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وآله، وَلا يضع إلّا ما فيه أدب، أو زهد، فيقال له في ذلك، فيقول: إنّ فيه أجرًا)[٣].

التوجه بالخطاب إلى أعماق النفس، لتحريك المشاعر والأحاسيس، وتعزيز المناعة الروحية النفسية، وتحصين سلوك الإنسان من الوقوع في الانحراف والمعصية والخطأ.

(١) معرفة أنواع علم الحديث، ص٢٠٤.
(٢) وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، ص١١٥.
(٣) لسان الميزان، ترجمة ابن المسور برقم ٤٤٦٣.

الرهان على وعي المستمع

وهنا يأتي دور الوعي عند المستمع، بأن يقصد المنابر الأكثر فائدة.

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «عَوِّدْ أُذُنَكَ حُسْنَ اَلِاسْتِمَاعِ وَلاَ تَصْغِ إِلَّا إِلَى مَا يَزِيدُ فِي صَلاَحِكَ اِسْتِمَاعُهُ»[1].

إنّ البرنامج الأبرز والأهم في مناسبة عاشوراء العظيمة هو المجالس الحسينية، التي يفترض أنّها مدارس لبثّ معارف الدين، ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام، وتبيين سيرتهم ومواقفهم، وهي محطة للتعبئة الروحية والتوجيه التربوي والأخلاقي.

إنّ بعض المثقفين قد ينتقدون الخطاب الوعظي، ويرون أنّ الخطاب يجب أن يكون في البعد المعرفي فقط، لكن هذا لا يتناسب مع استهدافات المنبر الديني المعني بالتأكيد على التزكية والتربية الروحية والأخلاقية، ومعالجة المشاكل الأسرية والاجتماعية.

إنّ حضور هذه المجالس هو المظهر الأساس للمشاركة في إحياء عاشوراء. حيث يستمع الإنسان للخطب والمحاضرات.

وهنا يجب أن نؤكد على أهمية استهداف الاستفادة من الاستماع في هذه المجالس معرفة وموعظة، فليست المسألة تقضية وقت فراغ، ولا الحضور للمجاملة لأصحاب المجلس، أو للحصول على الضيافة ووجبات الطعام، وإنّما للاستفادة والتفاعل مع ما يطرح من فكر وتوجيه.

والاستفادة من الاستماع في المجالس الحسينية في المجال الفكري والثقافي، بالاطلاع على المعارف المفيدة في شؤون الدين والحياة.

والمجال الروحي والأخلاقي، بالالتفات لتزكية النفس، وتهذيب

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٥٧.

الروح، وتقويم الأخلاق والسلوك.

وعلى المستمع أن يختار الخطاب الذي يفيده أكثر في كلا المجالين، وأن يحرص على فهم واستيعاب ما يسمع، وأن يفكر فيما يسمع، فلا يكون متلقيًا مستسلمًا دون تفكير وتأمل.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر، الآية: ١٨].

وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «كُنْ مُسْتَمِعًا وَاعِيًا»(١).

وعنه عليه السلام: «رَحِمَ اَللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى اَلرَّشَادِ فَدَنَا»(٢).

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٩١.
(٢) نهج البلاغة، ومن خطبة له عليه السلام في الحث على العمل الصالح، رقم ٧٦.

كِتابَات

مقالات وتقديمات
وبيانات

رسالة تحية وإشادة[1]

الأخ الكريم الفاضل الأستاذ الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجه حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أبارك لكم حلول العام الهجري الجديد، راجيًا لكم فيه تمام الصحة والعافية، ومزيد التقدّم والنشاط، في خدمة الأمة والوطن.

بعد وصول مجموعة إصدارات (كتاب الاثنينية) التي تفضّلتم بإهدائها وإرسالها، كان يجب عليَّ المبادرة للكتابة إليكم شاكرًا ومقدّرًا، لكنني فضّلت الاطّلاع عليها أولًا، والتقلّب بين جنبات صفحاتها، ثم الكتابة إليكم عن انطباعاتي

(١) كتاب الاثنينية (٤٢) إصدار خاص بمناسبة مرور ٢٥ عامًا على تأسيسها الجزء التاسع (رسائل تحية وإشادة بالإصدارات)، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

وتقويمي لهذا الجهد العظيم، الذي وفقكم الله تعالى لإنجازه خدمة للمعرفة والدين والوطن.

ورأيت نفسي أمام مكتبة كاملة، عامرة بصروح العلم والأدب، حافلة بالنتاج المعرفي المفيد، تشكّل عصارة رائعة لتجارب وعطاء قامات سامقة في الفكر والأدب، وهي رموز وطنية أخلصت لله تعالى وللمجتمع.

إنّ كلّ كلمات الشكر والثناء عاجزة عن الوفاء بما تستحقّه أيّها المحسن الكريم، من شكر وتقدير، لاهتمامك بإحياء رموز المعرفة والوطن، وخدمة تراثهم الكبير، بطبع نتاجهم الأدبي طباعة فاخرة أنيقة، على أفضل صورة، ونشره، وإيصاله إلى المهتمين بقضايا الثقافة والأدب، لتزدان به مكتباتهم، ولينهلوا من نميره العذب الرقراق.

إنك، أيها الشيخ الفاضل، تقدّم للوطن والتاريخ نموذجًا لمن يشكر نعمة ربه، ويستثمر في الخير ثروته، ويخلّف للأجيال الصاعدة أفضل إرث من عطاء أسلافهم المبدعين، ورجالاتهم المخلصين.

فجزاك الله خير الجزاء، وأمدّك بطول العمر، ومتّعك بالصحة والعافية، وزاد في توفيقك، لخدمة هذه الأمة، التي تعاني من جفاء وعقوق أكثر أبنائها.

ولك منّي خالص الشكر والتقدير، لتفضّلك بإهدائي نسخة من هذه المجموعة القيمة الفاخرة.

ولا تنساني من صالح دعواتك كما لا أنساك إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

حسن بن موسى الصفار

٢٦ ذو الحجة١٤٢٦هـ

الموافق ٢٦ يناير٢٠٠٦م

عن كتاب «الاستراتيجية الإسلامية»[1]

ثمة شرط أساس لنهضة الأمة الإسلامية، والارتقاء بدورها العالمي، هو امتلاك الخطط الاستراتيجية والأفكار المستقبلية. إن معظم القيادات والجهات تعيش هموم اللحظة الراهنة، والواقع المحدود المحيط بها، وتمارس دورها ضمن إطار ردود الفعل، وما يفرضه المشكل القائم. وتفتقر ساحة الأمة في معظم ارجائها، للفكر الاستراتيجي والتخطيط المستقبلي.

وقد فاجأني الأخ العزيز الأستاذ عباس آل حميد

(١) عباس آل حميد، الاستراتيجية الإسلامية.. كيف تساهم في النهوض بالأمة الإسلامية؟، الطبعة الخامسة ٢٠١٧م، سلطنة عمان، ص٢٠.

بعمق اهتمامه بهذا البعد الغائب، واجتهاده في البحث عنه، ثم في تقديمه لمشروع خطة استراتيجية يقترحها للنهوض بالأمة، تمثل عصارة فكره وخبرته.

إنها مساهمة رائدة من شابّ مهموم بمستقبل أمته، أرجو ان تكون حافزاً لحراك فكري معرفي في أوساط المهتمين بالشأن العام، لإنضاج وبلورة الطروحات الاستراتيجية.

حسن موسى الصفار

السعودية

نعي الشيخ عبدالمقصود خوجة

بسم الله الرحمن الرحيم

برحيل الأستاذ الشيخ عبدالمقصود خوجة رحمه الله، فقدنا قامة وطنية شامخة، وواجهة ثقافية مشرقة، فقد نذر حياته لخدمة الثقافة والمعرفة، ووظّف إمكاناته ومكانته لإبراز رجالات العلم والأدب، ونشر تراثهم ونتاجهم الثقافي.

كان منتدى (الاثنينية) الذي أسّسه ورعاه، معلمًا ثقافيًّا متميزًا، في تاريخ الوطن والمنطقة العربية،

تواصل عطاؤه لعقود من الزمن، كان فيها أبرز رافعة للنشاط الثقافي والحراك الأدبي، وشكّلت إصداراته لعشرات الكتب والمجلدات مكتبة معرفية قيّمة.

عبدالمقصود خوجة كان قلبه مترعًا بحبّ وطنه، وكان شهمًا معطاءً مبادرًا للتواصل، داعيًا للوحدة والتآلف، ولتعزيز قيم الحوار والاعتدال، والانفتاح بين مختلف الأطياف والتوجهات.

تغمده الله بواسع الرحمة والمغفرة، وألهم أبناءه الأعزّاء، وأسرته الكريمة، وجميع أحبّته ومعارفه الصبر والسلوان.

وأبادلهم أحرّ التعازي، فكلّنا أهل عزاء في هذا الفقيد الغالي.

﴿وإنّا للهِ وإنّا إلِيهِ رَاجِعُون﴾

حسن بن موسى الصفار

٢٣ محرم ١٤٤٤هـ

٢١ أغسطس٢٠٢٢م

منهج الإمام السّجاد في التغيير[1]

حسن الصفّار

تمرّ علينا ذكرى وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام الذي عاش عمرًا فيه الكثير من الصعوبات، ومرّت به أقسى حادثة، وأعظم مصيبة يمكن أن تمرّ بإنسان، وهي واقعة كربلاء، عاصرها وعايشها، ونحن بعد أربعة عشر قرنًا يعتصر الألم قلوبنا حينما نسمعها، لكنّ الإمام عاش تلك الواقعة ورافق أحداثها.

حياته بعد واقعة كربلاء تعتبر مثالًا للصبر والصمود، وتحمّل المسؤولية، في الظروف القاسية؛ لأنّ واقعة كربلاء صدمة للأمة والجماهير المسلمة، أكثر النفوس دخلها الرعب والخوف من تلك السلطة التي لم يسلم منها الحسين، ولم تعمل حسابًا له ولأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، صدمة أصابت الناس فأفرزت ثلاثة خطوط:

- خطٌّ اتجه نحو الرهبنة والعبادة والابتعاد

(١) موقع قناة النعيم الفضائية بتاريخ ٢٣ أغسطس ٢٠٢٢م.

عن قضايا الأمة، ما دام الحكم بيد الأمويين، بما فيه من ظلم وفساد وانحراف، فنشأت حالات الرهبنة والتصوف والعزلة، ابتعد هذا الخطّ عن السياسة وأهل السياسة؛ لأنّ الحياة ملوثة فاسدة، والوضع منحرف، فقرّر أن يتجه للعبادة.

- الخطّ الآخر هو خطّ المواجهة والعنف. حيث نشأت بعض المجاميع والتوجهات، التي رأت أنّ هذا الاستبداد والظلم الأموي لا يجدي معه إلّا السيف والمقاومة، فتفجرت ثورات عدّة، كانت بدايتها ثورة التوابين، وثورة المدينة، ثم حركة المختار الثقفي، وبعدها عدد من الثورات المتلاحقة، منها ثورة زيد بن علي، وثورات الخوارج الذين كان توجّههم بهذا الاتجاه.

هذا خطٌّ يؤمن أنّ المواجهة ينبغي أن تكون بالعنف والسيف.

- خطّ أئمة أهل البيت وفي مقدّمتهم الإمام زين العابدين، حيث كان متوقعًا أن يأخذ أحد هذين المنحيين، إمّا الاعتزال؛ لأنه عاش الفاجعة، ورأى بأمّ عينيه أحداثها، فكان يفترض أن تؤثر في نفسه فتدفعه إلى الانسحاب والانعزال، ولعلّ البعض من الناس يتصور أنّ الإمام قد سلك هذا الطريق، ويستدلّون على ذلك بعدم وجود مواقف سياسية بارزة للإمام، وبصدور الأدعية الروحية الكثيرة عن الإمام، وهي قراءة سطحية لحياة الإمام بأنه ترك السياسة وانعزل، واتجه نحو الدعاء والعبادة.

والمنحى الآخر الذي كان متوقعًا من الإمام هو أن يتجه للانتقام من بني أمية، الذين قتلوا أباه، وقتلوا إخوته، وسبوا نسوته، وعاملوه بطريقة قاسية بشعة، فلماذا لا ينتصر لنفسه ولعرضه ولأهله؟ لماذا لا يطلب بثأره؟ هل كانت تنقصه الشجاعة؟

كان المتوقع من الإمام زين العابدين أن ينتقم ويواجه، ويأخذ بحقّه من بني أمية، لكنّ الإمام لم يسلك هذا الطريق، فلا هو انعزل وانسحب من الحياة، ولا هو حاول أن يأخذ بالثأر وينتقم لدماء أهل بيته، إنما سلك طريقًا آخر، هذا الطريق هو خطّ أئمة أهل البيت، وهم أصحاب رسالة، ولم يكونوا حزبًا يتحرّكون من أجل السُّلطة، إنما كانوا حملة رسالة، لذلك كانت أمام الإمام ثلاث مهام:

المهمة الأولى: التي يشعر بها ويقوم بها أئمة أهل البيت هو تبليغ هذه الرسالة التي يحملونها، وتبليغ قيم الدين.

المهمة الثانية: فضح الاستبداد والانحراف، ونزع غطاء الشرعية عنه.

المهمة الثالثة: تربية الكفاءات والقيادات الرسالية الواعية، والمجاميع الإيمانية حيث كان الأئمة يربّون مجاميع من الناس على هدي الإسلام، وبسيرتهم الزاكية النقية، والإمام زين العابدين سلك هذا الطريق، ونرى أنّ أدعيته في الصحيفة السجادية لم تكن تأخذ الإنسان عن ساحة الحياة، وتقذف به في كهوف الرهبنة والعزلة، إنّما تدفع الإنسان للتفاعل مع الحياة، وتشرح له الطرق الصحيحة للقيام بواجباته، وكذلك سائر كلمات الإمام زين العابدين.

فالإمام لم يعتزل، بل اتخذ الدعاء وسيلة لتعميق القيم، ولإيصال المفاهيم إلى الناس عبر منهج الدعاء، ولتربية الناس على تعاليم الإسلام وقيمه، وسيرته كانت بهذا الاتجاه، الأئمة كانوا يفرزون بين الثائرين، فالثائر المخلص الواعي يمتحدونه ويشيدون به، بينما الحركات والثورات الانتهازية المصلحية ما كانوا يعارضونها، ولا يؤيدونها، إنّما يبيّنون الثغرات الموجودة فيها.

ثلاثة عناوين في شخصية عبدالمقصود خوجة

حسن الصفار

كثيرة هي العناوين التي يمكن الحديث عنها في حياة فقيد الثقافة والوطن الأستاذ الأديب الشيخ عبدالمقصود بن محمد سعيد خوجة، رحمه الله. وسأتحدث بإيجاز عن ثلاثة عناوين بارزة في شخصيته الفريدة.

مبادرات التواصل:

التواصل بين أبناء المجتمع قيمة إنسانية ودينية ووطنية، خاصة في أوساط النخب الاجتماعية،

(١) جريدة مكة المكرمة ١١ سبتمبر ٢٠٢٢م.

فهم ذوو الرأي والتأثير، وحينما يتواصلون فيما بينهم، تتاح لهم فرص التشاور وتداول الرأي وإنضاجه، ويشيعون أجواء التواصل والتقارب على المستوى الاجتماعي العام.

وتتأكد أهمية قيمة التواصل، حينما تظهر في المجتمع تيارات إقصائية تعصبية، تنشر ثقافة الكراهية، وتصنّف الناس حسب توجهاتهم الفكرية والمذهبية، وتحرّض بعضهم على بعض.

هنا يأتي دور المثقفين الواعين، في التبشير بثقافة التسامح والانفتاح، ومواجهة أفكار التعصب والانغلاق، وإطلاق مبادرات عملية للتلاقي والتواصل، بين رموز التوجهات المختلفة، والمكونات المتنوعة للنسيج الاجتماعي.

ومن الطبيعي أن تنتصب العوائق والعراقيل، أمام مبادرات التواصل، من قبل الجهات التي ترفض التسامح وتعادي الانفتاح.

وقد حقّق الفقيد الراحل اختراقًا كبيرًا، ونجاحًا مهمًّا، على هذا الصعيد.

لم يكن ينتظر الفرص العفوية، للتعرف على الآخرين من ذوي الرأي والكفاءة والمكانة، ولا كان ينتظر أن يقصده الآخرون لمكانته ووجاهته، بل كان يبحث عن ذوي الكفاءة والرأي، ويبادر للتواصل معهم والتعرف عليهم، ومن ثم يبدأ مشوار العلاقة التي يحرص على استمرارها وتفعيلها.

لم تكن لي معرفة شخصية بالفقيد الراحل، حينما التقيته لأول مرة في ملتقى الحوار الوطني الثاني، الذي انعقد في مكة المكرمة بتاريخ ٢٧-٣١/ ١٢/ ٢٠٠٣م ـ ٤-٨/ ١١/ ١٤٢٤هـ.

كان سعادته أحد الأعضاء المشاركين في اللقاء، وبعد انتهاء أول جلسة، بادرني بالسلام والتحية، وذكر لي أنه شاهد بعض حواراتي عبر بعض الفضائيات، وأنه سعيد بما سمع فيها من طرح وطني وحدوي، ومعالجة واعية للاختلاف المذهبي، وأبدى رغبته في زيارتي مساء ذلك اليوم، في الغرفة المخصصة لإقامتي في الفندق، وهذا ما حصل بالفعل، حيث كانت تلك الجلسة الجميلة التي امتدّت لساعتين بداية لعلاقة وثيقة متواصلة. تعدّدت خلالها اللقاءات والزيارات المتبادلة، ومشاريع التعاون، وتداول الآراء والأفكار. وكان هذا هو نهجه في صنع العلاقة مع الآخرين، بأخذ زمام المبادرة للتعارف والتواصل، وتوظيف العلاقة في خدمة المصالح العامة للدين والوطن.

وحيث شرّفني باستضافته في زيارته للقطيف بتاريخ ٩ ربيع الأول ١٤٢٥هـ، وزيارته الثانية للقطيف ثم للأحساء، بتاريخ ٣ ربيع الأول ١٤٢٩هـ.

فقد لاحظت حرصه واهتمامه بالتعرف على الكفاءات والطاقات، ورغبته في التواصل مع ذوي الرأي والشأن الاجتماعي، وقد صحب معه في زيارته الثانية كوكبة من الشخصيات الأكاديمية والاجتماعية من جدة، فكان للزيارتين صدًى كبير في الأوساط الثقافية والاجتماعية في المنطقة، وقام الأستاذ عبدالباري الدخيل بتوثيق الزيارتين في كتاب جميل بعنوان: (مشهد للتواصل والانفتاح الوطني)، صدر عن دار أطياف للنشر والتوزيع عام ١٤٣١هـ.

تكريم الكفاءات

الكفاءات العلمية والثقافية، هي الثروة الحقيقية لكلّ مجتمع من

المجتمعات، ولإبرازها وتكريمها أثر كبير في تقدّم الوعي الاجتماعي وتنمية الثقة بالذات، حيث تتحفّز الكفاءة لمزيد من الإبداع والإنتاج، كما يحفّز تقديرها وإشهارها همم وتطلّعات أبناء الجيل الصاعد ليرتاد طريق الإبداع والتميّز.

لكنّ معظم الكفاءات في مجتمعاتنا تظلّ مغمورة مجهولة، لا يُشاد بها إلّا بعد مغادرتها الحياة، في بيانات النعي وحفلات التأبين، وقد تُعرف على مستوى منطقتها ومحيطها الاجتماعي المحدود.

وكانت مرحلة النهوض الوطني تستلزم إبراز وإشهار الكفاءات الوطنية من مختلف أرجاء الوطن، ومختلف شرائح مكوناته الاجتماعية، المتنوعة في انتماءاتها القبلية والفكرية والمذهبية.

كان الشيخ عبدالمقصود خوجة هو المبادر الأول، والمتصدّي الأبرز، للقيام بهذا الدور على المستوى الأهلي الاجتماعي، فقد أسّس منتدى (الاثنينية) قبل أكثر من أربعين عامًا، ليكرّم في أمسياته شخصية علمية أو أدبية كلّ أسبوع، حتى بلغ عدد الشخصيات التي قام منتدى الاثنينية بتكريمها قرابة ٥٠٠ شخصية معظمها من أبناء الوطن.

وتتوزع هذه الشخصيات على أجزاء خريطة الوطن وتنوعات ألوانه، من شماله إلى جنوبه ومن غربه إلى شرقه.

وحينما تقرأ قائمة تلك الشخصيات تجد فيها الرجل والمرأة، والسني والشيعي، والسلفي والصوفي والليبرالي، وتجد المسؤول الحكومي، وعالم الدين، والمفكر، والأديب، والطبيب، والفيزيائي، والفنان، والإعلامي وسواهم.

وقد التزم الشيخ عبدالمقصود خوجة في برنامجه لتكريم الشخصيات التي يستضيفها بطقوس مميّزة، تحيط الضيف بهالة من التقدير والاحترام، وتُظهر جوانب القوة والإبداع في شخصيته وعطائه، وتحشد لحضور أكبر عدد من الشخصيات البارزة، وتوفير أوسع مدى من التغطية الإعلامية، ثم يوثّق حفل التكريم ضمن مجلّد سنوي تصدره الاثنينية بطباعة أنيقة وفاخرة.

توظيف المكانة والإمكانات لخدمة الثقافة

لا يتحقّق النهوض الفكري والتنمية الثقافية في أيّ مجتمع، إلّا بتضافر الجهود الرسمية والأهلية، ونجد في المجتمعات المتقدّمة كثافة المبادرات الأهلية، وتشكيل المؤسسات والمنظمات المدنية المهتمة بالمعرفة والثقافة والأدب والفن.

فمعظم مراكز الأبحاث والدراسات، وجوائز التفوق والتميّز، على المستوى العالمي كجائزة نوبل مثلًا، هي مبادرات من القطاع الخاص.

وفي تاريخ تألّق الحضارة الإسلامية نقرأ كثيرًا من الصفحات الرائعة عن إنشاء المدارس العلمية، والمكتبات العامة، وتخصيص الأوقاف لخدمة قضايا العلم والمعرفة، والصرف على المنشغلين بها.

لكن مجتمعاتنا في هذه العصور المتأخرة عانت من الركود المعرفي والثقافي، بسبب ضعف الدور الأهلي المجتمعي على هذا الصعيد.

ونتفاءل الآن في وطننا الغالي بانبثاق مبادرات مجتمعية لمختلف أعمال الخير والبرّ، لكن مساحة الاهتمام بالشأن الثقافي والمعرفي لا تزال ضئيلة محدودة.

وسيسجل تاريخنا الوطني أنّ الشيخ عبدالمقصود خوجة كان في طليعة المهتمين بهذا الشأن، حيث أسّس منتداه لإعلاء شأن الثقافة، وتكريم أهل العلم والمعرفة، وتوفير فرص التلاقي والتواصل بين رواد الفكر والأدب، كما تصدّى لطباعة عدد كبير من الأعمال الفكرية والأدبية، لكبار المفكرين والأدباء في الوطن.

وكان يصرف مالًا وجهدًا كبيرًا في متابعة طباعتها، بأفضل صور الإتقان في التحقيق والإخراج، كما يهتم بنشرها وتوزيعها مجانًا، وإيصالها إلى المكتبات العامة، وإلى كلّ الراغبين والمهتمين بالثقافة والأدب.

وتشكّل إصدارات الاثنينية مكتبة قيمة زاخرة تضم ما يقرب مئتي مجلّد. وإلى جانب هذه المكتبة الورقية أنشأ موقعًا إلكترونيًّا متميزًا على الشبكة العنكبوتية يحوي مكتبة إلكترونية لكلّ مجلّدات الاثنينية وإصداراتها، وأرشيف صور يضم ٣٣ ألف صورة توثيقية، وفيديو توثيقي لبرنامج الاثنينية، وبرنامج على ضفاف الاثنينية.

رحم الله الشيخ عبدالمقصود خوجة، وأسكنه فسيح جنانه، وعوّض ساحة الوطن والمعرفة بمن يسدّ الفراغ الذي خلّفه، ويواصل المسيرة التي انتهجها.

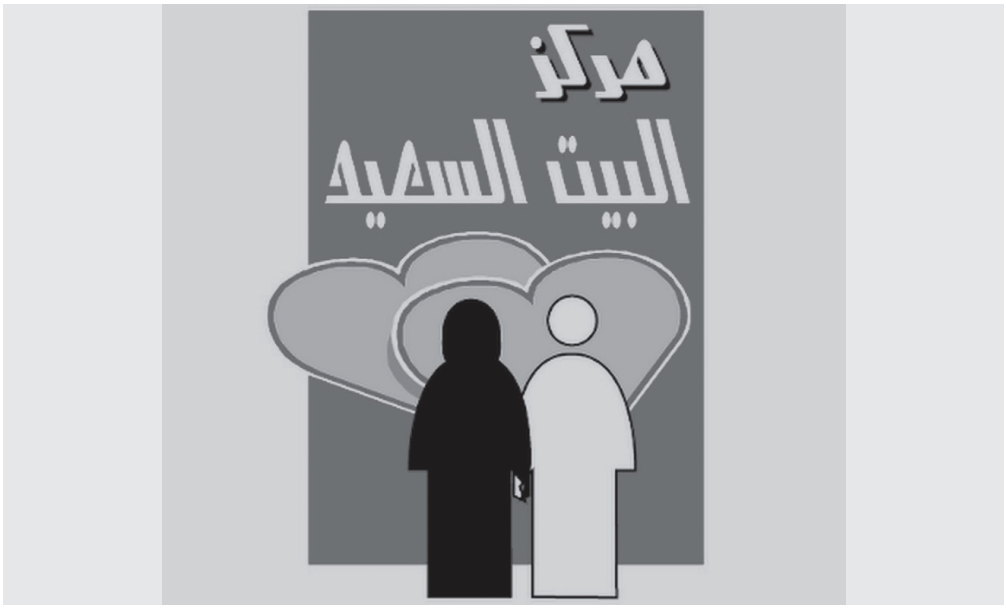

مركز البيت السعيد ريادة نموذجية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

تسارع وتيرة التحولات الاجتماعية أفرز كثيرًا من المشاكل وعوامل الاضطراب في العلاقات الأسرية. وما تصاعد أرقام حالات الطلاق والنزاعات العائلية، وفظاعات العنف المنزلي، إلّا نتائج وأعراض لما يصيب كيان الأسرة من هشاشة واهتزاز.

ولا طريق لمواجهة هذا التحدّي الخطير إلّا

(١) نشر في كتيب تعريفي بالمركز.

بإنشاء المؤسسات الاجتماعية المعنية بالتأهيل لقيادة الحياة الزوجية، ونشر الوعي وإنتاج البرامج الوقائية والعلاجية للمشكلات الأسرية.

ومركز البيت السعيد يشكّل أنموذجًا رائدًا على هذا الصعيد، نأمل أن ترفده جهود الواعين المخلصين، وأن يُستنسخ في كلّ مدينة وقرية.

حسن موسى الصفار
١٨ صفر ١٤٤٤هـ
١٤ سبتمبر ٢٠٢٢م

توثيق الحقوق والديون بين الناس(١)

تشتمل كلّ صفحة من صفحات القرآن الكريم على عدد من الآيات القرآنية، تصل إلى أكثر من عشر آيات فما فوق كما هو الحال في المصحف الشريف، والاستثناء الوحيد هو في الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة، التي تغطّي صفحة كاملة من المصحف القرآني الشريف، وتتبعها آية مكمّلة لها في الصفحة التالية، فهي أطول آية في القرآن الكريم.

واللّافت للنظر أنّ أطول آية لا تتحدّث عن

(١) مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩/ ٩ /٢٠٢٢م.
https://www.islam4u.com

جانب عقدي أو عبادي، وإنّما خصّصت للتأكيد على توثيق الديون والحقوق بين الناس.

وتبدأ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.

ثم تتحدّث عمّن يكتب وثيقة الدين: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾.

وعن وجود شهود على الموضوع ضمن صفات وأحكام مفصّلة.

ثم تحذّر الآية من التساهل في توثيق الدين وإن كان مبلغًا زهيدًا: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾.

وتبيّن الآية فلسفة الاهتمام والتأكيد على التوثيق: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾.

إنّ كثيرًا من النزاعات والمشكلات تحصل بسبب عدم التوثيق، إمّا تساهلًا، أو اعتمادًا على الثقة، وهو خطأ كبير.

إنّ التوثيق ضروري حتى بين الأقارب كالزوجين والآباء والأبناء فضلًا عن الإخوان وسائر الأرحام.

إنّ إطلاق الوعود بالهبات والوصايا دون توثيق يسبب شروخًا في العلاقات بين الورثة.

من هنا يجب الاهتمام بالتوثيق. وهناك قول مأثور ذكره الميداني في مجمع الأمثال: (تعاشروا كالإخوان وتعاملوا كالأجانب).

العيثان.. أسرة يشرق بها تاريخ الوطن[1]

أسرة العيثان من الأسر الكريمة التي يفخر بها الوطن، ويشرق بها تاريخه الحضاري، فهي أسرة عريقة في المجد، أضاءت سماء العلم والأدب، بكواكب لامعة من العلماء والخطباء والشعراء، ورفدت مسيرة التنمية الوطنية، بجيلٍ من الكفاءات الأكاديمية المتميّزة، في مختلف المجالات العلمية والإدارية.

أنجبت هذه الأسرة الكريمة فقهاء بارزين وعلماء

(١) نشر المقال ضمن كتاب (كشكول آل عيثان في العلم والأدب والتراث والحياة) لمؤلفه: أحمد معتوق محمد العيثان، ط١، ٢٠٢٣م، ص١٥١.

أفاضل، على مدى قرون متواصلة، منهم من تسنّم مقام المرجعية، ومنهم من تخرّج على يديه مراجع كبار، وفقهاء مجتهدون.

وتضمّ قائمة الفقهاء والعلماء من هذه الأسرة المباركة، ما يقارب الثلاثين اسمًا مضيئًا في سجلات الفضيلة والعلم، إضافة إلى عشرات الخطباء الذاكرين، والشعراء المبدعين.

أما قائمة الكفاءات العلمية الأكاديمية، التي انخرطت في مسيرة التنمية وخدمة المجتمع والوطن، من أبناء وبنات هذه الأسرة العريقة، في العصر الحاضر، فتفوق على المئة اسم، من حملة شهادات الدكتوراة والماجستير، تخصّص معظمهم في مجال الطب والشؤون الصحية، وبعضهم في سائر حقول التخصّصات العلمية، والعلوم التقنية، كالفيزياء، والكيمياء، والهندسة، والاقتصاد، والإدارة، والحاسب الآلي.

إنّ هذا العدد الكبير من الشخصيات الدينية، والمواهب الأدبية، والكفاءات العلمية، في المجالات المختلفة، يدلّ على ما تمتاز به أحضان هذه الأسرة الكريمة من نجابة، وعمق إخلاص للدين والوطن، وحسن تربية وتأهيل. وهذا ما صنع لأسرة العيثان رصيدًا ضخمًا من الذكر الحسن، والسمعة الطيبة، على الصعيد الوطني، وعلى مستوى الحوزات العلمية، وفي ذاكرة التاريخ.

ولا بدّ لي أن أحيّي هنا، وأقدّر الجهود الطيبة، والمساعي المشكورة التي يبذلها الابن البارّ لهذه الأسرة الأستاذ الفاضل أحمد العيثان، في توثيق وإحياء هذا التاريخ الحافل بالإنجازات لأسرته، وفي حفظ مسيرة وتراث أعلامها.

أرجو أن يوفّقه الله للمزيد من العطاء المتواصل، وأن يكون أنموذجًا وقدوة للأدباء والباحثين من أبناء سائر الأسر العلمية الكريمة.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار
٧ ربيع الأول ١٤٤٤هـ
٣ أكتوبر ٢٠٢٢م

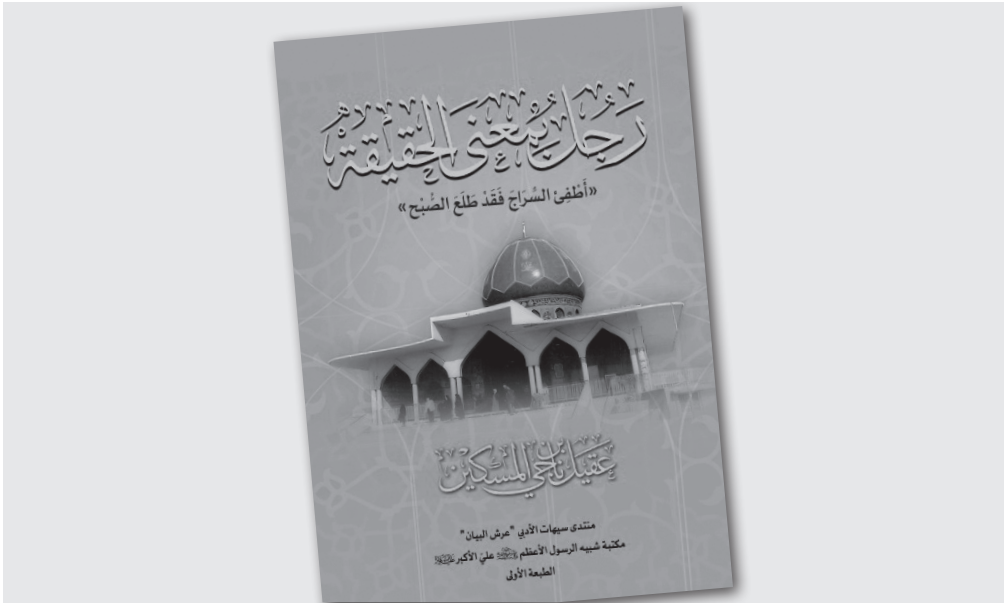

تقديم لكتاب

رجل بمعنى الحقيقة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

يرتبط اسم كميل بن زياد في الذاكرة الإيمانية لمجتمعاتنا، بكنز من أثرى الكنوز الروحية، ورافد من أعمق الروافد المعنوية، وهو الدعاء المنسوب إليه (دعاء كميل) الذي يُروى أنه أملاه عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ورغم أنّ هذا الدعاء لم يرد بسند متصل حسب الشروط المقرّرة في علم الرواية والحديث، إلّا أنّ

(١) المؤلف الأستاذ عقيل بن ناجي المسكين .

ما اشتمل عليه من معانٍ إيمانية عميقة، ومضامين تربوية عالية، وإثارات روحية نافذة، جعلته موضع قبول واهتمام في أوساط العلماء والمتشرّعة، منذ أدرجه الشيخ الطوسي (توفي ٤٦٠هـ) في كتابه (مصباح المتهجد) قبل عشرة قرون، وإلى وقتنا الحاضر، حيث يواظب على قراءته المؤمنون في ليلة النصف من شعبان، وفي كلّ ليلة جمعة.

وأساسًا فإنّ الدعاء تواصل مفتوح بين العبد والربّ، لا ينحصر في عبارات محدّدة، أو نصوص معيّنة، وللإنسان أن يناجي ربه، ويعبّر عن خلجات قلبه، بأيّ العبارات شاء، في إطار الإقرار بالعبودية لله، والاعتراف بوحدانيته، وعظمته، وقدرته، ورحمته، وسائر صفاته الحسنى.

وأين يجد الإنسان تعبيرًا أصدق وأجزل وأليق بالتخاطب مع الله تعالى من عبارات دعاء كميل؟

وهل يستطيع إنسان أن يصف مشاهد عظمة الله وقدرته، ومظاهر لطفه ورحمته، بما يثير الرهبة والخشية من جهة، ويعزّز الرجاء والأمل من جهة أخرى، بصورة أكثر توازنًا ودقة، من فقرات هذا الدعاء العظيم؟.

وأيّ قدرة خيال، أو استشراف مستقبلي، يمكنها أن تنفذ إلى عالم الغيب، وأن ترسم موقف الإنسان وهو يواجه جزاء أعماله يوم القيامة، كما رسمتها الصورة الواردة في هذا الدعاء؟

حقًّا إنه دعاء يحلّق بالإنسان في عالم الروح والكمال، ويرتقي به إلى فضاء الحقائق والمعاني، ليتجاوز بفكره ومشاعره محدودية عالم المادة والشهود، وليعيش المعنى في إنسانيته ووجوده، ويتطلّع إلى رضوان ربه، ويمارس النقد الدائم لذاته، ويسعى لتجاوز أخطائه ونقاط ضعفه.

ولا يمكن الاسترسال أكثر في الحديث عن أهمية هذا الدعاء، وثراء مضامينه، فقد تناولته أقلام العلماء وخطبهم بالدراسة والبحث، وأُلّفت عدة كتب في شرح عباراته، واستكشاف معانيه، وأصبح مدرسة روحية ومنهجًا تربويًّا، تستلهم منه الأجيال الطامحة للسعادة والكمال.

ويكفي كميل بن زياد فخرًا أنه أصبح عنوانًا لهذه المدرسة والمنهج، حيث اختاره أمير المؤمنين علي عليه السلام لحمل هذه الرسالة لأجيال الأمة، وفقًا للرواية الواردة.

ويبدو أنّ الإمام علي عليه السلام كان يختصه ببعض أحاديثه ووصاياه، لكفاءته وأهليته في استيعاب تلك المعارف وبثها.

ويتحدّث كميل بن زياد عن أحد تلك المواقف قائلًا: (أخَذَ بِيَدي أميرُ المُؤمِنينَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ عليه السلام فَأَخرَجَني إلَى الجَبّانِ [المقبرة]، فَلَمّا أصحَرَ [صار في الصحراء] تَنَفَّسَ الصُّعَداء [أخذ نفسًا عميقًا] ثُمَّ قالَ: يا كُمَيلَ بنَ زِيادٍ، إنَّ هذِهِ القُلوبَ أوعِيَةٌ فَخَيرُها أَوْعَاهَا، فَاحفَظ عَنّي ما أقولُ لَكَ : النّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعالِمٌ رَبّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ عَلى سَبيلِ نَجاةٍ، وهَمَجٌ رَعاعٌ أتباعُ كُلِّ ناعِقٍ، يَميلونَ مَعَ كُلِّ ريحٍ، لَم يَستَضيئوا بِنورِ العِلمِ، ولَم يَلجَؤوا إلى رُكنٍ وَثيقٍ. يا كُمَيلُ، العِلمُ خَيرٌ مِنَ المالِ، العِلمُ يَحرُسُكَ وأنتَ تَحرُسُ المالَ، وَالمالُ تَنقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالعِلمُ يَزكو عَلَى الإنفاقِ، وصَنيعُ المالِ يَزولُ بِزَوالِهِ. يا كُمَيلَ بنَ زِيادٍ، مَعرِفَةُ العِلمِ دينٌ يُدانُ بِهِ، بِهِ يَكسِبُ الإنسانُ الطّاعَةَ في حَياتِهِ، وجَميلَ الأُحدوثَةِ بَعدَ وَفاتِهِ. وَالعِلمُ حاكِمٌ وَالمالُ مَحكومٌ عَلَيهِ. يا كُمَيلُ، هَلَكَ خُزّانُ الأَموالِ وهُم أحْيَاءٌ، وَالعُلَماءُ باقونَ ما بَقِيَ الدَّهرُ: أعيانُهُم مَفقودَةٌ، وأمثالُهُم فِي القُلوبِ

مَوجودَةٌ)[1].

وتمثّل حياة كميل بن زياد وسيرته خير مصداق ونموذج لانعكاسات هذا الدعاء، وآثاره على شخصية الإنسان المتفاعل مع معطياته.

فقد كان رضوان الله عليه، كما يتحدّث عنه المؤرخون، زاهدًا عابدًا، مقدامًا، شجاعًا، وثيق الصلة بأهل البيت ﷺ، فهو من أصحاب علي وابنه الحسن عليهما السلام.

وحينما رأى بعض الانحرافات والمفاسد من الولاة في عهد الخليفة عثمان، اتخذ موقف الرفض والمعارضة، حتى أُقصي ونُفي من الكوفة إلى الشام سنة ٣٣هـ.

وكان من أبطال معسكر الإمام علي في معركة صفين، كما عيّنه الإمام واليًا على منطقة (هيتَ) من نواحي بغداد فوق الأنبار.

وختمت حياته بالشهادة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، وهو في السبعين من عمره سنة ٨٢هـ.

إنّ سيرة كميل بن زياد تكشف عن تكامل شخصيته في مختلف أبعاد الفضل والكمال، وحريٌّ بأجيال الأمة أن تخلّد وتحيي سيرته العطرة، لتستلهم منها روح الإخلاص والثبات على مبادئ الحقّ وقيم الدين، ولتكون أنموذجًا لصياغة الشخصية الإيمانية المتكاملة، في ميدان السمو الروحي، والارتقاء الفكري المعرفي، والالتزام السلوكي الأخلاقي.

وبين يدي القارئ الكريم نصٌّ أدبي شعري رائع، يرسم شيئًا من ملامح هذه الشخصية العظيمة، والسيرة العطرة، جادت به قريحة الأديب الفاضل

(١) نهج البلاغة: رسالة ١٤٧.

الأستاذ عقيل بن ناجي المسكين، وقدّمه لمسابقة كميل الشعرية الأولى، التي أقامتها المعاونية الثقافية، ومنصّة كميل الشعرية، وقد فاز بالمركز الأول مناصفة.

وإنّي إذ أبارك للأخ الحبيب هذا الفوز والإنجاز، وأشيد بعطائه المتواصل في خدمة الثقافة والمجتمع، لأرجو الله تعالى له المزيد من التوفيق والتقدّم، وأن يحشرنا الله وإيّاه مع كميل بن زياد يوم القيامة، بشفاعة رسول الله ﷺ، وتحت لواء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وحَسُنَ أولئك رفيقًا. إنه تعالى جواد كريم.

حسن بن موسى الصفار
١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ
١٠ يناير ٢٠٢٣م

تعزية الشيخ السبحاني في وفاة زوجته[1]

بعث سماحة الشيخ حسن الصفار رسالة تعزية لسماحة المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني في وفاة زوجته، هذا نصّها:

سماحة المرجع الديني الفقيه المحقق الشيخ جعفر السبحاني دام ظلّه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أتقدّم إليكم بأحرّ التعازي لوفاة زوجتكم الصالحة، تغمّدها الله بواسع الرحمة والرضوان

(١) مكتب الشيخ حسن الصفار ٢٦ يناير ٢٠٢٣م.

وألحقها بالصالحين، وحشرها مع النبي وآله الطاهرين.

لقد شاركتكم حياة الكفاح في مسيرتكم العلمية الرائدة، وتحمّلت معكم عناء الجهاد والعمل في سبيل خدمة الدين والأمة، ونالت بركات الاقتران بكم، والعيش في ظلّ شخصيتكم النورانية المباركة، فهنيئًا لها حياة الخير والصلاح، وجعلها الله تعالى ممن ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

أسأل الله تعالى لكم العون على تحمّل هذه المصيبة، وأن يعظم لكم الأجر، ويلهمكم الصبر والسلوان، ويطيل عمركم، وينفع المسلمين بفيض علمكم، وهدي إرشادكم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حسن الصفار

٢ رجب ١٤٤٤هـ

٢٥ يناير ٢٠٢٣م

تكريم شيخ الشُّعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدى إليَّ ـ مشكورًا ـ الأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي حفظه الله ورعاه، الكتاب التوثيقي لحفل تكريمه، الذي يحمل عنوان (شيخ الشُّعراء ـ قرن من العطاء)، وسجّل في إهدائه المكتوب على أول صفحات الكتاب، أمله في أن أبدي مرئياتي حول فصول الكتاب.

واستجابة لرغبته الكريمة، وأداءً لبعض حقّه

الأدبي، أقدم هاتين المقاربتين المتواضعتين حول المناسبة التي وثّقها الكتاب.

المقاربة الأولى: التكريم ظاهرة حضارية

تشكّلت في مجتمعنا حديثًا ظاهرة رائعة، هي تكريم الشخصيات المتميّزة في عطائها العلمي والثقافي والاجتماعي، والمؤسّسات الرائدة في مجال التنمية بمختلف حقولها.

ويمكننا أن نؤرخ لهذه الظاهرة بأول مبادرة في آخر شهر من شهور سنة ١٤١٥هـ، حيث كُرِّم الأديب الراحل أحمد بن سلمان الكوفي، قبل وفاته بخمس سنوات، (توفي رحمه الله عام ١٤٢٠هـ).

وقبل تكريم الكوفي لم يحصل حفل تكريم لأحدٍ من رموز المجتمع القطيفي في حياته، بل كان يُنتظر موت العالم أو الأديب أو الوجيه، لتكريمه بالتأبين بعد وفاته. حيث تعقد المجالس لذكر محاسنه، وتعداد فضائله، وإعلان الحسرة على فقده، وقد يكون متجاهلًا في حياته، وتلك هي سمة المجتمعات غير الحضارية.

ذكروا في ترجمة العالم الجليل الشيخ عبد العلي بن جمعة الحويزي (توفي سنة ١١١٢هـ) صاحب التفسير المعروف (نور الثقلين) وهو من علماء الأهواز، وكان معاصرًا للشيخ المجلسي صاحب بحار الأنوار، والحرّ العاملي صاحب الوسائل، أنّ تلميذه السّيد نعمة الله الجزائري، سأل أحد العلماء، عن قيمة ومستوى كتاب تفسير (نور الثقلين) لأستاذه الشيخ الحويزي، وقال: إن كان هذا التفسير قابلًا للاستكتاب، مشتملًا على جملة من الفوائد كتبناه، وإلّا فلا؟

فأجابه ذلك العالم الكبير على سؤاله بما يلي: ما دام مؤلفه حيًّا فلا تساوي قيمته فلسًا واحدًا، وإذا مات فأوّل من يكتبه أنا، وهذا إخبار عمّا في الضمير، ثم أنشد:

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ما دام حيًّا فإذا ما ذهب
لجّ به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب[1]

إنّ تشكّل هذه الظاهرة حديثًا في مجتمعنا يدلّ على تقدّم مستوى الوعي الاجتماعي، كما يدلّ على حدوث رقي أخلاقي؛ لأنّ من أسباب تجاهل الكفاءات والطاقات، انتشار نزعة الأنانية والتحاسد، خاصة في أوساط نخب المجتمع، ومن الطبيعي ألّا يبادر من تسكنه هذه النزعات إلى تكريم أنداده ومنافسيه.

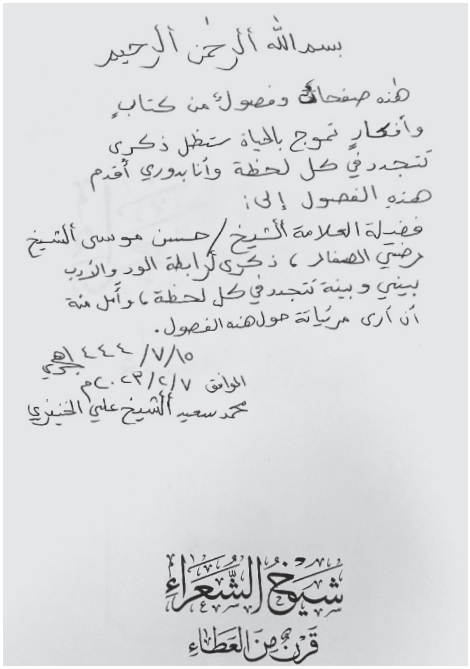
بسم الله الرحمن الرحيم
هذه صفحاتٌ وفصولٌ من كتابٍ
وأنهارٍ تموج بالحياة ستظل ذكرى
تتجدد في كل لحظة وأنا بدوري أقدم
هذه الفصول إلى:
فضيلة العلامة الشيخ/ حسن موسى الشيخ
رضي الله عنه، ذكرى لرابطة الود والأدب
بيني وبينه تتجدد في كل لحظة، وأمل منه
أن أرى مرئياته حول هذه الفصول.
١٤٤٢/٧/١٥هـ
الموافق ٢٠٢١/٣/٧م
محمد سعيد الشيخ علي الحويزي
شيوخ الشعراء
قرن من العطاء

إنّ البعض تمتلئ نفسه بحبّ ذاته بشكل نرجسي، ويسيطر عليه الغرور، وتتضخم لديه الأنا، بحيث لا يرى أحدًا غيره مستحقًّا للمدح والتقدير، بل ينزعج ويتذمّر حينما يُشاد بآخرين، وقد يكون ذلك ناتجًا من شعور عميق بالنقص والضعف، يستثيره ذكر كمال الآخرين وتفوقهم.

وقد يشعر بعض من يجد في نفسه الكفاءة بالغبن، حينما يرى تكريم غيره من المبدعين، والحقيقة أنه يجب أن يغتبط ويفرح بذلك؛ لأنّ تقدير أيّ كفاءة في المجتمع، يعتبر تكريمًا

(١) الشيخ عبد العلي الحويزي: تفسير نور الثقلين- ترجمة المؤلف، ص٨ ج١، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت.

لمنهجية صحيحة، إذا تعزّز وجودها، فستشمله بركاتها وآثارها كغيره من المؤهلين.

إنّ تكريم العناصر المتميّزة في كفاءتها وعطائها، ليس أمرًا بروتكوليًا شكليًّا لا أهمية له. بل إنّ لذلك آثارًا إيجابية ومعطيات كبيرة، نشير إلى أهمها:

أولًا: التكريم يعزّز تقدير الذّات في نفس المكرّم، ويجلب له الرضا، ويدخل على قلبه الراحة والسّرور. ويشير علماء النفس إلى أنه لا شيء يسعد الإنسان كشعوره باهتمام الآخرين به، وفرحه بهذا المكسب المعنوي، أكثر من فرحه بالمكاسب المادية.

وتشير آيات قرآنية إلى أهمية هذا الجانب حتى بالنسبة للأنبياء ﷺ، مع عمق إخلاصهم وانقطاعهم لله تعالى، إلّا أنّ تكريمهم يخدم رسالتهم، لذلك طلب نبي الله إبراهيم ﷺ من الله تعالى، أن يجعل له ذكرًا وثناءً حسنًا في الأجيال اللاحقة، كما تفيد الآية الكريمة: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[سورة الشعراء، الآية: ٨٤.].

ومن بين النعم التي يمتنّ الله بها على نبيّه محمد ﷺ رفع ذكره، وهو أبرز مصداق للتكريم والتمجيد، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[سورة الشرح، الآيات: ١-٤].

ثانيًا: يحفّز المكرّم لمواصلة دوره وزيادة عطائه.

ورد في المستدرك على الصحيحين، عنه ﷺ: «إذا مُدِحَ المؤمنُ ربا الإيمانُ في قلبِهِ»[1]. أي زاد الإيمان في قلبه.

(١) المستدرك على الصحيحين، ح٦٥٣٥.

وسمع الإمام علي عليه السلام مدح قوم له، فقال: «اللَّهُمَّ اجعَلنا خَيرًا مِمّا يَظُنّونَ، وَاغفِر لَنا ما لا يَعلَمونَ»[1].

ويستوحى من هذا الدّعاء، أنّ من يتلقى التكريم ينبغي أن يتطلّع إلى زيادة نقاط القوة في شخصيته، (اللَّهُمَّ اجعَلنا خَيرًا مِمّا يَظُنّونَ)، كما يسعى لتجاوز نقط ضعفه وإن كانت خافية على الناس، (وَاغفِر لَنا ما لا يَعلَمونَ).

ثالثًا: يرسّخ القيمة والصّفة الباعثة للتكريم في أوساط أبناء المجتمع، حيث يصبح أنموذجًا وقدوة، ويتطلّع الآخرون من خلال تكريمه إلى تمثّل تلك القيمة والصفة في شخصياتهم وسلوكهم.

لذلك تتنافس المجتمعات المتحضّرة في تكريم أبنائها المبدعين، وروّاد العمل الاجتماعي، بل تعدّت ذلك لتكريم المتميّزين والمبدعين على المستوى العالمي، كجائزة نوبل التي أسّسها الصّناعي السّويدي (ألفريد نوبل) عام ١٨٩٥م، وتُمنح كلَّ عام في العاشر من ديسمبر لأفضل المتميّزين من مختلف دول العالم، في مجال الفيزياء والكيمياء والأدب والسّلام والاقتصاد، ويعطى الفائز مبلغ ١,٢٥ مليون دولار.

وقد حظي بهذه الجائزة لحدّ الآن أكثر من ٨٨٠ مكرّمًا من ٢٧ بلدًا.

وفي المملكة العربية السعودية هناك عدة جوائز عالمية، كجائزة الملك فيصل العالمية في مجال الدراسات الإسلامية، واللغة العربية والأدب، والطب، والعلوم، وخدمة الإسلام. وقد كرّمت منذ عام ١٩٧٩ (٢٧٥) فائزًا من ٤٣ جنسية.

وتأسّست في مجتمعنا المحلي جائزة القطيف للإنجاز سنة (٢٠٠٨م)،

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٠٠.

التي نأمل أن يتجدّد نشاطها ويتّسع دورها بتعاون المواطنين الواعين.

وقد شهدنا في السّنوات الأخيرة، تكريم عدد من الكفاءات العلمية والأدبية، وروّاد العمل الاجتماعي، والشّخصيات المعطاءة في المجالات المختلفة من أبناء المجتمع.

نأمل استمرار هذه الظاهرة الرائعة، واستثمارها اجتماعيًّا، بتعزيز القيم والصّفات المستوجبة للتكريم، وأن تتحول مبادرات التكريم إلى حالة مؤسّسية، وترصد لها موارد مالية وأوقاف خاصّة بها. كما هو الحال في المجتمعات الأخرى، فكلّ الجوائز العالمية تعتمد على تمويل مستدام من أوقاف خاصّة، أو من ميزانية الدولة.

ونتفاءل أنّ مستوى الوعي والعطاء في مجتمعنا، يؤهّل إلى تحقيق هذه التطلّعات وأكثر إن شاء الله.

المقاربة الثانية: استكمال التكريم

إذا كانت القطيف قد شهدت مؤخرًا عددًا من مناسبات التكريم لشخصيات علمية وأدبية واجتماعية، فإنّ مهرجان تكريم شيخ الشعراء الأستاذ محمد سعيد الخنيزي، الذي أقيم بتاريخ ٢/ ١١/ ١٤٤٣هـ الموافق ١/ ٦/ ٢٠٢٢م في قصر الغانم للمناسبات بالقطيف، كان حفلًا مميزًا بالحضور الحاشد والنوعي، حيث ضمّ عددًا كبيرًا من العلماء والأدباء والأكاديميين والمثقفين ورجال الأعمال والشخصيات الاجتماعية، من مختلف ربوع القطيف، ومن مناطق الدمام والخبر والأحساء.

كما تميّز بالمستوى الرفيع للمشاركات الأدبية التي تضمنها برنامجه، من قبل نخبة من الشعراء والأدباء والفضلاء، سلّطوا الأضواء على جوانب

مختلفة من عطاءات الأستاذ الخنيزي، وأعماله الأدبية القيمة، وأشادوا بسمات شخصيته الفاضلة.

ولا شك أنّ الأستاذ الخنيزي حريٌّ بكلّ ذلك الثناء والتكريم، بل هو جدير بما هو أكثر وأرفع.

وإذا كانت طبيعة الحفل، ومحدودية الوقت المتاح للبرنامج، تقتضي تقليص عدد المشاركين في الإلقاء، والاختصار والإيجاز في المادة المقدّمة، فإنّي أتطلّع إلى مبادرة تنبثق من الوسط الأدبي الثقافي لاستكمال فكرة حفل التكريم، بدعوة الباحثين للكتابة عن تجربة الأستاذ الخنيزي، وتناول أعماله الأدبية بالنقد والتقويم، فذلك ما يخلّد هذه التجربة الرائدة، ويجعلها مصدر إلهام وإثراء، للجيل الحاضر والأجيال اللاحقة.

إنّ جوانب مهمّة في شخصيته ونتاجه الأدبي تستحقّ الدراسة والبحث، ومن تلك الجوانب: منهجه في كتابة السيرة الذاتية، التي أصدرها في مجلّدين تحت عنوان (خيوط من الشمس)، وما تضمّنته من صور ومشاهد عن الحياة الاجتماعية، ومن توثيق وتحليل لبعض الأحداث التاريخية، ومن مواقف وانطباعات عن عدد من الشخصيات التي عاصرها.

ويأتي في هذا السياق كتابه (العبقري المغمور) الذي تناول فيه سيرة والده الإمام الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي، وسمات شخصيته العلمية والاجتماعية، ففيه كثير من الآراء والمعلومات التي تستحقّ الدراسة والنقد.

إن الأستاذ الخنيزي ذاكرة ثرية لتاريخنا المجتمعي، فهو يحدّثك عن

بعض الشخصيات التي مضى على رحيلها عقود من الزمن، وكأنه يعيش معها الآن، ويذكر لك تفاصيل بعض الأحداث الغابرة، وكأنها حدثت في الأمس القريب، فينبغي استثمار وجوده أطال الله عمره، وقد تجاوز المئة سنة، وهو لا يزال يتمتع بذاكرة قوية، وذهن وقّاد، مما يتيح الفرصة للاستفادة من مخزون ذاكرته، ومناقشته في تقويم المعلومات والتحليلات والانطباعات المرتبطة بالتاريخ المجتمعي.

ومن الجوانب الجديرة بالبحث والتقويم، منهجية الأستاذ الخنيزي في النقد الأدبي والفكري والاجتماعي، فهو في كتاباته يمجّد النقد البنّاء، ويتحدّث عن آثاره الإيجابية في ساحة الأدب والفكر، ويقول: (لولا النقد لمات الأدب والفكر، وانطوت الحياة الفكرية، ولفّها الزمن السحيق... أنا من الذين يؤمنون بهذه الظاهرة الفكريّة النقديّة البنّاءة، فلولا النقد لما عرفنا شعراء ومفكرين، خلّدهم النقّاد على صفحات الزمن السحيق)[1].

وانطلاقًا من هذه الرؤية التي دعا إليها وتبنّاها، كان للنقد حضور مكثّف في كتاباته، وقد جمع بعض هذه الكتابات في كتاب له بعنوان (أضواء من النقد في الأدب العربي). كما لا تخلو معظم كتاباته من الممارسة النقدية، لرأي في اللغة، أو مقولة في الأدب، أو تصويب لمعلومة تاريخية، أو معالجة لظاهرة اجتماعية، أو مناقشة لموقف من المواقف.

ولم أكن أتوقع أن يطال قلمه الناقد تجربة أخيه العلامة الشيخ عبدالحميد الخطي (رحمه الله)، في بعض نتاجه الأدبي، وبعض مرئياته ومواقفه. لما اعرف من إجلاله لأخيه، وتعظيمه لشأنه ومقامه، فهو أستاذه الثاني بعد أبيه على حدّ تعبيره، لكنّ النقد في رؤية الأستاذ الخنيزي،

(١) أضواء من النقد في الأدب العربي، ص ١١-١٢

لا يُنافي الإجلال والتعظيم، ولا يُفسد للصلة والودّ قضية، ما دام نقدًا موضوعيًّا بنَّاءً، ضمن لغة الفكر والأدب.

وكما كان يمارس النقد لإنتاج الأدباء والكتّاب الآخرين، فإنه كان يستقبل نقد الآخرين لبعض كتاباته وإنتاجه الأدبي، برحابة صدر، وباهتمام بالغ، فلا يتجاهل أيّ نقد، ولا يتحسّس ولا يتضايق منه، كما يحصل عند بعض الأدباء والكتّاب، بل يتفاعل إيجابًا مع النقد، ويكتب مشيدًا بالناقد ومناقشًا له في موضع نقده، وقد أدرج بعض ردوده ومناقشاته النقدية مع ناقديه، في كتابه (أضواء من النقد في الأدب العربي).

كما أنّ قصة الكفاح والنجاح في حياته، تشكل مادة ثرية للكتابة والبحث، وتقدّم لأبناء الجيل أنموذجًا يُقتدى ويُحتذى في مواجهة الظروف الصعبة، ومعوّقات التقدّم والرقي، فقد تحدّى الإعاقة التي أصابت بصره في مستهلّ حياته، وكادت أن تتحول إلى أزمة وعقدة في نفسه، وأن تحول دون تحقيق تطلّعاته المعرفية، وميوله الأدبية، حيث استولت جاذبية العلم والأدب على كيانه النفسي والعقلي، منذ نعومة أظفاره، بتأثير تربيته ونشأته في أحضان والده الفقيه الأديب، وفي أجواء مدرسته التربوية المتميزة بالوعي والانفتاح، والتصدّي للمسؤولية الدينية والاجتماعية.

لكنّ الأستاذ الخنيزي، ومع عمق ألمه النفسي لما أصابه، الذي عبّر عنه في كثير من شعره وكتاباته، إلّا أنه خاض غمار الكفاح من أجل كسب العلم والمعرفة، واستكمال مقوّمات شخصيته، وبذل أقصى جهده لمواكبة تطور الثقافة والأدب، فكتب بسيرته قصة نجاح رائدة، في عالم الفكر والأدب، ولا زال مع تقدّم سنّه، وما يعرض له من مشاكل صحية،

يعيش الاهتمام الدائم بقضايا الفكر والأدب، ويتابع إنجاز بعض مشاريعه التي بدأ الكتابة فيها، ففقد سمعت منه قريبًا انشغال ذهنه بإكمال بحث له عن شأن وتاريخ القضاء الجعفري في القطيف.

وهناك جانب آخر ينبغي تسليط الأضواء عليه، وهو تجربته في مجال المحاماة، بما تحكيه هذه التجربة من صور في الحياة الاجتماعية، وأساليب التعامل بين الناس في قضايا الخلاف والنزاع، ودور القضاء، وطريقة القضاة في التعاطي مع الوكلاء والمحامين، وفي إصدار الأحكام، خاصة مع أخذ الاختلاف الفقهي المذهبي بعين الاعتبار، والجانب المهم في هذا السياق دور المحامي والوكيل، ومسؤوليته الدينية والأخلاقية.

لا بُدّ وأن في مخزون ذاكرة الأستاذ الخنيزي، وفي تجربته الكثير مما يرتبط بهذا الشأن، فمن المفيد جدًّا تناوله بالدراسة والبحث.

هذه مجرّد نماذج من المجالات التي تستحقّ الدراسة والبحث في حياة الأستاذ الخنيزي، وهناك مجالات أخرى يمكن إضافتها، أمدّ الله في عمره ومتّعه بالصحة والعافية، وجزاه الله خير الجزاء على ما قدّم من خدمة لدينه ومجتمعه ووطنه.

وفي الختام أعرب عن شكري وتقديري لكلّ من شارك وساهم في إقامة مهرجان التكريم، وإصدار الكتاب التوثيقي لوقائع الحفل.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفّار

٢٩ رجب ١٤٤٤هـ

٢١ فبراير ٢٠٢٣م

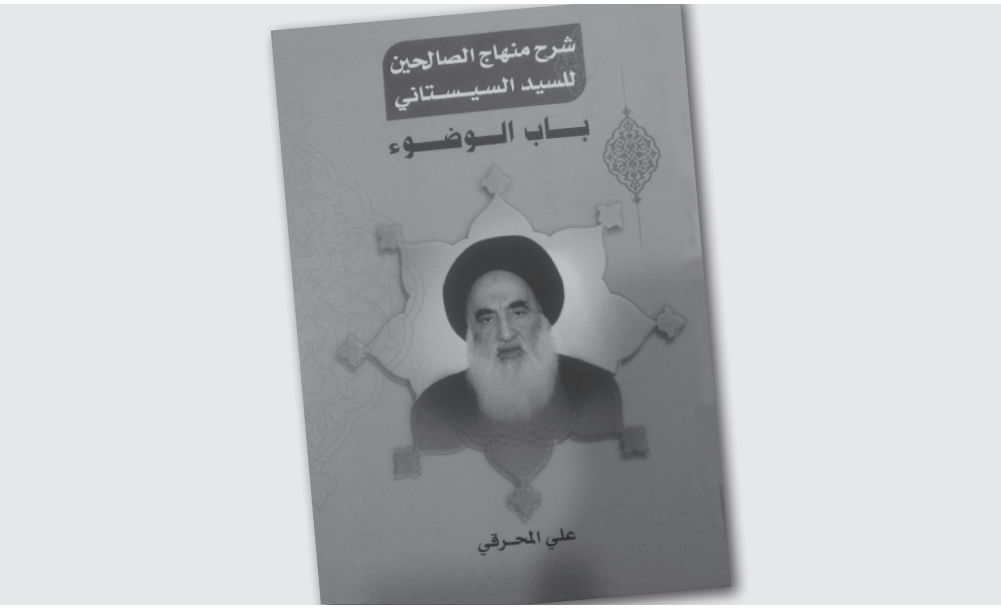

تقديم لكتاب

شرح منهاج الصالحين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وآله الطاهرين.

الرأي الذي يتبنّاه الفقيه في أيّ مسألة شرعية يفتي بها، هو حصيلة جهد علمي، وممارسة اجتهادية يقوم بها، في البحث عن الأدلة من مصادرها المقررة، ودراستها بدقة وعمق، للوصول بعد ذلك إلى الحكم الشرعي والإفتاء به.

(١) المؤلف الشيخ علي المحرقي، الطبعة الأولى ٢٠٢٣م.

وقد يوثّق الفقيه ممارسته الاجتهادية، ويحرّر مراحل البحث التي قام بها، انطلاقًا من تنقيحه للمباني التي اعتمدها في البحث الأصولي الفقهي، وعلم الدراية والرواية، وصولًا إلى ما استظهره واستنبطه من الأدلة المباشرة في كلّ مسألة من المسائل.

ومن الطبيعي أن يتصف التحرير العلمي للممارسة الاجتهادية، بلغة تخصّصية، تستخدم المصطلحات المتداولة في ميادين علوم الاجتهاد، وتشير إلى المباني والقواعد دون تبيين وتفصيل، اعتمادًا على إلمام أهل الاختصاص بها.

كما يقتضي التحرير العلمي عرض الأدلة المختلفة في المسألة، ومناقشة وجه الدلالة فيها، قبولًا أو رفضًا، والترجيح فيما بينها، عند التعارض والاختلاف. واستعراض أهم وأبرز الآراء والأقوال في المسألة، من قبل الفقهاء الآخرين، وذلك ما يؤدي للتوسع في البحث، فقد يستغرق

تحرير البحث في مسألة واحدة عشرات الصفحات.

وقد لا تتاح الفرصة لكثير من الفقهاء أن يوثّقوا ويحرّروا ممارستهم الاجتهادية، في استنباط الآراء وإصدار الفتاوى، وبعضهم يكتفي بإلقائها دروسًا على طلابه، في مرحلة الدراسات العليا، التي يطلق عليها في الحوزة العلمية (البحث الخارج).

وقد يقوم بعض تلامذته بتقريرها وتحريرها. كما هو الحال مثلًا في النتاج العلمي الفقهي والأصولي للسيد الخوئي (توفي ١٤١٣هـ).

ومن أبرز الفقهاء الذين حالفهم التوفيق في كتابة تجربتهم العلمية الفقهية، وتدوين ممارستهم الاجتهادية، الفقيه المحدّث الشيخ يوسف البحراني (توفي ١١٦٨هـ) حيث يعتبر كتابه (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) والمطبوع في ٢٥ مجلدًا، من أهم الكتب المتداولة في الوسط العلمي، لاستيعابه لمعظم أبواب الفقه، حيث لم يمهله الأجل لاستكمالها، (فإنه أول مجموعة فقهية ومدونة كبرى في الفرائض والسنن، تحوي جُلّ الفروع إن لم يكن كلها، وتضم في طيّها الأقوال والآراء وأصول الدلائل)[1].

والفقيه الآخر الذي وثّق وحرّر تجربته العلمية الاستدلالية في الفقه الإسلامي، فكانت أكثر شمولية واستيعابًا مما سبقها، هو الشيخ محمد حسن النجفي (توفي ١٢٦٦هـ)، حيث أصبح كتابه (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) المرجع والمصدر الأساس، الذي لا يستغني عنه فقيه معاصر في الحوزات العلمية الشيعية.

(١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، بيروت، دار الأضواء، ص٢٨.

وقد استمرّ في تأليفه ٣٠ سنة، حيث بدأ تأليفه سنة ١٢٢٧هـ تقريبًا، على ما استنتجه الشيخ آغابزرك الطهراني وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين سنة، وآخر ما كتبه منه كان سنة ١٢٥٧هـ.

وكتاب الجواهر (لم يؤلف مثله في سعته وإحاطته بأقوال العلماء وأدلتهم ومناقشتها، مع بُعدِ نظر وتحقيق، مضافًا إلى أنه كتاب كامل في أبواب الفقه كلّها، جامع لجميع كتبه، وميزة ثالثة تفرّد بها أنه على نسق واحد، وأسلوب واحد، وبنفس السعة التي ابتدأ بها وانتهى إليها، ورابعًا: أنّ به الغنى عن كثير من الكتب الفقهية الأخرى، ولا يستغنى بها عنه)[1].

وفي هذين القرنين الأخيرين (الرابع عشر والخامس عشر للهجرة) أصدر عدد من الفقهاء أبحاثهم الفقهية الاستدلالية بأقلامهم في موسوعات ضخمة، منها:

- مستمسك العروة الوثقى (١٤ مجلدًا) للسيد محسن الحكيم (توفي ١٣٩٠هـ).
- مهذّب الأحكام (٣٠ مجلدًا) للسيد عبدالأعلى السبزواري (توفي١٤١٤هـ).
- الفقه (١٦٠ مجلدًا) للسيد محمد الشيرازي (توفي ١٤٢٢هـ).

ولا شك أنّ لهذه الجهود العلمية أثرًا كبيرًا في تطوير البحث الفقهي، وتكامل نموه، عبر تراكم الخبرة والتجربة.

لكنّ هناك جهدًا آخر مطلوبًا من الفقيه، هو تبيين الأحكام الشرعية،

(١) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، بيروت، مؤسسة المرتضى العالمية ـ دار المؤرخ العربي، المقدمة بقلم الشيخ محمد رضا المظفر.

وإصدار الفتاوى الموجهة لجمهور الأمة، ليعرف المكلّفون تشريعات الدين وأحكامه، فيما يتعلّق بعباداتهم ومعاملاتهم في مختلف شؤون حياتهم، حيث يتعذّر عليهم الوصول إلى معرفة الأحكام، فتكون وظيفتهم الرجوع إلى الفقيه والأخذ برأيه وفتواه.

واستجابة لهذه الحاجة يقوم الفقيه المتصدّي للمرجعية والافتاء، بإصدار كتاب يتضمن فتاواه وآراءه في الأحكام الشرعية، ويطلق على هذا الكتاب عنوان (الرسالة العملية). أي أنها تعرض الفتاوى الشرعية التي يعمل وفقها المكلّفون الذين يرجعون في تقليدهم إلى آراء الفقيه الذي أصدرها.

ومن أشهر هذه الرسائل العملية في العصور المتأخرة رسالة (صراط النجاة) للشيخ مرتضى الأنصاري (توفي ١٢٨١هـ). ورسالة (العروة الوثقى) للسيد محمد كاظم اليزدي (توفي ١٣٣٧هـ). ورسالة (وسيلة النجاة) للسيد أبي الحسن الأصفهاني (توفي ١٣٦٥هـ). وفي هذه العقود الأخيرة كانت رسالة (منهاج الصالحين) للسيد محسن الحكيم (توفي ١٣٩٠هـ) هي الأكثر تداولًا وانتشارًا، حيث اعتمدها عدد من الفقهاء المراجع مع تطويرها وتطبيقها على آرائهم وفتاواهم.

وكان من المفترض أن تكون لغة الرسالة العملية لغة واضحة مفهومة لعامة الناس، تخلو من المصطلحات العلمية التخصصية التي لا يدركون معناها، ومن العبارات الغامضة التي لا يسهل عليهم فهمها.

وأن يكون هناك تحديث مستمر لتبويب الرسالة العملية وتطوير لغتها، ليواكب التطور في واقع الحياة الاجتماعية، وفي لغة التخاطب والتفاهم

بين الناس.

لكن يبدو أنّ الفقهاء المراجع يراهنون على الدور الوسيط لوكلائهم والعلماء المحليين في المجتمعات، ليقوموا بدور التوضيح والتبيين للفتاوى الواردة في رسائلهم العملية. وكأنّ الرسالة العملية مكتوبة للعلماء المبلّغين لا لعامة الناس، وقد أصبحت جزءًا من المنهج الدراسي في كثير من الحوزات العلمية. مما يعني الإقرار بحاجتها إلى الشرح والتبيين لطالب العلم فضلًا عن الناس العاديين.

من هنا بادر بعض الفضلاء إلى تدوين كتب تشرح مصطلحات الرسالة العملية، وتفكّك الغموض في بعض عباراتها، كما قام بعض العلماء بإلقاء وتسجيل حلقات في شرح الرسالة العملية.

وبين يدي القارئ الكريم مبادرة رائدة على هذا الصعيد، حيث بذل الأخ الفاضل، الأستاذ الباحث، سماحة الشيخ علي المحرقي حفظه الله، جهدًا مشكورًا في شرح باب الوضوء من (منهاج الصالحين) الرسالة العملية المتداولة للمرجع الأعلى السيد علي السيستاني دام ظلّه.

ومؤلف رسالة (منهاج الصالحين) هو المرجع الأعلى في عصره السيد محسن الحكيم (توفي ١٣٩٠هـ) ثم اعتمدها المرجع الأعلى بعده السيد أبو القاسم الخوئي (توفي ١٤١٣هـ) مع تطبيقها على آرائه وفتاواه، وعلى نفس المنوال اعتمدها السيد السيستاني حين تسنّم المرجعية بعد رحيل السيد الخوئي.

وقد سلك الشيخ المحرقي في شرحه منهجية علمية، تبدأ بشرح المفردات الواردة في نصّ كلّ مسألة، التي تحتاج إلى بيان وتوضيح من

حيث اللغة والدلالة، ومن حيث المصطلح الفقهي، ثم يبين المقصود من المسألة بشرحٍ وافٍ ولغة واضحة، مضيفًا إلى ذلك عرض آراء سائر المراجع في ذات المسألة.

وأرجو أن يواصل المشوار لإكمال هذا المشروع المهم خدمة للفقه، وعونًا لطلاب الحوزات العلمية، وتيسيرًا لنشر أحكام الدين.

وسبق لي أن اطّلعت على بعض كتابات ومؤلفات الشيخ علي المحرقي، التي تدلّ على موسوعية ثقافته واطلّاعه، وجدّيته في البحث، وإخلاصه للعلم والمعرفة، وانفتاحه على مختلف الاتجاهات في الساحة الدينية.

أسأل الله تعالى له المزيد من التوفيق، وأن يكثّر في أبناء الأمة أمثاله من الباحثين الواعين المخلصين.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

١٢ ذو القعدة ١٤٤٤هـ

١ يونيو ٢٠٢٣م

مُتابعات

في تغطية النشاط
الثقافي والاجتماعي

الشيخ الصفار يحاضر في الاجتماع الديني المعاصر[1]

ضمن محاضراته العاشورائية تحدّث سماحة الشيخ حسن الصفار خلال إحدى عشرة ليلة عن الاجتماع الديني المعاصر تحت عنوان: **مقاربات في الاجتماع الديني المعاصر**.

وقد جاءت عناوين المحاضرات التي بثّت عبر قناة سماحته على اليوتيوب كالتالي:

- إحياء عاشوراء استحضار للمبادئ والقيم.
- علم الاجتماع الديني.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٢/٨/١١م.

- الظاهرة الدينية في الاجتماع الإنساني.
- الآخر الديني والشراكة الإنسانية.
- علماء الدين.. الدور والمصداقية.
- الآخر المذهبي والأمة الجامعة.
- المرأة في الاجتماع الديني.
- الرأي الآخر بين التقويم والتجريم.
- الأسرة ركيزة الاجتماع الديني.
- الإمام الحسين وإصلاح الاجتماع الديني.
- عاشوراء السمو الروحي والقيم الأخلاقية.

هذا وقد اكتظت القاعات بالحضور من الرجال والنساء، من مختلف فئات المجتمع القطيفي ومن الأحساء والدمام وشخصيات من مختلف أنحاء المنطقة.

بث فضائي

وقد سجلت محاضرات الشيخ الصفار حضورًا في عدد من القنوات الفضائية أيام عاشوراء ومن تلك القنوات:

- قناة السلام الساعة ١٠:٤٥ صباحًا.
- قناة الأيام الساعة ١١ صباحًا.
- قناة النعيم الساعة ٦ عصرًا.
- قناة المسار الأولى الساعة ٨ ليلًا، وتعاد الساعة ١٢ بعد منتصف الليل.
- قناة الإيمان الساعة ١ بعد منتصف الليل.

- قناة بيّنات الساعة ١ بعد منتصف الليل، وتعاد الساعة ٨ صباحًا من اليوم التالي.
- كما بثّت إذاعة الأمل (البصرة) نفس المحاضرات مسجلة الساعة ١٢:١٥ ظهرًا.

وقامت بعض القنوات الفضائية بإعادة بثّ المحاضرات نفسها بعد انتهاء العشرة الأولى من محرم، وهي:

- الأنيس الساعة ١ ظهرًا.
- المسار الأولى الساعة ٨ صباحًا و٨ مساءً.
- الإيمان الساعة ٤:٣٠ عصرًا.
- قناة السلام الساعة ١١ مساءً.

يشار إلى أنّ سماحة الشيخ الصفار اتبع منذ سنوات وضع عنوان عام لمحاضرات المحرم كعنوان: (التنوير والإصلاح الاجتماعي) لعام ١٤٤٠هـ، (الشخصية الإنسانية.. ملامح وسمات) لعام ١٤٤١هـ، (الإنسان وتحدّيات الحياة) لعام ١٤٤٢هـ، و (إدارة الحياة) لعام ١٤٤٣هـ.

لجنة الإمام الحسن

وقد أحيت لجنة الإمام الحسن بالقطيف موكب عزاء بعد محاضرة الشيخ الصفار ابتداءً من الليلة الرابعة من المحرم،

تناوب عدد من الرواديد على المشاركة فيه.

إشادة وتقدير

وقد تلقى مكتب الشيخ الصفار عددًا من الرسائل والمكالمات الهاتفية تحمل تفاعل المشاهدين والمستمعين للمحاضرات من بلدان مختلفة.

رسالة من الدكتور رضي المبيوق المقيم في أمريكا قال فيها: للتوِّ خلصت قراءة بعض التعليقات من إخوة في مجموعة واتسابية معظم أعضائها من المثقفين الواعين الذين أثنوا على محاضرة سماحة الشيخ لليلة أمس. فمنهم من استخدم هذا الوصف لسماحة الشيخ: «شجاعة في الطرح»، «وضوح وسلاسة في الطرح»، «موضوع يلامس الواقع المعاش»، «التناغم بين معطيات العلم والاستشهادات الدينية من أحاديث وآيات قرآنية»، «الحث على مواكبة كلّ جديد وكسر الجمود» و «النظرة الإيجابية للمستقبل».

وكتب الدكتور الشيخ طلال الحسن: سلامي الحارّ لشيخنا الأستاذ حسن الصفار على هذه المحاضرات الرائعة، التي تنطلق من أسس العلم والاعتدال، وتنبض بالوعي والبصيرة والشعور العميق بالمسؤولية.. أطال الله تعالى في عمره لخدمة الإسلام الحنيف.

كما وجدت محاضرات سماحته ردودًا وتفاعلًا على مواقع التواصل الاجتماعي، وقد كتب الدكتور إحسان العامري (Ahssan Alamiri) على صفحته في الفيس بوك تحت عنوان: المنبر الواعي والهادف، (من الأصوات والحناجر العلمية النيّرة الشيخ حسن الصفار، ذلك الشيخ الذي ما إن تستمع له حتى تكون أسير كلماته، فالداخل إلى بحبوحة روضته كمن يمدّ يده في إناء من العسل لا يخرج الّا ويديه معسولة، أنصح

نفسي وأنصح من يبحث عن المنبر الواعي والمتكامل بمتابعة محاضرات أستاذنا الدكتور آية الله الشيخ حسن الصفار).

كما علّق مهدي السراي: حقيقة سماحة الشيخ الصفار يمتلك رؤية وقراءة للدين هي محطّ فخر واعتزاز، رعاك الله شيخنا.

وكتب إحسان العقابي: ما دام أكثر الحضور هم الشباب، إذن المادة المطروحة في المجلس مادة علمية.

وعلّق وسام آل سباهي: صوت الإسلام الواعي.

وعلّق آخر يطلق على نفسه (رجل يسعى): تعجز الكلمات في المدح والثناء على جهود الشيخ حسن الصفار بما يقدّم من طرح رائع.

وكتبت شذى كردس: الله يحفظ الشيخ حسن الصفار ويبارك بجهوده لما قدّمه من طروحات راقية تمسّ الحياة الاجتماعية وتشمل كلّ جوانبها التربوية والأخلاقية.

وجاءت بعض التعليقات في قناة الشيخ على اليوتيوب كالتالي:

Akram ali: رحم الله والديك شيخنا العزيز، ما تطرحه يغني وينوّر دروبنا في الحياة.

Jaafar El-hilw: شيخنا العزيز.. نحن نشكرك على ما قدّمت من الجهد في هذه المحاضرات القيّمة، التي تشدّ المشاهد ولا يترك لحظة من المحاضرة إلّا يسمعها.

hayat asbai: بارك الله فيكم وجزاكم خير الجزاء عن بيت أهل بيت النبوة.

وفي إنستغرام جاء تعليق الأخت: zainabmismaeel كالتالي: نشكر الشيخ حسن الصفار على هذا الطرح المميّز الخارج عن المألوف في طرح الإسلام الصحيح الذي كرّم المرأة.

وأضافت alderazia: فعلًا ليلتين تسمعته. طرح راقٍ وعميق ويلامس المشاكل.

وهناك مواقع إخبارية اهتمت بنشر أخبار محاضرات الشيخ الصفار في محرم ١٤٤٤هـ، وهي:

- وكالة أنباء الحوزة العلمية في النجف الأشرف.
- صحيفة بشائر الإلكترونية.
- موقع النعيم نيوز.
- موقع شفقنا.
- صحيفة المنيزلة نيوز.
- موقع المطيرفي.
- كما أشار موقع نبض وموقع نيوم نيوز للأخبار المنشورة في تلك المواقع.

إحياء عاشوراء استحضار للمبادئ لا الانشغال في الخلافات[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إن إحياء عاشوراء يعني استحضار القيم والمبادئ التي حصلت من أجلها تلك التضحيات العظيمة وذلك في سبيل تحمّل مسؤوليتنا تجاه الدّين والأمة في العصر الراهن.

وفي محاضرته العاشورائية الأولى التي القاها مساء الجمعة ٣٠ ذو الحجة ١٤٤٣هـ الموافق ٢٩ يوليو ٢٠٢٢م أوضح الشيخ الصفار إن إحياء عاشوراء يعني استحضار القيم والمبادئ التي نحتاجها في واقعنا المعاصر وليس بديلا من تحمّل

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٩/ ٧/ ٢٠٢٢م.

مسؤوليتنا تجاه الدّين.

وأضاف سماحته في المحاضرة التي ألقيت في مجلس المقابي بمدينة القطيف «إننا لا نذكر تضحيات الحسين ومكارم أخلاقه كبديل عما يجب علينا من تحمّل مسؤوليتنا تجاه الدّين والأمة راهنا».

ودعا أمام حشد من المستمعين إلى إحياء عاشوراء وفق منهج القرآن، واستهداف إحياء أمر أهل البيت بالطريقة التي حددوها.

وشدّد على عدم الانشغال بتفاصيل الواقعة عن أغراضها وقيمها فضلا عن الخلاف حولها.

منهج القرآن حيال التاريخ

ودعا الشيخ الصفار إلى السير على نهج القرآن الكريم في قراءته للتاريخ بأشخاصه وأحداثه لغرض محدد وهو تحقيق الهداية والإصلاح.

وقال بأن أغراض القصة القرآنية تمحورت في إثبات الوحي والرسالة وإثارة الفكر وأخذ العبر من السابقين واستلهام القيم وتعزيزها في نفوس المؤمنين.

وتابع بأن من أغراضها أيضا التأكيد على أن التّاريخ ليس بديلاً عن الواقع الحاضر، فلا يصح العيش في زهو أمجاد السابقين على حساب صنع الواقع الحاضر.

وحذّر سماحته من الاستغراق في التاريخ والانشغال بالاختلاف في تفاصيل أحداثه مشددا بأن للقرآن الكريم منهجه في عرض أحداث التاريخ «فهو ليس كتاب تاريخ ولا يسوق قصصه من أجل المتعة والتسلية».

دعوة القيادات الدينية لدراسة علم الاجتماع الديني[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار علماء الدين والمتصدّين للعمل الديني إلى دراسة علم الاجتماع الديني اعتمادًا على مناهج البحث الحديث حتى يكون عملهم الاجتماعي قائمًا على التخطيط والمعرفة.

وفي محاضرته العاشورائية الثانية مساء السبت ١ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٣٠ يوليو ٢٠٢٢م بمجلس المقابي في مدينة القطيف قال الشيخ الصفار «تفيدنا

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣٠/٧/٢٠٢٢م.

أبحاث علم الاجتماع الديني في تحقيق مبدأ التعارف بين الجماعات الدينية بعيدًا عن النقولات التراثية والتعميمات النمطية.

ودعا سماحته علماء الدين والخطباء والقائمين على المؤسسات الدينية إلى دراسة واقع المجتمع وخاصة في المجال الديني، اعتمادًا على مناهج البحث في علم الاجتماع.

وتابع بأنّ ذلك كفيل بجعل العمل الديني قائمًا على أساس من التخطيط ومعرفة الأولويات وحجم المشاكل بلا تهوين ولا تضخيم ومعرفة مخرجات العمل الديني ومدى تأثيره وتفاعل المجتمع مع أطروحاته.

وأمام حشد من المستمعين رأى أنّ من المهم دراسة الظواهر الدينية في مجتمعنا دراسة تطبيقية ميدانية، لنعرف كيف نشأت وكيف تطورت، وكيف نتعامل معها توجيهًا وترشيدًا.

ورأى أنّ من شأن ذلك معالجة الثغرات في الظواهر الدينية، وتقوية الجوانب الإيجابية كظاهرة صلاة الجماعة والحج والخمس وإحياء الشعائر الحسينية.

وقال إنّ هناك تأثيرًا متبادلًا بين الدين والواقع الاجتماعي «فكما أنّ للدين دورًا وتأثيرًا في توجيه الواقع الاجتماعي، فإنّ للواقع دورًا وتأثيرًا في طريقة فهم الدين وأساليب تطبيقه».

وأشار في السياق إلى اختلاف أنماط التديّن بين مجتمع وآخر من نفس الدين ونفس المذهب، إضافة إلى تفاوت فتاوى الفقهاء قديمًا وحديثًا تبعًا للبيئة الاجتماعية التي عاشوا فيها.

وتناول الشيخ الصفار ضعف الاهتمام بهذا الحقل من الدراسات في الاجتماع الديني وندرة الأعمال المؤلفة أو المترجمة فيه التي لا تتجاوز عدد أصابع اليد وفقًا للمختصين.

وقال سماحته إنّ المتوقع من أقسام علم الاجتماع في جامعاتنا العربية والإسلامية أن يتجهوا للإبداع، وأن يجتهدوا في تقويم النظريات العلمية المنتجة غربيًّا، وأن ينتجوا ما يشكّل إضافة لهذا الحقل العلمي المهم.

وأضاف القول نحتاج للتوجه لدراسة المجتمع وتحليل الظواهر الاجتماعية فيه، بما يخدم عملية الفهم للواقع والعمل على تطويره، مشيرًا إلى نموذج الدكتور علي الوردي في دراسة المجتمع العراقي.

ودعا أقسام علم الاجتماع في جامعاتنا العربية والإسلامية أن يتّجهوا للإبداع، وأن يجتهدوا في تقويم النظريات العلمية المنتجة غربيًّا.

الدعوة إلى استيعاب الشباب المعرّض للتيارات الإلحادية[1]

حذّر سماحة الشيخ حسن الصفار من تأثير التيارات الإلحادية على الشباب على المستوى العالمي وما يستتبع ذلك من خطر الانفلات السلوكي والأخلاقي المدمّر لمستقبل الأفراد والمجتمعات.

وقال الشيخ الصفار في محاضرته العاشورائية الثالثة مساء الأحد ٢ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٣١ يوليو ٢٠٢٢م بمجلس المقابي في مدينة القطيف

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٣١م.

«إنّ علينا أن نحمي أبناءنا من حالة الضياع الديني ليس حماية لآخرتهم فقط، وإنّما لحياتهم في الدنيا أيضًا».

وأضاف سماحته إنّ حالة الانفلات السلوكي والأخلاقي وخاصة في مرحلة الشباب وفي هذا العصر بالذات، قد تدمّر مستقبل الفرد والمجتمع وتفسد علاقته بأسرته ومجتمعه.

وتابع القول إذا كان الإيمان يبعث الطمأنينة والاستقرار في نفس الإنسان ويؤهّله للاستقامة السلوكية، فإنّ الضياع الديني يحرمه من تلك المكاسب والعوائد، ويعرّضه لحالة القلق واللّامبالاة في سلوكه وتصرفاته.

إلى ذلك دعا الشيخ الصفار إلى الانفتاح على الأبناء في بداية تفتّق وعيهم وإدراكهم وإرشادهم مبكرًا إلى طريق التفكير السليم عبر توفير أجواء الوعي الديني.

وقال سماحته إنّ علينا أن نساعد أبناءنا على التفكير السليم ونهيّئ لهم أجواء البحث والتساؤل ونقدّم لهم الإجابات العلمية والوجدانية التي يفهمونها.

ورفض حالات التشنّج في مواجهة تساؤلات الشباب أو مواجهة عوائل هؤلاء الأبناء بضغوط اجتماعية غير مبررة. داعيًا الشباب في الوقت نفسه إلى التأني في التفكير والتعمّق في المناقشة قبل تبنّي الأفكار.

وأشار إلى ضرورة تقريب الأبناء من أجواء الحالة الدينية، من خلال اصطحابهم للمساجد والحسينيات ومجالس العلماء الواعين.

واستدرك سماحته بأنّ الحالة الدينية في مجتمعاتنا قد تطرأ عليها إشكالات وملاحظات إلّا أنّ ذلك لا يجوز أن يكون مبررًا لابتعاد أبنائنا وبناتنا عن الأجواء الدينية، فيكونون معرّضين للضياع، وإنما ينبغي أن نؤسّس لأجواء دينية أفضل.

وانتقد الشيخ الصفار حالة المبالغة في انتقاد الحالة الدينية أمام الشباب.

وأوضح سماحته أنّ المبالغة في نقد الحالة الدينية أمام الشباب لها تأثير سلبي، مشبّهًا ذلك بالمبالغة في نقد البيئة التعليمية ومناهج التعليم، مما يخلق حالة نفسية سلبية عند الأبناء تجاه الدراسة والتعليم.

وأضاف أنّ الصحيح هو أن نساعد في تحسين مستوى البيئة الدينية، وأن نساعد أبنائنا وبناتنا على التغلب على سلبياتها.

ورأى سماحته أنّ مناسبة عاشوراء فرصة مهمّة لتقريب أبنائنا وبناتنا أكثر نحو الأجواء الدينية، واستحضار سيرة وشخصية الإمام الحسين، الذي انطلق من إيمانه وثقته بالله، ليصنع هذه الملحمة الخالدة.

الشراكة الإنسانية بين أتباع الأديان[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى شراكة إنسانية بين أتباع الديانات انطلاقًا من القواسم المشتركة وتبادل المعاملة على أساس العدل والانصاف معتبرًا الحروب الدينية أحد أبشع فصول التاريخ البشري.

وقال الشيخ الصفار في محاضرته العاشورائية الرابعة مساء الإثنين ٣ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ١ أغسطس ٢٠٢٢م بمجلس المقابي في مدينة

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١ أغسطس ٢٠٢٢م.

القطيف إنّ الآخر الديني لا يعيش في كوكب آخر، إنه شريكنا في هذه الحياة في العمل والدراسة أو الجيرة في الوطن والغربة.

واعتبر الشيخ الصفار أنّ الحروب الدينية من أبشع فصول التاريخ البشري التي دارت رحاها باسم بالله والتي يعتبرها مشعلوها حروبًا مقدّسة.

واستغرب سماحته من تحوّل الدين الذي يلجأ إليه الإنسان من أجل اطمئنان النفس والارتقاء المعنوي والالتزام الأخلاقي إلى عقيدة باعثة على الحرب على الآخر، وممارسة القتل والتدمير.

وأرجع هذه النزعة إلى وجود اتجاهات داخل الأديان تفهم الدين باعتباره دعوة لإخضاع الآخر وإن اقتضى ذلك استخدام القوة والحرب. إضافة إلى استغلال الدين من قبل قوى متسلّطة تريد بسط هيمنتها ونفوذها باسم الدين.

ودعا إلى شراكة إنسانية بين أتباع الديانات انطلاقًا من القواسم المشتركة وتبادل المعاملة على أساس العدل والإنصاف.

وفي السياق حثّ سماحته الأقليات المسلمة في المهجر على الاندماج في أوطانهم الجديدة، وأن يشقّوا طريق المشاركة في الحياة العامة وأن يكونوا أنموذجًا جاذبًا لدينهم.

تفاؤل بالحوار بين الأديان

وأعرب الشيخ الصفار عن تفاؤله بالحوار والتفاهم بين قيادات الأديان المختلفة في السنوات الأخيرة في سبيل التعاون في المشتركات الإنسانية والتعارف والحوار العلمي.

وأشاد بتوقيع وثيقة مكة المكرمة لتعزيز الوحدة والتعايش العالمي عام ٢٠١٩ التي أمضاها أكثر من ١٢٠٠ مفتٍ وعالم يمثلون ٢٧ مذهبًا وطائفةً إسلامية.

كما نوّه إلى الدور البارز للبابا فرنسيس رأس الكنيسة الكاثوليكية في تعزيز العلاقة بين الكنيسة ومؤسسات الأديان، ومن ضمنها لقاؤه المرجع السيد السيستاني وشيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد الطيب.

وتناول في السياق اللقاء الشيعي الكاثوليكي الثاني الذي انعقد مؤخرًا في العاصمة الإيطالية روما، بمشاركة علماء شيعة من العراق وإيران ولبنان والخليج.

وقال سماحته إنّ هناك قضايا كثيرة مشتركة للتعاون بين الأديان منها مواجهة التطرف وحماية الأسرة ومحاربة الشذوذ والظلم وتحقيق العدالة.

علماء الدين ليسوا فوق النقد الموضوعي البنّاء[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار علماء الدين إلى التحلّي بسعة الصدر أمام حالات الاعتراض والنقد الموضوعي التي تطال عملهم والتعاطي معها بإيجابية اقتداءً بالنبي الأكرم.

وضمن محاضرته العاشورائية الخامسة مساء الثلاثاء ٤ محرم ١٤٤٤هـ ٢ أغسطس ٢٠٢٢م بمجلس المقابي في مدينة القطيف قال الشيخ الصفار «إنّ النقد حقٌّ مشروع، فالحالة الدينية سواء

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢ أغسطس ٢٠٢٢م.

في خطابها، أو مواقفها، أو سلوك وأداء رموزها، هي حالة بشرية ليست فوق النقد».

وتابع القول «إنّ عدم النقد مضرٌّ؛ لأنه يؤدي إلى استمرار ما يحتمل أنه خطأ».

وشدّد سماحته على ضرورة أن يكون النقد بنّاءً موضوعيًّا بعيدًا عن التجريح والازدراء وإلقاء الاتهامات جزافًا.

ودعا علماء الدين إلى التحلّي بسعة الصدر أمام حالات النقد والاعتراض اقتداءً بالنبي الأكرم الذي درج على استيعاب سلوك الأعراب الذين طالما جابهوه بالاعتراض الخشن.

استغلال الموقع الديني

وقال الشيخ الصفار إنّ المفترض بعلماء الدين أن يكونوا قدوات للناس في التزامهم بقيم الدين وأحكامه، لكنّ عالم الدين يبقى بشرًا معرّضًا لمختلف النوازع الشهوانية وقد يستغلّ موقعه في خدمة مصالحٍ ذاتية.

وتناول جانبًا من مظاهر استغلال الموقع الديني المتمثل في توظيف الدين لخدمة المصالح والأغراض «وقد عانت الأمة من وضاعي الحديث ومفسّري آيات القرآن، بما يخدم سياسات الحكام السّابقين».

إضافة إلى سوء التصرف في المال العام، كالحقوق الشرعية، والتعالي على الناس والتميّز عليهم باسم الدين، علاوة على انعكاس الصراعات في أوساط العلماء سلبًا على المجتمع.

وتابع أنّ القرآن الكريم تحدّث عن انحرافات علماء اليهود والنصارى، ليس لمجرّد التشهير بهم، وإنّما لتقديم الدرس والعبرة للمسلمين حتى يفتحوا أعينهم على علمائهم.

في مقابل ذلك رأى سماحته إنّ الإنصاف يقتضي الإشادة بشخصيات العلماء المصلحين الورعين، وبالمواقف النبيلة التي سجلوها، والعطاء العلمي والاجتماعي الذي قدّموه.

ومضي يقول: إنّ مهمة استكشاف الرأي الديني مع بعد زمن النص وكثافة تطورات الحياة مهمة صعبة يقوم بها العلماء الواعون.

وأشار الشيخ الصفار إلى ضرورة التواصل والتشاور بين علماء الدين وذوي الرأي في المجتمع «فلا يصح أن يشعر عالم الدين بتضخم الذات وأنه في غنًى عن رأي الآخرين».

وأضاف إنّ من الخطأ الاستبداد بالرأي، واحتكار القرار، فيما يرتبط بالشؤون العامة ومصلحة الناس، في القضايا الدينية والاجتماعية.

تجاوز فقه القطيعة والخصام المذهبي[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار علماء الأمة إلى تجاوز فقه القطيعة والخصام المذهبي بين أتباع المذاهب الإسلامية ووضع حدٍّ لحالات التعبئة الطائفية والعيش مقابل ذلك همّ التنمية واستقرار الأمن في أوطاننا.

وقال الشيخ الصفار في محاضرته العاشورائية السادسة مساء الأربعاء ٥ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٣ أغسطس ٢٠٢٢م بمجلس المقابي في مدينة

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣ أغسطس ٢٠٢٢م.

القطيف «إنّ مهمّة الفقهاء تكمن في البحث في المسائل التي تؤدي إلى المفاصلة بين أبناء الأمة وأخذ ظروف وشرائط الزمان والمكان بعين الاعتبار».

وأشاد في السياق بجهود شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت والسيد عبدالحسين شرف الدين في تأليف الأمة والتأكيد على إسلامية جميع أبناء المذاهب الإسلامية، وعدم جواز تكفير أحد منهم.

ورأى سماحته أنّ ما يجب أن نهتم به الآن هو الحفاظ على أصل الهوية الدينية مقابل التوجهات الالحادية والتشكيك في جدوى الدين.

وأعرب عن القلق حيال أنماط السلوك المنحرف الذي تبشّر به الثقافة المادية، كانتشار المخدِّرات والشُّذوذ الجنسي والانحلال الأخلاقي.

ودعا سماحته إلى الانشغال بالتنمية واستقرار الأمن في أوطاننا «فلا شيء يعوّض عن فقدان الأمن، إذا اهتزّ الأمن في بلد تزعزع الدين والمذهب وأصبحت الحياة مهدّدة».

وحثّ على الاندماج في جهود التنمية في بلداننا، وتربية الأبناء على حبّ العلم والتفوق والتميّز الدراسي، وعلى الإخلاص في العمل والاجتهاد في خدمة الوطن.

وأشار الشيخ الصفار إلى أهمية تفعيل مفهوم المواطنة وتحقيق المساواة بين المواطنين في البلاد الإسلامية ذات التعدّد المذهبي.

وأضاف أنّ غياب المساواة هو ما يجعل فرقة تشعر بالاستعلاء، وأخرى تشعر بالغبن والحرمان ويؤسّس لحالات الخصومة والنزاع، ويمكّن الأعداء من النفوذ واللعب على الوتر الطائفي.

وانتقد سماحته حالة الانفصال الاجتماعي المذهبي على مستوى الجمعيات الخيرية أو الأندية الرياضية أو الأنشطة الأدبية والثقافية، أو الشراكات الاقتصادية أو التزاوج والتداخل الأسري.

وأشاد في مقابل ذلك بمبادرات التواصل والانفتاح والمشاركة في البرامج الوطنية والاجتماعية التي تسقط الحواجز بين أبناء الوطن الواحد.

غياب المرأة عن المشاركة في المؤسسات الدينية[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ المرأة ما تزال غائبة عن المشاركة في المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي وبعيدة عن إنتاج المعرفة الدينية فكرًا وفقهًا وإدارة للشؤون الدينية.

الشيخ الصفار وفي محاضرته العاشورائية السابعة مساء الخميس ٦ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٤ أغسطس ٢٠٢٢م بمجلس المقابي في مدينة القطيف أرجع ذلك إلى «تسلل ثقافة التمييز ضدّ

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٢/٨/٤م

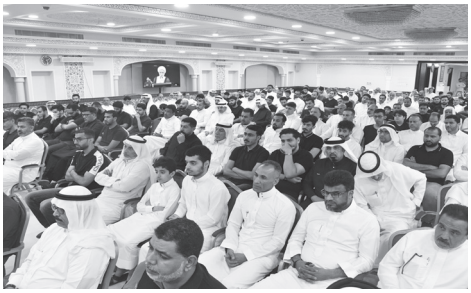

المرأة إلى الأديان وأخذها صبغة دينية».

واستدرك بأنّ الثقافة التمييزية ضدّ المرأة انعكست على بعض الآراء الفقهية التي كانت سائدة في معظم المجتمعات الإسلامية، كمنع تعليم المرأة، وحرمانها من العمل والمشاركة في الشأن العام.

في مقابل ذلك أشاد سماحته بفقهاء الإسلام ومفكريه المعاصرين الذين استجابوا للتحدّي الثقافي والاجتماعي وقدّموا قراءة جديدة لرؤية الإسلام حول مكانة المرأة ودورها في المجتمع، ورفضوا التمييز ضدّ المرأة.

وذكر من هؤلاء المراجع الدينيين الشيخ محمد إسحاق الفيّاض، والسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ يوسف الصانعي، والشيخ محمد مهدي شمس الدين.

وقال سماحته «إنّ المرأة حينما تشارك في إنتاج المعرفة الدينية، فهي قد تمثل إضافة نوعية خاصة إزاء الأحكام والموضوعات المتصلة بدورها وشؤونها تشخيصًا وتنقيحًا».

وأضاف أنه رغم صعوبة الأوضاع إلّا أنّ المرأة سجّلت حضورها في إنتاج المعرفة الدينية طيلة تاريخنا الإسلامي، فهناك محدّثات وفقيهات وعالمات.

وعلى صعيد مجتمعنا المحلي نوّه

سماحته إلى بروز خطيبات وكاتبات وأديبات يكتبن في المعرفة الدينية.

وأضاف بأنّ بناتنا أثبتن تفوقًا في مستويات التعليم المختلفة، وحققن كثيرًا من الجوائز والأوسمة وشهادات التفوق في ميادين الدراسة الأكاديمية وحقول المعرفة والإبداع والأدب.

وتابع بأنهنّ قادرات على الريادة أيضًا في مجال البحوث الدينية وإدارة الشأن الديني، ونأمل أن تبرز أسماء لامعة منهنّ في طلب العلوم الدينية والتأليف وإنتاج البحوث وصناعة الرأي الديني.

علاقة إشكالية

وقال الشيخ الصفار إنّ مسألة العلاقة بين الرجال والنساء، لا تزال محلّ إشكال اجتماعي وأخلاقي في المجتمعات البشرية بين التشدّد المفرط من جهة والابتذال من جهة أخرى.

وأضاف بأنّ المتشدّد يعتبر مخالطة المرأة مثار خطر الوقوع في الانحراف والفساد، وأنّ الحلّ إقامة جدار فاصل بين النساء والرجال، بالرغم من عدم وجود عنوان شرعي يحرّم الاختلاط في الكتاب والسنة بل العكس كما في مناسك الحج.

وتابع بأنّ هذه الحالة من التشدّد تودّ أن تسجن المرأة في البيت، وألا ترى الرجل ولا الرجل يراها، ولا يسمع أجنبي صوتها.

وأشار في المقابل إلى وجود تطرف معاكس يتمثّل في جعل المرأة عرضة للابتذال والميوعة، والاختلاط غير المحتشم، والمتاجرة بأنوثتها ومفاتنها.

رفض الوصاية حيال الآراء الاجتهادية فقهًا وعقيدة[1]

رفض سماحة الشيخ حسن الصفار ممارسة بعض الجهات الدينية الوصاية على أفكار الآخرين على خلفية الاختلاف في الرأي معتبرًا ذلك من أسوأ الأمراض التي تضرب المجتمعات المتديّنة.

وقال الشيخ الصفار في محاضرته العاشورائية الثامنة مساء الجمعة ٧ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٥ أغسطس ٢٠٢٢م بمجلس المقابي في مدينة القطيف «إنّ التعبير عن الرأي الاجتهادي عقديًّا

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٢/٨/٥م.

وفقهيًّا ـ ضمن الضوابط المقرّرة ـ حقٌّ مكفول للجميع ولا يصح احتكاره من أيّ جهة».

واعتبر سماحته إنكار حقّ الطرف الآخر في الاجتهاد وإبداء الرأي والتعبئة ضدّه والتشكيك في دينه والحكم بفساد نيّته هو مزلق خطير يؤدي إلى تمزيق الساحة الدينية.

وأمام حشدٍ من المستمعين وصف هذا المسلك بالإرهاب الفكري، وإغلاق فِعليٌّ لباب الاجتهاد، وحرمان للساحة العلمية من الثراء المعرفي.

وأوضح سماحته بأنه لا تكاد توجد مسألة دينية إلّا وتتعدّد الآراء حولها، حتى إنّ دائرة المسائل المتيقنة والقطعية تقدر بـ ٥٪ فقط، وفقًا للشهيد محمد باقر الصدر والمرجع إسحاق الفيّاض.

وأرجع حالات النزاع الديني إلى ضيق الأفق عند البعض، والتعصّب للرأي، والتنافس على الكسب الاجتماعي.

وأضاف بأنّ هذه الجهات غالبًا ما تستغلّ العاطفة الدينية عند الجمهور، لقذفهم في أتون المواجهة ضدّ هذه الفكرة ومحاربة تلك الشخصية على أساس الدفاع عن العقيدة والمذهب.

التعبير عن الرأي ليس جريمة

وأضاف إنّ ساحتنا الدينية بحاجة إلى الاعتراف بحقّ الاختلاف،

وتعزيز حرية الرأي، ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر.

ودعا سماحته للانفتاح على الرأي الآخر والحوار معه ومناقشته بالأدلة العلمية، تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

وأشار إلى مخالفة بعض الجهات الدينية للآراء العلمية في مجال الطبيعة وعلوم الحياة.

وتابع: ينطلقون في ذلك من تفسيراتهم لنصوص دينية قد لا تكون ثابتة، أو تفهم بطريقة غير سليمة.

وأكد أنّ «وظيفة الدين هداية الإنسان إلى ربه وتوجيهه إلى الكمال الروحي والأخلاقي، أما معرفة الطبيعة وإدراك سنن الحياة فذلك موكول إلى عقل الإنسان».

وذكّر بممارسات الكنيسة المسيحية القمعية ضدّ علماء الطبيعة في العصور الوسطى. وأبان أنّ «القرآن لم يطرح نظريات في علوم الطبيعة والحياة بل أشار إلى ظواهرها كدلائل وعلامات على وجود الله وحكمته وعظمته، وبلغة قابلة للفهم وفق اختلاف مستويات المعرفة في العصور».

وقال الشيخ الصفار: إنّ الإرهاب الفكري ومحاصرة الرأي الآخر، يعوّق تطور الفكر الديني، ويحرم ساحة المعرفة من آراء قيمة.

وذكر أمثلة ونماذج من علماء كبار استُهدِفتْ شخصياتهم، وتعرّضوا للأذى بتهييج الجمهور ضدهم.

وعدّ من علماء السنة الإمام الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهورين، الذي حوصر في منزله ولم يسمحوا حتى بإخراج جنازته من منزله بعد وفاته.

وتابع: ومن علماء الشيعة الشيخ ابن الجنيد وهو من أبرز الفقهاء في القرن الرابع الهجري، الذي فقد كلّ تراثه العلمي الكبير بسبب اتهامه بالقول بالقياس.

تجديد ثقافة الزواج وتجاوز الأعراف القديمة[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ التطورات الهائلة في الواقع الاجتماعي تستدعي التجديد في ثقافة الحياة الزوجية تجنّبًا للنزاعات الزوجية وتزايد حالات الطلاق والتفكك الأسري.

وقال الشيخ الصفار في محاضرته العاشورائية التاسعة مساء السبت ٨ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٦ أغسطس ٢٠٢٢م «لا تزال تحكم البعض الثقافة القديمة في مجال الحياة الزوجية وهي خليط من

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٦/٨/٢٠٢٢م.

أعراف وتقاليد وفهم محافظ محدود للأحكام الشرعية».

وأمام حشدٍ من المستمعين بمجلس المقابي في مدينة القطيف قال سماحته إنّ تطورات كثيرة حصلت في الواقع الاجتماعي تقتضي تجديد ثقافة الحياة الزوجية، فالمرأة شقت طريقها في التعليم وكسب المعرفة.

وتابع بأنّ تطورات العصر فتحت أنظار الشباب والشابات على أنماط جديدة من الحياة والسلوك، فما عادا يقتنعان بأسلوب الحياة التقليدية لعوائلهم.

ورأى أنّ من أهم عوامل نجاح الحياة الزوجية واستدامتها، إتاحة الفرصة للشاب والشابة لاختيار الشريك المناسب والتعارف بين الخطيبين، فلا يكون الاختيار نتيجة إعجاب سريع أو رغبة عاطفية مرتجلة.

وأضاف القول بضرورة تجديد ثقافتنا في هذا المجال بحيث يمكن للخطيبين أن يتعرّفا على بعضهما أكثر قبل عقد الزواج، وإلّا فلا مناص من تقبّل حالات الانفصال بعد العقد فهي أفضل من إكمال الزواج دون رغبة حقيقية.

وشدّد الشيخ الصفار على أهمية ترك قرار اختيار شريك الحياة للشاب والفتاة نفسيهما، فلا يجوز شرعًا اتخاذ هذا القرار نيابة عنهما حتى للوالدين فضلًا عن غيرهما.

وأسِفَ سماحته لتعطّل زواج الفتاة بمن تحب لرفض ولي أمرها، مشيرًا إلى رأي فقهي باستقلال البنت الرشيدة بالولاية على نفسها، وداعيًا من يلتزمون بولاية الأب إلى المرونة وتفهّم رغبات بناتهم.

تنازلات متبادلة

وقال الشيخ الصفار إنّ عماد الشراكة الأسرية هو التنازل المتبادل بين الزوجين، فالعلاقة الزوجية هي شراكة مصيرية وليست علاقة تسلّطية من أحد الطرفين على الآخر.

وحذَّر من تأثير النزعة الأنانية التي تضرّ بالانسجام العائلي وتعزّز التصلب بين الزوجين عبر مصطلحات من قبيل «خصوصيتي/ حقي/ حريتي/ أنا مقتنع برأيي/ قناعتي الشخصية».

ورأى أنّ حالات من هذا القبيل تشكل لبّ الخلافات الزوجية في أحيان كثيرة.

وأشار في السياق إلى تزايد حالات الطلاق التي بلغت وفقًا لتقارير رسمية محلّية ٧ حالات طلاق كلّ ساعة، أي بمعدّل ٣ حالات طلاق مقابل كلّ ١٠ حالات زواج.

ودعا سماحته إلى مزيد من برامج التأهيل الأسري قبل الزواج وإلى مؤسسات تعزّز تماسك الأسرة وتساعد في معالجة المشاكل الطارئة، كمراكز الإرشاد الأسري وجمعيات التنمية الأسرية وإلى قوانين وأنظمة لحماية أكثر للأسرة.

«التديّن الزائف» خطر يواجه المجتمعات المتديّنة[1]

رأى سماحة الشيخ حسن الصفار أنّ أخطر ما يواجه المجتمعات المتديّنة هو «التديّن الزائف» الذي يدفع بعض العلماء والزهّاد لاختلاق الأحاديث بغرض اجتذاب الناس نحو الشعائر والممارسات الدينية بزعمهم.

وقال الشيخ الصفار في محاضرته العاشورائية العاشرة مساء الأحد ٩ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٧ أغسطس ٢٠٢٢م إنّ الأحاديث المختلقة والمدسوسة هي مصدر التشويه للفكر الديني

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨/ ٨/ ٢٠٢٢م.

والثقافة الإسلامية، وهي وقود الفتن والخلافات بين المسلمين ومنبع التوجهات الإرهابية والمتطرفة.

وأمام حشدٍ من المستمعين الذين اكتظت بهم قاعات مجلس المقابي في مدينة القطيف قال سماحته: «حينما جاء الإسلام فإنّ المهمة الأولى التي اتجه إليها لم تكن تشريع العبادات والشعائر، وإنما إعلاء صياغة عقلية الإنسان، وتحريره من الخرافات والأوهام، فبداية الوحي ﴿اقرأ﴾.

وأضاف موضحًا: إنّ الصلاة شرّعت في السنة التاسعة بعد النبوة، والصوم في الثانية للهجرة، بينما شرّع الحج في السنة التاسعة للهجرة.

وتحدّث سماحته عن تأكيد الإسلام على تحرير إدارة الإنسان، فقد خلقه الله مريدًا حرًّا، وهو يجب أن يكون صاحب القرار في اختياراته ومواقفه، ولا يقبل منه أن يكون إمّعة تابعًا لأسلافه أو زعماء قبيلته، أو التيار السَّائد في مجتمعه.

ووصف «التديّن الزائف» بأنه أخطر ما يواجه المجتمعات المتديّنة نتيجة تورّط بعض العلماء والزهّاد في اختلاق الأحاديث بغرض اجتذاب الناس نحو الشعائر والممارسات الدينية بزعمهم.

وذكر في السياق بأنّ هذا ما فعله الأمويون ضمن سعيهم لإحياء الثقافة الجاهلية والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى الوراء.

وتابع بأنهم شجعوا على قيام حركة

واسعة لاصطناع الأحاديث والروايات ونسبتها لرسول الله ﷺ تحقيقًا لأغراض سياسية ومصلحية إلى جانب تفسير الآيات القرآنية على غير وجهها.

وأشاد الشيخ الصفار بالجهود العلمية الكبيرة التي بذلها العلماء المصلحون من السنة والشيعة لفرز الروايات الموضوعة والضعيفة وتمحيص رواة الأحاديث.

واستدرك بأنّ مهمّة تنقيح التراث الديني تواجه ممانعة كبيرة من بعض الأوساط التي ترفض أيّ مقاربة نقدية لهذا التراث.

مكافحة المفاسد الاجتماعية

وفي سياق مختلف دعا سماحة الشيخ الصفار إلى التصدّي للمفاسد الاجتماعية خاصًّا بالذكر آفة انتشار المخدِّرات التي تواجه مجتمعاتنا في هذا العصر وتفتك ببعض أبناء وبنات المجتمع.

وحذّر سماحته بأنّ الحديث عن خطر المخدِّرات على أبنائنا لم يعد حديثًا عن خطر قادم، بل بات خطرا محدقًا وقائمًا رغم الجهود الكبيرة التي تبذلها أجهزة الدولة في مكافحته.

وحثّ على التعامل الواقعي مع المشكلة بالاعتراف بوجودها، وإطلاق مبادرات أهلية لمواجهتها وتشكيل لجان مختصّة، تحت مظلّة الجمعيات الرسمية، ومراكز التنمية، أو قيام جمعيات أهلية جديدة مرخصة.

وتناول سماحته نماذج من تجارب العمل الأهلي في التصدّي لهذا الآفة، ومنها جهود الشباب التائبين من الإدمان الذين يعملون مرشدين لمساعدة المدمنين على التخلّص من المخدِّرات حتى يعيشوا أسوياء مثل غيرهم.

عاشوراء مدرسة للقيم الأخلاقية والسمو الروحي[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار لقراءة عاشوراء من خلال بعد السمو الروحي والقيم الأخلاقية للتذكير بأهمية هذا البعد في حياتنا، ولأخذ الدروس من عاشوراء لإحيائه في نفوسنا.

وقال الشيخ الصفار في محاضرته العاشورائية مساء الإثنين ١٠ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٨ أغسطس ٢٠٢٢م تُقرأ نهضة الإمام الحسين كملحمة إنسانية وجدانية تحمّل وأصحابه وعائلته

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨/ ٨/ ٢٠٢٢م.

فيها أفظع المآسي والالام، التي لاتزال رغم مرور القرون عليها، تفجر العواطف وتلهب المشاعر.

وأوضح أنّ الإمام الحسين ثبت على موقفه البطولي رغم محدودية إمكاناته وقلّة أنصاره، وقدّم أروع درس في التضحية والفداء، منه استلهم الثائرون روح الثبات والإقدام عبر العصور.

وبيّن أنّ حركة الامام الحسين تقرأ من خلال بُعدِها السياسي، كثورة ضدّ الاستبداد والظلم والفساد، رفع فيها الإمام الحسين شعار الإصلاح.

وأشار إلى أنّ الإمام الحسين دعا في حركته إلى الحرية ورفض فيها المذلة والخنوع.

البعد الروحي

وفي موضوع متصل قال سماحته: إنّ أهم نقص وقصور في شخصية الإنسان هو غفلته عن البعد الروحي في حياته، فهو من أهم ما يميّزه عن سائر المخلوقات الحيّة.

وتابع: الإنسان يشارك سائر المخلوقات في أنه يجيء إلى هذه الحياة ويعيش فيها مدّة من الزمن ثم يرحل عنها، وخلال مدّة حياته يتمتع بتلبية احتياجاته البيولوجية؛ يأكل ويشرب ويتزاوج وينام، فماذا يميّزه عن سائر الحيوانات؟

وأضاف: إنّ ما يميّز الإنسان هو الإدراك العقلي الذي يفتح له أفق البعد الروحي، حيث يبحث عن هدف وجوده ومعنى حياته، وعن مبدئه ومصيره، وعلاقته بالقوة التي أوجدته وأنشأته.

وأبان أنّ انغماس الإنسان في الجانب البيولوجي غافلًا عن البعد الروحي، يجعله أقرب إلى الحيوانية، وكلّما تسامى في الجانب الروحي، مارس حياته البيولوجية بمستوًى إنساني.

وتحدّث عن البعد القيمي الأخلاقي في ثورة الإمام الحسين، مستشهدًا ببعض المواقف كشفافية الحسين في التعامل مع أصحابه، ورفضه مشاركة من للآخرين حقوق مالية في ذمته.

ودعا الشيخ الصفار إلى احترام حقوق الآخرين قريبين أو بعيدين، مشيرًا إلى حالات النزاع بين الورثة في بعض العوائل، وإلى نزعة التعامل الانتقامي بين الأزواج في حال الانفصال، مما بسبب بقاء المرأة معلّقة رغم طلاقها رسميًّا.

وأضاف: إنّ الحسين لا يبحث عمّن يبكي عليه، بل يريد من يسير على نهجه في توثيق الصلة بالله ومراعاة حقوق عباده.

وبمناسبة اختتام موسم عاشوراء قدّم الشيخ الصفار في محاضرته الأخيرة شكره لمستمعيه من الإخوان والأخوات، ولكلّ من ساهم في إدارة البرنامج.

الشيخ الصفار مؤبنًا عبدالمقصود خوجة:

وظّف إمكاناته في خدمة الثقافة وكان يبحث عن ذوي الكفاءة ويبادر للتواصل معهم[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ الراحل الشيخ عبدالمقصود خوجة لم يكن ينتظر الفرص العفوية للتعرف على الآخرين من ذوي الرأي والكفاءة، ولا كان ينتظر أن يقصده الآخرون لمكانته ووجاهته.

وتابع: بل كان يبحث عن ذوي الكفاءة والرأي، ويبادر للتواصل معهم والتعرف عليهم، ومن ثم يبدأ

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٢/٨/٣١م.

مشوار العلاقة التي يحرص على استمرارها وتفعيلها.

جاء ذلك خلال كلمة سماحته ضمن حفل التأبين الذي أقامه منتدى الثلاثاء الثقافي مساء يوم الثلاثاء ٣ صفر ١٤٤٤هـ الموافق ٣٠ أغسطس ٢٠٢٢م وحضره حشدٌ من المثقفين والأدباء.

وأوضح سماحته أنّ التواصل بين أبناء المجتمع قيمة إنسانية ودينية ووطنية، خاصة في أوساط النخب الاجتماعية، فهم ذوو الرأي والتأثير.

وتابع: حينما يتواصلون فيما بينهم تتاح لهم فرص التشاور وتداول الرأي وإنضاجه، ويشيعون أجواء التواصل والتقارب على المستوى الاجتماعي العام.

وأشار إلى أنّ أهمية قيمة التواصل تتأكد حينما تظهر في المجتمع تيارات إقصائية تعصبّية تنشر ثقافة الكراهية وتصنّف الناس بحسب توجهاتهم الفكرية والمذهبية وتحرّض بعضهم على بعض.

وتابع: هنا يأتي دور المثقفين الواعين في التبشير بثقافة التسامح والانفتاح، ومواجهة أفكار التعصب والانغلاق، وإطلاق مبادرات عملية للتلاقي والتواصل بين رموز التوجهات المختلفة والمكونات المتنوعة للنسيج الاجتماعي.

وأضاف: من الطبيعي أن تنتصب العوائق والعراقيل أمام مبادرات التواصل من قبل الجهات التي ترفض التسامح وتعادي الانفتاح.

ومضى يقول: قد حقّق الفقيد الراحل الشيخ عبدالمقصود خوجة اختراقًا كبيرًا ونجاحًا مهمًّا على هذا الصعيد.

وعن دور الراحل في الشأن الثقافي وتكريم الكفاءات قال سماحته: كان رحمه الله المبادر والمتصدّي الأبرز على المستوى الأهلي الاجتماعي للقيام بهذا الدور، فقد أسّس منتدى (الاثنينية) قبل أكثر من أربعين عامًا، ليكرّم في أمسياته شخصية علمية أو أدبية كلّ أسبوع، حتى بلغ عدد الشخصيات التي قام منتدى الاثنينية بتكريمها أكثر من ٥٠٠ شخصية، معظمها من أبناء الوطن.

وتابع: وتتوزع هذه الشخصيات على خريطة الوطن وتنوعات ألوانه، من شماله إلى جنوبه ومن غربه إلى شرقه.

وأضاف: حينما تقرأ قائمة تلك الشخصيات التي كرّمها تجد فيها السني والشيعي والسلفي والصوفي والليبرالي، وتجد المسؤول الحكومي، وعالم الدين، والمفكر والأديب، والطبيب والفيزيائي والفنان والإعلامي وسواهم.

وأبان أنّ الراحل وظّف مكانته وإمكاناته لخدمة الثقافة، بل كان في طليعة المهتمين بهذا الشأن حيث تصدّى لطباعة عدد كبير من الأعمال الفكرية والأدبية لكبار المفكرين والأدباء في الوطن.

هذا وقد شارك في الحفل الذي أداره الإعلامي محمد الحمادي بالإضافة للشيخ الصفار، كلٌّ من: الأديب الشاعر السيد عدنان العوامي،

والكاتب الشاعر محمد الجلواح، ورئيس نادي المنطقة الشرقية الأدبي محمد بودي، وصاحب ثلوثية المشوح الدكتور محمد المشوح. كما تم عرض فيلم قصير حول الدور الثقافي الذي مارسه المرحوم طوال حياته في دعم الثقافة والمثقفين، وألقى المشرف على المنتدى المهندس جعفر الشايب كلمة بهذه المناسبة.

هذا وكان سماحة الشيخ الصفار قد أصدر نعيًا بمناسبة رحيل الشيخ خوجة بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٤٤هـ، كما شارك في مجلس العزاء بمنزل الفقيد الراحل في جدة، وقدّم العزاء لأسرته مساء يوم الجمعة ٢٨ محرم ١٤٤٤هـ.

شخصيات ثقافية تؤبِّن عبدالمقصود خوجة في «منتدى الثلاثاء»[1]

علي فايع (أبها)

في لقاء تأبيني حاشد نظّمه منتدى الثلاثاء الثقافي مساء أمس الثلاثاء، استعرض عدد من الشخصيات الدينية والأدبية مسيرة العمل الثقافي للمرحوم الشيخ عبد المقصود خوجة، متناولين أبعاد عطاءاته المتعدّدة على الصعيد الثقافي والاجتماعي. وأدار الحفل الإعلامي محمد الحمادي الذي استرجع لقاءاته السابقة مع المرحوم والقصائد التي ألقاها في اثنينيته.

(١) جريدة عكاظ ٢ / ٩ / ٢٠٢٢م.

وألقى المشرف على المنتدى الأستاذ جعفر الشايب كلمة المنتدى ذاكرًا فيها اهتمام الفقيد بتشبيك روابط العمل الثقافي وجمع القائمين على المنتديات والصالونات الثقافية مع نظرائهم من مسؤولي الأندية الأدبية، وممارسة دور أبوي تجاه الحالة الثقافية في المملكة من أجل دعم كلّ مجالات التعاون والتنسيق بين مختلف الأطراف ورسم خطط عمل وبرامج مشتركة تعزّز من الدور الثقافي لهذه المؤسسات. ثم عرض فيلم قصير أعدّه المنتدى عن سيرة حياته ودوره الثقافي وزيارته مع شخصيات ثقافية حجازية لمحافظة القطيف.

وتناول الشيخ حسن الصفار في كلمته شخصية عبد المقصود خوجة كأنموذج في التواصل بين مختلف ألوان الطيف الوطني واهتمامه بتعزيز العلاقات مع الجميع، من ذلك سلسلة لقاءات جمعتهما في الحوار الوطني وتكريم الاثنينية له وزيارته لمحافظة القطيف. كما أشار في كلمته إلى الاهتمام بجانب التكريم لكلّ منجز ومبدع وعالم دون أيّ تحيّز، وتحدّث حول دوره كرجل أعمال في دعم الثقافة والفكر وتميّزه

في الاستمرارية. وذكر الشاعر عدنان العوامي في كلمته لقاءاته بالمرحوم خوجة وتكريمه له في الاثنينية التي كرّمت نحو ٤٦٠ عالمًا ومفكرًا وباحثًا وأديبًا من مختلف أنحاء العالم، والتي وجد فيها نخبةً متنوعة من مختلف بلدان العالم.

واستذكر الأستاذ محمد بودي رئيس نادي المنطقة الشرقية الأدبي لقاءاته مع الشيخ خوجة واصفًا إيّاه بقامةٍ نبيلة تفقده المنابر وقبلها المحابر والثقافة والأدب في المملكة، كما تحدّث عن اللقاءات المتكرّرة التي عقدها لدعم العمل الثقافي وخاصة المنتديات الثقافية، وكذلك عمله في مجمل الإصدارات التي تمت طباعتها بأعلى جودة وإهدائها لمن يقوم بزيارته وتشريفه. ووصف الأديب محمد الجلواح الشيخ عبد المقصود خوجة بالأديب الدبلوماسي ورجل الأعمال والإنسان الذي رحل ولم يرحل، حيث يقف المرءُ عاجزًا عن أيّ جانبٍ من الجوانب يكتبُ في هذا الفقيد الغالي، وختم حديثه بقصيدةٍ نظمها في المرحوم وقرأها أمامه في إحدى الأمسيات التي جمعتهم.

وتضمنت كلمة صاحب ثلوثية المشوح الدكتور محمد المشوح حديثًا عن مسيرة الإثنينة واحتفائها بالمثقف عمومًا وتكريمه، حيث إنّها عُدّت أحد المعالم السعودية البارزة في المشهد الثقافي السعودي، موضحًا أنها كانت تقوم على بعدين هما الاحتفاء والتكريم للشخصيات، ونشر الإبداعات الفكرية والأدبية. وختم الحفل بكلمة لابن الفقيد الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجة شكر فيها القائمين على الحفل، موضحًا أنّ الفقيد رفض عدّة عروض لتكريمه معتبرًا بأنّ ما يقوم به هو خدمة للوطن.

زار مركز رفاه للإرشاد الأسري بالدمام

الشيخ الصفار: وجود مراكز اجتماعية متخصّصة ضرورة ملحّة[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ وجود مراكز اجتماعية متخصّصة ضرورة من الضرورات التي يجب أن تتوفر في المجتمع.

وتابع: نطمح أن يكون لدينا في كلّ قرية مركز أسري كما يوجد فيها مركز صحي ومدرسة ومسجد.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحته ضمن زيارته لمركز رفاه للإرشاد الأسري بالدمام مساء

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٢/٩/٧م

يوم الثلاثاء ١٠ صفر ١٤٤٤هـ الموافق ٦ سبتمبر ٢٠٢٢م.

وأوضح سماحته أنّ تطور المجتمع في مختلف المجالات يوجب أن تتطور وسائل التوجيه والإرشاد الأخلاقي والاجتماعي.

وتابع: الاكتفاء بالأسلوب التقليدي كالخطب والمحاضرات ما عاد مجديًا مع التحولات المعاصرة ومع تطور التخصّصات في مختلف الميادين الإنسانية.

وأضاف: ما عاد الطرح العام على المنبر كافيًا لمعالجة المشاكل الاجتماعية والأخلاقية.

وأبان أنّ الإنسان مع تطور حياته ومعارفه لا بُدّ أن تتطور أساليب وأنماط تعامله مع مشاكل الحياة.

ومضى يقول: بالبداهة ندرك أهمية وجود عالم الدين والمسجد والحسينية والمدرسة والمستوصف في كلّ حي وقرية ومدينة.

وتابع: ويجب أن ندرك أيضًا ضرورة وجود مراكز اجتماعية متخصّصة

تعتمد المنهج العلمي الأكاديمي لمختلف التحدّيات التي تواجه إنسان العصر.

وأشار إلى أنّ قيام مثل مركز رفاه للإرشاد الأسري بالدمام يدلّ على أننا بدأنا الاستجابة لهذه الضرورة. مؤكدًا أنّ الأمراض الأخلاقية والاجتماعية تستلزم وجود هذه المراكز.

وعن مأسسة المراكز المتخصّصة قال سماحته: ليس من مصلحة المجتمع أن تكون هناك فوضى في الأنشطة الفكرية والاجتماعية التي ترتبط بحياة الناس.

وتابع: عدم وجود ضوابط قد يسبب تدخل غير المختصين كالمشعوذين والمغرضين، وقد يتصدّى من ليس أهلًا لهذه المهمّة، وإن كان خيّرًا وصالحًا.

كما قدّم سماحته شكره للعاملين في المركز، وذكّرهم بأنّ الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، وأيّ خلل يصيبها يؤثر على كلّ الجسم الاجتماعي.

ودعاهم أن يعوا خطورة هذه المهمّة وأهمية الدور الذي يقومون به.

وحثّهم أن يخلصوا في عملهم ويتقرّبوا إلى الله في الجهد الذي يبذلونه، وأن يطوّروا أنفسهم باستمرار.

وبيّن أنّ المعرفة في هذا العصر تتطور بسرعة، ففي كلّ لحظة هناك اكتشاف أو دراسة جديدة.

وقال: على العاملين في هذا المجال متابعة ما يستجد فيه، وأن يقرؤوا ويتابعوا ويتدارسوا نشاطهم والمشاكل التي ترد إلى المركز.

ودعا للتكامل مع بقية القوى الموجودة في المجتمع كالخطباء والعلماء والكتاب.

وأقترح أن يصدر المركز تقارير خاصة تصل للمهتمين بالشأن الاجتماعي، كالعلماء والخطباء، ليكونوا في جوّ المشاكل المجتمعية والعائلية ويستندوا إليها في معالجة هذه المشاكل.

مركز رفاه

وقد تحدّث مدير المركز الدكتور السيد مهدي الطاهر عن الهدف العام لمركز رفاه للإرشاد الأسري وهو استقبال المشكلات الاجتماعية (الأسرية والفردية) وتقديم الحلول الملائمة لها، وفق منظور علمي يتوافق مع الثوابت والأطر المرجعية للمجتمع السعودي.

وقال: الهدف من كلّ ذلك مساعدة الأسرة والأفراد المنضوين تحتها من خلال العلاقة المهنية بين المرشد والمسترشد.

وتابع: هذه العلاقة تحكمها مبادئ وأخلاقيات مهنية بناءً على جلسات مجدولة حسب احتياجات المسترشد.

ثم قدّم الدكتور الطاهر هدية باسم المركز لسماحة الشيخ الذي قدّم بدوره نسخًا من كتابه (في التنمية الأسرية) للمركز، ثم قام بجولة في أقسام المركز للتعرف عليها.

وكان برفقة سماحته في الزيارة: الشيخ محمد عبدالعال، والشيخ محمد فندم، والشيخ حسين رمضان آل قريش، والأستاذ حسين المسكين، والأستاذ علي عبدالله الراشد، والأستاذ عبدالباري الدخيل، والأستاذ حسن آل شوكان.

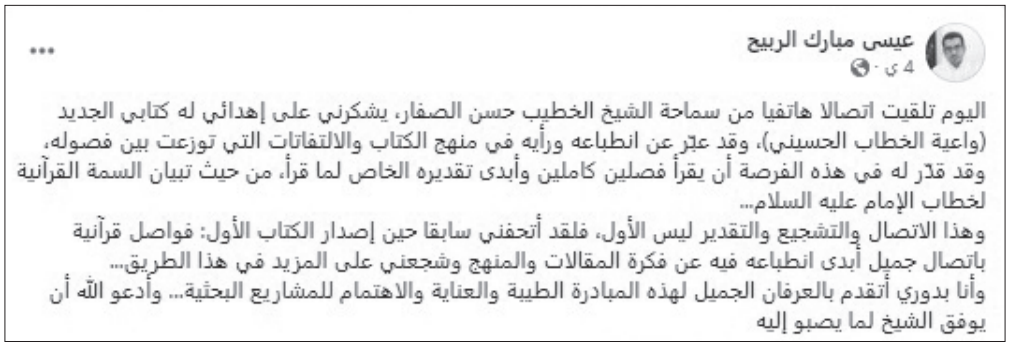

عيسى الربيح: اتصال الشيخ الصفار مبادرة طيّبة واهتمام بالمشاريع البحثية[1]

قال الباحث الأستاذ عيسى مبارك الربيح أنه تلقى اتصالًا هاتفيًّا من سماحة الشيخ الخطيب حسن الصفار، يشكره على إهدائه له كتابه الجديد (واعية الخطاب الحسيني).

وقال في صفحته على الفيس بوك بتاريخ ١٩ سبتمبر ٢٠٢٢م إنّ الشيخ الصفار «عبّر عن انطباعه ورأيه في منهج الكتاب، والالتفاتات التي توزعت بين فصوله، وقد قدّر له في هذه الفرصة أن يقرأ فصلين كاملين، وأبدى تقديره الخاص لما قرأ، من حيث تبيان السمة القرآنية لخطاب الإمام «.

وأضاف: هذا الاتصال والتشجيع والتقدير

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٢/٩/٢٠م.

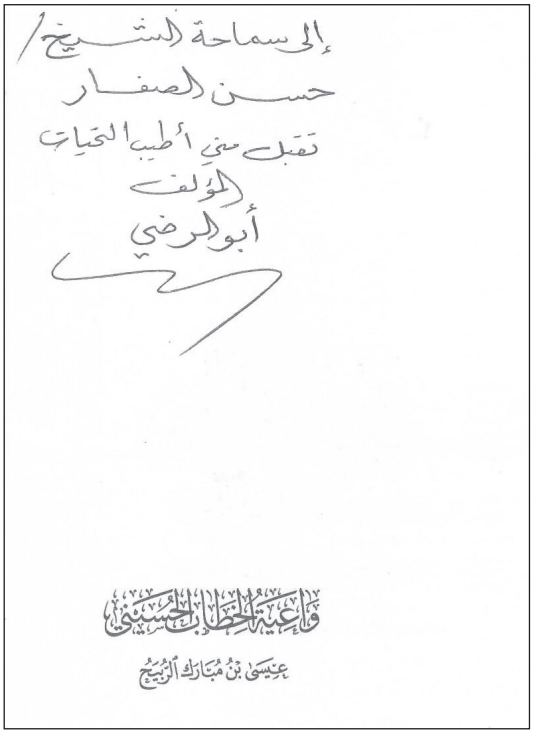

ليس الأول، فلقد أتحفني سابقًا حين إصدار الكتاب الأول: فواصل قرآنية باتصال جميل أبدى انطباعه فيه عن فكرة المقالات والمنهج وشجعني على المزيد في هذا الطريق.

ومضى يقول: أنا بدوري أتقدّم بالعرفان الجميل لهذه المبادرة الطيبة والعناية والاهتمام للمشاريع البحثية... وأدعو الله أن يوفق الشيخ لما يصبو إليه.

هذا وقد علّق (حبيب الصالح) على المنشور قائلًا: جميل جدًّا هذا التقدير والتشجيع من سماحة الشيخ حسن يحفظه الله.

كما علّق المشارك: (Adnan Ahmed) بقوله: سماحة الشيخ الصفار حفظه الله ليس له نظير من بين المشايخ في ممارسة هذه العادة الأخلاقية العالية والرائعة والجميلة التي تدخل السرور على المؤمنين.

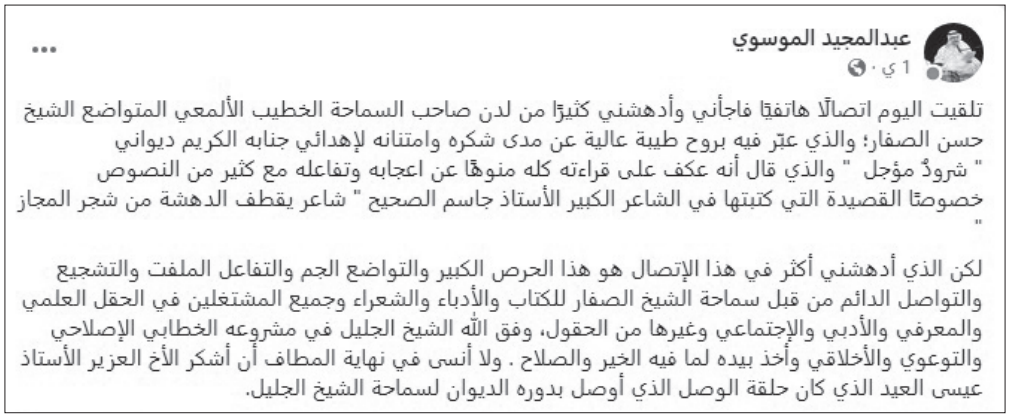

الموسوي: الشيخ الصفار دائم التشجيع للمشتغلين في الحقل العلمي والمعرفي[1]

قال الشاعر السيد عبدالمجيد الموسوي إنه تلقّى اتصالًا هاتفيًّا فاجأه وأدهشه كثيرًا من لدن صاحب السماحة الخطيب الألمعي المتواضع الشيخ حسن الصفار.

وأبان في صفحته على الفيس بوك بتاريخ ٢١ سبتمبر ٢٠٢٢م أنّ الشيخ الصفار عبّر في الاتصال «بروح طيّبة عالية عن مدى شكره وامتنانه لإهدائي جنابه الكريم ديواني (شرودٌ مؤجل).

ونقل عن الشيخ الصفار أنه «عكف على قراءته كلّه منوّهًا عن إعجابه وتفاعله مع كثير من

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٢/٩/٢٠٢٢م.

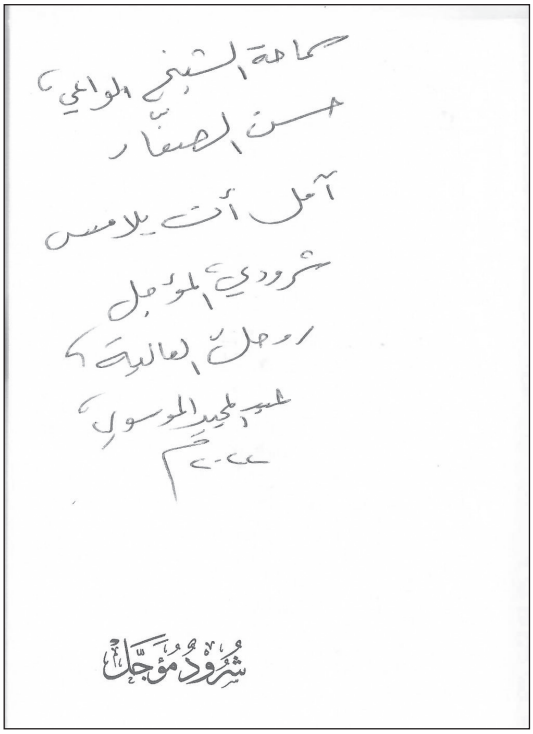

النصوص، خصوصًا القصيدة التي كتبتها في الشاعر الكبير الأستاذ جاسم الصحيح (شاعر يقطف الدهشة من شجر المجاز)».

وأبان أنّ الذي أدهشه أكثر في هذا الاتصال هو «هذا الحرص الكبير والتواضع الجمّ والتفاعل الملفت والتشجيع والتواصل الدائم من قبل سماحة الشيخ الصفار للكتّاب والأدباء والشعراء وجميع المشتغلين في الحقل العلمي والمعرفي والأدبي والاجتماعي وغيرها من الحقول.

وأضاف داعيًا للشيخ الصفار: «وفّق الله الشيخ الجليل في مشروعه الخطابي الإصلاحي والتوعوي والأخلاقي وأخذ بيده لما فيه الخير والصلاح».

وعلق (أ.د. وسام حسين العبيدي) على المنشور قائلًا: الشيخ الصفار مثال للاعتدال في الخطاب الإسلامي الشيعي. حفظه الله ووفّقه لكلّ خير.. ولكم جناب الشاعر المفضال تستحقّ هذه الإشادة والتقييم.

وأضاف: (علي النصار): هذا الشيخ مشروع إنسان معتدل يحب الخير للجميع وليس له نَفَس طائفي.

وتابع: (Fareed Al Nemer): جميل كلّ ذلك لأنك تستحقّ التقدير، ومثله حفظه الله من يقدّر العمل الإبداعي ويوليه الاهتمام الذي

يليق، ولا غرابة من سماحته هذا الفعل، فهذا ديدنه في التشجيع.

وقال (محمد المطاوعة): أنت جديرٌ بهذا الإطراء والمديح لأنك أهله، وليس بمستغرب على الشيخ حسن الصفار أمثال هذه الالتفاتات والتشجيع... فبورك فيكما ووفقتم لكلّ خير...

من جهته علق (Sayed Ahmed Al Alawi) قائلًا: موفّق سيّدنا الحبيب الغالي، هذا الشرود يختبئ وراء أشجار الشعر وثمر الكنايات، والشيخ حسن من أصحاب الحسّ المرهف والنباهة.

وتابع: (Al Karim Al Radhi): حفظ الله الشيخ العزيز.. أهديته الكتاب وأهداك الحب، والهدايا على مقدار مهديها.

وعلّق (علي الشويلي): القارئ الواعي كنز.. والشيخ من كنوز الدراية.

الشيخ الصفار: الإعاقة ليست حاجزًا عن تحقيق النجاح والتميّز[1]

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار أنّ الإعاقة ليست حاجزًا في وجه تحقق النجاح والتميّز، مستشهدًا بـ (ستيفن هوكينغ) الفيزيائي الأكثر تأثيرًا في القرن العشرين وكان مشلولًا بشكل شبه كامل.

وتابع: إنّ النجاح حليف كلّ مجتهد مخلص، والتاريخ القديم والمعاصر يحدّثنا عن شخصيات علمية كبيرة، كانت تفقد شيئًا من قدراتها الجسمية، لكنّها حققت نجاحات وتميزًا تفوقت فيه على معاصريها.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

جاء ذلك خلال اللقاء الذي جمع سماحته بعددٍ من الصم والبكم في إحدى المزارع يوم الجمعة ١٨ ربيع الأول ١٤٤٤هـ الموافق ١٤ أكتوبر ٢٠٢٢م بمصاحبة مترجم الإشارة سماحة السيد نجيب العلي.

وبمناسبة ذكرى ميلاد النبي محمد، قال سماحة الشيخ: إنّ النبي عاش أقسى المحن التي يمكن أن تمرّ بإنسان، فقد توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه، ثم توفيت أمه وعاش يتيمًا كفله جدّه، ثم عمّه أبو طالب.

وتابع: وقد عاش حالة اقتصادية صعبة، وتحمّل الآلام والمعاناة، فكان النبي المنقذ للبشرية.

وأضاف: المشاكل التي يعاني منها الإنسان في حياته قد تكون سببًا للقرب من الله تعالى، ودافعًا لتفجير طاقاته وكفاءاته.

وفي موضوع متصل قال سماحته: كما أننا مطالبون بالتميّز في العلم والعمل، كذلك نحن مطالبون بالتميّز في العلاقات الاجتماعية والالتزام الديني.

وحثّ الأخوة من شريحة الصم والبكم على حضور صلاة الجمعة بشكل دائم، مبينًا أنها «تمتاز باشتمالها على جانب التوعية والإرشاد، حيث تجب فيها خطبتان يلقيهما الإمام قبل الصلاة، ويجب الإصغاء لهما من قبل المأمومين». مشيدًا بدور سماحة السيد نجيب العلي في الترجمة المباشرة بلغة الإشارة لخطبتي الجمعة.

ودعا الأخوة الحاضرين لتشجع الآخرين من شريحتهم وتذكيرهم بأهمية حضور صلاة الجمعة، بحيث يكون الحضور للصلاة برنامجًا ثابتًا لا يفرّط فيه. فذلك ما يسهم في دمج هذه الشريحة في المجتمع وتفاعلهم مع الأجواء الدينية والثقافية.

زار الملا أحمد خميس

الشيخ الصفار يشيد بدور الخطباء المخلصين[1]

زار سماحة الشيخ حسن الصفار، مساء الخميس ليلة الجمعة ١٧ ربيع الأول ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ أكتوبر ٢٠٢٢م، الخطيب البارز الشيخ الملا أحمد بن الحاج منصور الخميس (ولد ١٣٥٢هـ)، في منزله بمدينة سيهات، ليطمئنّ على صحته، ويقدّم له التهاني بمناسبة المولد النبوي الشريف.

وقد استقبل الخطيب سماحة الشيخ الصفار ومرافقيه، بحفاوة بالغة شاكرًا لهم هذه الزيارة، مبديًا

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

سروره وسعادته بلقائهم.

وقد أشاد الشيخ الصفار بالدور الإرشادي والتربوي الكبير الذي قام به الشيخ الملا أحمد الخميس في المجتمع من خلال أدائه في الخطابة الحسينية لعدة عقود من الزمن، كان فيها من الخطباء المميّزين البارزين في المنطقة، ومن خلال إقامته لصلاة الجماعة، وإرشاد المؤمنين في مسجد أمير المؤمنين بسيهات.

وخاطب سماحته الشيخ الخميس: إنّ المجتمع لن ينسى دورك وفضلك في تكريس الولاء للدين ولأهل البيت، وفي توجيهك أبناء مجتمعك نحو التمسّك بالدين والتزام خطّ الفضيلة والصلاح، وتمنّى له بالصحة والعافية وطول العمر.

واستذكر الشيخ الخميس لزائريه بعض الذكريات الطيّبة في مسيرته الخطابية التي لم يتوقف عنها إلّا بسبب تقدّم سنّه وضعف صحته، كما

أطلع الشيخ الصفار على ديوان شعره، ومجموع محاضراته المكتوبة، المعدّة للطبع والنشر.

هذا وقد رافق الشيخ الصفار في هذه الزيارة: الشيخ حسين آل قريش، والشيخ عبدالله المسلم، وحسين المسكين، وعلي عبدالله الراشد.

الشيخ الصفار: من يصغي لصوت ضميره لا يتورّط في ظلم أحد[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ على الإنسان أن يصغي دائمًا لصوت ضميره، ونداء وجدانه، وخاصة في مجال علاقاته مع الآخرين، قريبين أو بعيدين.

وتابع: الإنسان الذي يصغي لضميره لا يتورّط في ممارسة الظلم والجور على أحد، ولا تلتبس عليه الأمور، ولا يقع في فخ التبرير للخطأ والانحراف.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحته مساء

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

الخميس ليلة الجمعة ١٧ ربيع الأول ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ أكتوبر ٢٠٢٢م في حفل مسجد المحسن بسيهات بمناسبة ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ بعنوان: إحياء الضمير والوجدان.

وبمناسبة ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ قال سماحته: إنّ المهمة الأكبر التي قام بها رسول الله ﷺ هي تزكية النفوس وإزالة الشوائب وإيقاظ الضمير.

وتابع: لقد أرجع رسول الله ﷺ الصحابي (وابصة) إلى ضميره، بقوله له: «البِرُّ ما سَكَنَتْ إليهِ النَّفْسُ، والإِثْمُ ما لمْ تَسْكُنْ إليهِ النَّفْسُ، وإنْ أَفْتَاكَ المُفْتُون» مؤسّسًا له قاعدة أنّ الضمير يدلّ على المائز بين الخير والشر.

وحذّر سماحته أن يستقويَ أحدٌ بالقانون ليسلب من آخر حقّه، أو يستقويَ زوج بالفتوى ليظلم زوجته.

ومضى يقول: إنّ بعض الناس قد يغالط ضميره، ويلتفّ على وجدانه، بالقيام بممارسات خطأ لا يقبلها ضميره ووجدانه، اعتمادًا على مبررات من خارج ذاته، كالاستناد إلى بعض الفتاوى والقوانين.

وتابع: هنا لا بُدّ من استحضار رقابة الله ومعرفته بما تخفي الصدور.

ولفت إلى أنّ الإنسان قد يجد نفسه أمام حالة التباس، في تحديد بعض الموارد والمواقف، فتختلط عليه الأوراق، إما

لانشداده نفسيًّا، بدافع الرغبة والمصلحة، تجاه بعض الخيارات، أو لوجود أجواء اجتماعية، تؤثر على اختياره لهذا المورد أو ذاك.

وتابع: هنا على الإنسان أن يرجع إلى ضميره ووجدانه، ويأخذ بما يرشده إليه ويمليه عليه.

وتساءل: هل هناك أعظم من أن يصدر حكم قضائي من النبي محمد، لكنّ الإنسان إذا كان يعلم أنه ليس صاحب حقّ، فإنّ الحكم النبوي لا يعفيه من المسؤولية أمام الله تعالى، ولا يحميه من عقابه.

واستشهد بقول رَسُولُ اَلله: «إِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَاَلْأَيْمَانِ، وَبَعْضُكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْئًا، فَإِنَّمَا قَطَعْتُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ اَلنَّارِ».

وأشار إلى أنّ الإنسان قد يستطيع أخذ ما ليس له بحقّ والناس قد تعذره؛ لأنّ القانون معه، لكن هل سيستطيع أن يهرب من تأنيب ضميره؟ وماذا سيقول لله تعالى يوم يسأله وهو العالم بكلّ شيء؟

وشدّد على أنّ المسألة فيها حساب وعقاب، داعيًا ليقظة الضمير، فإنّ الله بالمرصاد.

وقال سماحته: قد ينسى الإنسان نفسه فيهين سائقًا يعمل عنده، أو عاملة تخدم في بيته، وهذا ظلم لا يجوز.

وتابع: يجب أن نعمل على إحياء ضمائرنا حتى لا ننجر ولا نقع في مطبّات الشيطان فنخالف هدي الله وأوامره فننال العذاب.

وأبان سماحته أنّ من أجلى النعم والميزات التي منحها الله تعالى للإنسان، القدرة على التمييز بين الخير والشر، بين الحسن والقبح.

وتابع: حيث أعطى الله تعالى للإنسان في هذه الحياة حرية اختيار طريقه نحو الخير أو باتجاه الشر، وحرية أداء أعماله التي يقرّرها حسنة أو سيئة.

وأضاف: لذلك زوّده الله تعالى بالعقل كقوة إدراك وتفكير، ليتأمل ما يواجهه من خيارات، ويستبين به الأمور، كما أودع في نفسه الضمير والوجدان، لتحفيزه نحو الخير، وتحذيره من الشر.

ومضى يقول: قد تختلف بعض مصاديق الخير والشر، والحسن والقبح، باختلاف ثقافات الناس وتقاليدهم، وبتطور الحياة الاجتماعية. لكنّ المبادئ والأصول تكون ثابتة.

هذا وقد بدئ الحفل بتلاوة القرآن الكريم بصوت الحاج محمد العيثان، وشارك الشاعر الأستاذ عبدالله آل إبراهيم، والأهازيج وقراءة المولد الشريف مع الحاج منصور المرشود، وكان مقدّم الحفل الأستاذ عبدالله المعلم.

الشيخ الصفار يدعو المثقفين لأخذ المبادرة والتواصل مع الخطباء[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار المثقفين الواعين لأخذ دورهم في التبشير بثقافة التسامح والانفتاح، ومواجهة أفكار التعصّب والانغلاق.

جاء ذلك خلال لقائه بعددٍ من أهالي منطقة السنابس بمملكة البحرين زاروا سماحته يوم السبت ١٩ ربيع الأول ١٤٤٤هـ الموافق ١٥ أكتوبر٢٠٢٢م، وهم كلٌّ من: الأساتذة: الشيخ علي طريف، محمد عبد الله منصور، سعيد أحمد

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٦/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

خميس، سعيد حبيب، سعيد البصري، حسن أحمد، ياسر خميس.

وقدّم الشيخ الصفار شكره وامتنانه لهذه الزيارة الكريمة، ولهذه المشاعر الطيّبة، وقال: مما يُسعد الخطيب أن يجد من المستمعين من يقدّر مجهوده ويتفاعل عمليًّا مع الأفكار التي يطرحها.

وأوضح أنّ على المثقفين أن ينتزعوا دورهم في المجتمع، ويبادروا في رفد المنبر بأفكارهم ومقترحاتهم، وأن يهتموا بالتواصل مع الخطباء لتطوير الخطاب الديني، وإنتاج منبر واعٍ يرفع من قيمة المناسبات ويبثّ الوعي في المجتمع.

وقدّموا لسماحته هدية رمزية حملت العبارة التالية:

سماحة الشيخ حسن موسى الصفار المحترم..

يسرّنا ويشرّفنا أن نتقدّم لشخصكم الكريم بخالص الشكر وعظيم الامتنان، لجهودكم المخلصة وأدائكم المتميّز في خدمة المنبر الحسيني لموسم عاشوراء هذا العام ١٤٤٤هـ، سائلين المولى الكريم أن يحفظكم ويُوفقكم لما يُحبّ ويرضى.

وأشاروا أنّهم وعدد كبير من المثقفين الواعين في البحرين يتابعون محاضرات سماحته في المحرّم وخطب الجمعة والكتب التي تصلهم من مؤلفات سماحته، ويعتبرونها نموذجًا للخطاب الديني المنفتح على قضايا المجتمع المعاصرة والمهتم بتعزيز الألفة والتسامح في أجواء المجتمع.

الشيخ علي حسن يستعرض كتاب ثقافة التدبير الاقتصادي[1]

قدّم سماحة الشيخ علي حسن قراءة صوتية لمقاطع من كتاب سماحة الشيخ حسن الصفار (ثقافة التدبير الاقتصادي) مستعرضًا المواضيع المهمّة التي تطرّق لها الكتاب.

جاء ذلك ضمن برنامج قراءة في كتاب الذي يقدّمه إمام مسجد سيّد هاشم بهبهاني في الكويت كلّ ثلاثاء.

ونُشر على صفحة المسجد في موقع يوتيوب

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

(YouTube) بتاريخ ١٨ أكتوبر ٢٠٢٢م الموافق ٢٢ ربيع الأول ١٤٤٤هـ.

وأبان سماحته أنّ الكتاب يحمل موضوعًا مهمًّا وبالخصوص للشباب المقبلين على الزواج، أو المتزوجين حديثًا.

وتابع: الكتاب يعطي مجموعة من الأفكار والتوجيهات والتوصيات الخاصة بكيفية إدارة الملف الاقتصادي للأسرة.

وأضاف: بل الكتاب مهم لكلّ فرد، حيث يوجهه لكيفية تدبير أموره المالية، ويعينه على مواكبة احتياجاتها، والاهتمام بالادّخار لأوقات الأزمات، وكيف يقوم بمسؤولياته الاجتماعية والدينية.

ثم قرأ سماحته بعض الفقرات من الكتاب ليستفيد منها المستمعون.

يشار إلى أنّ كتاب (ثقافة التدبير الاقتصادي) صدر في طبعته الأولى، سنة ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، عن مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان. ودار أطياف للنشر والتوزيع القطيف، السعودية.

هذا وسبق أن قدّم سماحة الشيخ علي حسن قراءة صوتية عن كتاب الشيخ الصفار (آفاق السمو الروحي) مستعرضًا المواضيع ذات البعد الروحي والأخلاقي والسلوكي التي تطرّق لها الكتاب.

ويُشكر لسماحة الشيخ علي حسن مواكبته للجديد من الكتب في الساحة الدينية والثقافية، وتعريف الجمهور على المفيد منها.

لمشاهدة الحلقة:

الإشادة بلجنة (واعتصموا) والدعوة لاستنساخ تجربتهم[1]

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بالجهود التي تبذلها لجنة (واعتصموا) في مدينة صفوى، مثمّنًا إصرارهم على الاستمرار في نشاطهم وعملهم.

وأشار إلى أنّ طريق التآلف والوحدة الذي تسلكه اللجنة ليس طريقًا سهلًا، ويحتاج إلى جهد أكبر للعطاء والاستمرارية، عكس من يريد تفرقة المجتمع وتقسيمه.

جاء ذلك ضمن كلمة ألقاها سماحته خلال

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

استقباله للجنة (واعتصموا) مساء يوم الجمعة ليلة السبت ٣ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٢م.

وأبان أنّ العاملين يواجهون عوائق وتثبيط ومشاكل، مؤكدًا ألّا خيار إلّا الثبات على هذا الطريق، وإثارة الوعي عند أبناء المجتمع.

وقال: الإخوة الأعزّاء في هذه اللجنة من خلال مواكبتي لنشاطهم خلال السنوات العشر الماضية كان عندهم هذا الإصرار.

وتابع: متفائل بوعي الناس لتجاوز حالات الاختلافات السابقة الساذجة.

وبيّن أنّ مشاركة كثير من أبناء المجتمع في صلاة الجماعة وفي المناسبات الدينية بلا تحيّز لجماعة أو جهة دليل على وعيهم.

وأشاد بالدور الذي يقوم به الواعون من العلماء والخطباء والمثقفين الذين يقومون بدور نشر الوعي بين أبناء المجتمع.

من جهته قال السيد أحمد السادة: إنّ لسماحة الشيخ الصفار مواقف مشهودة لدعم جمعيات المجتمع المدني في كلّ أنحاء القطيف.

وتابع: كان للجنة (واعتصموا) نصيبٌ من هذا الدعم «فكان يدعمنا بوقته من خلال الحضور والمشاركة، وبالمشورة والأفكار، فنحن نستشيره ونسترشد برأيه، وبما يذكره لنا من خبرته في مجال العمل الاجتماعي».

وتابع: من منطلق (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) رأت لجنة (واعتصموا) بمدينة صفوى أن تقوم بزيارة لسماحة الشيخ حسن الصفار لتوصل له رسالة شكر وتقدير.

وأبان أنّ اللجنة تسعى لعمل جمعي يجمع كلّ أبناء المجتمع في فعاليات مشتركة، آملًا أن تنتقل هذه الفكرة إلى كلّ مدن وقرى محافظة القطيف.

ثم قدّم أمين عام اللجنة الأستاذ سعيد البشري هدية تذكارية لسماحة الشيخ الصفار، بحضور بعض أعضاء اللجنة، منهم: الأخصائي النفسي عبدالعظيم الصادق، والأستاذ جاسم الفريد، والأستاذ ميثم المعلم.

استقبال الروائي حسين المحروس[1]

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه الروائي والكاتب والمصور الفوتوغرافي البحراني الأستاذ حسين المحروس مساء الأحد ليلة الإثنين ٥ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ الموافق ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٢م.

وأبدى الشيخ الصفار سعادته للتواصل بين نخب المثقفين في المجتمع، والانفتاح على المعارف المختلفة.

وشدّد على فتح باب الحوار بين جميع أطياف المجتمع، مؤكدًا أنّ ذلك يوضح مواقف كلّ طرف

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

ويبعد سوء الفهم بين الجميع.

من جهته أبدى الأديب المحروس ارتياحه من اللقاء. موضحًا أنه كان يستمع لمحاضرات سماحة الشيخ الصفار منذ كان شابًّا، وكانت تأسره طريقة سماحته في سرد قصص أصحاب أهل البيت وما يلقيه من أفكار داخل القصة.

وقد أهدى الأديب المحروس كتابه (بستان الأحجار الكريمة) لسماحة الشيخ الصفار الذي بدوره أشاد بالجهد الذي بذله الأستاذ المحروس في الكتاب، لما فيه من توثيق جميل لحياة هذه الشريحة المهمّة في المجتمع شريحة المزارعين والفلاحين، الذين يعيشون الحب والعشق الكبير لأرضهم، ويتفانون في العمل من أجل مجتمعهم، ويعانون الكثير من الصعوبات في حياتهم، لكنّ نفوسهم زاخرة بالرضا والحبّ، والطمأنينة والولاء لتراب الوطن.

هذا وكان برفقة الأستاذ المحروس كلٌّ من: الأستاذ حامد خلف، والأستاذ صادق الجمري.

العلاقات الجيّدة تشعر الإنسان بالسعادة والرضى[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ الذي ينجح في العلاقة مع الناس يعيش سعيدًا، ويشعر بالرضى داخل نفسه، ويكون محبوبًا عند الناس.

وتابع: والذي يفشل في علاقته مع الآخرين يعيش الانزعاج داخل نفسه.

جاء ذلك خلال اللقاء الذي جمع بين سماحته وعدد من فئة الصم والبكم من محافظة القطيف والأحساء والبحرين في إحدى مزارع القطيف

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٤/ ١١/ ٢٠٢٢م.

ظهر يوم الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ الموافق ٤ نوفمبر ٢٠٢٢م بمصاحبة مترجم الإشارة سماحة السيد نجيب العلي.

وأبان سماحته أنّ للإنسان امتحانين في هذه الدنيا، الامتحان الأول مع شهواته ورغباته.

وتابع: لقد خلق الله في نفس الإنسان شهوات ورغبات، ويريد منه أن يضبطها ويسيطر عليها.

وأضاف: إذا سيطرت عليه الشهوات وأخرجته عن طريق الله فقد فشل في الامتحان واستحقّ العقاب.

وضرب مثالًا بغريزة حبّ المال والغريزة الجنسية التي وضعهما الله في نفس الإنسان، وقال: يجب أن يسيطر الإنسان على هذه الغرائز، فإذا لم يسيطر عليها وصار بخيلًا أو مسرفًا، أو بحث عن طرق غير شرعية لإشباع غريزته الجنسية فقد فشل في الامتحان.

وأشار إلى أنّ الامتحان الثاني في علاقته مع الناس من حوله.

ومضى يقول: الله لم يخلق الإنسان في صحراء وحده، وإنّما خلقه مع بشر آخرين.

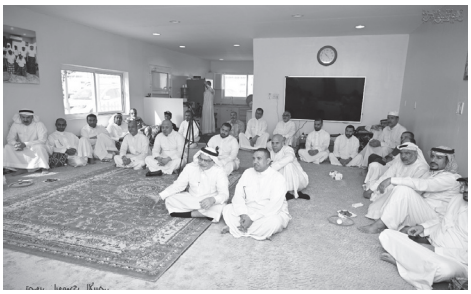

وتابع: هؤلاء الذين تعيش معهم لهم أفكار تختلف عن أفكارك، ولهم رغبات قد تصطدم مع رغباتك، ولهم مزاج قد يختلف عن مزاجك، إنهم بشر يخطئون

ليسوا ملائكة ولا معصومين.

وتساءل سماحته: كيف ستتعامل مع هؤلاء البشر؟ وكيف تنجح في هذا الامتحان؟ وماذا يعني النجاح او الفشل في العلاقة مع الناس؟

وأجاب: النجاح في هذا الامتحان يكون بتحمّل الناس، وحسن العلاقة معهم، والإحسان إليهم، والفشل هو القطيعة مع الناس والعداوة والصراع معهم.

وعمّا يترتب على النجاح أو الفشل في العلاقات يقول سماحته: أنت ترى إذا التقيت مع شخص لقاءً طيّبًا تفارقه وأنت مرتاح النفس، أما إذا حصلت لك مشكلة مع أحد ترجع إلى البيت وأنت منزعج.

وبيّن أنّ الفاشل في علاقاته يكرهه الناس حتى لو لم يظهروا العداوة له، لكنّهم في داخلهم يكرهونه.

وأوضح أنّ على الإنسان أن يهتم كثيرًا في التعامل الحسن مع الآخرين من عائلته وأصدقائه وزملائه، وأن يفكر دائمًا كيف يُحسن إليهم.

وشدد على تحمّل أخطاء الآخرين والصبر على اساءاتهم، وعدم الغضب والتفكير في الانتقام ممن أساء منهم.

وفي موضوع متصل حثّ سماحته هذه الشريحة من الصم والبكم على حضور صلاة الجمعة بشكل دائم، مشيدًا بدور سماحة السيد نجيب العلي في الترجمة المباشرة بلغة الإشارة لخطبتي الجمعة.

ودعا الأخوة الحاضرين لتشجع الآخرين من شريحتهم وتذكيرهم بأهمية حضور صلاة الجمعة، بحيث يكون الحضور للصلاة برنامجًا ثابتًا لا يفرّط فيه.

استقبل أعضاء منتدى رؤى الثقافي بالأحساء

الشيخ الصفار يدعو لبذل الجهد الثقافي والمشاركة في تنمية المجتمع[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار كلَّ المثقفين الواعين لبذل جهد أكبر للمشاركة في تنمية المجتمع.

وتابع: علينا أن نستثمر المناخ الثقافي المتاح لتقديم ما يفيد مجتمعنا ووطننا.

جاء ذلك خلال استقباله لأعضاء منتدى روئ الثقافي بالأحساء في مكتب سماحته مساء يوم السبت ليلة الأحد ١١ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ الموافق

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٥/١١/٢٠٢٢م.

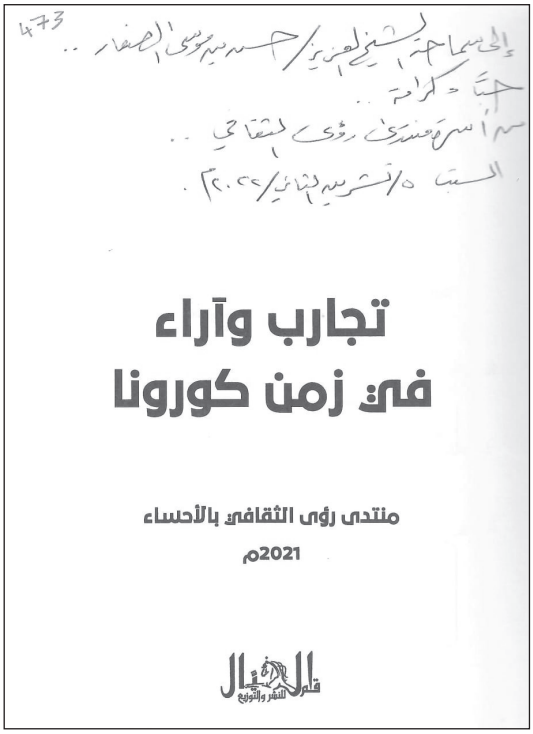

٥ فبراير ٢٠٢٢م.

وأوضح سماحته أنّ على المثقفين أن يكونوا أنموذجًا للتسامح في علاقاتهم البينية، ويديرون الاختلاف الفكري بينهم، بالاحترام المتبادل والنقد الإيجابي.

ودعا للابتعاد عن التشنجات والتوترات الاجتماعية بسبب الاختلاف في الرأي، وعدم مواجهة المتشنجين بمثل أسلوبهم، بل بالحوار المنطقي والاستيعاب الأخلاقي.

وتابع: إنّ وجود بعض السلبيات والعوائق في الوسط الاجتماعي أمر طبيعي لا يخلو منه مجتمع.

وأضاف: يجب أن يكون الرّهان على استمرارية النشاط الثقافي والارتقاء بمستوى المجتمع.

ولفت إلى أنّ من الأفضل نكون مشاركين بما يفيد ويلائم متطلّبات العصر ثقافيًّا وتنمويًّا.

كما أبدى سماحة الشيخ الصفار شكره وتقديره للجهود التي يبذلها الأخوة في منتدى رؤى لخدمة دينهم ومجتمعهم والإسهام في التنمية الوطنية.

وقد بدأ اللقاء الأستاذ عيسى الربيح بكلمة تعريفية عن المنتدى وأهدافه

وبرامجه وفعالياته، ثم علّق بعض أعضاء المنتدى ببعض المداخلات.

وقدّم أعضاء المنتدى لسماحته نسخة من الكتاب الذي أصدره المنتدى بعنوان: (تجارب وآراء في زمن كورونا)، ويشمل على قراءة تحليلية لانعكاس الجائحة على الحياة الدينية والصحية والاجتماعية والاقتصادية والسردية الذاتية. بأقلام نخبة من الكتّاب والأدباء والمختصين المهنيين.

وقام أعضاء المنتدى، وهم الأساتذة: علي الوباري، محمد حسن الحداد، علي العرفج، يوسف النظام، عيسى الربيح، علي المسلمي، عيسى العبد الكريم، بزيارة لمكتبة الشيخ الصفار والاطّلاع على أقسامها الزاخرة بالكتب العلمية والأدبية.

كما اطّلع الوفد على إصدارات سماحة الشيخ الصفار التي تقدر بأكثر من ١٦٠ كتابًا بعضها مترجم للغات مختلفة.

الشيخ الصفار يطّلع على برامج جمعية الفردوس لإكرام الموتى[1]

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه صباح اليوم مدير وأعضاء جمعية الفردوس لإكرام الموتى في المحافظة.

وذلك للاطّلاع على أهداف الجمعية وهيكليتها.

وأوضح سماحته أنّ من الحاجات التي لا غنى عن القيام بها إكرام الموتى وتجهيزهم، فهو واجب كفائي.

وتابع: إنّ إكرام الموتى من المهام التي حثّ

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٢٢م.

عليها الدين، ووعد الله فاعلها بالأجر والثواب.

فيما وجّه رئيس مجلس إدارة الجمعية حافظ بن علي الفرج شكره لسماحة الشيخ الصفار على تشجيعه ودعمه لإنشاء الجمعية.

وأشار إلى أنّ من تطلّعات الجمعية رفع مستوى الوعي عند المجتمع، بالحفاظ على المرافق العامة، وتأهيل الكفاءات في مجال إكرام الموتى، وتخفيف الأعباء عن ذوي المتوفى.

وكان سماحة الشيخ الصفار قد طالب في خطبة جمعة سابقة بعنوان: التنظيم خُلُقٌ حضاري، بمأسسة هذا الجهد التطوعي لإكرام الموتى.

وأبان فيها أنّ «الجهد التطوعي يحتاج إلى التنظيم والمأسسة، فلا بُدّ من وجود دورات لإعداد المتطوعين لإكرام الموتى، حتى يتعرّفوا على الأحكام والآدب الشرعية، وكذلك الأنظمة والتعاليم الصحية المتعلّقة بهذا المجال».

روافد في تنمية الوعي الديني والاجتماعي[1]

- الكاتب: حسن موسى الصفار
- الناشر: دار روافد ـ بيروت
- الصفحات: ٧٥٦ من القطع الكبير
- سنة النشر: المجلد الأول ط١ ـ ٢٠٢٢م

في هذا الكتاب يوثّق الشيخ حسن الصفار تجربته في الخطاب الديني، حيث يحتوي الكتاب على مجموع خطب الجمعة، وبعض المشاركات الثقافية والاجتماعية، التي ألقاها وقام بها سنة ١٤٤٠هـ.

(١) مجلة الكلمة، العدد ١١٦، السنة التاسعة والعشرون، صيف ٢٠٢٢م/ ١٤٤٤هـ، ص١٩٨.

وقد سبق هذه التجربة بتوثيق خطبه ومشاركاته منذ عام ١٤٢٠هـ حيث صدر منها عشر مجلدات بعنوان: «أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع»، كما صدرت عشر مجلدات أخرى بعنوان: «مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح».

وينوّه الشيخ الصفار في مقدّمته للكتاب إلى أنّ الوعي مرتبةٌ متقدّمةٌ من العلم، ذلك أنّ العلم يعني حصول المعلومة في ذهن الإنسان، والوعي هو التأمل في تلك المعلومة وفهمها واستيعابها، بما يتجاوز مجرّد الاطّلاع عليها.

إنّ الوعي بقضايا الدين ومسائله يُوجّه المتديّن إلى المضمون والغاية التي يستهدفها الدين في نصوصه وتشريعاته، ويركّز في نفس الإنسان محورية تلك الاستهدافات والغايات المقصودة للدين، لتكون منطلق الإنسان وقبلته في مختلف توجهاته وممارساته.

وحين يغيب الوعي أو يضعف، يصبح التديّن شكليًّا، ومجرّد عادات وطقوس فردية واجتماعية، من هنا فإنّ تعميق الوعي يجب أن يكون أولوية في الخطاب الديني.

ولأنّ الالتزام الديني ليس شأنًا فرديًّا فحسب، بل هو مسار وهوية اجتماعية أيضًا، فإنّ ذلك يتطلّب تحقيق مستوًى من الوعي الاجتماعي، بفهم واقع المجتمع والظروف والتحولات التي يمرّ بها، من أجل تنزيل قيم الدين وتطبيق تشريعاته بما يتناسب مع واقع المجتمع ويواكب أوضاعه.

في: كلمة لطلاب حوزة الإمام الرضا بالكويت

الشيخ الصفار: لا عذر في التقصير عن كسب المعرفة[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إننا نعيش في عصر توفرت فيه فرص طلب العلم وكسب المعرفة، وأصبحت الأدوات والوسائل متاحة، فلا عذر لأحدٍ التقصير في الانتهال من العلم.

جاء ذلك في كلمة ألقاها في حوزة الإمام الرضا في الكويت مساء الثلاثاء ١٢ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٦ ديسمبر ٢٠٢٢م بحضور أساتذة الحوزة وطلابها.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٧م.

وأشار سماحته إلى الصعوبات والعوائق التي كانت تواجه الراغبين في طلب العلم سابقًا، حيث يتحتم عليهم الهجرة والاغتراب، ويصعب عليهم الحصول على الكتب والمصادر، ويقلّ وجود العلماء في المجتمعات، ولا تتوفر الوسائل والأدوات المساعدة للبحث والتأليف والنشر.

وتابع قائلًا: توجد الآن حوزات دينية وحلقات تدريس علمية في مختلف بلداننا، كما يمكن متابعة أرقى الدّروس في الحوزات المركزية عن بعد، حيث يتم البث المباشر، وقد انتشر العلماء والخطباء في معظم مجتمعاتنا، وأصبحت آلاف الكتب بين أيدينا بضغطة زر على الكمبيوتر. فأيّ عذرٍ في التقصير في الاستزادة من العلم والمعرفة.

وحثّ الطلاب على الاستفادة من فرصة انتمائهم لحوزة الإمام الرضا بالجدّ والاجتهاد في دراستهم، كما شكر للمدرسين وإدارة الحوزة جهودهم في نشر العلم ورعاية الطلبة.

وأكّد أن التفقه في الدين وكسب المعرفة يجب أن يكون همًّا لكلّ مسلم، وأن يخصّص جزءًا من وقته يوميًّا، للتثقيف الذاتي، مستشهدًا بالنصوص الدينية المحفّزة لكسب المزيد من العلم والمعرفة، فأكثر الناس قيمة أكثرهم علمًا، وأقلّ الناس قيمة أقلّهم علمًا. كما ورد في حديث نبوي شريف.

وتفقّد الشيخ الصفار الفصول الدراسية ومكتبة الحوزة، داعيًا لإدارتها وطلابها بالمزيد من التوفيق والتقدّم.

من جهته تقدّم مدير الحوزة الشيخ أمين النصار بوافر الشكر والامتنان لسماحة الشيخ الصفار على زيارته للحوزة والكلمة القيّمة التي ألقاها.

في: افتتاح ديوان المستقبل بالكويت

الشيخ الصفار: فلنتطلّع للمستقبل ونهتم بصنّاعه[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: لقد انشغلت مجتمعاتنا كثيرًا بالحديث عن الماضي، وآن أن نتحدّث عن تطلّعات المستقبل، ونهتم برعاية جيل المستقبل وصنّاعه.

جاء ذلك في كلمة قصيرة ألقاها سماحته في حفل افتتاح المقرّ الجديد لديوان المستقبل الاجتماعي الثقافي في الكويت مساء يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٦ ديسمبر ٢٠٢٢م.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٧ ديسمبر ٢٠٢٢م.

وأكّد سماحته أنه يكفينا من التاريخ أخذ العبر والدروس دون الاستغراق في تفاصيل أحداثه التي سبّبت غيابنا عن هموم الواقع وتطلّعات المستقبل.

وحثّ إدارة الديوان على تحويل اسمه (ديوان المستقبل) إلى عنوان للبرامج الثقافية التي يقيمها ويتبناها.

وأشار إلى ضرورة الاهتمام بجيل الشباب من الأبناء والبنات، وإتاحة الفرصة لهم في الديوان ليعبّروا عن ذواتهم، وينمّوا مواهبهم، ويبرزوا إبداعاتهم، وليشقّوا طريقهم لصناعة مستقبل أفضل لمجتمعهم ووطنهم.

وكان الشيخ الصفار قد تلقّى دعوة للمشاركة في حفل الافتتاح من عائلة العطّار، وقد حضر حفل الافتتاح حشد كبير من الشخصيات الاجتماعية من علماء دين، ونوّاب مجلس الأمة، وأكاديميين، ورجال أعمال وإعلاميين، ومن سائر المواطنين الكويتيين، وعدد من الضيوف المشاركين القادمين من الأحساء والدمام والقطيف والبحرين.

الشيخ الصفار: هناك مفارقة بين التنظير وواقع المرأة الديني[1]

سلّط الشيخ حسن الصفار الضوء على المفارقة البارزة بين ما يتحدّث به الدينيون عن مكانة المرأة في الإسلام، وبين ما تعيشه المرأة من تهميش في معظم الأوساط الدينية.

جاء ذلك في محاضرة ألقاها في دار الزهراء بالكويت مساء يوم الأربعاء ١٣ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٧ ديسمبر ٢٠٢٢م، بعنوان: من هدي سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨/ ١٢/ ٢٠٢٢م.

وقال سماحته: إنّ ما تحكيه السيرة المتداولة عن الرموز والشخصيات النسائية الدينية في العهد الإسلامي الأول، كأمهات المؤمنين، والصديقة فاطمة الزهراء، والعقيلة زينب بنت علي، تكشف عن دور فعلي مؤثر لهذه الشخصيات النسائية في عصرهنّ ومجتمعهنّ، على الصعيد الديني والاجتماعي والسياسي.

وتابع: بينما نلحظ انكماشًا وتحجيمًا لمشاركة المرأة ودورها في كثير من الساحات الدينية.

واستعرض الشيخ الصفار بعض عوامل هذه المفارقة، منها تسلّل الأفكار والقناعات الخطأ التي تنظر إلى المرأة بدونية، وأنها إنسان من رتبة ثانية قياسًا إلى الرجل.

وتابع: أعطى البعض للأعراف والتقاليد المتخلّفة المرتبطة بالتعامل مع المرأة، صبغة دينية، واعتمد على مرويات ضعيفة لتبريرها.

وطالب بإتاحة الفرصة للمرأة لتأخذ موقعها في المؤسسات الدينية، على مستوى كسب وإنتاج المعرفة الدينية، والمشاركة في إدارة الشأن الديني.

وأشار إلى أنّ رسول الله ﷺ أذن لأم ورقة أن تؤم النساء في صلاة الجماعة، فلماذا لا تقام صلاة جماعة للنساء بإمامة نسائية في مجتمعاتنا تعزيزًا لدورها ومشاركتها؟

وتابع: ليس هناك ما يمنع تمثيل المرأة للمرجعية الدينية وكيلة ومأذونة كما هو الحال في وجود ممثلين ووكلاء عن المرجعية من الرجال.

وأضاف: لقد أثبتت المرأة جدارتها في تولّي مختلف المسؤوليات القيادية في دول العالم المختلفة، ولن تكون أقلّ كفاءة من الرجل في إدارة الشأن الديني ضمن الضوابط والمؤهلات الشرعية.

وقد حضر المحاضرة جمع من العلماء والخطباء والشخصيات الاجتماعية والأكاديمية منهم: الشيخ علي حسن فالح، الشيخ صادق بوعباس، الشيخ د. أحمد حسين، د. عبدالهادي الصالح، أ. د. جاسم الحسن، القاضي عبدالصاحب الطبطبائي، د. منصور غلوم، الحاج عبدالرضا غضنفر، الحاج عمار كاظم، الحاج نبيل المسقطي.

الشيخ الصفار: التواصل ينمّي المشاعر الإيجابية وينضج الآراء[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ التواصل والتشاور بين النخب الدينية والاجتماعية، يقرّب النفوس، وينمّي المشاعر الإيجابية في الوسط الاجتماعي، ويساعد على تداول الرأي وإنضاج الفكر في القضايا التي تهم المجتمع والوطن.

جاء ذلك في كلمة ألقاها سماحته في حفل الاستقبال ومأدبة الغداء التي أقامتها إدارة الحسينية الكاظمية (البكاي) في الكويت على شرف سماحته ظهر يوم الإثنين ١١ جمادى الأولى

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٩م.

١٤٤٤هـ الموافق ٥ ديسمبر ٢٠٢٢م بحضور جمع من العلماء والخطباء والشخصيات الاجتماعية والأكاديمية.

وأكد سماحته على ضرورة التعامل مع تعدّد الانتماءات وتنوع الاتجاهات، بإيجابية وحسن ظنٍّ متبادل.

وتابع: لا يصح اتهام أيّ طرف للآخر بأنه مغرض وينطلق من سوء في رأيه وموقفه، بل حمله على حسن القصد واختلاف الاجتهاد.

واستشهد برواية معتبرة السند أوردها الشيخ الكليني في الكافي عن الإمام جعفر الصادق جاء فيها: «تَزَاوَرُوا فَإِنَّ فِي زِيَارَتِكُمْ إِحْيَاءً لِقُلُوبِكُمْ وَذِكْرًا لِأَحَادِيثِنَا، وَأَحَادِيثُنَا تُعَطِّفُ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَإِنْ أَخَذْتُمْ بِهَا رَشَدْتُمْ وَنَجَوْتُمْ، وَإِنْ تَرَكْتُمُوهَا ضَلَلْتُمْ وَهَلَكْتُمْ، فَخُذُوا بِهَا وَأَنَا بِنَجَاتِكُمْ زَعِيمٌ».

وحثّ على تنقية الأجواء الدينية والاجتماعية من التشنجات وإثارة التوترات التي لا تتوافق مع تعاليم الدين

وتوجيهات أئمة أهل البيت.

وشكر الشيخ الصفار لأهل الخير من الكويت جهودهم وبذلهم لمساعدة الفقراء والمحتاجين في مختلف المجتمعات، وإشادتهم للمؤسسات الدينية والإنسانية في شتّى بقاع العالم.

وكان اللقاء قد بدأ بكلمة ترحيبية ألقاها الدكتور عبدالهادي الصالح، ثم طلب من الشيخ الصفار إلقاء كلمة بالمناسبة.

هذا وقد أحيى سماحة الشيخ حسن الصفار ذكرى الصديقة فاطمة الزهراء بإلقاء أربع محاضرات في حسينية البكاي دارت حول العناوين التالية:

- جدلية المرأة في التاريخ والتراث/ مساء السبت ٩ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٣ ديسمبر ٢٠٢٢م.

- شراكة المرأة في إدارة الحياة/ مساء الأحد ١٠ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٤ ديسمبر ٢٠٢٢م.

- كيان الأسرة والتحدّيات المعاصرة/ مساء الإثنين ١١ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٥ ديسمبر ٢٠٢٢م.

- دور المرأة في المؤسسة الدينية / مساء الأربعاء ١٣ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٧ ديسمبر ٢٠٢٢م.

هذا وقد استقبل الشيخ الصفار في مقرّ إقامته بالحسينية عددًا من العلماء والشخصيات الاجتماعية التي جاءت لزيارته، منهم أصحاب السماحة: الشيخ حبيب الكاظمي، الشيخ حسين المعتوق، الشيخ عباس آل جابر، الشيخ فاضل الحيدري، الشيخ علي حسن غلوم، الشيخ أحمد

الحسين، الدكتور عبدالمحسن جمال، الأستاذ عبدالحسين سلطان، الأستاذ أحمد شهاب، الحاج جواد العطّار، الحاج جاسم محمد قبازرد، الشيخ عبدالعزيز الحبيب، الشيخ أمين النصار، الشيخ محمد الحكيمي، الحاج صالح عاشور، الدكتور الشيخ مرتضى فرج، الحاج حسن بولند، الحاج حسن قنبر، الحاج أسعد خريبط.

في خطبة الجمعة بالكويت

الشيخ حمد السنان يشيد بزيارة الشيخ الصفار وآرائه الوحدوية[1]

قال فضيلة الشيخ حمد أحمد السنان إنه متفائل بزوال القلق من الآخر المذهبي شريطة أن يكون للطائفتين (السنة والشيعة) من أمثال الشيخ حسن الصفار حضور على وسائل التواصل الاجتماعي ومجالس النخب والعامة.

جاء ذلك في خطبة الجمعة التي ألقاها إمام مسجد لولوة الزبن في منطقة بيان بالكويت بتاريخ ١٥ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٩ ديسمبر ٢٠٢٢م بعنوان: ثقافة الميكرفون الواحد.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠/ ١٢/ ٢٠٢٢م.

وقد بدأ حديثه عن زيارة الشيخ الصفار له قائلًا: قبل أيام كان فضيلة الشيخ حسن الصفار في ديواني نتذاكر مشاكل وهموم الأمة، فذكر من المشاكل ما سمّاه بالقلق من الآخر المخالف، والقلق من المخالف هو الشعور بعدم الاطمئنان وتوقع ما يكره من المخالف، الذي يكون نتيجته زوال الثقة والعداء للآخر.

ثم تحدّث فضيلته عن جوانب الفكرة التي عرضها الشيخ الصفار، وأنّ البشرية عانت من صنّاع القلق تجاه الآخر، ومن أجلى مظاهره زرع القلق من المسلمين في أوساط الغربيين، وإثارة القلق داخل المجتمعات الإسلامية لدى كلّ طائفة تجاه الأخرى.

وأضاف فضيلته أنّ القلق من الآخر مبني على الجهل بالآخر، والاقتصار على السماع من مصدر واحد (ثقافة الميكروفون الواحد) مما يجعل من الأكاذيب حقائق.

ولفضيلة الشيخ حمد السنان عدد من الخطب والكتابات المنشورة في الصحف والتغريدات يدعو فيها إلى التقارب بين السنة والشيعة، وتجاوز الخلافات والفتن.

يذكر أنّ فضيلة الشيخ حمد السنان داعية إسلامي كويتي، وقارئ القرآن الكريم، وإمام وخطيب مسجد البشر في منطقة مشرف، وخطيب صلاة الجمعة في مسجد لولوة الزبن في منطقة بيان بالكويت

وكان الشيخ الصفار قد زاره في ديوانه مساء يوم الإثنين ١١ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٥ ديسمبر ٢٠٢٢م.

لمشاهدة الخطبة:

الشيخ حسن الصفار: فخور بالاحتفالية وشكرًا للجهة المنظمة[1]

قال الشيخ حسن الصفار: إنّ الاحتفاء باليوم السعودي والعالمي للتطوع يجب أن يكون محفِّزًا لجميع أفراد المجتمع؛ من أجل أن يلتحقوا بالمؤسسات والجمعيات والأعمال التطوعية.

وأضاف الشيخ الصفار في تصريح خاص لـ «خليج الديرة»: إنّ ما رأيناه في هذه الاحتفالية يدلّ على أنّ مجتمعنا ولله الحمد مستجيب لثقافة التطوع من أصل توجهاته الدينية والوجدانية وبدعم

(١) خليج الديرة ١٤/ ١٢/ ٢٠٢٢م.

من قيادة الوطن أصبحت هذه المؤسسات تحتضن أبناء وبنات المجتمع وتُفجِّر طاقاتهم في خدمة دينهم وخدمة وطنهم.

ووجَّه سماحته الشكر للجهة المنظّمة للفعالية واللقاء الاجتماعي الإنساني الكبير، مؤكدًا أنّ الجمع الكبير الذي حضر تدشين اليوم السعودي العالمي للتطوع أثلج صدره بأبناء المجتمع، حيث رأى الكبار والشباب والناشئين من مختلف الأعمار والطبقات وهم يشاركون في مختلف الأعمال التطوعية، وهذا ما كان يدعو له ويدفع إليه، موضحًا إنه متفائل للغاية من تطور مسيرة العمل المجتمعي في المنطقة إن شاء الله.

الشيخ الصفار يدعو إلى تأسيس جمعيات تخصصية تعالج مشاكل المجتمع[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى إنشاء جمعيات تخصّصية تهتم بمجالات حيوية في المجتمع من قبيل التعليم والصحة والبيئة ومعالجة المشاكل الاجتماعية.

معتبرًا أنّ المنطقة في أمسّ الحاجة لهذه المؤسسات لتحمل على عاتقها التصدّي للمشاكل واحتوائها.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحته ضمن

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٧/ ١٢ / ٢٠٢٢م.

حفل افتتاح جمعية الفردوس لإكرام الموتى لمقرّها الجديد في القطيف، مساء الثلاثاء ٣ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٢م.

وأوضح سماحته أنّ الجمعيات الخيرية ما تزال تشكو من ضعف الإقبال على تحمّل المسؤوليات القيادية فيها.

وأبان أنّ الجانب المادي ما عاد هو الهاجس عند إدارات الجمعيات، فالناس يبذلون وأهل الخير كثيرون.

وتابع: كثير من الجمعيات تشتكي شحّ المتقدّمين للترشّح لمجالس الإدارة، والحضور في الجمعيات العمومية.

وأضاف: المشكلة الكبيرة التي يواجهها العمل الخيري الاجتماعي هو نقص الكوادر الإدارية الذين يتقدّمون لشغل مواقع الإدارة في هذه المؤسّسات والجمعيات

ومضى يقول: ينبغي أن نشجع الناس من ذوي الخبرات والقدرات على الالتحاق بهذه المؤسسات، مؤكدًا الحاجة إلى تحفيز الناس ليبادروا على هذا الصّعيد.

وخصّ سماحته مجالات حيوية بالذكر كإنشاء جمعية للتنمية الأسرية، وأخرى لمواجهة المفاسد التي تنتشر في المجتمع كالمخدِّرات، وثالثة لنشر القيم، وغيرها

في الجوانب الصحية والعلمية.

وبيّن أنّ نجاح تجربة إنشاء جمعية الفردوس لإكرام الموتى سيكون بإذن الله محفّزًا لقيام جمعيات تخصّصية أخرى.

وتابع: نحن نعيش في ظلّ منهج تعتمده الدولة يقوم على أساس دعم العمل التطوعي، ورفع مستوى التطوع في المملكة حتى يتجاوز الأرقام الضئيلة التي كانت في السنوات الماضية.

وأضاف: الخطة الموضوعة أن يكون في ٢٠٣٠ مليون متطوع على مستوى المملكة، ونحن مدعوون للمشاركة في هذه الخطة.

فيما وجّه رئيس مجلس إدارة الجمعية حافظ بن علي الفرج شكره لسماحة الشيخ الصفار على تشجيعه ودعمه لإنشاء الجمعية.

وأشار إلى أنّ من تطلّعات الجمعية رفع مستوى الوعي عند المجتمع، بالحفاظ على المرافق العامة، وتأهيل الكفاءات في مجال إكرام الموتى،

وتخفيف الأعباء عن ذوي المتوفى.

هذا وقد افتتح المقرّ الجديد للجمعية مدير مركز التنمية الاجتماعية بالقطيف، بركات الصلبوخ، بحضور عدد من علماء الدين والمهتمين وبعض رؤساء وأعضاء الجمعيات الخيرية في المحافظة.

وكانت الجمعية قد بدأت أنشطتها بعد صدور الترخيص الرسمي من المركز الوطني لتنمية القطاع غير الربحي لمزاولتها عملها.

الشيخ الصفار يحذّر من أخطار تفكك الأسرة على الأمن الاجتماعي[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ الأسرة اليوم تواجه خطرًا كبيرًا، وعواصف سلبية تحاول القضاء على تماسكها وتهدّد وجودها وكيانها.

وتابع: تتعرّض الأسرة في هذا العصر لتحدٍّ كبير وهو مواجهة الثقافة المادية التي تسعى إلى مسخ الإنسان وتدمير الأسرة.

جاء ذلك ضمن كلمة سماحته في احتفال ذكرى ميلاد فاطمة الزهراء في مسجد الإمام الحسين

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٣ / ١ / ٢٠٢٣م.

بصفوى مساء يوم الخميس ليلة الجمعة ١٩ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ١٢ يناير ٢٠٢٣م.

وبمناسبة ذكرى ميلاد فاطمة الزهراء قال سماحته: إنّ حديث رسول الله ﷺ عن بيت فاطمة هو تثبيت لمكانة هذه الأسرة النموذج للأمة.

وتابع: كما أنّ الأمة تحتاج إلى قدوة من الرجال والنساء، كذلك تحتاج إلى قدوة على الصعيد الأسري.

وبيّن أنّ الأمة محتاجة لهذا النموذج في هذا العصر الذي تواجه فيه الأسرة تحدّيات تهدّد وجودها وكيانها، في ظلّ الحضارة المادية القائمة على تعزيز الروح الأنانية عند الإنسان والمهتمة بتحريض الأهواء والشهوات.

وتابع: الغرب هو القوة المهيمنة إعلاميًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا وهو يستغلّ سيطرته ونفوذه في العالم للتبشير بثقافته ولنشر نمطه في الحياة والمعيشة.

وأضاف: إنه يريد مسخ كلّ الحضارات والثقافات الأخرى لتكون الثقافة السَّائدة والمهيمنة في عالم البشر هي ثقافته المادية الزائفة.

وأبان أنّ انعكاسات وآثار هذه الثقافة بدأت تظهر في مجتمعاتنا من خلال العزوف عن تكوين الأسرة، أو الإسراع في هدم كيانها بارتفاع

معدّلات الطلاق، والتفكك الأسري الذي أصبح ظاهرة في مجتمعاتنا.

وتابع: نحن بحاجة للوقوف عند هذا النموذج، نموذج بيت فاطمة الذي كان التأكيد على نموذجيته كقدوة لأجيال الأمة.

الاختراق العاطفي

وحذّر سماحته من اختراقات عاطفية تنتهك حرمة الإطار الزوجي، وتسبب هدم كيان الأسرة.

وتابع: مما يسهّل عمليات الاختراق العاطفي، برود العلاقات العاطفية بين الزوجين، فيبحث كلٌّ منهما عن إشباع العاطفة خارج الإطار الزوجي، ويستجيب لأيِّ إشارة تنبعث من هنا أو هناك.

وأوضح سماحته أنّ تجاوز الاحتشام والعفاف في المحيط الاجتماعي العام، يجعل الفرصة متاحة لحصول الاختراقات الغريزية العاطفية، وما يترتب عليها من آثار تهدّد كيان الأسرة بالتفكك والانهيار.

وتابع: إنّ التلاقي والتعامل بين الجنسين أمر تفرضه طبيعة الحياة المشتركة، وليس صحيحًا ولا ممكنًا الفصل بينهما، خاصة مع تطور الحياة الاجتماعية، لكنّ رعاية الحشمة والعفاف أمر ممكن ومطلوب، وهو لا يعوق الرجل ولا المرأة عن ممارسة وظائف الحياة، والمشاركة في أدائها.

وأضاف: التعاليم الدينية حثت على التزام الحشمة والعفاف في العلاقة بين الجنسين في المجتمع.

التفكك الأسري

وفي موضوع متصل حذّر سماحته من التفكك الأسري، مبيّنًا أنّ له تداعيات وآثارًا على الصحة النفسية لأبناء المجتمع، وعلى الأمن الاجتماعي العام.

وتابع: إنّ التفكك الأسري ينتج حالات من القلق والاكتئاب والعقد النفسية المختلفة، ويوقد نيران العداوة والبغضاء، ويدفع نحو الانحرافات السلوكية والأخلاقية.

وقد شارك في الحفل الذي أداره الأستاذ علي خضر غاشي كلٌّ من: الشاعر سمير المسلم، والرادود حسن الناصري، وفرقة المجتبى القرآنية.

لمشاهدة الكلمة:

شريحة الصم البكم والمسؤولية الاجتماعية[1]

تحدّث سماحة الشيخ حسن الصفار في الجزء الثاني من خطبة الجمعة بتاريخ ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ يناير ٢٠٢٣م عن شريحة الصم البكم، بمناسبة حضور جمع منهم صلاة الجمعة من القطيف والأحساء، ومما جاء في خطبته ما يلي:

في هذا اليوم المبارك بذكرى ميلاد سيدتنا فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، يزورنا ويحضر

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٤/ ١/ ٢٠٢٣م.

المسجد عدد من إخوتنا الأعزاء من شريحة الصم البكم من الأحساء والبحرين، يشاركونا صلاة الجمعة، والاحتفاء بميلاد الزهراء صلوات الله وسلامه عليها.

فأهلًا وسهلًا بهم وجزاهم الله خيرًا على تشريفهم وقدومهم.

وبمناسبة حضورهم نشير إلى أنّ هذه الشريحة جزء عزيز من مجتمعنا، هؤلاء يعوّضهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا بمزيد من الذكاء والفطنة، ويمنحهم في الآخرة المزيد من الثواب والأجر، وفي العالم يوجد أكثر من سبعين مليون شخص من فئة الصم البكم، ٨٠ ٪ منهم في البلدان النامية، مما يدلّ على أنّ الأسباب الوراثية والصحية لها دور ودخل في وجود هذه الحالة، وفي بلادنا المملكة العربية السعودية تشير هيئة الإحصاء إلى أنّ عددهم يبلغ ٢٣٠ ألف شخص، وفي القطيف والأحساء يوجد عدد بالمئات منهم من الذكور والإناث، وبحمد الله تعالى فإنّ الدولة فسحت لهم المجال للاندماج في المجتمع.

ففي مختلف مراحل التعليم هناك فصول تعليم بالإشارة لهذه الشريحة، وفي الجامعات أيضًا، كما فتح لهم باب الابتعاث للخارج، منهم من أكملوا دراسات عليا، وعادوا يحملون شهادات متقدّمة، كما أنهم يشاركون في العمل الوظيفي في كثير من الوظائف الحكومية وفي عدد من الشركات.

وزارة الصحة لها برنامج لمساعدة هذه الشريحة عند مراجعتهم للمستشفيات في قضاياهم الصحية، إنهم شريحة منَّا، وجزءٌ غالٍ علينا، لذلك ينبغي أن نحتفيَ بهم، وأن نقدّرهم، ولمقدمهم لا بأس أن ترفعوا أصواتكم بالصلاة على محمد وآل محمد.

وبهذه المناسبة فإنني أتوجّه إلى إخوتي الأعزاء ومن خلفهم من أبناء شريحتهم الذين يتابعون هذه الخطبة من خلال البث بلغة الإشارة، بجهود أخينا العزيز سماحة السيد نجيب العلي حفظه الله، حيث يتابعها كثيرون من أبناء هذه الشريحة، في مختلف المجتمعات لذلك أتوجه إليهم بالخطاب:

أولًا: عليهم أن يحمدوا الله ويشكروه، فإنّ الله سبحانه وتعالى قد أعدّ لهم ثوابًا عظيمًا في الآخرة، وقد منحهم مقوّمات إيجابية قد لا تتوفر عند كثير من غيرهم، فليعيشوا حالة الشكر والرضا عن الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: أيّها الإخوة الأعزّاء، اهتموا بتلقّي المعارف الدينية، احضروا المساجد والمجالس وزوروا العلماء، واسالوا عن أمور دينكم، لا تنفصلوا عن الجوِّ الديني والثقافي العام، يمكنكم أن تصنعوا لكم برامجكم الخاصة، ويمكنكم أن تشاركوا في سائر البرامج، لا تفوّتوا على أنفسكم الحصول على ثواب صلاة الجماعة، وثواب الاستماع في المجالس، وحضور مجالس الذكر وزيارة العلماء، وإن كنتم تجدون بعض الصعوبات، لكن عليكم أن تسعوا وأن تجتهدوا لتحضروا وتكونوا جزءًا من مجتمعكم، في الميدان الديني، وكذلك في العمل الاجتماعي، ننتظر منكم دورًا اجتماعيًّا في الجمعيات الخيرية، والمؤسسات الأهلية المختلفة، فأنتم كسائر أبناء مجتمعكم، عليكم واجب اجتماعي تجاه وطنكم ومجتمعكم، فساهموا وشاركوا بارك الله فيكم.

الكلمة الثانية أوجّهها للجهات الاجتماعية والدينية، أن تهتم بهذه

الشريحة، مع الأسف الشديد نفتقر إلى وجود علماء وخطباء يجيدون لغة الإشارة، هذا السيد الجليل (السيد نجيب العلي) من أبناء الحوزة العلمية، وهو رجل فاضل، يجنّد وقته وجهده لخدمة هذه الشريحة فجزاه الله خيرًا.

ونحتاج إلى العشرات من أمثاله ولا يوجد إلّا عدد قليل من الطلبة في الحوزة العلمية في قم وفي مشهد، توجّهوا لتعلّم لغة الإشارة، حتى يقوموا بدورهم في أوساط هذه الشريحة.

أهلًا وسهلًا بكم أيّها الإخوة، وتقبّل الله عملكم وبارك لنا ولكم في هذا اليوم السعيد.

وبعد صلاة الجمعة تقدّم مجموعة منهم لقراءة الدعاء أمام المصلين بشكل جماعي بلغة الإشارة.

ثم استضافهم سماحة الشيخ في مجلسه على مأدبة الغداء، وألقى كلمة عن حياة فاطمة الزهراء وسيرتها، مع الترجمة بلغة الإشارة من قبل سماحة السيد نجيب العلي، وكانت لهم جولة في مكتبة سماحته، وقد ألقى الحاج عبدالستار محمد حسين الزاير، وهو من أفراد شريحة الصم البكم، كلمة بلغة الإشارة، قدّم فيها الشكر لسماحة الشيخ الصفار لحسن استقباله وضيافته واحتفائه بهذه الشريحة.

مطالبة المنشدين باستثمار موهبتهم في رفع مستوى الوعي، وبث المفاهيم الدينية السليمة[1]

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار المنشدين بأن يستثمروا موهبتهم المتميّزة في الأداء والإلقاء، وإقبال الجمهور عليهم، في رفع مستوى الوعي، وبثّ المفاهيم الدينية السليمة، إلى جانب إذكاء المشاعر العاطفية الولائية.

مشيدًا بدور المنشدين الدينيين في تعميق الولاء الديني، وترسيخ محبّة النبي وآل بيته في النفوس.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠٢٣م.

جاء ذلك خلال استقباله للمنشد البارز الحاج نزار القطري في مكتبه بالقطيف صباح يوم الإثنين ٢٨ شعبان ١٤٤٤هـ الموافق ٢٠ مارس ٢٠٢٣م.

وأوضح سماحته أنّ للمنشدين والرواديد تأثيرًا كبيرًا في جذب الشباب والناشئة إلى الأجواء الدينية، ورحاب السيرة العطرة للنبي والأئمة.

مؤكدًا أنّ أهل البيت وجّهونا إلى إحياء أمرهم عبر تعلّم علومهم ونشرها بين الناس، واستخدام العواطف كوسيلة لتحقيق ذلك الهدف.

وقال: إنّ على الرادود والمنشد أن يختار القصائد التي يلقيها على ضوء ما تشتمل عليه من مضامين صحيحة موافقة لتوجهات الأئمة، وليس فقط بمقياس تأثيرها العاطفي.

وأشار إلى ضرورة أن تحتوي نصوص الأناشيد واللطميات، على التوجيهات التي تعزّز الالتزام الديني والسلوك الأخلاقي في نفوس المستمعين، مع الالتفات إلى التحدّيات الفكرية والأخلاقية التي تواجه جمهور الشباب في هذا العصر.

كما دعا الشيخ الصفار إلى اجتناب كلّ ما يثير الفتنة والخلاف في أوساط المجتمع؛ لأنّ نهج أهل البيت هو التأكيد على الوحدة والانسجام والوئام، وأنه يجب تفويت الفرصة على الأعداء الذين يريدون إشغال

مجتمعاتنا، وتمزيق أوطاننا بالصراعات الطائفية.

من جانبه تحدّث الأستاذ نزار القطري عن تفاؤله وسعادته بما يلقاه من تفاعل وتجاوب من جموع الشباب، في مختلف البلدان والمناطق التي يزورها لإحياء المناسبات الدينية.

وقال إنّ هناك توجهات تخالف تطوير أداء المنشدين، وانفتاحهم على جيل الشباب، وتفاعلهم مع التحدّيات التي يواجهونها، وأبدى الحاج نزار القطري شكره وسروره بزيارة سماحة الشيخ الصفّار، وما سمعه من آرائه وتوجيهاته.

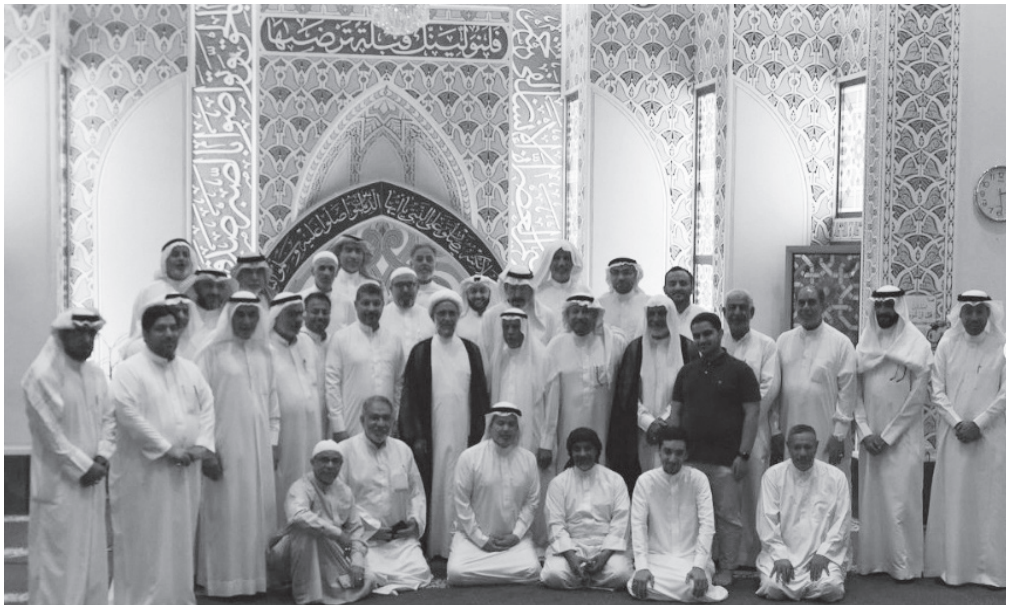

الدعاء رديف العمل وليس بديلاً عنه[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ الدعاء رديف للعمل وليس بديلًا عنه، فهو يمدّ الإنسان بالأمل ويعطيه شعورًا بجدوى العمل.

وتابع: البعض لا يتحرك لأنه فقد الثقة بجدوى العمل، فالدعاء يعطي الإنسان الثقة من خلال إيمانه بالله تعالى فيندفع للعمل متكلًا على الله تعالى.

جاء ذلك ضمن كلمة لسماحته تحت عنوان (الدعاء مكاسب مضمونة) يوم السبت ١٠ رمضان سنة ١٤٤٤هـ الموافق ١ أبريل ٢٠٢٣م، بعد صلاة

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١/ ٤/ ٢٠٢٣م.

الظهرين في مسجد الإمام الباقر عليه السلام بسيهات.

وأوضح سماحته أنّ الدعاء يرفع معنويات الإنسان، ويساعده على تجاوز المشاكل والصعوبات.

وتابع: كلّ إنسان في هذه الحياة يواجه صعوبات وتحدّيات ومشاكل، وقد تصاب نفسه بالضعف أو الانهيار، والدعاء يأتي لمعالجة هذه الحالة.

وذكر أنّ بعض وسائل الإعلام نقلت عن بعض الناجين من الكوارث الطبيعية كالتي حدثت في تركيا وسوريا أنهم كانوا يشعرون أنّ الله سينقذهم.

وتابع: الحالة النفسية والأمل والثقة بالله تنقذ الإنسان. وأضاف: الدعاء يساعدنا في تأمين حالة الثقة بالله فتنفتح نوافذ الأمل في النفس.

وأشار إلى أنّ الدعاء يعزّز العبودية لله تعالى في نفس الإنسان، ويرسّخ لديه التواصل مع ربه. وبيّن أنّ الإنسان حينما يدعو ربه، فإنّ ذلك يعني إيمانه بقدرته وبالصفات الحسنى لربه وإقراره بحاجته إلى ربه.

وقال سماحته: آيات القرآن الكريم تشير إلى أنّ الدعاء حالة فطرية، وليست حالة دينية محضة، فحين يشعر الإنسان بضعفه يدرك أنّ هناك قوة أوجدته وهي مهيمنة على الكون، وحين يكون في موضع الحاجة والاضطرار فإنّ فطرته تدفعه للبحث عن مصدر القوة.

واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾.

وأوضح أنّ علاقة الإنسان المؤمن بربه ينبغي أن تكون حالة دائمة،

وليست مقتصرة على وقت الحاجة.

هذا وقد أدار الندوة الأستاذ منير المشامع، وأجاب سماحة الشيخ الصفار على بعض الأسئلة التي طرحها الحاضرون.

لمشاهدة الندوة:

الإنفاق على الشأن العام من أفضل مصارف الثروة[1]

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار على أنّ أفضل مصرف للثروة، هو الإنفاق على الشأن العام، وتوظيفها لصالح الدين والمجتمع.

وشدّد على ضرورة أن يبذل الإنسان جزءًا من وقته وجهده وماله لخدمة مجتمعه ووطنه.

جاء ذلك ضمن المحاضرة التي ألقاها في منزل الحاج يونس الجارودي بالقديح مساء يوم السبت ١٠ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١ أبريل ٢٠٢٣م.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١/ ٤/ ٢٠٢٣م.

ودعا سماحته إلى إشاعة ثقافة العمل التطوعي، فهناك حاجة لعدد من الجمعيات التطوعية في مختلف المجالات.

وتابع: الدولة قرّرت أن تعتمد سياسة جديدة وهي فتح المجال أمام العمل التطوعي حتى يصل عدد المتطوعين في المملكة مليون متطوع حسب رؤية ٢٠٣٠.

وتحدّث عن حاجة المجتمع إلى الكثير من العمل الأهلي «فهنالك مواقع كثيرة على المستوى الاجتماعي فيها نقص وبحاجة لتأسيس مؤسسات تدعمها».

وأشار إلى الحاجة لجمعيات أهلية في التعليم والخدمات البلدية وقضايا الصحة كجمعية أصدقاء مرضى السرطان وأصدقاء مرضى الكلى وجمعية أمراض الدم الوراثية وغيرها.

ودعا أن يكون للناس دور المشاركة في الخدمات العامة، «ولا ربط لذلك بثراء الدولة أو فقرها، فهناك دول ثرية على مستوى العالم في أمريكا وأوروبا وفيها مشاركة مجتمعية».

وأكد أنّ عنوان العمل التطوعي والمشاركة المجتمعية أصبحا عنوانين بارزين على المستوى الوطني، داعيًا لعدم التخلف عن ركب باقي مناطق المملكة.

وتابع: نعيش في وطن نرى الناس يتسابقون فيه على البذل والعطاء وتأسيس الخدمات والمؤسسات المختلفة ولا يصح لنا أن نكون متأخرين عن الركب.

وتحدث الشيخ الصفار عن مجموعة من رجال الأعمال وعن

مشاركاتهم المجتمعية في المنطقة كمؤسسة عبدالعزيز ومحمد وعبداللطيف، أبناء حمد الجبر في الأحساء.

واستعرض سماحته بعض المشاريع التي أنشأوها، كمشروع الإسكان الخيري في الأحساء المتمثل في٢٥٠ وحدة سكنية كلفتها ٦٢ مليون وزعت على العوائل الفقيرة من السنة والشيعة عبر الجمعيات بعد عمل قوائم وقرعة بينهم.

وتابع: بالإضافة إلى تبرعهم لبناء النادي الأدبي في الأحساء، ومركز حمد الجبر لعلاج الأورام، ومستشفى العيون، ومركز الجبر للكشف المبكر للسرطان، ومركز الجبر للكلى، ومركز للأطراف الصناعية، ومجمع تعليمي ابتدائي ومتوسط وثانوي، ومستشفى الجبر لعلاج الإدمان حيث يُعدّ تكلفة كلّ مشروع بالملايين.

وتساءل: ما دمنا نعيش في ساحة فيها مثل هذه المبادرات والأنشطة، هل يصح لنا أن نتخلف عن الركب ونبقى محدودي العطاء والإنفاق والعمل في هذا المجال؟

ومضى يقول: لا نقلّل من شأن رجالاتنا وعطاءاتهم، وإنما نطمح أن تكون عندنا مبادرات على المستوى القائم في الوطن.

وبمناسبة ذكرى وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد أشار سماحته إلى ضرورة أخذ الدروس والعبر للتمثل بالقيم العظيمة التي هي سبب مكانة هذه المرأة الجليلة.

وأوضح أنّ إحدى النقاط البارزة في شخصية السيدة خديجة تتمثل في عطائها اللّامحدود حيث وظفت ثروتها الكبيرة في صالح الدين والمجتمع.

وتابع: يجب أن نبحث عن مكامن العظمة في مثل هذه الشخصيات وأخذ الدروس منها وليس التركيز فقط في تفاصيل حياتهم.

وأضاف: للسيدة خديجة حقٌّ في عنق كلّ مسلم وفضل على الجميع؛ لأنها وقفت وآزرت ودعمت رسول الله ﷺ.

وبيّن أنّ من مكامن العظمة في شخصية أم المؤمنين خديجة اكتشافها لشخصية رسول الله ﷺ.

وتابع: كثير من الناس قد يعاشرون بعض المصلحين والمتميّزين والواعدين ولكنهم لا يتوفقون لاكتشاف شخصياتهم.

وأضاف: المتميّزون وذوو المواهب والشخصيات الكفوءة في كثير من الأحيان تكون مجهولة في مجتمعاتها، أو محجوبة بالتنافس السَّلبي والتحاسد القائم في المجتمعات.

وأبان أنّ الناس الذين يمتلكون فراسة وتوهجًا ذهنيًا هم الذين يكتشفون المواهب والكفاءات ويفهمون ماذا يريد هذا الشخص؟ وما هو المستقبل الذي يطمح إليه في مجتمعه؟

ولفت إلى أنّ السيدة خديجة اكتشفت شخصية رسول الله ﷺ من خلال سلوكه وسيرته واكتشفت أنّ الرسول ﷺ لم يكن إنسانًا عاديًّا بل له مستقبل مهم، وبادرت إلى التصديق بنبوته حين أخبرها بنزول الوحي عليه.

تقوية البعد الروحي في مواجهة النزعة المادية الجارفة[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار لضرورة تقوية البعد الروحي، وصنع برامج عبادية ذاتية، كالتوجه لله بالدعاء، في مواجهة النزعة المادية الجارفة وما تسببه من أزمات نفسية واجتماعية.

ودعا إلى أهمية ترسيخ الأجواء الروحية والتفاعل معها لا سيّما وأنّ شهر رمضان موسم لانتعاش الروح والاستقرار النفسي عند الإنسان.

جاء ذلك ضمن الندوة التي أقيمت في منزل

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٥/ ٤/ ٢٠٢٣م.

الحاج حسن العطافي بحي الفيحاء في سيهات ١٢ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٣ أبريل ٢٠٢٣م.

وذكر سماحته أنّ الجانب الروحي والنفسي بُعدٌ مهم في حياة الإنسان وشخصيته، ولا شيء آخر يعّوض عن الاهتمام به.

وانتقد تجاهل الحضارة المادية لهذا البعد، مما سبّب الكثير من الأزمات النفسية والروحية نتج عنها حالات العنف والانتحار والإقبال على المخدِّرات.

وتابع: بسبب الفراغ الروحي انتشرت في أمريكا استخدام الأسلحة الفردية وحالات إطلاق النار العبثي.

وأوضح أنّ التقدم الهائل في إدارة الحياة الذي تعيشه المجتمعات المتقدمة هو شيء إيجابي في هذه الحضارة، لكنّ نقطة الضعف تكمن في تجاهل الجانب الروحي في شخصية الإنسان، والاقتصار على المكاسب المادية المتقدّمة.

وتابع: الدين يريد للإنسان أن يحقق كلّ هذه الإنجازات المادية والاستفادة من الكون المسخّر له.

وشدّد على أهمية الجانب الروحي وجانب الاطمئنان في النفس، مؤكدًا أنه إذا توفرت كلّ الإمكانات المادية للإنسان لكنه يعيش حالة الاكتئاب والقلق والرّهاب، فلن يتمتع بحياته.

وأضاف: مهمّة الدين أن يلفت نظر الإنسان إلى ما قد يغفل عنه من الجانب الروحي.

وأشار إلى أهمية الدعاء في ترسيخ العبودية في نفس الإنسان،

والشعور بالافتقار إلى الله سبحانه وتعالى.

وأكّد على أنّ الدعاء يزرع في نفس الإنسان الثقة بالله مهما أصابه من مشاكل، أو واجه من تحدّيات؛ لأنه لاجئ لمن هو مركز القوة والهيمنة، وهو الله تعالى.

وبيّن أنّ من مكاسب الإنسان من الدعاء الراحة النفسية، والثقة، وانبعاث الأمل في نفسه فيحفّزه للعمل وحلّ المشاكل التي تواجهه.

وقال بأنّ الأمل يجعل الإنسان أقدر على مواجهة التحدّيات والمشاكل.

وطالب بتأمل الأبعاد الروحية والعلاقة مع الله في شهر رمضان، وتقوية الجانب الروحي في حياة الإنسان.

وذكر بأنّ أهم ميزة في شهر رمضان المبارك هي أجواؤه الروحية التي تعمر نفس الإنسان وتشيع الطمأنينة والاستقرار في وسط الاجتماع الإيماني.

وتابع: الإنسان في هذه الحياة لا يعيش بالمتطلّبات المادية فقط، وإنما هو بحاجة إلى ما يُغذّي ويُنعش روحه.

وشهدت الندوة عددًا من المداخلات والأسئلة التي أجاب عليها سماحة الشيخ الصفار.

أهمية المشاركة المجتمعية ودعوة أصحاب الثروة لخدمة مجتمعهم[1]

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار على أهمية المشاركة المجتمعية، وضرورة أن يقدّم أصحاب الخير والثروة مبادرات أهلية لخدمة مجتمعهم ووطنهم.

وقال بأنّ إتاحة الفرصة للمواطنين الأثرياء، في أن يشاركوا في تقديم الخدمة لمجتمعهم ووطنهم، يُعدُّ توجهًا إيجابيًا؛ لأنه يغرس الشعور بالمسؤولية في نفس الإنسان.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠٢٣م.

جاء ذلك ضمن الكلمة التي ألقاها بمناسبة ذكرى مولد الإمام الحسن بن علي، في مجلس السالم بسيهات، بتاريخ ١٥ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٦ أبريل ٢٠٢٣م بحضور عدد من العلماء والوجهاء ورجال الأعمال والمثقفين.

وشدّد سماحته على أهمية المشاركة المجتمعية، التي تُعدّ الآن عنوانًا مطروحًا في ساحة الوطن، داعيًا الأثرياء، ورجال الأعمال، وأصحاب الخير، للوقوف مع وطنهم ومجتمعهم، للمشاركة في تقديم الخدمة للمجتمع، وبالتنسيق مع مؤسسات الدولة الصحية والتعليمية والبلدية ومختلف الأجهزة والمؤسسات.

وبيّن أنه في الدول الغنية المتقدّمة توجد بها مشاركة مجتمعية، فالكثير من الجامعات والأنشطة البحثية والعلمية، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية والتعليمية والصحية، أقيمت عن طريق أصحاب رؤوس الأموال، وبمبادرات أهلية، رغم كونهم يعيشون في دول ثرية متمكنة.

وأشاد بالمبادرات الخيرية الأهلية التي رُصِدت مؤخرًا على مستوى الوطن بشكل عام، مبينًا أنّ الكثير من رجال الخير تبرّعوا ببناء مستشفيات، ومراكز صحية، ومؤسسات عامة، وأسهموا إسهامات كبيرة في تقديم خدمات مختلفة.

وتحدّث عن مبادرة مركز الفحص الشامل الذي أقامه سماحة العلامة السيد علي السلمان، وإلى جانبه مركز صحي المجيدية الذي بلغت كلفته ما يقارب ٤٠ مليون ريال، مؤكدًا أنّ «هذا عطاءٌ ينبغي أن يُقدّر».

وسلّط الشيخ الصفار الضوء على مبادرات أخرى في تاروت لآل نوح، حيث كانت لهم مبادرة لبناء مركز ومؤسسة صحية كبيرة تقدّر كلفتها

بـ ٢٥ مليون ريال.

وتطرق لمبادرة الحاج أحمد الصادق أبو ناصر في تاروت الذي التزم ببناء مركزين صحيين في الربيعية ودارين على نفقته.

وأشار إلى تبرع الشيخ عادل الأسود، ورجل الأعمال العميد المتقاعد الحاج عبدالله الخنيزي بـ ١٠ ملايين ريال للاهتمام بمقابر المحافظة، وإنشاء مركز للاهتمام بإكرام الموتى في مقبرة القطيف الرئيسة.

ودعا الشيخ الصفار لتشجيع مثل هذه المبادرات والدعوة للإكثار منها.

وتابع: من يحرص على مصلحته ومصلحة مجتمعه، وعلى خيره في الدنيا والآخرة، عليه أن يغتنم مثل هذه الفرص، مشيرًا إلى أنّ هذه أفضل هدية نكتسبها من ذكرى ميلاد الإمام الحسن بن علي، وهو الذي عرف بأنه كريم أهل البيت، وكان لا يأتيه سائل فيرده، وورد أنه: «خَرَجَ مِنْ مَالِهِ مَرَّتَيْنِ، وَقَاسَمَ اَللَّهَ مَالَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ».

وقال: نحن نفرح بالناس الذين يعملون ويكدحون من أجل تحصيل المال والثروة، ومختلف أنواع القدرات والمكاسب، ولكن كيف يتصرف الإنسان في ثروته وفي الإمكانات التي تصبح تحت يديه؟ وكيف ينظر إليها؟

وذكر بأنّ البعض من الناس قد يعيش حالة من الأنانية، ويتصور أنّ ثروته له خاصة، وأنّ ماله هو من يستمتع به فقط، مؤكدًا بأنّ هذا مخطئ في تصوره وسلوكه.

وأشار إلى أنه يجب ألّا يغيب عن فكر الإنسان بأنّ الثروة فضل من الله

عليه، وأنّ الله هو الذي أعطاه القدرة وأتاح له الفرصة.

وحثّ على وجوب شكر الله تعالى ليستفيد الإنسان من هذه النعمة، ويزيد الله نعمه عليه، وذلك من خلال أن ينال الآخرون مما أنعم الله به عليه.

وتابع: يجب على الإنسان أن ينفق ويسخّر ثروته من أجل خدمة مجتمعه ووطنه ومن أجل مساعدة الآخرين.

وقدّم شكره لصاحب المجلس الحاج سالم علي السالم على عقد هذا اللقاء الحاشد من العلماء والمثقفين والوجهاء وذوي الرأي في المجتمع، داعيًا الله بأن يكونوا جميعًا دعاة للخير والسَّخاء، ومن العاملين به.

التحفيز لاهتمام أكبر بالأبناء والتفرغ لتربيتهم[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ مسؤولية تربية الأبناء أمانة في أعناق الجميع، ويجب أن نهتم بهم وبتربيتهم وتوجيه سلوكهم للصلاح.

وتابع: مستقبل أبناءنا يعتمد على درجة اهتمامنا بهم، وتفرّغنا لتربيتهم.

جاء ذلك ضمن كلمة لسماحته في حفل ذكرى ميلاد الإمام الحسن في مسجد أمّ البنين بسيهات ليلة الخميس ١٥ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٦ أبريل ٢٠٢٣م.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٧/ ٤/ ٢٠٢٣م.

وأوضح سماحته أنّ أكثر الآباء والأمهات اليوم مشغولون عن أبنائهم بوظائفهم وبرامجهم الخاصة.

وتابع: هذا الانشغال قد يؤثر على الأبناء ومستقبلهم.

وبمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال سماحته: نحن نقرأ في الروايات اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السلام، وهذا السلوك يبعث لنا رسالة بأن نهتم بأبنائنا وتربيتهم الجسمية والنفسية والثقافية.

وتابع: رغم انشغال النبي بالرسالة وبصنع أمة تحمل على عاتقها تغيير العالم، إلّا أنه لم ينشغل عن أبنائه.

وأبان أنّ الأحاديث الواردة في حقّ الحسنين تريد أن تبيّن للأمة فضلهما، وذلك يرتبط بمستقبل الدعوة والرسالة، فحينما تلتبس الأمور على البعض، وتختلف الطرق والمسارات، تكون هذه الأحاديث وهذه المواقف علامات فارقة يعرف فيها الناس المسار الحقّ من المسار الخطأ.

وتابع: وهناك أمر آخر وهو أنه أراد أن يرسي معالم النهج التربوي لأصحابه وأمته، فقد جاء في قوم لم تكن لديهم الأساليب الصحيحة والسليمة في تربية أبنائهم، فأراد أن يعلّم الناس ويعلّم البشرية كيف ينبغي أن تكون تربية الأبناء والاهتمام بهم.

وأضاف: مارس رسول الله ﷺ التعليم النظري بالدعوة والإرشاد، والتعليم العملي بطريقة تعامله مع سبطيه، وهو النموذج الذي ينبغي لنا أن نقتدي به.

وأشار إلى أنّ تربية الأبناء ليس أمرًا كماليًّا متروكًا للفرد، بل مسؤولية شرعية، فإنّ الله سبحانه سيحاسب كلّ أبٍ عندما يقصّر في تربية أبنائه.

وبيّن أنّ التربية أصبحت تحدّيًا خطيرًا، لأنّ أيّ تساهل أو إهمال أو فراغ نتركه في نفوس أبنائنا وفي أذهانهم، فهناك من يستغلّ الفرصة ويملأ هذا الفراغ ويختطف الأبناء إلى الضياع والانحراف.

وتابع: بالإضافة إلى المسؤولية الدينية في تربية الأبناء، فإنّ أمننا الاجتماعي في خطر؛ لأنّ التساهل في التربية قد يدفع الأبناء لسلوك الطريق الخطأ، أو يكونون فريسة للتوجهات المنحرفة.

ودعا لمبادرات فردية واجتماعية في توجيه سلوك الأبناء قبل أن تجتذبهم الجهات المنحرفة، وحتى نوجههم لما يفيد دنياهم وآخرتهم.

هذا وقد بدأ الحفل بآيات من الذكر تلاها المقرئ أمين خميس، وشارك الرادود الملّا محمد أبوجبارة، بالإضافة لمشاركة فرقتي كريم أهل البيت، ومواهب فنية.

وفي ختام الحفل قدّم سماحة الشيخ حميد منصور العباس درعًا تذكارية لسماحة الشيخ الصفار.

التحذير من الانشغال عن الأبناء وتركهم فريسة للفضاء الإلكتروني[1]

حذّر سماحة الشيخ حسن الصفار الأسر من الانشغال عن أبنائها وتركهم فريسة للفضاء الإلكتروني المليء بالجراثيم والميكروبات والسَّلبيات.

وقال: الاهتمام بهذا الجيل لم يَعُدْ مسؤولية أسريةً فقط، وإنّما هو مسؤولية اجتماعية ووطنية، «لذلك علينا كمجتمع أن نشجّع المؤسسات والبرامج التي تهتم بهم».

جاء ذلك ضمن كلمة لسماحته في حفل

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٧/٤/٢٠٢٣م.

ذكرى ميلاد الإمام الحسن في مسجد الحمزة بسيهات ليلة الخميس ١٥ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٦ أبريل ٢٠٢٣م.

وأوضح سماحته أنّ منظمة الصحة العالمية، والمؤسسات المهتمة بشأن الطفولة، أصدرت تحذيرات عديدة، من إدمان الأطفال على الإنترنت والأجهزة الذكية؛ لأنها تصيبهم بمضار كثيرة جسمية ونفسية.

وتابع: تحدّثت هذه المؤسسات عن مضارّ جسمية فيما يتعلّق بالنظر وآلام الظهر وغيرها.

وتابع: ومن الناحية النفسية فإنّ الإدمان على هذه الألعاب يخلق حالة توتر في نفس الطفل، ويخلق لديه تعلّقًا بشخصيات رمزية قد تكون سيئة سلبية.

وأبان أنّ هذا الإدمان قد يكون سببًا لانحراف الأبناء وجرّهم إلى عالم المخدِّرات والانحراف الأخلاقي، خاصة وأنّ بعض البرامج الإلكترونية تعلّم الأطفال طريقة الانتحار، وحدثت استجابة لهذه البرامج الخطيرة في بعض المجتمعات.

وبمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الحسن بن علي قال سماحته: من يقرأ السيرة النبوية، والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في حقّ الحسن بن علي عليه السلام وأخيه الحسين عليه السلام، يجد مدى تعلّق رسول الله بسبطيه، وعمق محبّته لهما، تلك المحبة التي كان

حريصًا على إظهارها وإبرازها أمام أبناء الأمة.

وتابع: هذه الأحاديث كما أنها تريد أن تبيّن للأمة فضل الإمامين الحسنين، كذلك أراد منها أن ترسم معالم النهج التربوي لأصحابه وأمته.

وأضاف: جاء رسول الله ﷺ في قوم لم تكن لديهم الأساليب الصحيحة السليمة في تربية أبنائهم، فأراد أن يُعلّمهم ويعلّم البشرية جمعاء كيف ينبغي أن تكون تربية الأبناء والاهتمام بهم.

وأشار إلى وجود أحاديث واردة حول التربية والتعامل مع الأبناء بشكل عام، لكنّ الرسول ﷺ أراد أن يُقدّم أنموذجًا عمليًّا أمام الأمة.

وتابع: هذا ما نريد التأمل فيه، إنها رسالة لنا جميعًا لكي نهتم بالأبناء، فإنهم أمانة في أعناقنا ونحن مسؤولون أمام الله سبحانه وتعالى عن تعاملنا مع هذه الأمانة.

وذكر أننا في مثل هذه الليلة نرى مظهرًا من مظاهر الاهتمام الجميل بالأبناء، وهو أن يعيش أبناؤنا أجواء الولاء في هذا المهرجان الاجتماعي الشعبي المفتوح في كلّ الشوارع والأزقة، وكلّ البيوت والعوائل تشارك فيه، هذا أمر مفيد يوثق الرابطة الذهنية والعاطفية بين أبنائنا وبين أئمتنا ﷺ.

وتابع: مثل هذه البرامج العامة والخاصة هو ما يجب أن نهتم به، ونطوّره، ونستفيد منه لخدمة دنيانا وآخرتنا.

هذا وقد افتتح الحفل الذي قدّمه الأستاذ منصور جواد بآيات من القرآن الكريم تلاها المقرئ أكرم الحاجي، وبمشاركة الشاعر عبدالله الأقزم، والرادود صالح المؤمن.

وفي ختام الحفل قدّم سماحة السيد حسن النمر درعًا تذكارية لسماحة الشيخ الصفار.

صلة الرحم تنمّي المشاعر الإيجابية عند الإنسان[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ التواصل بين الأرحام، ينمّي المشاعر الإيجابية عند الإنسان، ويرفع معنوياته.

ودعا لاغتنام كلّ الفرص لصلة الرحم، خاصة في ظلّ انشغالات الناس في هذا العصر بقضاياهم الكثيرة.

جاء ذلك ضمن كلمة ألقاها في مجلس عائلة المزعل بسيهات ١٦ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٧

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨/ ٤/ ٢٠٢٣م.

أبريل ٢٠٢٣م بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الحسن المجتبى.

وتحدّث سماحته عن الحاجة للتعامل مع الأرحام، والسعي في معالجة مشاكلهم، والوقوف مع بعضهم بعضًا.

وأشاد بفكرة تشكيل صندوق للأسرة، وتشكيل مجلس للعائلة.

وتحدّث عن إيجابية وجود صندوق عائلي للتعاون بين أفراد الأسرة، ومن برامجه تكريم المتفوقين، ومساعدة من يعانون من ضعف في تعليمهم، أو في وضعهم الاقتصادي، ومشاكلهم الصحية.

ودعا إلى أن تكون لكلّ عائلة جهة تنسق العلاقات، وذلك لتعزيز سبل التواصل بين أفرادها عند أيّ أمر، كمرض أحدهم أو حاجته.

ولفت إلى عدم الاقتصار على التواصل بين الأرحام في حالات الوفاة فقط، التي تُعدّ الحالة البارزة للالتقاء في المجتمع.

واقترح سماحته أن تتبنّى فئة الشباب في العائلة القيام بدور التنسيق، وذلك بالعمل على ترتيب اللقاءات، وطرق تفقّد الأحوال.

وحثّ على معرفة الأوضاع الدراسية والوظيفية لأفراد العائلة، ومساعدة المحتاج للحصول على فرص عمل، أو إبراز كفاءاتهم ومواهبهم، وإشعارهم بأنهم مورد فخر واعتزاز.

وتابع: كون الإنسان عزيزًا محترمًا في عشيرته يعطيه مشاعر وأحاسيس إيجابية تدفعه للتقدّم والتميّز.

وأكّد على أنّ وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت مساعدة جدًّا، وبشكل مباشر، للوصول لأيِّ دعوة أو خبر أو إنجاز لأحدٍ من أفراد العائلة.

وسلّط الضوء على الإيجابيات الكبيرة للتزاوج بين الأرحام، فوجود الفحص الطبي كافٍ لتجاوز احتمالات الأمراض الوراثية.

وتابع: ينبغي أن نساعد الشاب الذين يبحث عن زوجة، ونتعاون معه من داخل العائلة، فذلك أولى.

وبيّن أنّ في حال وجود بنت تقدّم بها العمر، ولم تتزوج، ينبغي لأرحامها مساعدتها في البحث عن فرصة زواج مناسب، وهكذا سائر الشؤون والأمور.

وأكّد سماحته على ضرورة الاهتمام بالبعد النفسي اهتمامًا خاصًا، والعمل على تغذيته وتنميته مثل الاهتمام ببعدي الجسم والعقل.

وقال إنّ البعد النفسي لدى الإنسان الذي يتكون من مشاعر وأحاسيس ورغبات ونزعات في أعماق وجوده هي من أهم الأبعاد التي تحتاج إلى تنمية وتغذية.

وتابع: من أهم الطرق التي تجعل الإنسان مرتاحًا في مشاعره وأحاسيسه هي العلاقات الإيجابية مع محيطه الاجتماعي.

وأكّد على أنّ الإنسان كلّما كانت علاقته مع محيطه الاجتماعي أفضل، كان أكثر استقرارًا نفسيًّا، وكانت مشاعره أكثر إيجابية.

وشدّد على أهمية أن يولي الإنسان اهتمامًا كبيرًا بالعلاقة مع محيطه، كما يولي اهتمامًا بجسمه، وبحياته المادية، ومعارفه، ودراسته، وعلمه، ومواهبه وكفاءته.

وتابع: على الإنسان أن يهتم بعلاقته سواء ضمن الدائرة الصغيرة داخل أسرته الصغيرة، أو أسرته الكبيرة من أقربائه وأرحامه، وجيرانه، وزملائه.

وتحدّث عن اهتمام الدين بكلّ مفردة من مفردات العلاقات الاجتماعية، حول العائلة والأسرة من صلة رحم، وعلاقة مع الجيران والأصدقاء والمجتمع.

ودعا إلى أن يكون الإنسان حذرًا في جانب علاقته مع الناس، وأن يهتم بحسن العلاقة معهم مثل اهتمامه بالعبادات.

وتابع: النصوص الدينية تؤكد ألّا قيمة لعبادة الإنسان القاطع لرحمه، أو العاقّ لوالديه، أو المسيء لجيرانه، أو المتجاوز على حقوق الآخرين.

الإشادة بإدارات الجمعيات الخيرية ودعوتهم إلى التطوير[1]

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفّار بالجهود التي تبذلها مجالس إدارات الجمعيات الخيرية في محافظة القطيف، لتشجيع العمل التطوعي، وتقديم الخدمات والمساعدات للمحتاجين.

وقال: إنهم يبذلون من وقتهم وجهدهم على حساب اهتماماتهم وشؤونهم الخاصة، ويتحمّلون الأعباء، ويواجهون بعض المصاعب، من أجل خدمة وطنهم ومجتمعهم.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٨/ ٤/ ٢٠٢٣م.

جاء ذلك أثناء استقبال سماحته لعدد من رؤساء وأعضاء إدارات الجمعيات الخيرية في القطيف.

وأضاف الشيخ الصفّار: إنّ توجه الدولة للارتقاء بمستوى العمل التطوعي، ضمن رؤية ٢٠٣٠ منح الجمعيات الخيرية فرصًا واسعة لاستيعاب إقبال المواطنين وتجاوبهم مع البرامج الخيرية التطوعية.

وقال: إنّ المجتمع أصبح أكثر وعيًا وإدراكًا لأهمية العمل التطوعي، ودور الجمعيات الخيرية، لذلك نرى المزيد من المبادرات وارتفاع مستوى البذل والعطاء، تجاوبًا مع ما تطرحه الجمعيات الخيرية من برامج ومشاريع.

ودعا سماحته إدارات الجمعيات لمزيد من الاهتمام والتطوير، في مجال توفير مصادر تمويل مستدامة، عبر الاستثمارات الناجحة، وتشجيع الأوقاف الخيرية، وإنشاء المؤسسات الرديفة التي تخدم العمل الخيري، كمؤسسات التأهيل والتدريب، ودعم الأسر المنتجة.

كما طالب إدارات الجمعيات بتوسيع شبكة علاقاتهم مع المؤثرين في مختلف الشرائح الاجتماعية، كعلماء الدين، ورجال الأعمال، والمثقفين، وأصحاب المناصب والمواقع في الشركات المختلفة.

وقد تحدّث عدد من رؤساء الجمعيات

عن تفاؤلهم بالظروف الجديدة المشجّعة للعمل التطوعي، وبالتجاوب الذي يلقونه من أبناء المجتمع، مشيرين إلى بعض التحدّيات التي تواجههم في مجال جذب الكفاءات والطاقات داخل مجالس الإدارات، ولقيادة اللجان المختلفة في الجمعيات.

وأبدوا شكرهم وتقديرهم للتشجيع المتواصل من قِبل الشيخ الصفّار للجمعيات الخيرية، عبر محاضراته وكتاباته، ودعمه المادي والمعنوي.

وقد استقبل الشيخ الصفّار مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس ٢٢ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ أبريل ٢٠٢٣م إدارات الجمعيات الخيرية في القطيف، وصفوى، وسنابس، والجارودية، وأم الحمام، والعوامية، والأوجام.

كما استقبل مساء يوم الجمعة ليلة السبت ٢٤ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٥ أبريل ٢٠٢٣م إدارات الجمعيات الخيرية في تاروت، والجش، والقديح.

واستقبل مساء يوم الأحد ليلة الإثنين ٢٦ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٧ أبريل ٢٠٢٣م إدارة جمعية العطاء النسائية.

القرآن علاج لأمراض النفس والروح[1]

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار أنّ آيات القرآن الكريم تساعد على تجاوز أمراض النفس والروح وأنه شفاءٌ لما في صدر الإنسان من علل وأسقام، وأنّ وظيفة القرآن الكريم تكمن في شفاء أعماق الإنسان وما في نفسه.

وأشار إلى أنّ الأمراض الجسمية لها طريقتها للعلاج، موضحًا أنّ الآيات الكريمة تتحدّث عن علاج القرآن للأمراض النفسية الروحية بشكل أساس وذلك مفاد قوله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٩/ ٤ / ٢٠٢٣م.

جاء ذلك ضمن كلمة ألقاها سماحته في الأمسية القرآنية التي أقامتها ديوانية الثقلين بمنزل الشيخ صالح آل إبراهيم في صفوى بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٨ أبريل ٢٠٢٣م.

وشدّد سماحته على أنّ العلاج بالقرآن للأمراض الجسمية ليست بديلة عن التداوي، فالنصوص الدينية تؤكد على أنّ الجسم لا بُدّ أن يُعالج بالتداوي.

وأشار إلى أنّ ذلك لا يتنافى مع التوسّل بالقرآن من أجل معالجة الأمراض الجسمية، ففي القرآن بركة، ومن الممكن أن يتوسّل به إلى الله لينال الشفاء، لكن لا بُدّ أن يبحث الإنسان لمرضه الجسدي عن الدواء، وهو ما يأمر به الدين ويأمر به الأئمة. مؤكّدًا أنّ الفقهاء يوجهون المريض أن يستمع لكلام الأطباء، ويأخذ بنصائحهم.

ولفت إلى أنّ العلاج القرآني يهتم بما هو داخل الإنسان وفي أعماقه، وهذا التعبير ﴿شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ ورد في أكثر من آية في القرآن ويقصد به داخل الإنسان.

وتابع: النفس تُبتلى بأمراض كما أنّ الجسم يُبتلى بأمراض، بل إنّ ابتلاء النفس بالأمراض أكثر من ابتلاء الجسم، مؤكّدًا على أنّ تأثير أمراض النفس أخطر على الإنسان من أمراض الجسم.

وأكّد على أنّ القرآن ليس للتلاوة أو الاستماع فقط، وإنّما هو هداية للناس،

مشيرًا إلى أنّ ذلك يستلزم التأمل والاستجابة لمضامين الآيات القرآنية.

وسلّط الشيخ الصفار الضوء على أهم ثلاثة أمراض للنفس، هي: (القلق والاضطراب النفسي، والمشاعر السلبية تجاه الآخرين، وهيمنة الرغبات والشهوات على نفس الإنسان).

وعن القلق والاضطراب النفسي قال سماحته: إنّ الإنسان في هذه الحياة يواجه تحدّيات، تسبّب له قلقًا واضطرابًا، كالتحدّيات في علاقته مع الطبيعة، ومع البيئة، ومع المحيط الاجتماعي، والمشاكل المختلفة.

وقال: إنّ القرآن الكريم من خلال آياته يهدي الإنسان ويوجهه إلى أن يتوفر على الطمأنينة.

ولفت إلى أنّ على الإنسان، وهو يعيش مشكلة في الحياة، عليه أن يقتبس من القرآن الكريم ويتأمل في آياته.

وتحدّث عن الآيات الكثيرة التي تأمر بالصبر، وتأمر بتفويض الأمور لله سبحانه وتعالى، والتي تَعِدُ الصابرين وتُبشّرهم.

وتساءل: «ما الفائدة إذا كان الإنسان يقرأ القرآن ولا يتفاعل معه؛ ذلك يُعدّ مثل الإنسان المريض الذي لا يتفاعل مع الدواء؟».

وأوضح بأنه وكما أنّ من لا يستخدم الدواء لا يشفى من مرضه الجسمي، فكذلك من لا يتفاعل مع مضامين هذه الآيات، يسيطر عليه القلق، ويصيبه الإحباط والاكتئاب والانكفاء، وتصيبه مختلف المشاكل النفسية.

وعن المشاعر السلبية تجاه الآخرين قال سماحته: إنّ علاقات الإنسان الاجتماعية تبقى مهدّدة بالسَّلبيات؛ لأنه يعيش في حالة تنافس

مع الآخرين، وتضارب في المصالح، وتنافر في الأمزجة والطباع، لذلك يبقى في معرض الصِّراعات والخلافات والعداءات.

وأكّد أنّ القرآن الكريم يُهذّب مشاعر الإنسان، حتى ينظر الى الآخرين نظرة إيجابية فإنه يأمر بإحسان الظنّ بالآخرين، واجتناب سوء الظنّ الذي يُعدّ سببًا من أمراض النفس.

وقال: إنّ من يُسيء الظنّ في الآخرين، يفسّر تصرفاتهم ومواقفهم وتوجهاتهم دائمًا تفسيرًا سلبيًا.

ودعا إلى ضرورة التحمّل في العلاقة مع الآخرين، حيث يُعدّ ذلك امتحانًا من الله في هذه الدنيا، ويجب السَّعي للنجاح في هذا الامتحان.

وأضاف: «هذا امتحان مطلوبٌ منك. حينما يسيء لك آخر، من الممكن أن تتأثر وتنفعل، لكن لا تجعل قلبك مخزنًا للأحقاد والضغائن».

وأشار إلى مرض هيمنة الرغبات والشهوات على نفس الإنسان، مؤكّدًا أهمية أن تكون الرغبة ضمن الحدود المشروعة، وعدم الخضوع للأهواء والدخول في حالة مرضية.

وبيّن ضرورة أن يتوجه الإنسان عند قراءة آيات القرآن الكريم إلى أنّ هناك دارًا أخرى، وهناك قيم ومبادئ، فلا ينساق خلف الرغبات والأهواء.

كتاب باللغة التايلندية يتضمّن بحثًا للشيخ الصفار[1]

عن مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية صدر كتاب (العالم في زمن ظهور الإمام المهدي - الطبعة الأولى: ٢٠٢٣م) باللغة التايلندية، للمترجمين: الشيخ زين العابدين فندي، والشيخ مقداد ونغسينا آري.

يتكون الكتاب من ١٦٠ صفحة باللغتين العربية والتايلندية.

واحتوى على بحث لسماحة الشيخ حسن

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨ / ٥ / ٢٠٢٣م.

الصفار بعنوان: الحضور في زمن الغيبة.

وفيه تحدّث سماحة الشيخ الصفار عن وظيفة أتباع الإمام المهدي وشيعته في عصر غيبته.

وقال: إذا كان الإمام غائبًا، فإنّ المؤمنين به يتحمّلون مسؤولية استحضار نهجه، ليملؤوا الممكن من فراغ وجوده الشريف. فأئمة أهل البيت لم يكونوا مجرّد أشخاص، نتمنّى لو كانوا في موقع أشخاص آخرين، واختلافهم عن الآخرين وخلافهم معهم، لم يكن مسألة شخصية، ولا صراعًا عائليًّا، أو نزاعًا فئويًّا.

بل هم يمثلون نهجًا رساليًّا ينطلق من أصالة القيم الإلهية، ويحتضن عمق معارف الدين، ويحمي مصالح الأمة.

وأتباع الأئمة يجب أن يحتذوا حذوهم، ويترسّموا طريقهم، ويحفظوا نهجهم، حتى يصدق ادّعاؤهم في الاتباع والمشايعة.

وتحت عنوان التحدّي الحضاري المعرفي، قال سماحته: أنجزت البشرية في هذا العصر تقدّمًا معرفيًّا هائلًا.

لذا يجب أن يتبارى ويتنافس علماء المذاهب ومفكّرو المدارس الإسلامية، ليسجلوا إنجازًا ومشاركة تحسب في رصيد الإسلام الحضاري، وتؤكّد حضور الإسلام كفكر ومنهج على الساحة العالمية.

أما الاستغراق في الجدل المذهبي، واستهلاك الجهود في بحث الخلافات التاريخية التي أكل عليها الدهر وشرب، وعرض العضلات، وصنع الإنجازات والبطولات الوهمية من خلالها، فلن تزيد الإسلام إلّا وهنًا، ولن تنتج للأمة إلّا تخلّفًا أكثر عن ركب الحضارة والتقدّم.

وتضمّن الكتاب مقدّمة للأستاذ عبدالعلي يوسف آل سيف، وبحوثًا لكلٍّ من:

- الشيخ محمود آل سيف: التبشير بالمهدي القائد.
- الشيخ حسين الصويلح: الإمام المهدي نظرية السماء في الأرض.
- الشيخ عبدالغني العباس: حضارة آخر الزمان.

في تأبين الراحل آل رضي

ثقافة حبّ الناس واحترام أشخاصهم وأدوارهم[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ الدين يأمرنا ببثّ ثقافة حبّ الناس والإحسان إليهم واحترام أشخاصهم وأدوارهم.

وتابع: العقل والنصوص الدينية يؤكّدان أنّ من أحبّ الناس واحترمهم أحبّوه واحترموه.

جاء ذلك في الكلمة التي ألقاها سماحته ضمن حفل تأبين الكاتب والناشط الاجتماعي المهندس علي أحمد آل رضي في مسجد المحسن بسيهات،

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٧/ ٥ / ٢٠٢٣م.

مساء الأربعاء ليلة الخميس ٢٧ شوال ١٤٤٤هـ الموافق ١٧ مايو ٢٠٢٣م.

وأوضح سماحته أنّ المؤمن لا يعرف بالتزامه العقائدي أو العبادي فقط، بل بانعكاسها على سلوكه وتصرفاته.

وأبان أنّ الناس حينما يتحدّثون عن المؤمن يتصورونه بصفات المصلّي المتعبّد، لكنّ النصوص الدينية تتحدّث عن انعكاسات الإيمان والعبادة على حياة الإنسان المؤمن.

مستشهدًا بالحديث الوارد عن النبي ﷺ: «المُؤمِنُ يأْلَفُ ويُؤلَفُ، ولا خيرَ فيمَنْ لا يأْلَفُ ولا يُؤلَفُ، وخيرُ النَّاسِ أنفَعُهم للنَّاسِ».

وتابع: النبي في هذا الحديث يضع مسطرة للإيمان ولصفات المؤمن.

وأضاف: فالمؤمن «يأْلَفُ» أي ينفتح ويقترب وينسجم مع الناس، «ويُؤلَفُ» أي إنّ الناس يقتربون منه وينفتحون عليه، وينسجمون معه.

وبيّن أنّ النبي يصف الإنسان المنفِّر القليل الجاذبية الذي لا يجتذب النفوس ولا ينجذب إلى الآخرين بأنه «لا خير فيه» وإن تعبّد أو تهجّد.

وعن مقياس الخيرية قال سماحته إنّ الحديث يبين ذلك في قوله: «خيرُ النَّاسِ أنفَعُهم للنَّاسِ».

اكتساب الخيرية

وأشار إلى أهم المكتسبات التي إن تحصّل عليها الإنسان أصبح من خير الناس، أهمها محبّة الناس، بأن يشعر الإنسان في أعماق قلبه بالحب لمن حوله، من أبناء مجتمعه وكافة الناس.

وتابع: ومن الصفات التي تؤهل الإنسان ليكون من خير الناس احترام الآخرين، وعدم الاستهانة بهم أو الاستنقاص منهم.

وأضاف: كما أنك تحبّ أن تُحترم ينبغي أن تحترم الآخرين، حتى يسود سلوك وثقافة الاحترام في المجتمع.

وأوضح أنّ الإنسان المريض هو من يرى وكأن أهمّ عمل في المجتمع هو عمله، ولا يرى للأعمال الأخرى قيمة وتأثيرًا. مؤكّدًا أنّ المطلوب هو احترم أشخاص الآخرين وأدوارهم.

وقال: إنّ المجتمع يعيش حالة من التكامل بين مجالات الديني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والإعلامي كمنظومة متكاملة.

وتابع: العاملون في المجتمع ينبغي أن يركزوا على هذه الفكرة والحقيقة.

وحثّ في كلمته على الإحسان إلى الآخرين كطريق للوصول للخيرية، مؤكدًا أنّ الإحسان يكون بالكلمة الطيبة، وبالابتسامة، وبكلّ عمل يدخل السُّرور على الآخرين ويبيّن تقديرك لهم.

وأشار إلى أنّ الفقيد آل رضي كان محبًّا للناس ومحترمًا لأدوارهم ولم يتأخر في الإحسان لهم، لهذا أحبّه الناس واحترموه وحزنوا لفقده.

وتابع: ونحن نؤبن صديقنا الراحل يجب أن نستحضر هذه الصفات ونستفيدها من سيرته رحمه الله.

نحن محظوظون

وفي موضوع متصل قال سماحته: إنّ علماء اليوم محظوظون بمن حولهم من الكفاءات الطيبة المخلصة.

وتابع: علماؤنا في الماضي كان من حولهم أُناس يتّصفون بالطيبة والتديّن، لكنّهم في الغالب لا يحملون مستوى الوعي والتصدّي وتحمل المسؤولية التي نجدها الآن في كثير ممن حولنا من الأصدقاء الكفوئين العاملين بإخلاص كالفقيد الراحل رحمه الله.

وبيّن أنّ الجيل الذي نعيش معه من الشباب الذين يتحمّلون مسؤولية المساجد والحسينيات والأندية وسائر شؤون المجتمع هم أفضل ممن سبقهم من حيث المجموع، وهم نعمة كبيرة على الوطن والمجتمع والدين.

يذكر أنّ الراحل آل رضي توفي إثر أزمة قلبية مفاجئة أثناء زيارة لمدينة

النجف الأشرف صباح الأربعاء ٢٠ شوال ١٤٤٤هـ الموافق ١٠ مايو ٢٠٢٣م.

المرحوم آل رضي ناشط اجتماعي دخل في عضوية العديد من اللجان الاجتماعية، منها ملتقى سيهات الاجتماعي، وهو عضو مؤسس في مجموعة مشاة سيهات، وعمل مهندسًا كهربائيًّا في شركة الكهرباء السعودية إلى حين تقاعده، وعُرف عنه مقالاته الرصينة التي عالج فيها جملة من القضايا الاجتماعية.

لمشاهدة الكلمة:

حسن علاقتك مع الآخرين تقرّبك إلى الله[1]

حثّ سماحة الشيخ حسن الصفار من أراد أن يكون مقبولًا ومرضيًّا عند الله أن يهتم بعلاقاته مع الآخرين.

وتابع: الدين لم يأتِ لإصلاح علاقة الإنسان بربه فقط بل مع الناس أيضًا.

جاء ذلك خلال لقائه بسيّدات من فئة الصم والبكم من القطيف والأحساء والكويت والبحرين في حسينية أم البنين بالعوامية، مساء الجمعة ٢٩ شوال ١٤٤٤هـ الموافق ١٩ مايو ٢٠٢٣م، بمرافقة

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٩/ ٥/ ٢٠٢٣م.

المترجم السيد نجيب العلي.

وقدّم الشيخ الصفار شكره للأخوات الكريمات القائمات على عقد هذا اللقاء الجميل من شريحة الصم والبكم، داعيًا جميع الحاضرات إلى استنهاض قدراتهنّ وكفاءتهنّ، والارتقاء في مدارج التعليم، والمشاركة في النشاط الديني والعمل الاجتماعي.

وأوضح أنّ الحديث عن صفات المؤمن يأتي عادة عن إيمانه بالله وبالمعتقدات الدينية، وأنّ من صفاته أنه يؤدي العبادات كالصلاة والصوم.

وتابع: لكنّ النصوص الدينية تشير إلى صفة مهمّة في الإيمان ترتبط بالعلاقات الاجتماعية، فالمؤمن هو الذي ينسجم مع الناس وينسجمون معه.

مستشهدًا بالحديث الوارد عن النبي ﷺ: «المُؤمِنُ يأْلَفُ ويُؤلَفُ، ولا خيرَ فيمَنْ لا يأْلَفُ ولا يُؤلَفُ، وخيرُ النَّاسِ أنفَعُهم للنَّاسِ».

وقال: قد تكون عند البعض طبيعة أنهم ينفرون من الآخرين أو ينفر الآخرون منهم، بينما المؤمن يجب أن يهتم بالعلاقة مع الناس.

وتابع: الله يسأل الإنسان حتى عن الذي تلتقيه مرة واحدة، «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحْسِنْ صُحْبَةَ مَنْ صَحِبَهُ».

وعن القواعد الأساسية في العلاقة مع الآخرين قال سماحته: إنّ محبّة الآخرين واحترامهم والإحسان لهم من أهم هذه الأساسيات.

واستنكر ما يقوم به البعض من فتح صندوق لتخزين الأحقاد والكراهية في قلبه، فالقرآن يرشدنا أن تكون قلوبنا نقية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وتابع: من أحب الآخرين يرتاح نفسيًّا، والناس ستحبه.

ودعا لنشر ثقافة احترام الآخرين، وتقديم الاحترام لكلّ الناس بلا تفاضل بين أحد.

وأبان أنّ من ثقافة الاحترام إبداء السلام وشكر كلّ من صنع لك جميلًا.

وأبدى أسفه أنّ البعض لا يُسلّم على أسرته إذا دخل بيته، ولا يشكر أحدًا من عائلته إذا صنع عملًا جيّدًا.

وتابع: البعض لا يُبدي الاحترام والشكر لزوجته إذا أعدّت طعامًا جيّدًا، وكذلك قد لا تبدي الزوجة شكرها للزوج إذا وفّر مستلزمات المنزل.

وأضاف: هناك من يستحي من التعبير عن مشاعر الاحترام والحبّ والتقدير للآخرين، مؤكّدًا أنّ ثقافة الشكر والتقدير ترجع على الإنسان بالراحة النفسية.

وبيّن أنّ من حسن الخلق أن تحسن للآخرين وتخدمهم وتتعاون معهم، فكلّما استطعت أن تحسن للناس، يكون ثوابك عند الله عظيم.

وتابع: إذا أحسنت للناس فستكون راحتك النفسية كبيرة ومحبّتك في القلوب كذلك.

وشكر الشيخ الصفار لسماحة السيد نجيب العلي المشرف على اللقاء دوره المهم في الاعتناء بفئة الصم والبكم من الذكور والإناث، عبر تقديم الدروس، وترجمة الخطب، والإجابة على تساؤلاتهم ومساعدتهم في معالجة المشاكل.

تجاوز الأمة للخلافات العقدية والفكرية[1]

تمنّى سماحة الشيخ حسن الصفار أن تتجاوز الأمة خلافاتها العقدية والفقهية والفكرية، وأن يعيش المفكرون في سلام لا يخشون إبداء أفكارهم.

وتابع: لقد عانت الأمة من ثقافة الأحادية الفكرية التي حاولت أن تصبغ الأمة بلون واحد.

جاء ذلك خلال استقبال سماحته في مكتبه الباحث العماني الشيخ بدر العبري مساء السبت ليلة الأحد ٧ ذو القعدة ١٤٤٤هـ الموافق ٢٧ مايو ٢٠٢٣م.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٧/ ٥ / ٢٠٢٣م.

وأعرب سماحته عن امتعاضه من رفض البعض اطّلاع الناس على وجهات النظر المغايرة حتى في القضايا التاريخية فضلا عن الدينية.

مبديًا في ذات الوقت تفاؤله، بتقدّم مستوى الوعي في الوسط الاجتماعي، وظهور أصوات تنويرية إصلاحية تدعو إلى التسامح وقبول الرأي الآخر.

المدارس الفقهية الشيعية

وعن سؤال الباحث العبري للشيخ الصفار عن تعدّد المدارس الفقهية لدى الشيعة في المملكة من أصولية وأخبارية وشيخية، والتمايز الموجود بينها، والعلاقات بين أتباعها قال سماحته: الخلاف بين المدرستين الإخبارية والأصولية هو في منهج الاستدلال وحجية دليلي العقل والإجماع إلى جانب دليلي الكتاب والسنة.

وتابع: وأما الشيخية فإنها في هذا المجال تصنّف ضمن الأصوليين، وتمتاز بالتركيز على مقامات أهل البيت وفضائلهم.

تجاوز التمايز

وأبان سماحته أنّ المجتمع الشيعي في هذه المرحلة تجاوز الاهتمام بهذه الخلافات والتمايزات، وقد تطرح في مجال البحث العلمي، مؤكدًا أنّ أتباع هذه المدارس يتعايشون في ظلّ أجواء من الانسجام والتعاون،

ولا يعرف أكثر الاتباع نقاط التمايز والتغاير إلّا من خلال الانتماء الإسمي الاجتماعي.

ظلال من الذاكرة

وأبدى الشيخ بدر العبري إعجابه بالمذكّرات التي كتبها الشيخ الصفار تحت عنوان (ظلال من الذاكرة) وقال إنه استمتع بقراءتها وانجذب لأسلوبها الشيّق السَّلس من البداية إلى النهاية، متمنيًا على الشيخ الصفار استكمال كتابة مذكراته عن المرحلة اللاحقة من تجربته.

وأبان أنه يعتبر الشيخ الصفار من مؤسّسي خط التنوير والوعي الديني في أوساط الشيعة العمانيين من خلال إقامته في مسقط وسط سبعينيات القرن الماضي.

الاتجاهات الإباضية المعاصرة

كما تحدّث الشيخ العبري عن التمايز العلمي في المدرسة الإباضيّة المعاصرة وأنه يوجد تشكّلان: المدرسة الإباضيّة المشرقيّة، أي في عمان وسابقًا في مصر والبصرة والحجاز وخراسان وغيرها.

وتابع: والمدرسة الإباضيّة المغاربية، أي في تونس وليبيا والجزائر وتكوّن لاحقًا في أجزاء من شرق أفريقيا وهؤلاء في الجملة أقرب إلى التكوّن المشرقي بسبب الهجرات العمانيّة، حيث لا يوجد تمايز كبير بين المشارقة والمغاربة عدا في بعض المسائل الكلامية الطفيفة كمسألة خلق القرآن قديمًا. واستقرّت المدرستان حاليًّا في القول بخلق القرآن وفي بعض مسائل الولاية والبراءة.

وأضاف: حاليًّا توجد بعض الآراء في المدرسة الإصلاحية عند المغاربة وهي طفيفة كاستواء الحسنات والسيئات، وأما في الفروع فاشتراكهم كبير والخلاف وارد حسب اجتهاد العالم فقد يتوافقون في مسائل ويختلفون في أخرى إلّا أنهم في الجملة متفقون في الخطّ العملي.

كما نشر تغريدة على شبكة تويتر جاء فيها: أشكر سماحة الشيخ حسن الصفار على كرم الضيافة في منزله في القطيف بالسعودية، في سهرة معرفية طويلة معه وبمشاركة الدكتور توفيق السيف، ومجموعة من المثقفين في القطيف، وكان الحديث حول جوانب معرفية عديدة، كما أشكر الأديب عبد الباري الدخيل على التنسيق.

هذا وقد رافق الشيخ العبري من سلطنة عمان الأستاذ وضّاح الهاشمي، والأستاذ عمّار البلوشي، والأستاذ فريد عبدالوهاب.

كتاب الإمام علي ضمير الأمة يُترجم للتايلندية[1]

صدر حديثًا كتاب (الإمام علي ضمير الأمة) لسماحة الشيخ حسن الصفار مترجمًا للغة التايلندية بعنوان: (**อิมามอะลี จิตสำนึกของ ประชาชาติ อิสลาม**).

- المترجم: الشيخ مقداد ونغسينا آري
- منشورات مدرسة الزهراء، بانكوك – تايلند.
- الطبعة الأولى، ٢٠٢٣م.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٨/ ٦/ ٢٠٢٣م.

وقد صدرت الطبعة العربية للكتاب سنة ٢٠٢٢م، عن مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان. ودار أطياف للنشر والتوزيع ـ القطيف، السعودية.

ينطلق سماحة الشيخ الصفار في الكتاب من فكرة أنّ للضمير دوره الأساس في توجيه حركة الإنسان نحو الخير، وإبعاده عن مزالق الشَّر، فهو الذي يكشف ويميّز للإنسان مسلك الخير عن مسلك الشَّر، ويحفّزه نحو الخير، ويحذّره عن مقاربة الشَّر.

ويرى تشابه هذا الدور مع دور المصلح في الأمة، فكما هو دور الضمير في حياة الإنسان تمييزًا وتحفيزًا وتحذيرًا وتصويبًا، كذلك هو دور القائد المصلح في أمته ومجتمعه، إنه يدلّهم على طريق الخير والهدى، ويحفّزهم لارتياده، ويحذّرهم من طرق الشَّر والضّلال.

ثم يؤكّد أنّ الإمام علي كان النموذج الأصدق والأجلى لدور الضمير الحي في الأمة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ.

وضمن هذا التعريف يأخذنا سماحته في رحلة عبر سيرة الإمام علي في ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: خصائص ومزايا
- الفصل الثاني: الضمير الحيُّ
- الفصل الثالث: القائد الإنسان

الشيخ علي حسن يشيد بكتاب: الأخلاق والإنسان[1]

أشاد سماحة الشيخ علي حسن بما يحتويه كتاب (الأخلاق والإنسان)، لسماحة الشيخ حسن الصفار من مقاربات عملية تنطلق من الواقع، وتُعالج قضايا السلوك بواقعية تمتاز عن معظم كتب الأخلاق التي تطرح في المكتبة العربية والإسلامية.

ولفت إلى أنّ كتب الأخلاق في المكتبة الإسلامية، ليست قليلة لكن عادةً ما تطرح قضايا الأخلاق من الناحية النظرية.

وجاءت إشادة سماحته بإصدار سماحة الشيخ

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠٢٣/٦/٢١م.

الصفار، من خلال استعراضه للكتاب في محاضرة ألقاها في مسجد سيّد هاشم بهبهاني، في دولة الكويت، طرح فيها قراءة لبعض محتوياته، ونشر على صفحة المسجد في اليوتيوب بتاريخ ٤ ذو القعدة ١٤٤٤هـ الموافق ٢٤ مايو ٢٠٢٣م.

وأثنى سماحته على كتاب (الأخلاق والإنسان، كيف نتخلّق بالقيم؟) للشيخ الصفار الذي صدر مؤخرًا، مؤكّدًا على أن ما يميّز الكتاب في كتب الأخلاق، أنه كتاب عملي، ينطلق من الواقع، ويعالج بواقعية أيضًا.

واستعرض فقرات من مقدّمة الكتاب، التي توضح أنّ اهتمام أبحاث الكتاب تنصبّ على «الجانب العملي السلوكي دون توسّع في عرض النظريات الأخلاقية للمدارس المختلفة».

وأكّد على أهمية أن تُطرح الموضوعات المرتبطة بالبعد الأخلاقي في سلوكيات الإنسان، من خلال نماذج عملية واقعية، تنعكس على الأرض، وتُستقى من خلال الواقع، ومن خلال نماذج حقيقية.

ولفت إلى ضرورة ألّا تكون الطروحات مثالية غير عملية، وغير واقعية، مؤكّدًا على أنّ هذه القضايا عندما تطرح بهذه الصورة، تكون أكثر فائدة، وأقرب للتحقيق من تلك الصور أو النماذج التي قد تقدّم وكأنها ليست لعامة الناس، وإنّما لبعض الخواص، الذين إذا أراد أحدٌ أن يتبع خطاهم فإنه سيعاني صعوبات جمة.

وبدأ بعرض فهرس الكتاب وفصوله، حيث جاء الفصل الأول تحت عنوان (الأخلاق قيمة عليا)، والفصل الثاني بعنوان (إدارة الذات)، ثم الفصل الثالث (مكارم الأخلاق)، والفصل الرابع (أخلاق التعامل) والفصل الخامس (في السلوك الاجتماعي) وقال: إنه يحتوي على أمور تهتم بـ (التواصل الاجتماعي، والتنافس الإيجابي، وتقدّم المجتمع،

والصراعات، والتزام الأخلاق، واليسر في القوانين والعادات والسلوك).

وتوقف الشيخ علي في قراءته عند موضوع من الكتاب بعنوان (كن في موضع العطاء)، مشيرًا إلى أنّ النموذج يبيّن أسلوب الكتاب، وكيفية تعامله مع المسائل الأخلاقية.

واستعرض ما تمت كتابته تحت عنوان (أين أثرياء العرب؟)، من قيام مجموعة من أبرز الأثرياء في الولايات المتحدة، في لقاء جمعهم قبل سنوات، بتوقيع وثيقة تقضي بأن يتبرع كلُّ واحدٍ منهم بنصف ثروته لصالح الأعمال الإنسانية، والخدمة الاجتماعية، وقد استجاب لهذه الدعوة ٣٠ ملياردیرًا أمريكيًّا.

قراءة في كتاب الأخلاق والإنسان لسماحة الشيخ الصفار

هذا وسبق أن استعرض الشيخ علي حسن بعض مؤلفات الشيخ الصفار، مثل كتاب: آفاق السمو الروحي، وكتاب: ثقافة التدبير الاقتصادي، ضمن برنامجه المميّز في قراءة الإصدارات المفيدة لجمهور المستمعين.

- الكتاب: الأخلاق والإنسان، كيف نتخلّق بالقيم؟
- المؤلف: الشيخ حسن الصفار
- الطبعة: الأولى، ٢٠٢٢م
- الناشر: مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان، وأطياف للنشر والتوزيع، القطيف – السعودية.

لمشاهدة الفيديو:

التنوّع والتعايش.. بحثٌ في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية للعلامة حسن الصفّار[1]

تصدر دار ابن الزكري الألمانية للنشر المعرفي كتابًا جديدًا بعنوان «التنوع والتعايش» للعلّامة حسن الصفّار، وهو بحثٌ في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية.

وللكتاب أهمية للمسلمين المنتمين إلى طوائف ومذاهب لكي يكتشفوا أنّ التنوع يصنع منهم قوةً وتماسكًا.

والعلّامة حسن الصفار له دور ريادي في حركة التواصل والانفتاح مع مختلف الأطياف والتوجهات

(١) وكالة نخيل عراقي ٢٩ يونيو ٢٠٢٣م.

في الساحة الوطنية والإسلامية، وقام بمبادرات لفتح قنوات الحوار بين السلفيين والشيعة في المملكة العربية السعودية.

استضافته عدد من القنوات الفضائية في برامج حوارية لمناقشة قضايا الحوار المذهبي والوحدة الوطنية.

صدر له أكثر من ١٤٧ كتابًا في مختلف مجالات المعارف الدينية والثقافية، وترجم بعضها إلى لغات أخرى.

والصفّار (ولد سنة ١٩٥٨م القطيف) هو رجل دين مسلم شيعي وأستاذ وخطيب وكاتب سعودي معاصر.

تعلّم القرآن الكريم ودرس الابتدائية في مدرسة زين العابدين، ثم التحق بمدرسة الأمين المتوسطة بالقطيف.

وهاجر إلى النجف للدراسة في الحوزة العلمية سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م، وبعد سنتين انتقل إلى الحوزة العلمية في مدينة قم إيران سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، ثم التحق بمدرسة الرسول الأعظم في الكويت سنة ١٣٩٤هـ لمدة ثلاث سنوات، وواصل دراساته العلمية في طهران من سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م إلى سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. وتلقّى حسن الصفار علومه ومعارفه على يد مجموعة من العلماء.

وقد أُجيز من قبل المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي السيستاني وكذلك من قبل المرجع الديني الشيخ محمد إسحاق الفياض، والمرجع الديني السيد محمد الحسيني الشيرازي، والمرجع الديني السيد محمد رضا الكلبايكاني، والمرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، والمرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي.

الشيخ الصفار يدعو لخطاب ديني عقلاني لا شتائمي[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار الوسط الديني إلى التزام نهج الإمام علي عليه السلام في خطابه المفعم بالمشتركات الإنسانية التي تستوعب جميع البشر والنأي عن المسلك الأموي الذي يعتمد السبّ والشتم سبيلًا.

جاء ذلك خلال خطاب بمناسبة عيد الغدير ألقاه الشيخ الصفار يوم السبت في مجلس الحاج سعيد المقابي أمام حضور علمائي وأهلي حاشد.

(١) جهات الإخبارية ١١/ ٧/ ٢٠٢٣م.

وأشار الشيخ الصفار إلى أنّ أول سمات خطاب الإمام علي هي الانطلاق من الاستيعاب الشمولي للدين والوعي بقضايا الحياة والمجتمع.

ورأى بأنّ الخطاب الديني لدى البعض يعاني من «آفة التضخم» في جزء معيّن من الدين على حساب سائر الجوانب الأخرى.

وأضاف أنه ونتيجة لذلك يصبح الدين عند هؤلاء مشوّهًا إثر التضخم من جهة والضمور من جهات أخرى.

وأوضح بأنّ الدين يشكل منظومة متكاملة، وأنّ على المبلّغين أن يستحضروا كامل المنظومة في أذهانهم.

وتابع القول: «ينبغي ألّا يتحدّث المبلّغ عن الآخرة فقط وينسى جانب الدنيا، ولا يركز على حقوق الله فقط، وينسى حقوق عباده، ولا يتحدّث عن الجهاد، وينسى السِّلم الاجتماعي، ولا يتكلّم عن البراءة من الأعداء، وينسى الوحدة والألفة بين الناس».

وخلُص سماحته إلى أنّ على المبلّغ أن يكون لديه إحاطة بالمنظومة القيمية الإسلامية، وأن يستحضر غايات الدين ومقاصد الشريعة، فإذا ما تحدّث وضع كلّ شيءٍ في موضعه دون تضخيم لجانب على حساب بقية الجوانب.

وأشار سماحته إلى أنّ العقلانية وسلامة المنطق هي السمة الثانية اللازمة للخطاب الديني.

واستيحاءً من نهج الخطاب العلوي رفض سماحته نزعات الخطاب العاطفي الخالي من البراهين لمجرّد إرضاء المشاعر عند بعض الناس.

ثمنٌ غالٍ

ورأى الشيخ الصفار أنّ مسلك الخطاب المغالي في العاطفة غالبًا ما يستدرج ردود فعل بين شبابنا فضلًا عن الآخرين. مضيفًا القول: «دفعنا ثمنًا باهظًا لقاء بعض الخطابات العاطفية المغالية».

وتابع بأنّ مثل هذا النوع من الخطابات تركت نظرة سلبية عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام لدى الأوساط الأخرى، بل ورد التحذير من أنها سبب لتكذيب الله عزّ وجلّ.

وأوضح سماحته بأنّ الإمام عليًّا عليه السلام كان ينزع للعقلانية حتى في

أصعب المواقف، ومن ذلك موقفه من الشعارات العاطفية التي رفعها الخوارج حين قالوا «لا حكم إلّا لله» فلم يواجههم بالسّب والشتم وشتّى الأوصاف.

وتابع بأنّ جلّ ما فعله أنه وصف شعارهم بأنه «كلمة حقٍّ يُراد بها باطل»، وأنه لا بُدّ للناس من أمير برٍّ كان أو فاجر.

وقال سماحته بأنّ السمة الثالثة لخطاب الإمام علي عليه السلام هي الخطاب الإنساني.

ورأى بأنّ خطب الإمام كانت ذات بُعد إنساني موجّه لعامة الناس ولم تقتصر على أهل دينه أو شيعته ومريديه.

ومضى يقول: إنّ ذلك هو السبب وراء قبول مختلف الناس لخطاب الإمام عليه السلام على مرّ العصور.

وأضاف بأنّ كلّ من اطّلع على خطاب علي من مختلف المناطق والأديان أصابته الدهشة لعمق معانيه وشموليته.

ضيق أفق

في مقابل ذلك انتقد الشيخ الصفار الخطاب الديني ضيّق الأفق الذي لا يتجاوز حدود القرية والمنطقة على نحو لا يتفهّمه الآخرون لخلوّه من أيّة أبعاد أو مشتركات إنسانية.

وتساءل سماحته: « أين خطابنا من المبادئ الإسلامية العامة،

والمشتركات الإنسانية، لماذا لا نركز عليها في خطابنا كما كان يفعل الإمام، وبذلك كان يشدّ انتباه الناس ويجذبهم نحوه».

وقال الشيخ الصفار: إنّ السمة الأخيرة من سمات خطاب علي هي إشاعة الألفة والانسجام والتآخي والتسامح بين الناس.

وأوضح سماحته أنّ عليًّا وبالرغم من الصّراعات التي كابدها من مناوئيه إلّا إنه لم يقف يومًا يعبّئ الناس متوسّلًا زرع الأحقاد والضغائن في نفوسهم، وقد خاطب أصحابه الذين شتموا أهل الشام بالقول: «إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين».

وشدّد الشيخ الصفار بأنّ السبّ والشتم أبعد ما يكون عن نهج عليٍّ وإنّما هو سلوك ابتدعه الأمويون بالدرجة الأساس.

وتابع بأنّ الرواية الواردة عن الباقر تقول بأنّ عليًّا لم ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق «ولكنه كان يقول هم إخواننا بغوا علينا».

وقال سماحته: إنّ هذه هي روح علي بن أبي طالب. رافضًا في الوقت عينه التعامل مع المختلفين عنّا مذهبيًّا، أو حتى داخل المذهب الواحد، بالإخراج من الدين والملّة، وتحريم ذكر اسمه أو السلام عليه، ووصفه بأبشع الأوصاف.

لماذا انشغلنا عن فكر عليٍّ بالجدل حول خلافته؟[1]

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار على الاهتمام بقراءة فكر الإمام عليٍّ والاستضاءة به في ميادين الحياة.

وقال: إنّ الإمام عليًّا لا يبحث عن معجبين به ومصفّقين له، بل يريد المقتدين بهديه والسائرين على نهجه.

جاء ذلك في كلمة لسماحته بمناسبة ذكرى يوم الغدير، بمسجد الرسول الأعظم بمدينة صفوى شرقي السعودية، مساء يوم الخميس ليلة الجمعة

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١١/ ٧/ ٢٠٢٣م.

١٨ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ٦ يونيو ٢٠٢٣م.

وأوضح سماحته أنّ قسمًا من الأمة غفلوا عن فكر الإمام علي بسبب سياسات الحصار والتعتيم التي اتخذتها الدولة الأموية تجاه الإمام علي وبقيت آثارها في تاريخ أجيال الأمة اللاحقة.

وأضاف: إنّ السؤال الأكثر إلحاحًا هو الغفلة عن فكر الإمام علي في أوساط الشيعة الموالين لعلي والمنتمين لمدرسته.

واستشهد بما ذكره الشيخ مرتضى المطهّري أنه بقي في الحوزة العلمية لسنوات ككثير من أقرانه من الطلبة، بعيدًا عن عوالم نهج البلاغة، إلى أن تعرف على أهمية نهج البلاغة نتيجة لقائه بأحد العلماء في رحلة سياحية.

ونقل عن الشيخ المطهّري قوله: (والعجيب الغريب غربة نهج البلاغة حتى في دياره بين شيعة علي، وحتى في الحوزات العلمية).

وبيّن الشيخ الصفار أنّ معظم الخطاب الشيعي انشغل بالجدل حول أحقية الإمام علي بالخلافة، والردّ على الطرف الآخر، وبالحديث عن فضائل الإمام وكراماته، على حساب الاهتمام بقراءة فكر الإمام ودراسة المعارف والتوجيهات العظيمة التي في خطبه وكلماته.

ودعا المثقفين والباحثين والأكاديميين من أبناء المجتمع إلى اكتشاف كنوز المعرفة والفكر في تراث الإمام علي، على ضوء معطيات العلم الحديث وتطور الفكر الإنساني.

وتابع: في تراث الإمام علي ثروات هائلة من المعاني والمضامين الأخلاقية التربوية التي ينبغي على الخطباء والعلماء استحضارها وبثّها في المجتمع لمعالجة كثير من القضايا والمشاكل الفكرية والنفسية

والاجتماعية.

وأكّد على المسؤولية في إحياء أمر أهل البيت الذي لا يتحقق بالبرامج العاطفية فقط، بل بنشر معارفهم وعلومهم في الناس، كما ورد عن الإمام الرضا.

هذا وقد اشتمل الحفل الذي قدّمه الأستاذ أحمد آل حبيب، على فقرات: القرآن الكريم المقرئ سعيد العيسى، والشاعر علي آل قمبر، والرادود خالد حيّان.

لمشاهدة الحفل:

نَدَوات
ومُحاضرات

الإتقان والتطوير في مجال إكرام الموتى[1]

كلمة سماحة الشيخ حسن الصفار في لقاء بجمعية الفردوس لإكرام الموتى بمناسبة زيارة الأمين العام لمؤسسة إكرام الموتى في المملكة المهندس عبدالعزيز النغيثر صباح يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ١٠ يناير ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين

والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٩/ ١/ ٢٠٢٣م.

سعادة المهندس عبدالعزيز النغيثر الأمين العام لمؤسسة إكرام الموتى ومرافقيه، ضيوفنا الأعزّاء، الإخوة الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هناك حديث مشهور متداول عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ اللّه تَعالى يُحِبُّ إذا عَمِلَ أحَدُكُم عَمَلًا أن يُتقِنَهُ»[1]، هذا الحديث ورد في عدد من المصادر الحديثية، وقد أصبح عنوانًا للجودة والإتقان، في مختلف المجالات، ولكن ما لا يلتفت إليه كثيرون أنّ هذا الحديث قيل في مناسبة ترتبط بإكرام الموتى، هذا النص وهذا الإعلان أطلقه رسول الله ﷺ وهو يشارك في تهيئة قبر لأحد أصحابه وهو سعد بن معاذ في رواية، وفي رواية أخرى أنه كان في تهيئة قبر ولده إبراهيم، والنبي ﷺ بنفسه، كان يشارك في تهيئة القبر وترتيبه، فيطلب لبنة وحجرًا، ويهتم بتنسيقها وملء الفرج بينها، بشكل ملفت، ولما رأى رسول الله ﷺ أنّ الناس تعجّبوا من اهتمامه بقبر لن يستفيد منه أحد من الأحياء، وما كان يحتاج هذا الاهتمام في نظرهم، وإجابة على استغرابهم، قال ﷺ كما في إحدى الروايات: «إنّي لَأعلَمُ أنَّهُ سَيَبلى ويَصِلُ إلَيهِ البلى، ولكِنَّ الله تعالى يُحِبُّ عَبدًا إذا عَمِلَ عَمَلًا فَأحكَمَهُ»[2]، إطلاق هذا الإعلان جاء في هذه المناسبة من أجل تعزيز أمرين في المجتمع الإسلامي:

الأمر الأول: أن يكون الإتقان والإحكام والجودة شعار المسلم ونهجه في ممارسة أيّ عمل من الأعمال، ولا ينبغي للإنسان الواعي أن

(١) كنز العمّال، حديث ٩١٢٨.
(٢) علل الشرائع: ص٣١٠، حديث ٤.

يكون فوضويًّا، غير منظّم في أيّ شأنٍ من الشؤون، حتى إذا ذهب الإنسان إلى بيت الخلاء لقضاء حاجته هناك آداب، كيف تدخل؟ وكي تخرج؟ وكيف تتنظف وتتطهر؟ حتى يتربّى الإنسان المسلم على استهداف الجودة والإتقان والإحكام في كلّ أعماله وأنشطته.

الأمر الثاني: الاهتمام الديني بإكرام الإنسان ليس في حياته فقط، وإنما إحاطته بالاحترام حتى بعد وفاته، الإنسان الذي كرّمه الله بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، و الذي خلق الكون والحياة من أجله، وسخّر له ما في السماوات وما في الأرض، ينبغي أن يعيش الإكرام في حياته، ولا ينقطع عنه الإكرام حتى بعد وفاته.

وهناك حديث أنّ رسول الله ﷺ كان جالسًا مع أصحابه فـ (مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»)[1]، الإنسان بما هو إنسان له التكريم والاحترام.

من هنا فإننا نجد في مجتمعاتنا الإسلامية، ومنها مجتمعنا في المملكة العربية السعودية ومحافظة القطيف، أنّ الناس طوال تاريخهم كانوا يهتمون بتوفير حالة الإكرام والاهتمام بالإنسان عند وفاته، وبعد وفاته، حسب التعاليم الدينية، وضمن أعراف ومبادرات عفوية عند أبناء المجتمع، ولا بُدّ أن يكون هناك تطوير وتنظيم؛ لأنّ الإتقان يجب أن يكون بحسب كلّ عصر، ويتماشى مع تطور الحياة، الإتقان في ذلك العصر يختلف عن الإتقان في هذا العصر، ونحن نعيش في عصر تتنافس فيه الدول والمجتمعات في معايير الجودة والإتقان في كلّ جوانب الحياة، ويساعد على ذلك أنّ وطننا الغالي يعيش الآن في ظلّ

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث١٣١٢.

رؤية طموحة، (٢٠٣٠) تسعى للارتقاء بالوطن، وشأن المواطنين في مختلف المجالات، وضمن هذه الرؤية هناك تشجيع للنشاط الأهلي والعمل التطوعي، من هنا كان لا بدّ أن يتجه الأهالي في كلّ منطقة لكي تأخذ عملية إكرام الموتى بعدًا منظّمًا مقنّنًا، يتماشى مع تطورات العصر والحياة، ومن هذا المنطلق انطلقت جمعية الفردوس لإكرام الموتى في محافظة القطيف، وقد وجدت تفاعلًا من أهالي المنطقة، وسيكون التفاعل والتجاوب أكثر وأكبر في الأيام المقبلة إن شاء الله.

متفائلون جدًّا بإعلان هذه الجمعية، وبدء مسيرتها المباركة، وسيحتضنها الناس ويتعاونون معها، وأجهزة الدولة لن تقصّر في دعم هذه المبادرات، الميزانيات التي تعتمدها الدولة لهذه المجالات ميزانيات كبيرة، لكنّ الأمر يبقى منوطًا بالجهاز الوظيفي في كلّ منطقة، كلّما كان الجهاز الوظيفي أرقى وعيًا وأكثر جديّة وإخلاصًا، استطاع أن يحقّق ما تستهدفه خطط الدولة في مختلف المجالات، وإخوتنا الأعزّاء المسؤولون في بلدية القطيف، وفي أمانة المنطقة الشرقية، كلّهم إن شاء الله متعاونون مع هذه الجمعية، وسائر الجمعيات المعنية بهذا الشأن، ونأمل الخير والبركة للجميع في ظلّ القيادة الرشيدة، وفي ربوع هذا الوطن المعطاء.

شكرًا لكم جميعًا وخاصة ضيوفنا الأعزّاء المهندس عبدالعزيز النغيثر الأمين العام لمؤسسة إكرام الموتى في المملكة، والمهندس محمد الجود رئيس جمعية إكرام الموتى في مدينة الخبر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقد بدأ اللقاء بكلمة من رئيس الجمعية الأستاذ حافظ الفرج ترحيبًا

بالضيوف الكرام، وتعريفًا بدور الجمعية وبرامجها، وقدّم أمين عام مؤسسة إكرام الموتى في المملكة المهندس عبد العزيز النغيثر، كلمة شكر فيها الحضور على حسن الاستقبال، كما شرح في كلمته أهمية حوكمة القطاع غير الربحي ليتم دعمه بأفضل صورة، وأشاد بالنشاط التطوعي الفريد في القطيف في شتى المجالات وخاصة إكرام الموتى، ووجه بأهمية توعية المجتمع بالتغييرات الجديدة في المقابر مثل الأرشفة ومواقع القبور.

وأبدى «النغيثر» استعداد المؤسسة ـ التي وصفها بالأخ الكبير ـ للدعم والمساندة لجمعيات إكرام الموتى على مستوى المملكة، وعرض أبرز التطبيقات التي سيتم طرحها قريبًا للمواطنين لتسجيل حالات الوفاة وطلب نقل الموتى بين المناطق، وغيرها من المشروعات الضخمة لتسهيل العمل الإداري.

وشارك أيضًا «محمد بن عبد العزيز الجود» من جمعية إكرام الموتى في الخبر، بكلمة داعمة ومؤازرة لجهود جمعية الفردوس، وطرح تجربتهم في الخبر كنموذج يوضع في الاعتبار من خلال المشاركة المجتمعية من قبل رجال الأعمال.

واختتم اللقاء بفتح النقاش لمعرفة أبرز احتياجات المقابر والمغتسلات في المحافظة مع أعضاء الجمعية وموظفي البلدية في قسم إكرام الموتى، وتمّ تكريم الضيوف الأفاضل بهدايا تعكس تاريخ القطيف وعراقتها، بعدها قام الوفد بزيارة مقبرة الخبّاقة ومقبرة الشهداء.

إنشاء مؤسسات تساعد في اختيار شريك الحياة[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى وجود مؤسسات اجتماعية تساعد الأبناء والبنات في اختيار شريك الحياة عبر التوعية بالمقاييس الصحيحة التي تضمن جودة الحياة الزوجية.

جاء ذلك خلال مداخلة مسجلة لسماحته في موسم حسينية الحاج أحمد بن خميس الثقافي ١٤٤٤هـ ضمن اللقاء الحواري مع الأستاذ سعيد حبيب كايد، بعنوان: مشروع القلوب الطاهرة

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١١/ ٢/ ٢٠٢٣م.

للتزويج، وذلك لاستعراض تجربة وتاريخ المشروع وتطلّعاته المستقبلية، مساء الجمعة ١٩ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ١٠ فبراير ٢٠٢٣م.

هذا وقد تضمّن البرنامج، بالإضافة إلى مداخلة سماحة الشيخ الصفار، تقريرًا مصوّرًا لمشروع القلوب الطاهرة للتزويج، ومشهدًا تمثيليًّا.

وفيما يلي نص مداخلة سماحة الشيخ الصفار:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الإخوة الأعزاء، الأخوات الكريمات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يتفاوت اهتمام الإنسان باختياراته في أي أمر حسب أهمية ذلك الأمر، فحينما يريد الإنسان أن يختار شيئا لغرض مؤقت ومحدود، فإن اهتمامه بالتدقيق في ذلك الاختيار سيكون محدودًا أيضًا، كما لو أراد الإنسان أن يختار له شيئًا يرتبط بملابسه، أو وجبة طعامه، أو سرير نومه، أو حتى برحلة سياحية يسافر إليها. إنه يفكر ويختار بين الخيارات المتعددة، لكن الموضوع أهميته محدودة، فلو وقع في خطأ في أحد هذه الاختيارات، فإن تلافي الخطأ يكون ممكنًا، والتداعيات تكون محدودة.

اما إذا أراد الإنسان أن يختار شيئًا يرتبط به لمدة طويلة، ويؤثر في حياته أثرًا بالغًا، فإنه يهتم بهذا الاختيار، مثلًا اختيار الانسان لتخصصه الدراسي، في أي مجال اتخصص في دراستي الجامعية، هذا أمر مهم، لذلك يدقق الإنسان كثيرًا في اختيار المجال الدراسي، وكذلك مسألة السكن، والبيت الذي يختاره ليعيش فيه، لأن علاقته مع مسكنه ستكون لفترة طويلة.

ومن أهم المواضيع التي يجب أن يهتم الإنسان بالاختيار فيها موضوع شريك الحياة، كيف يختار الرجل له زوجة؟ وكيف تختار المرأة زوجًا؟

اختيار شريك الحياة ليس أمرًا محدود الأهمية، بل هو بالغ الأهمية، ويمكن القول أنه من أهم المواضيع تأثيرًا في حياة الإنسان. لذلك من الطبيعي أن يدقق الإنسان أكثر، وأن يهتم بجدية بالغة في اختيار شريك حياته.

هنا لا بد أن تتحدد المعايير والمقاييس التي يختار على أساسها، صحيح أن الجانب الشكلي والعاطفي مهم، فالرجل يختار زوجة تتوفر على مستوى من الجمال يناسب ذوقه، وكذلك المرأة، تريد زوجاً ترضيها ملامحه وشكله.

الموضوع الجمالي والعاطفي مسألة مهمة.

البعض يهتم أيضًا بالجانب المالي، وهو جانب مهم بالفعل، بالنسبة للزوجة تختار الزوج القادر على الانفاق وإدارة شؤون العائلة، والزوج قد يختار زوجة ذات دخل وصاحبة وظيفة لتكون عونًا له وسندًا في إدارة شؤون الحياة، ومن الناحية الشرعية الانفاق واجب الزوج

ويختار كل منهما الشريك الذي يكون من عائلة جيدة صالحة، بسبب تأثير العامل الوراثي، وعامل التنشئة، وكذلك التداخل الاجتماعي الذي سيحصل بين عائلتي الزوج والزوجة، لكن الدين والعقل يوجهنا إلى أن هناك مقياسًا أساسًا إلى جانب هذه المقاييس.

وهو أن يكون الشريك (الزوجة/ الزوجة) له مرجعية قيمية في حياته، في مواقفه وسلوكه،

هذه المرجعية القيمية مهمة جدًا؛ لأن العلاقة الزوجية علاقة مفتوحة في مختلف المجالات، والإنسان يأتمن شريك حياته على حياته ومستقبله وأسراره وخصوصيات شخصيته.

فينبغي أن يكون هذا الشريك ذا مرجعية قيمية أخلاقية، أن يكون متدينًا، وملتزمًا بالتدين سلوكيًا، وهذا معيار مهم، الرجل ليس فقط أن يكون وسيمًا جميلًا له وظيفة وثروة أو منصب، كل هذا لا يجدي نفعًا إذا لم تكن له مرجعية قيمية سلوكية في حياته، يقول الحديث الشريف: «إذا أتاكُم من تَرضونَ خُلقهُ ودينهُ فزوّجوهُ»[1].

وجاء في رواية عن «فاظفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَداكَ»[2].

المرأة التي تحمل قيمًا والتزاماً دينياً يتمكن الإنسان منحها كل وده وحبه وأسراره، قد لا يكون أحد الشريكين منذ البداية تتكامل فيه هذه الصفة بالدرجة المطلوبة، على الأقل أن يكون مهيئًا لتمثل هذه الصفة، هذا امر أساس.

ويحتاج الإنسان إلى من يساعده في التعرف على شريك الحياة الذي

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث ١٠٢٢.
(٢) صحيح البخاري، حديث ٥٠٩٠.

يمتلك هذه الصفة الأساس، بالإضافة إلى الصفات الأخرى المهمة، قد يحتاج إلى المساعدة، فعليه أن يستشير من هم حوله، من أهله واقربائه، وهنا تأتي أهمية وجود مؤسسات اجتماعية يمكن للإنسان أن يرجع إليها، فتعطيه الرأي وتشير عليه في هذا المجال، إننا بحاجة إلى وجود مؤسسات اجتماعية، تساعد ابناءنا وبناتنا في اختيار الشريك، عبر التوعية بالمقاييس والمعايير في اختيار الشريك، وأيضًا عبر المساعدة في التعرف على هذا الشريك.

من يقوم بهذا الدور له أجر وثواب كبير عند الله وله، تأثير في المجتمع؛ لأنه يساعد على إقامة كيان زوجي مستقر سعيد.

لذلك أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للإخوة الأعزاء في هذا المشروع المبارك، (مشروع القلوب الطاهرة للتزويج)، وأرجو لهم المزيد من التوفيق والنجاح، وأن يجدوا من المجتمع التجاوب والتفاعل المطلوب.

وآمل أن يستنسخ هذا المشروع في مختلف المناطق والمجتمعات.

والحمد لله ربّ العالمين.

دعوة الرياضيين للاهتمام باللياقة النفسية والروحية[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار الرياضيين للاهتمام باللياقة النفسية والروحية حتى تكون مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه الآخرين إيجابية.

وتابع: يجب أن تكون الرياضة وسيلة تواصل وتعارف وانفتاح بين الشعوب والمجتمعات.

جاء ذلك خلال مداخلة لسماحته ضمن فعالية (وقولوا للناس حسنًا) التي نظّمها نادي الخليج مع جمعية سيهات للخدمات الاجتماعية بمركز

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٧ مارس ٢٠٢٣م.

الأمير فيصل بن فهد للمناسبات، مساء يوم الإثنين ١٤ شعبان ١٤٤٤هـ الموافق ٦ مارس ٢٠٢٣م.

بدأ الحفل بتلاوة للقارئ عدنان الحجي، ثم عرض فيديو تعريفي بالمبادرة، وقدم أ. سراج السادة أوبريت، كما شارك في الحفل قرّاء قرآن رياضيين من نادي الخليج، ونادي الصفا، ونادي السلام، ونادي الترجي، وتم عرض فيديوهات منها لسماحة الشيخ حسن الصفار، والدكتور حبيب الربعان رئيس الاتحاد السعودي لألعاب القوى، والأستاذ موفق السنيد مدير فرع وزارة الرياضة بالدمام السابق، والناشطة الاجتماعية شذى المرزوق، وسيّدة الأعمال زهرة الخليفة، وكذلك عرض فيديو يتكلّم عن تلاحم المجتمع والبعد عن التعصب من خلال لقاءات مع مشجعي الأندية بالمنطقة، واختتمت الفعالية بتكريم الرعاة.

وفيما يلي نص كلمة سماحة الشيخ حسن الصفار:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

أيها الإخوة والأخوات

السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته

إذا كانت الرياضة تُعنى باللياقة الجسمية، وبناء قوة العضلات، والتدريب على سرعة ومرونة الحركة، فإنها يجب أن تلفتنا الى أهمية

اللياقة النفسية؛ لأن الإنسان ليس جسمًا فقط، بل إن جوهر وجود الإنسان النفس والروح.

واللياقة النفسية تعني تهذيب المشاعر والأحاسيس، والسيطرة على الانفعالات، والتحلي بمكارم الأخلاق، والدين إنما جاء في الأساس من أجل هذا البعد الأخلاقي في حياة الإنسان، لذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ اَلْأَخْلاَقِ»[1].

إن التعصّب حالة مرضية تصيب الإنسان، وهي تعني فقدان اللياقة النفسية، فالإنسان الذي يمارس التعصّب، فاقد للياقته النفسية، ولمكارم الأخلاق.

ولكن كيف تتعزّز اللياقة النفسية عند الإنسان؟

وكيف يهذّب مشاعره وأحاسيسه؟

أولًا: أن يحترم كل إنسان، مهما كان لونه، وعرقه ودينه، وبلده، فهو إنسان، إنه من أبناء آدم الذين منحهم الله تعالى الكرامة جميعًا.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. [سورة الإسراء، الآية: ٧٠].

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنِ ابْنِ آدَمَ»[2].

عليك أن تعرف أن كل إنسان، له كرامة من الله سبحانه وتعالى فهو مخلوق لله، وهو مظهر من مظاهر خلافة الله في الأرض، كل البشر يمثّلون هذا الخلق الذين جعلهم الله خلفاء له في هذه الأرض، وسخّر

(١) مكارم الأخلاق، ص٨٩.
(٢) البيهقي: شعب الإيمان، ح١٣٩.

لهم الكون.

من ناحية أخرى فإنك حينما تحترم الناس إنما تحترم نفسك؛ لأنك من الناس.

ثانياً: على الإنسان أن يتعامل بالمحبة مع الآخرين، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه.

ورد عن علي عليه السلام: «اِجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاِكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا»[1].

حينما تكون هناك مباريات رياضية بين فرقاء، أو بين بلدان، فإن على الفريق الفائز وجمهوره أن يحذروا، لقد حققوا الفوز في المباريات الرياضية، لكن لا يصح أبدًا أن يفشلوا في اللياقة الأخلاقية النفسية، إذا مارسوا التعصّب، فإنهم يكونون قد فشلوا وانهزموا في المجال الأساس، وهو لياقة النفس، وتهذيب المشاعر والأحاسيس.

وكذلك على الفريق الذي لم يحرز الفوز والتقدم، أن يحترم قيمة الإنجاز، وقيمة الكفاءة، وعليه أن يتحفّز لمعالجة الثغرات ونقاط الضعف، حتى يحرز الفوز في المستقبل، ولا يصح أبدًا أن تسود مشاعر الحقد والكراهية للطرف الآخر؛ لأنّه حقّق إنجازًا، هذه هي الأخلاق التي يربينا عليها الدين.

على كل رياضي، وكل مهتم بالرياضة، أن يهتم إلى جانب اهتمامه بالرياضة الجسمية برياضة النفس، ولياقة النفس، بأن تكون مشاعره وأحاسيسه تجاه الآخرين إيجابية.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٧٧.

إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، وينبغي أن تكون الرياضة وسيلة تواصل وتعارف وانفتاح بين الشعوب، وأن تكون للإنجاز قيمته، لذلك الآية الكريمة تقول: ﴿لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فقيمة الإنجاز الذي يحققه الإنسان، هو المقياس.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعًا للتحلّي بمكارم الأخلاق.

والحمد لله ربّ العالمين.

نشر ثقافة الاهتمام بالقرآن[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار لإنشاء أوقاف تهتم بنشر ثقافة الاهتمام بالقرآن في أوساط المجتمع.

وتابع: يجب أن نهتم بالكوادر والكفاءات القرآنية، الذين يُرتلون القرآن، ويُعلّمون التجويد، ويُنتجون البحوث القرآنية، ويُدرّسون تفسير القرآن.

جاء ذلك ضمن مشاركة سماحته في حفل

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٣ / ٣ / ٢٠٢٣م.

تدشين مسابقة العلامة الشيخ أحمد بن خلف العصفور القرآنية في نسختها السادسة عشرة عبر الفضاء الإلكتروني وذلك يوم الخميس ليلة الجمعة ١ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٢٣ مارس ٢٠٢٣م، في مأتم الطويلة، قرية بوري، مملكة البحرين.

وفيما يلي نص حديث سماحته:

كلمة سماحة الشيخ حسن الصفار في حفل تدشين المسابقة القرآنية السادسة عشر بمأتم الطويلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

أيها الاخوة الأعزاء والاخوات الكريمات.

السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته.

أبارك لكم حلول شهر رمضان المبارك، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يبلغنا وإياكم لصيامه وقيامه، بتمامه وكماله، وأن يوفقنا وإياكم فيه لصالح الأعمال، ومقبول الطاعات.

كما أشكر الإخوة الأعزاء في إدارة مأتم الطويلة، لإتاحتهم لي فرصة التخاطب معكم، بمناسبة حفل تدشين المسابقة القرآنية السادسة عشر، والتي هي باسم العالم القرآني العلامة الشيخ أحمد العصفور تغمده الله بواسع الرحمة والمغفرة والرضوان، وحسنًا اختيار إدارة هذا المأتم المبارك، لانطلاق المسابقة القرآنية بمناسبة شهر رمضان المبارك، فشهر

رمضان هو شهر القرآن.

إن الله سبحانه وتعالى حينما يريد أن يتحدث عن خصوصية هذا الشهر الكريم، يذكر أن أهم خصوصية فيه هي نزول القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقرآن هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾، ولذلك فإن الاهتمام بالقرآن الكريم في هذا الشهر المبارك، ينبغي أن يكون أجلى وأوضح في مجتمع المؤمنين والمسلمين، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ فيه آية من القرآن الكريم فكأنما ختم القرآن في غيره من الشهور»[1]، وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان»[2].

إطلاق هذه المسابقة في الشهر الكريم، والتوجه للاهتمام بالقرآن الكريم، في هذا الشهر المبارك، هو ما ينبغي التأكيد عليه، وإن كان الاهتمام بالقرآن لا يحدّه شهر، ويجب أن يكون برنامجاً دائماً في حياة الإنسان المسلم، والمجتمع الإيماني.

إن رسول الله ﷺ ترك في الأمة ثقلين هما الكتاب والعترة أهل البيت عليهم السلام، كما ينص الحديث المشهور المتواتر عند المسلمين سنة وشيعة، أنه ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[3].

وهذا يعني أن على الأمة أن تبدي الاهتمام بهذين الثقلين، الكتاب

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ، ص ٢٦٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣٠٢، حديث ١٣٤٧٢.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٣٠، صحيح مسلم، حديث٢٤٠٨.

والعترة الطاهرة، بالتمسك بهما، وبإحياء شأنهما.

والمؤسف أن بعض المسلمين يبدون الاهتمام بالقرآن الكريم، لكنهم لا يبدون الاهتمام المناسب بشأن أهل البيت عليهم السلام، وهذا تقصير، وفي المقابل نجد في أوساط أتباع أهل البيت عليهم السلام من يبدي الاهتمام بشأن أهل البيت عليهم السلام، فيقيم مناسباتهم وذكرياتهم، وهو أمر مطلوب، لكنه لا يبدي الاهتمام المناسب بالقرآن الكريم، وهذا تقصير أيضًا، هناك تقصير نحو الثقل الآخر وهو العترة، وهنا تقصير نحو الثقل الأكبر والأعظم وهو القرآن الكريم.

ومن أولى من أتباع أهل البيت بالاهتمام بالقرآن الكريم؟ لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا في قمة الاهتمام بالقرآن الكريم، وقد أكدوا على شيعتهم وأتباعهم الاهتمام بالقرآن الكريم، ففي آخر وصية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها: «اللّهَ اللّهَ فِي القُرآنِ ؛ فَلا يَسبِقُكُم إلَى العَمَلِ بِهِ أحَدٌ غَيرُكُم»[1] إنني أدعو جميع المؤمنين، أتباع أهل البيت عليهم السلام، أن يبدوا اهتماماً أكبر بالقرآن الكريم، كما هو شأن اهتمامهم بأهل البيت والعترة الطاهرة عليهم السلام، وذلك ضمن النقاط التالية:

الأمر الأول: ينبغي اقامة مؤسسات قرآنيه في كل المناطق والمجتمعات

(١) الكافي، ج٧، ص٥١.

الشيعية، كما أننا نقيم مؤسسات لأهل البيت ﷺ هي الحسينيات والمآتم والمواكب، ينبغي أن نقيم أيضًا مؤسسات تهتم بالشأن القرآني، ومع الأسف الشديد فإن المؤسسات القرآنية محدودة في مجتمعاتنا، ينبغي أن نهتم بإنشاء مؤسسات قرآنيه أكثر، وأن نهتم بالمؤسسات القرآنية القائمة، حينما نسمع عن تأسيس حسينية وإقامة مأتم، فإننا نبادر بالإسهام والدعم، لكي لا تتعطل حسينية ولا مأتم، وهذا أمر جيد نحمد الله عليه، وينبغي أن يكون اهتمامنا بالقرآن كذلك، أن تقام عندنا مؤسسات قرآنية، وأن نبادر لدعمها والالتفاف حولها.

الأمر الثاني: أن نوصل الشأن القرآني والاهتمام به لجميع شرائح المجتمع، كبارًا وصغارًا رجالًا ونساءً، كما هو الحال في اهتمامنا بذكر أهل البيت ﷺ، بعض الشرائح في المجتمع تحتاج الى اهتمام خاص في المجال القرآني، مثل شريحة الصم البكم، هؤلاء ينبغي التوجه اليهم من أجل أن يكون لهم برنامج بلغتهم الخاصة لغة الإشارة، وكذلك المبصرون فاقدو البصر، ينبغي أن يكون اهتمام قرآني بلغتهم الكتابية القرائية لغة بريل، وأن نشجعهم على هذا التوجه، وهكذا مختلف شرائح المجتمع.

الأمر الثالث: أن تكون لدينا أوقاف للشأن القرآني، كما أن عندنا أوقافًا لمناسبات اهل البيت ﷺ، ما من إمام من الأئمة، إلا ولدينا أوقاف لإحياء مناسباته، كذكرى مولده واستشهاده، وهذا أمر جيد، في المقابل ينبغي أن تكون لدينا أوقاف قرآنية، لتلاوة القرآن، ولتجويده وحفظه وتدريسه، ولنشر البحوث والدراسات القرآنية، ولتوجيه اهتمام المجتمع إعلاميًا وثقافيًا أكثر نحو القرآن، هذا ما يجب أن نفكر فيه ونحرص عليه.

الأمر الرابع: يجب أن تكون لدينا مناسبات قرآنية، رائع جدًّا اهتمام مأتم الطويلة بهذا الشأن القرآني، على مدى ستة عشر عامًا، لو أن كل مأتم أو على الاقل المآتم الرئيسية يكون له اهتمام مشابه، ليس فقط بالمسابقات، وإنما ببقية الشؤون القرآنية المختلفة، لكان النشاط القرآني في ساحتنا أكبر واوسع.

الأمر الخامس: علينا أن نهتم بتربية وتنمية كوادر قرآنية، كما يوجد في مجتمعاتنا كوادر تهتم بإحياء ذكريات أهل البيت عليهم السلام من الخطباء والمنشدين(الرواديد)، في المقابل يجب أن نهتم بالكوادر والكفاءات القرآنية، الذين يرتلون القرآن، ويجيدون تلاوته بالصوت الحسن، كما أمرنا أهل البيت، وكذلك الذين يكتبون الدروس والبحوث القرآنية، ويدرّسون تفسير القرآن لأبنائنا وناشئتنا وأبناء مجتمعنا، كما أن عندنا خطباء ينبغي أن يكون عندنا كوادر قرآنية، تهتم بنشر ثقافة الاهتمام بالقرآن في أوساط مجتمعنا.

هذه الرسالة التي أحببت التأكيد عليها في هذه المناسبة الرائعة.

اسأل الله أن يوفق إدارة هذا المأتم، والمتعاونين معها، والعاملين في هذا الشأن القرآني، للمزيد من العمل في خدمة القرآن وخدمة الدين والمجتمع.

وفقكم الله جميعًا لكل خير وبارك لنا ولكم في هذه الأيام المباركة إنه ولي التوفيق.

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عقلانية وإنسانية خطاب الإمام علي[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ عقلانية وإنسانية خطاب الإمام علي عليه السلام جعلته مقبولًا ومتألقًا في جميع العصور، وعند المجتمعات على مختلف مرجعياتها الدينية والفكرية.

وتابع: لأنّ الإمام عليًّا عليه السلام كان يتحدّث لجميع الناس، ولم يكن حديثه لشيعته أو للمسلمين فقط، لذلك تتقبّله البشرية في كلّ عصر.

جاء ذلك في كلمة لسماحته بمناسبة ذكرى يوم

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٧/ ٧/ ٢٠٢٣م.

الغدير ١٨ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٢٣م في مجلس المقابي بمدينة القطيف شرقي السعودية بعنوان: نهج الخطاب عند الإمام علي عليه السلام.

وأبان سماحته أنّ خطاب الإمام علي عليه السلام ينطلق من الاستيعاب الشمولي للدين، والوعي بقضايا الحياة والمجتمع.

وتابع: هناك توازن في خطاب الإمام يعكس كلّ قيم الدين ومبادئه، ويحافظ على مقاصده.

وأوضح أنّ آفة قسم من الخطاب الديني تضخم جانب من الدين على حساب سائر الجوانب، وحينئذٍ يصبح الدين مبتورًا غير واضح المعالم، فيسبّب للأمة كثيرًا من المشاكل في واقعها المتأثر بذلك الخطاب.

وتابع: الدين منظومة متكاملة، وعلى من يوجه الناس للدين أن يستحضر في ذهنه كامل المنظومة الدينية، فلا يتحدّث عن الآخرة مع تناسي شؤون الدنيا، أو يهتم بحقوق الله ويتجاهل حقوق العباد، ولا يتحدّث عن الجهاد وينسى السِّلم الاجتماعي، أو الإعلاء من شأن قوامة الزوج وتناسي كرامة المرأة، أو عن البراءة من أعداء أهل البيت ويتغافل عن مبدأ وحدة الأمة.

وتحدّث سماحته عن سمة المنطق والعقلانية في خطاب الإمام علي عليه السلام.

وقال: عندما تقرأ خطب أمير المؤمنين وكتبه ورسائله، تراه يتحدّث حديثًا منطقيًّا، عقلانيًّا، يجيّش العاطفة في بعض الأحيان، لكن لصالح الموقف الذي يسنده الدليل والبرهان، وليس تجييشًا عاطفيًّا فارغًا، أو

إثارة حماسية لا تنطلق من أصول.

وتابع: يأمرنا الإمام علي عليه السلام أن نأخذ هذا البُعد بعين الاعتبار حينما نتحدّث للناس، وأن يكون حديثنا مما يعقله ويفهمه الناس، وفقًا للمنطق والعقل السليم.

واستشهد بقول علي عليه السلام: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بما يَعْرِفُونَ، أتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورَسولُهُ» محذّرًا ممّا تسبّبه بعض الخطابات الدينية غير المنطقية من تساؤلات وشبهات تصرف الناس عن الدين.

وقال: كم دفعنا ثمنًا باهظًا لبعض خطابات الغلوّ والإثارات العاطفية؟ لقد سببت ردود فعل في أوساط الشباب فضلًا عن الأوساط الأخرى التي صارت تنظر للمذهب ولخطّ أهل البيت نظرة استهجان، لذلك يجب أن نحسب حسابًا لهذا الأمر.

وبيّن أنّ الإمام عليًّا عليه السلام حتى في أصعب المواقف، وهو بحاجة لتجييش مشاعر الناس وعواطفهم، لا يبتعد عن المنطق والعقل.

وتابع: إنه يسمع الخوارج يهتفون أمامه في المسجد: (لا حكم إلَّا لله)، فلا ينفعل ويردّ عليهم بخطاب متشنّج بعيد عن المنطق، بل يواجههم برويّة وعقلانية، إذ لم ينكر أصل شعارهم، بل أوضح خطأ توظيفهم لذلك الشعار بقوله: «كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ».

وأضاف: لم يتنازل الإمام علي عليه السلام عن عقلانية الخطاب ومنطقيته وهو يواجه خصومًا يجيشون العواطف، ويرفعون بعض المبادئ والقيم شعارات جوفاء.

ومضى يقول: لأنّ حديث الإمام علي عليه السلام ليس للحظة الآنية وإنما

للأجيال، فإنه لا يلجأ لتصفية الحسابات والنيل من الطرف الآخر، بل يفضّل خطاب العقل والمنطق.

وأوضح أنّ خطاب الإمام علي عليه السلام الإنساني شدّ أنظار جميع العقلاء والمنصفين، فجورج جرداق كان مسيحيًّا، وغيره من المسيحيين ومن المستشرقين ومن غير الشيعة، حينما اطّلعوا على خطاب علي شدّهم خطابه؛ لأنه كان يخاطب الإنسان، متجاوزًا كلّ المذاهب والأديان.

وتأسّف من بعض الخطاب الإسلامي الذي لا يزال وكأنه محصور في زاوية من قرية، بحيث إذا سمعه الآخرون لا يقبلونه، ولا يفقهونه.

وتساءل: أين المشتركات الإنسانية والمبادئ الإسلامية العامة؟ لماذا لا نركز عليها في خطابنا كما كان يركز عليها الإمام علي عليه السلام؟

وذكر أنّ عددًا من المفكّرين والأدباء غير المسلمين يتطلّعون لترجمة نهج البلاغة ونشره باللغات العالمية الحيّة، لتتعرف المجتمعات الغربية على تميّز فكر الإمام علي.

واستشهد بكلام للفيلسوف والمستشرق الفرنسي هنري كوربان، والأديب المسيحي اللبناني نصري سلهب.

وأشار إلى أنّ الإمام عليًّا عليه السلام رغم أنه كان يعيش معارك مع مناوئيه وأعدائه، لكنّه لم يكن يعبّئ الناس، ولم يكن يزرع الأحقاد والضغائن في النفوس، بل كان يدعو للانسجام والألفة بين الناس.

وتابع: لم يتوسّل بالسبّ واللعن الذي كان من سمات الخطاب الأموي، أما سياسة علي فإنه كان يقول: «أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ».

وقال: هذه روح علي بن أبي طالب فكيف نتعامل نحن مع من يختلف معنا مذهبيًّا أو داخل مذهبنا؟

وتابع: للأسف نحن نُخرج من نختلف معه من الدين، ونصفه بأبشع الصفات، وقد يصل الأمر لدى البعض إلى الخوض في أعراض من يختلفون معهم.

وفي الختام شكر الحضور الكثيف من البحرين والأحساء والخبر ومن سائر المناطق على إجابة الدعوة، ودعاهم لتناول وجبة الغداء.

وقد حضر الحفل جمع من العلماء والمثقفين والشخصيات الاجتماعية.

كما شارك فيه الأديب محمد الجلواح من الأحساء بقصيدة حول المناسبة تفاعل معها الجمهور، وألقى الخطيب الشيخ محمد المدلوح مقاطع من المديح لأمير المؤمنين علي عليه السلام. وقد بُدئ الحفل بتلاوة عطرة من كتاب الله المجيد.

لمشاهدة الكلمة:

أقلام

كتابات عن المؤلف

ترجمة الشيخ حسن الصفار في موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح[1]

حسن موسى رضي الصفار: مفكّر سعودي معروف، وأحد دعاة الوحدة. ولد سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) في مدينة القطيف من المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وتعلّم القرآن الكريم ضمن الكتاتيب الأهلية في المنطقة، ودرس الابتدائية في مدرسة زين العابدين بالقطيف، ثم التحق بمدرسة الأمين المتوسطة بالقطيف.

هاجر إلى النجف الأشرف للدراسة في الحوزة

(١) محمد الساعدي: موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، نشر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية (ج١، ص٣١٦-٣٢٢).

العالمية سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١م)، تم انتقل إلى الحوزة العلمية في قم سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م)، ثم التحق بمدرسة الرسول الأعظم في الكويت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م).

تلقّى علومه ومعارفه على يد مجموعة من العلماء والفضلاء، من أبرزهم: السيّد محمد الحسيني الشيرازي، الميرزا حسن الحائري، والسيّد محمد تقي المدرّسي، والسيّد مرتضى القزويني، والسيّد على ناصر السلمان، والشيخ علي المرهون.

درس على يده عدد كبير من طلاب العلوم الدينية من مختلف المناطق، حيث قام بتدريس مادة اللغة العربية ضمن كتابي قطر الندى» لابن هشام، و«شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك»، كما قام بتدريس مادة الفقه الإسلامي ضمن كتابي «شرائع الإسلام» للمحقق الحلّي، و «شرح اللمعة الدمشقية» للشهيد الثاني، وتدريس مادة أصول الفقه ضمن كتابي «أصول الفقه» للشيخ المظفّر، و«رسائل» الشيخ الأنصاري، كما قام بتدريس مادة الاقتصاد الإسلامي، والأخلاق الإسلامية، وتفسير القرآن، ونهج البلاغة، والخطابة.

وتقديرًا لكفاءته وتوثيقًا لدوره الديني والاجتماعي منحه عدد من كبار مراجع الدين وأعلام الأمة شهادات وإجازات للرواية والتصدّي للمهام الدينية، ومن أبرزهم: السيّد علي السيستاني، والسيّد محمد رضا الموسوي الكلبايكاني، والسيد محمد الحسيني الشيرازي، والشيخ محمد إسحاق الفياض، والشيخ محمد مهدي شمس الدين.

بدأ ممارسة الخطابة الدينية عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)، وعمره إحدى عشرة سنة، واستضافته مختلف المجتمعات لإحياء المواسم والمناسبات

الدينية بمحاضراته في: الأحساء، والبحرين، والكويت، وسلطنة عمان، وقطر، ودبي، ودمشق، وقم، وطهران.

صدر له أكثر من ثمانين كتابًا في مختلف مجالات المعارف الدينية والثقافية، وترجم بعضها إلى لغات أخرى. ومن مؤلفاته المطبوعة: التعددية والحرية في الإسلام، التسامح وثقافة الاختلاف: رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات، الشيخ علي البلادي القديحي.. دراسة في شخصيته وتاريخه، المرأة العظيمة.. قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي، التنوع والتعايش.. بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، علماء الدين.. قراءة في الأدوار والمهام، أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين، الحوار والانفتاح على الآخر، فقه الأسرة: بحوث في الفقه المقارن والاجتماع، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل، المذهب والوطن مكاشفات وحوارات صريحة، السلم الاجتماعي.. مقوماته وحمايته، السياسة النبوية ودولة اللاعنف.

كما نشرت له عدد من المجلات العلمية والثقافية بحوثًا ومقالات، منها: مجلّة «الكلمة»، ومجلّة «الواحة»، ومجلّة «البصائر»، ومجلّة «الحج والعمرة»، ومجلّة «المنهاج»، ومجلّة «رسالة التقريب» ومجلّة «الوعي المعاصر»، وغيرها، كما نشرت له بعض الصحف اليومية مقالات أسبوعية منتظمة، منها: جريدة «اليوم» السعودية، وجريدة «الوطن» الكويتية، وجريدة «الأيام» البحرينية.

وهو عضو في الهيئة الاستشارية لمجلة «الكلمة» والهيئة الاستشارية لمجلة «الوعي المعاصر». وعضو في الجمعية العمومية للمجمع العالمي

للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وشارك في مؤتمرات الحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية، ومؤتمرات مركز الشباب المسلم في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض مؤتمرات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في مملكة البحرين، كما أنشأ ورعى عددًا من المؤسسات الثقافية والاجتماعية في مختلف المناطق.

يقول: إنّ قيام الاتحاد الأُوربّي يشكل تجربة ملهمة للمسلمين، تدلّ على إمكانية تحقّق صبغة مناسبة للتضامن الإسلامي في هذا العصر، وأنّ ذلك ليس أملًا خادعًا ولا أمنية تسرح في الخيال، خاصة مع ما يختزنه الوجدان الإسلامي في نفوس أبناء الأمة من تطلّع للوحدة، ومع ما تحمله مفاهيم الإسلام من قيم وتعاليم دافعة نحو التضامن والتماسك..

لا شك أنّ ما يحدث الآن من مآسي النزاع والاحتراب في أكثر من ساحة إسلامية بفجّر الألم والغضب في نفوس أبناء الأمة، حيث تسيل دماء المسلمين على أيدي المسلمين، ويحلّ بديارهم الخراب والدمار من خلال معاركهم الداخلية، فضلًا عن توقّف مسيرة التنمية وضياع الثروات والقدرات. وتمنح هذه الصراعات الدامية للقوى الأجنبية أفضل فرص التدخّل والهيمنة وبسط النفوذ، كما حصل في العراق وأفغانستان والصومال والسودان ولبنان..

لكنّ تصاعد مشاعر الألم والغضب قد ترتد سلبًا على واقع الأمة حين تصيب النفوس بالإحباط واليأس، وقد تدفع باتجاهات تدميرية انتقامية تضرّ بالذات أكثر مما تضرّ بالأعداء وتضاعف المآسي بدل معالجتها، كما نرى ذلك في الممارسات الطائشة للإرهاب والعنف الداخلي والخارجي

الذي شوّه صورة الإسلام في العالم وأساء للأمّة إساءة بالغة.

إنّ واجب العلماء والمفكرين وقيادات الأمة أن توجه هذ المشاعر بالاتجاه الصحيح: لتكون هذه الأحداث المؤلمة بمثابة الصدمة التي توقظ الأمّة وتدفعها نحو استعادة تضامنها الإسلامي، كما دفعت الحربان العالميتان أوروبّا نحو طريق الوحدة والاتحاد.

وأشير هنا إلى بعض الخطوات التي أراها ضرورية للسير في طريق التضامن الإسلامي:

أولًا: تبلور الإرادة السياسية للوحدة

حيث تمسك القيادات السياسية ضمن الحكومات والأحزاب بأزمّة الأمور في بلاد المسلمين، وبإمكانها أن تنجز مهمة الوحدة والتضامن في واقع الأمة، كما صنعت ذلك القوى السياسية في أوروبا، شرط امتلاكها لوعي حضاري، وتوفّرها على استقلالية القرار.

إنّ كثيرًا من القيادات السياسية في عالمنا العربي والإسلامي لا تحمل أكثر من همّ بقائها في سدّة الحكم وموقع النفوذ، لذا لا تجد نفسها معنية بمشاريع التغيير والتطوير الحضاري.

كما أنّ ضيق أفقها السياسي يحشرها في زوايا الاهتمامات الذاتية والقضايا الجانبية، فتكون أسرع إلى التصادم مع بعضها.

من ناحية أخرى تخضع بعض هذه القيادات لتأثيرات القوى الخارجية الأجنبية التي لا تريد لهذه الأمّة أن تتوحّد إرادتها وأن تتضامن شعوبها.

إنّ هذا الكلام لا يأتي في سياق عقلية المؤامرة وإلقاء مسؤولية أوضاعنا

على الخارج، بل يمثل حقيقة واضحة تكرّر مصاديقها وشواهدها كلّ يوم.

فهل تُخفي إسرائيل وأمريكا تشجيعها لحالة الصراع الداخلي الفلسطيني؟ وهل تتستّر أمريكا وحلفاؤها على محاولات إفشال أيّ توافق لبناني؟ وهل يحتاج الأمر إلى أدلة لإثبات دور الاحتلال الأمريكي في اقتتال العراقيّين؟

لقد آن أن يدرك السياسيون في العالم العربي والإسلامي أنهم في مأزق خطير، وأنّ حسابهم أمام التاريخ وشعوبهم صعب عسير، فلا بدّ من المبادرة لإصلاح المسار، وتبنِّي هموم الأمة، والانطلاق من مصالحها بعيدًا عن تأثيرات القوى الأجنبية، وتجاوز الحسّاسيّات والخلافات الجانبية، فـ«إِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى وَلاَ مِمَّنْ بَقِيَ» كما يقول الإمام علي، وكما تؤكّد حقائق التاريخ.

ثانيًا: حماية الوحدة الوطنية

لعلّ أخطر ما تواجهه الأمة الآن هو استهداف وحدة أوطانها بإشعال الفتن داخل المجتمعات لتمزيق الأوطان والشعوب، وما كان لهذه الفتن أن تنجح وأن يتّقد أُوارها لو لم تكن لها بذور ولو لم تتوفّر الأرضية الخصبة لنموها.

إنّ من أهم منافذ الفتن وعوامل النزاع الداخلي غياب العدل والمساواة واعتماد سياسات التمييز بين المواطنين على أساس تنوعهم القومي والديني. وهناك منفذ آخر شديد الخطورة هو التعبئة الطائفية، حيث تعالت أصوات الاتجاهات التعصبية المذهبية التي استغلّت تنوع مذاهب أبناء الأمة لشن حملات التحريض على الكراهية بين أتباع المذاهب والدفع

بهم نحو النزاع والاحتراب.

رغم أنّ هذا التنوع المذهبي ليس جديدًا ولا طارئًا بل هو أمر قائم عريق في تاريخ الأمّة، إلّا أنّ هناك جهات خارجية وداخلية تريد اللعب على هذا الوتر وإثارة صراع مذهبي يمنع تلاحم قوى الأمة وتوجّهها لمقاومة العدو الصهيوني والهيمنة الأجنبية.

ويتحمّل علماء الأمّة القسط الأكبر من المسؤولية لمواجهة أخطار هذه الفتنة الداهمة؛ إذ إنّ عليهم القيام بواجب التذكير بمبدأ الوحدة والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق والنزاع، وأن يبشّروا بثقافة التسامح واحترام تعدّدية المذاهب وشرعية الاجتهاد وحرية الرأي.

إنّ مكر الأعداء عظيم، لذلك يسعون إلى استدراج بعضنا بإثارة الغيرة على المذهب والنصرة للطائفة؛ للإيقاع بنا في فخ الفتنة والنزاع، بما يمحق أصل الإسلام ويكسر شوكة الأمّة.

ثالثًا: تفعيل منظمة المؤتمر الإسلامي

يُعَدّ قرار إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي استجابة مهمّة للتحدّيات التي تواجه الأمّة ولتطلّعات الشعوب الإسلامية، لكنه رغم مرور أكثر من ثلاثة عقود على تأسيس هذه المنظمة – حيث عقد أول مؤتمر قمة إسلامي سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م – لا زالت تعاني من ضعف في الجدّية والعزيمة وبطء في المسيرة والحركة.

لقد انضمت إليها كلّ الدول الإسلامية وتكوّنت فيها المؤسّسات والأجهزة التي تعنى بمختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية، لكنّه لا تزال تشكو من ضعف الإمكانيات المادية؛ لعدم التزام

عدد من الدول الأعضاء بدفع مساهماتها المعتمدة لميزانية المنظّمة، كما يغلب على اجتماعاتها طابع المجاملات الشكلية وإصدار البيانات العامة بعيدًا عن اتخاذ القرارات الجادة وطرح المعالجات الجريئة للمشاكل الحقيقية التي تعاني منها ساحة الأمة.

إنّه يجب تفعيل دور هذه المنظّمة؛ لتكون المؤسّسة الجامعة لشمل الأمّة ولتبدأ من خلال أجهزتها خطوات التعاون والتكامل بين الدول الإسلامية، وصولًا إلى تحقيق التضامن الإسلامي.

رابعًا: ثقافة الوحدة الإسلامية

في غمرة الاندفاع الديني الذي يسود أجواء الأمّة تعالت في الأيّام الأخيرة أصوات طائفية بغيضة تريد الانحراف بحماس أبناء الأمّة ليتجه صوب الخلافات الداخلية بدل استهداف الأعداء الطامعين.

وكانت ساحة العراق التي تئنّ تحت وطأة الاحتلال الأمريكي هي مختبر الإنتاج ومنطقة التصدير لهذه البضاعة الكريهة، حيث يشتغل أوار فتنة طائفية هوجاء وقودها المواطنون العراقيون الأبرياء من مختلف الطوائف. ويُراد لهذه الفتنة أن تنتشر لإحراق مختلف ساحات المنطقة، تطبيقًا لمبدأ نشر الفوضى الخلّاقة الذي تبنّته الإدارة الأمريكية.

بالطبع، لا يمكننا إنكار وجود بذور للطائفية في تراثنا وثقافتنا وأنماط علاقاتنا، وإنّما تقوم الاتّجاهات التعصّبية برعاية تلك البذور، فيجد الأعداء من خلال ذلك فرصتهم المناسبة لتمزيق صفوف الأمة، من هنا تبرز أهمّية مراجعة هذا التراث وتنقية الثقافة المتداولة بين المسلمين من آثار وشوائب عصور التخلف والصراعات الطائفية.

إنّ الجهاد الأكبر لفقهاء الأمّة وعلماء المسلمين يتمثّل اليوم في التأكيد

على مبدأ الوحدة، وتحريم وتجريم أيَّ قول أو فعل يضرّ بوحدة الأمّة، وكذلك التأكيد على أصول الإسلام التي تمثل الجامع المشترك بين المسلمين بمختلف مذاهبهم، والتقليل من شأن الاختلافات الفرعية في المعتقدات والأحكام باعتبارها نتاجًا طبيعيًّا لاختلاف الآراء والاجتهادات.

خامسًا: القضايا المصيرية

وأبرز قضية مصيرية تمثّل عنوان التحدّي للأمّة في هذا العصر هي القضية الفلسطينية والاحتلال الصهيوني للقدس الشريف وسائر الأراضي المحتلّة.

إنّها قضية عادلة مقدّسة لا يختلف عليها اثنان من أبناء الأمّة، فيجب أن تكون محورًا الوحدة الأمة وتضامنها ومنطلقًا لنهضتها وانبعاثها، فهي أعمق من احتلال أرض وقهر شعب.. إنّها مواجهة لمشروع صهيوني يستهدف إخضاع إرادة الأمّة والهيمنة على هذه المنطقة الإستراتيجية التربية ليكون القرار الإسرائيلي هو النافذ فيها.

وحين تتضافر قوى هذه الأمّة وتتوحد جهودها في مقاومة العدوان والأطماع الصهيونية، فإنّ ذلك سيكشف للأمّة قوتها وعظيم قدرتها، وسيكسبها احترام العالم وتقديره، وسيعرف الصهاينة حجمهم الحقيقي بعيدًا عما يحيطون به أنفسهم من تضخيم وتهويل.

وما صمود الفئة المقاومة في لبنان في حرب تمّوز الماضي وإيقاعهم الهزائم النكراء في الجيش الذي لا يقهر كما يدّعون إلّا أنموذج لما تختزنه هذه الأمة العظيمة من إرادة الصمود وقوة المقاومة وروح التضحية والفداء.

(انظر ترجمته في المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ١١٥).

الشيخ حسن الصفار: خطيب التجديد الثقافي المنشود[1]

عبدالحميد الحسني
باحث من المغرب

مع مطلع كلّ سنة هجرية جديدة، تنشدّ الأنظار نحو قطيف المحبّة بكلّ مجالسها الحسينية الرائدة في الاستثمار الواعي في بعث وعي متجدّد للنهضة الحسينية العظيمة، و شخصيًّا منذ أكثر من عقدين من الزمن ارتبطت بخطاب المفكر و الخطيب المثقف المتميّز بمنهجه و خطابه والمجدّد لمطالب الرؤية وآفاق التجديد وأدوات الإصلاح واستراتيجيات التنمية، إنه صاحب الفكر الإسلامي المنفتح على الإنسان كلّه متمثّلًا في ذلك عظماء الإسلام والخطيب المفوه والمتفرد بلغته الدقيقة والرقيقة التي يلحقها السجع تيمّنًا بما تحويه من درر النباهة والوعي والكرامة والسلام؛ المثقف الحاضر بكلّ وجدانه ومسؤوليته الثقافية والاجتماعية لتنمية المشاريع الحضارية من خلال إبداع الأفكار الحية ودحض الشبهات الفتنوية التي تهدف إلى إضعاف

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠/٨/ ٢٠٢٢م.

مناعة الأمة.

إنه الأمين على الكلمة الطيبة والعمل الصالح بأسلوبه التثقيفي المتواضع وابتسامته المشرقة بكلّ حنان وأخوّة ورحمة وصدق ووفاء على الوجوه التي عرفته أو تعرفه ولا زالت تتعارف معه، هذه الشخصية التي تعلّمك في كلّ لقاء معها كيف تكون إنسان الخير منطقًا وعاطفة وفكرًا وعملًا وتطلّعًا، اليوم بعد سياحة ضرورية للعقل والقلب والروح والوعي عبر بساتين الجنان الحسينية استقرّ بي الحال لمدّة أسبوع في رحاب مقرّر جامعة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في قطيف الرسالة بمدرج العلّامة الفاضل سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله ورعاه.

كانت كلّ محاضرة ذات رونق خاص ترسم معالم خريطة ثقافية متناسقة، تلهمك مباني جديدة عبر خطاب اجتهادي تجديدي مبسّط المعنى والمسار والغايات السامية التي يختزنها مقتبسًا من لغة القرآن الحضارية التي لا تبخس الناس أشياءهم، ضمن منظور فلسفي دقيق ومتعدّد الأبعاد في صياغة ماهية الاجتماع إسلاميًّا على ضوء محطات كربلاء القضية وعاشوراء الرسالة والحسين الشهيد.

لا تسعني هذه السطور لعرض ما أستلهمه كلّ سنة من روائع الإبداع الصفّاري الذي يعكس جواهر الاجتماع الثقافي إسلاميًّا ويبرز قيمة الانفتاح الواعي على الحياة عبر تفعيل مقوّمات النباهة والأدب والنقد والتجديد والاجتهاد والإصلاح واستثمار القيم والمبادئ الذاتية في أمتنا وثقافتنا لتمكين إنساننا من الوعي المنشود والمطلوب.

الشيخ الصفار - بلا شك - معلّمنا جميعًا إلى جانب العديد من المعلّمين من علماء ومثقفين متوزّعين عبر خط طنجة -جاكرتا؛ لأنّ

الإنسان السَّوي في تفكيره وسلوكه وعلاقاته ومن ينظّم أموره بكلّ جدٍّ واجتهاد وعفة وسداد، لا بُدّ أن يمتلك العادات الأهم في إدارة الوعي الثقافي لديه وإنتاج الثقافة الإستراتيجية لدى المتفاعلين معه، وأهم عنصر تجده مهيمنًا في كورسات عاشوراء خلال السنوات الأربع الماضية عند الشيخ الصفار هو دالة الخطاب بلغة الرياضيين والمهندسين التي ترتكز على عدّة أبعاد، منها:

- الشمولية الثقافية
- الدقة المنهجية
- التحليل النموذجي

هذه الخصائص نلحظها في كلّ المحاضرات بلا استثناء، حيث نستشفّ أنّ هناك هاجسًا إيجابيًّا بإيصال الفكرة وصناعة الوعي وتشجيع المتلقّي على الالتحاق بدوره السوسيوثقافي، حتى لا يظلّ خارج مجال الحساب الاجتماعي الثقافي للمسلمين، أي هناك همٌّ حاضر وقلق مؤثر وتطلّع عظيم ساكن بين خطوط ومسارات ومنعرجات كلّ محاضرة.. هكذا يبدو لي الشيخ الصفار لا يُعدّ خطيبًا حسينيًّا تقليديًّا فقط، بل هو المثقف الذي يصنع الفكر الإسلامي الحضاري الحي بهدوء ورصانة بين التاريخ والمستقبل ويوجهه من باب التحليل والمناقشة والنظم، لا من باب الضجيج الإعلامي أو الهرج الطائفي، في كلّ موسم عاشورائي.

يحدث هذا منذ ثلاثة عقود، كلّما نشر كتابًا في الفكر الإسلامي، أو عن الوحدة والحوار والتسامح وبناء الإنسان المسلم، إلّا وترك أثرًا في الساحة وخلّف وعيًا عميقًا وكبيرًا عبر الجغرافيا العربية والإسلامية، فاتحًا فضاءات من النقاشات الهادئة والهادفة إلى المراجعة الرصينة لتراثنا

والابتعاد عن الأحكام المتسرعة والكراهيات والانفجارات الهوياتية التي لا تزال تنفث السُّموم بين الأجيال.

المفكر الإسلامي الشيخ حسن بن موسى الصفار هو مثقف الحوار وخطيب الحكمة وفقيه التسامح والتعارف والتعايش والوحدة والإنسانية وعالم التفاؤل بميلاد مستقبل إسلامي من رحم الآلام والعبرات التاريخية المستمرة.. بهذا المعنى، الشيخ الصفار ليس خطيب الحسينيات فقط، لكنّه أيضًا صانع الرأي العام الإسلامي، له تأثير في النخب الثقافية والفكرية والجامعية والإعلامية عبر العالم من شتّى المذاهب الإسلامية والأديان.

بعد هذه الملاحظات البسيطة التي لا ألزم بها أحدًا غيري، لكن عندما نستجمع كلّ الزهور الفكرية والأمثلة الرائعة والمقاربات الذكية في ثنايا محاضرات هذه السنة، ليس أمامي سوى قول ابن نباتة:

لعمري لقد أفحمت بالفضل منطقي وقد كنت ذا نطقٍ وفضل بيان
وحركت ميزاني فأثنى لسانه فما زلت مشكورًا بكلّ لسان

منطق المعرفة[1]

د. حسين العيسى
أكاديمي وكاتب من الأحساء

في حقل المعرفة لا معنى لأن يكون ثمة اصطفافات. الاصطفاف المنطقي في ذلك الحقل يكون لصالح منطق المعرفة فقط.

وهذا منطلقي في أيّ عملية نقد، فمن ننقده ليس خصمًا، وميدان النقد ليس حلبةً بقدر ما هو ميدان نُبرز فيه لبعضنا البعض مواطن خدشنا لمنطق المعرفة، من أجل أن نتلافاها لنتقدّم فننمو جميعًا.

أمّا أن نحث على النقد البنّاء ولا نرحب به أو نتفاعل معه، فهذا يضع أكثر من علامة استفهام أمام موقفنا من طلب العلم والمعرفة.

وعندما نربط بين الترحيب بالنقد البنّاء، والصدق في طلب العلم؛ فذلك لأنّ طالب العلم الصادق يندهش كلّما أفاق على معلومة كانت تمثل بقعة ظلام في مملكة معرفته.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠/ ٨/ ٢٠٢٢م.

وفي هذا المقام، يسعدني أن أجدّد إعجابي بنموذج سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله؛ لأنه مصداق جليٌّ لما يدعو إليه.

وهذا الانطباع ليس بفعل خطابه فقط، ولا لأنه أتحفني باتصاله ظهيرة هذا اليوم للشكر والثناء على مقال: « الخطاب المنبري من مرآة ابستمولوجية»؛ وإنّما لما هو أكثر، لما يعكسه هذا الاتصال من حالة اتساق، بين خطاب يتسّم بالحث والتشجيع على النقد البنّاء، والانفتاح على العلوم من أجل الفهم وتعميق المعرفة بالدين والتديّن، وبين ترحيب حقيقي بمواضع النقد المعرفية التي لامسها المقال، وأخرى قد يلامسها أيّ مقال آخر.

نعم، في أجواء كتلك من الاحترام المتبادل، واعتراف الذوات المشتغلة بالمعرفة بنسبية معارفها، وتقدير قيمة النقد البنّاء، يكون مناخ التقدّم الفكري والمعرفي في أوساطنا خصبًا جدًّا.

قراءة في كتاب: (إضاءات من السيرة النبوية)

نحو استثمار السيرة المحمدية للتغيير..[1]

الشيخ محمد علي الحرز
باحث كاتب من الأحساء

بطاقة الكتاب:

العنوان: إضاءات من السيرة النبوية.

تأليف: الشيخ حسن بن موسى الصفار.

دار النشر: أطياف للنشر والتوزيع: القطيف.

الطبعة الأولى: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

يقع الكتاب في ٢٣٨، مقاس وزيري.

إطلالة على الكتاب:

هناك بونٌ شاسع بين من يتَّخذ السيرة النبوية ومعالم حياة الرسول الأكرم للتبرُّك ومجرَّد العرض التاريخي، ومن ينظر لها وفق المنهج القرآني وأنّها نور وهداية للسير على أثرها والاستضاءة بوهجها في مسيرتنا الحياتية، فالقرآن الكريم حين تحدَّث

(١) نشر على موقع خليج الديرة بتاريخ ٢٣ / ١٠ / ٢٠٢٢م.

عن النبي الأعظم، لم يكن الغرض منه إبراز ملامح ومراحل شخصية فريدة، وإنّما أراد من المجتمع الإسلامي اقتباس الهداية منها، يقول الشيخ حسن الصفار في مدخليته ومقدّمته للكتاب: «ما تناوله القرآن الكريم من السيرة النبوية، جاء في سياق منهجيته المميّزة في عرض القضايا والوقائع التاريخية، بالتركيز على موقع العبرة والدرس، وتبيين الحكم والموقف، بما يحقّق الهدف القرآني الأساس، وهو الهداية والتنوير»[1].

ثم يُبيِّن المصنِّف أهم العوامل التي ساهمت في الاهتمام الجماهيري المتزايد بقراءة السيرة النبوية في مرحلتنا المعاصرة، والتي يمكن أن نُلخِّصها في عوامل ثلاثة:

أولًا: كون السيرة النبوية مصدرًا أساسًا للمعرفة الدينية والتشريع الإسلامي، إلى جانب القرآن الكريم.

ثانيًا: الاقتداء والتأسّي بهديه، والتخلُّق بأخلاقه، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٢١].

ثالثًا: نفوذ المحبّة للرسول الأكرم في نفوس وقلوب المسلمين، وعشقهم لشخصيته، دافع لهذا الاهتمام بحياته وسيرته[2].

إلَّا أنّ الشيخ الصفار في قراءته للسيرة النبوية والتسارع الاجتماعي نحو التغيير يرى أنّ هناك بُعدًا آخر يضاف إلى ما سبق عرضه، وهو لا يقلّ عنها أهمية ومكانة: «هو تحفُّز الأمة للنهوض من واقع التخلُّف ومواجهة التحدّيات الخطيرة التي فرضت نفسها على الأمة»، من خلال الاستفادة

(١) إضاءات من السيرة النبوية: ص ٩.
(٢) إضاءات من السيرة النبوية، بتصرف: ص ١٢.

من السيرة التاريخية لرسول الأمة وهاديها؛ لأنها تمثّل أروع أنموذج في التاريخ البشري للنهوض والتغيير والتقدُّم، ومن هنا هي تستلهم من هذه السيرة خارطة الطريق، وتتلمّس الخطوات لنهضتها نحو التغيير والتجديد والرقي.

وقد قسَّم الشيخ المصنف كتابه إلى أربعة فصول بعنوان (إضاءات):

- **الإضاءة الأولى: الأول في قائمة العظماء.**
- **الإضاءة الثانية: معركة التغيير.**
- **الإضاءة الثالثة: صناعة التحوُّل.**
- **الإضاءة الرابعة: خلقٌ عظيم.**

وقد أدرج تحت كلّ إضاءة مجموعة من النقاط المهمَّة التي تناولها بشيءٍ من التفصيل، وقد أبرز من خلالها الشيخ الصفار رؤيته والدروس التي يمكن أن نستقيها تحت أضواء السيرة النبوية الشريفة، من خلال قراءة متأنية للمواقف والأحداث التاريخية مع إسقاطها على الواقع الاجتماعي والمتغيّرات التي يعشيها المجتمع اليوم.

ففي الإضاءة الأولى: تم استعراض عدد من النقاط المهمّة، من أهمها:

(منابع العظمة المحمدية)، وقد تناول تحت هذا البند أربع نقاط مهمَّة:

المنبع الأول: الاختيار الإلهي: النابع من الكمال الشخصية لتجمع كلّ عناصر الخير والصفات الحميدة في الرسول الأعظم.

المنبع الثاني: عظمة الرسالة المحمدية: فالرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات وأعظمها وأكملها، فرغم وجود رسالات سابقة إلَّا أنها افتقرت

لميزة التكامل والديمومة التي تمتعت به الرسالة المحمدية.

المنبع الثالث: سمو الأخلاق: فقد أدَّب النبيَّ، ربُّه فأحسن تأديبه، فوصفه جلّ وعلا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[سورة القلم، الآية: ٤].

المنبع الرابع: الإنجاز الكبير: وقد أشار لما قاله الدكتور الأمريكي مايكل هارت حينما ألَّف كتابه سنة ١٩٧٨ م، وفيه تناول المئة الأوائل في تاريخ البشرية، فكان سيّد المرسلين في قمّة المجدِّدين والمؤثِّرين في التاريخ، وقد استند المؤلِّف في ترجيح النبي على سائر المؤثِّرين في التاريخ بقوله: «إنّ محمدًا، كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي»، ويضيف هارت: «لقد أسَّس ونشر محمد أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد أبرز الزعماء السياسيين العظماء، وفي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا على وفاته، فإنّ تأثيره لا يزال قويًّا وعارمًا»[1].

ورغم قصر الكتاب فقد اختزل بين دفتيه الكثير من الأفكار والرؤى المهمة والكبيرة، الكاشفة عن سعة فكر مصنفه وكاتبه، وهنا نستعرض بعض تلك الأنظار.

ملاحظات قبل الشروع في السيرة النبوية الشريفة:

منها أنّ الكتابة والمطالعة في السيرة النبوية ينبغي أن تأخذ مجموعة من النقاط بعين الاعتبار:

أولًا: ضرورة القراءة المتجدّدة لسيرته: فالقراءة لسيرة النبي الأكرم، تتجدَّد وتتغيَّر من زمنٍ إلى زمن وفق المتغيِّرات والمستجدات،

(١) إضاءات من السيرة النبوية، ص ٢٢.

والشيخ الصفار يرى من الأخطاء الكبيرة تناول السيرة المحمدية بنفس الزاوية والنظرة التي كتب بها السلف من العلماء لهذه السيرة، وإلَّا سوف نخلق بونًا شاسعًا بين معطيات هذه السيرة العطرة، وبين الحاجات والتطوّرات التي تتجدَّد كلّ يوم في تسارع مستمر.

ثانيًا: تربية الأجيال من أبنائنا على هدية وسيرته: سيرة الرسول وهدية مليئان بالقصص والأحدث الأخلاقية والتربوية، فالعلَّامة الشيخ الصفار، يرى أنّ هذه القصص هي النموذج الأمثل التي ينبغي أن نُحدِّث أبناءنا عنها ونغرسها في فكرهم وأذهانهم، وينشَّؤون ويتربون على هديه وسيرته.

ثالثًا: الاقتداء بهديه والتزام رسالته: حياة النبي وهديه، تنال استحسان وقبول لدى كلّ إنسان عاقل يبحث عن السُّمو، ولكنّ هذا الإعجاب يكون بلا قيمة ما لم يُترجم إلى واقع عملي وسلوك اجتماعي، فاللَّه سبحانه قال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٣٢].

رابعًا: إيصال رسالته وهديه للعالم: يرى الشيخ الصفار أنّ الحضارة الغربية رغم تقدُّمها ونموِّها العلمي والحضاري، فإنها في المقابل تعيش نوعًا من الخواء والفراغ الروحي، ممَّا أدَّى لوقوع عمليات الانتحار الكثيرة في المجتمع الغربي، فكان الإسلام والرسالة النبوية هي الحلّ لملء هذا الفراغ الذي يُشعر المرء بالطمأنينة وراحة البال.

وتأتي المهمَّة على كلّ مسلم هي بثّ هذه السيرة إلى جميع أرجاء

العالم، فالديانات اليوم في العالم رغم كثرتها لم تستطع أن تسدَّ هذه الثغرة كما صنع الإسلام على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمن.

وتحت الإضاءة نفسها أشار شيخنا الصفار، إلى البعد الأسري عن العلاقة مع الزوجة، مستمدًّا رؤيته من العلاقة التي ربطت النبي الأكرم بزوجته خديجة، ضاربًا الأمثلة والنماذج والأسس التي قامت عليها هذه العلاقة، كما تناول العلاقة مع البنت من خلال العلاقة التي بين النبي محمد وابنته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، التي تُشكِّل مضرب مثل في مدى الانسجام والرحمة والرأفة، وهو أمر تفتقر إليه العديد من البيوتات الإسلامية نتيجة ابتعادها عن السيرة النبوية وما تحمله من معانٍ كبيرة وسامية.

وهنا سوف نستعرض مجموعة من الأفكار التي تناولها الكتاب الذي هو أشبه بقراءة عصرية ورؤية تنويرية للسيرة النبوية، وأسقاطها على الكثير من الأحداث والوقائع التي يعيشها المجتمع الإسلامي اليوم من صراعات ومشاكل فكرية واجتماعية وسياسية.

الأفكار الجديدة بين التطُّلع والإحجام:

من هذه الأفكار موقف المجتمع الإسلامي من الأفكار الجديدة التي تهدف إلى التغيير والتطوير دون الاستفادة من منهج الرسالة، وقد واجه النبي الأكرم مثل هذه التحدّيات الكبيرة وذلَّلها للوصول لمرحلة التغيير الكبير في المجتمع العربي. وقد أرجعها الشيخ الصفار إلى مجموعة من العوامل التي كرَّست التخلُّف في المجتمع، وعدم القدرة على التماهي مع متطلَّبات الزمن ومستجدات الحياة، ويمكن أن نلخصها في التالي:

أولًا: موقف اللّامبالاة: فالكثير من الناس لا يبالون تجاه الأفكار الجديدة التي تطرح في مجتمعاتهم مهما كانت نوعية الفكرة والدعوة المطروحة، سواء على الصعيد الديني أو السياسي أو الاجتماعي، وقلَّ أن تجد في بداية طرح الأفكار تجاوبًا وتفاعلًا؛ إذ إنّ أكثر الناس غير مبالين، ولا يجدون أنفسهم معنيين.

وفي السيرة النبوية العطرة نجد أنّ الرسول، عندما بدأ دعوته وجد مثل هذا النوع من اللّامبالاة، وعدم التجاوب، وقد رصدها القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[سورة فصلت، الآية:٢٦].

ثم المصنف يسترسل في تناول النماذج والأمثلة من السيرة النبوية وكيف جابه النبي الأكرم هذا التحدّي والمجابهة.

من العناصر المهمة التي أشار إليها في هذا الصدد وسبّب في عدم تقبّل الأفكار الجديدة، هي:

ثانيًا: حالة الاسترسال: وهي عملية عيش حالة من الإشباع والاسترسال في الموجود بما لديهم من أفكار وقناعات سابقة دون الرغبة في تغييرها.

ثم تناول رؤية جديدة وهي تمثّل واقع الحال:

ثالثًا: عدم الثقة: وعنى بها سماحة العلَّامة الصفار: «أنّ كثيرًا من الناس لا يسعون للانفتاح وتقبّل الجديد لعدم ثقتهم بقدرتهم على مناقشتها والبحث في مدى مصداقيتها من عدمه».

وأخيرًا يذكر عاملًا رابعًا:

رابعًا: الخوف من الاعتراض: فالشيخ يرى أنّ البعض يبرّر عدم تقبُّله للأفكار الجديدة، ينبع في حقيقته من الخشية لمعارضة المجتمع لهم وتصدّيه لأفكارهم.

طريقة التعامل مع الأتباع:

ومن الزوايا المهمَّة التي تناولها الكتاب في صفحاته الماتعة طرق التعامل بين القائد والأتباع في المنهج الرباني وهدي الرسالة، بعد أن تعدَّدت الرؤى وتشعَّبت الأفكار بين التعامل الدكتاتوري أو القائد الأوتوقراطي (المتسلّط)، أو القائد الديمقراطي، والقيادة الشخصية، وغيرها من المدارس والاتّجاهات في التعامل بين الرئيس والمرؤوس. هنا يستعرض الشيخ الصفار -حفظه اللَّه-، ما يراه أنه المنهج النبوي تجاه هذه النقطة الحسَّاسة، ويُلخِّصها في النقاط التالية:

أولًا: محورية القيم في مقابل الذات: وهذا بخلاف المنهج الذي تتمحور حول الذات للقائد والصنمية، فالقيادة الربانية تبتني على محورية القيم الإلهية التي يؤمن بها المؤمنون.

ثانيًا: إثارة عقول الأتباع: فمع عصمة النبي، فإنه يتعامل مع الأتباع وفق العقلية البشرية الناقصة التي تستفيد من الأتباع واستثمار تجاربهم.

وقد تناول الكاتب عددًا من المواقف النبوية من خلال النصوص القرآنية والروايات الشريفة.

ثالثًا: المواساة وعدم التَّميّز: فلم يكن النبي ﷺ، يعيش متميّزًا عن أصحابه، بل كان يعيش كأحدهم، فقد كان يقوم احترامًا لبعض القادمين عليه، إلَّا أنه يكره قيام الناس له، لشدّة تواضعه.

رابعًا: إكرام الأتباع وليس امتهانهم: فبعض القادة إذا وجد أتباعًا يخدمونه، يمتهنهم ويتعامل معهم وكأنهم خدم له، فلا يراعي مشاعرهم وأحاسيسهم، بخلاف الرؤية النبوية التي تُجل الأتباع ويشاركهم الخدمة والعمل.

خاتمة:

إنّ الكتاب تضمَّن الكثير من الأفكار الجميلة والجديرة بالبسط والتوسُّع فيها اختزل المصنف فيه رؤيته حول التغيير والتجديد الديني والاجتماعي، وقد ضمَّنها ثنايا الكتاب مستمدًّا رؤيته من المنهج النبوي الشريف، ويمكن أن نلخص الكتاب في النقاط التالية:

١. تضمّن الكتاب الكثير من الأفكار التنظيرية حول مستجدات الحياة المختلفة التي تمثّل المشكل الراهن.
٢. كتبه الشيخ بلغة سلسلة وبسيطة خالية من التعقيد بحيث جمع بين دفتيه العمق والبساطة في الطرح.
٣. حاول الشيخ الصفار أن يُعطي تطبيقًا عمليًّا للمنهج الذي أشار له في بداية الكتاب إلى أنّ السيرة النبوية هي نور وهداية للسير على أثرها والاستضاءة بوهجها في مسيرتنا الحياتية، من خلال تناول مجموعة من القضايا المهمَّة والمعاصرة، سواء في التعامل مع المتغيّرات أو التطرُّف الديني، أو العلاقات الأسرية، وغيرها، وإسقاطها على المنهج التاريخي التحليلي من السيرة المطهرة للنبي الأكرم.
٤. إنّ الكتاب يمتاز بعنصر التجديد في طرح السيرة التاريخية لحياة الرموز الدينية من الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم

السلام، جدير بأن يستفاد منه في العديد من الكتابات التاريخية، بجعلها متحرّكة ومواكبة لتطورات الزمن.

٥. أعتقد أنّ الكتاب يحتاج إلى قراءة أكثر من مرة ليستفاد منه بشكل صحيح، وأقد أجاد سماحة الشيخ العلَّامة الصفار في سبك مادته واستعراض أفكاره.

٦. إنّ ما ذكرناه لا يمثّل جميع ما تضمَّنه الكتاب من أفكار ورؤى، وإنّما تناولنا شطرًا منها كعيّنات ونماذج تحكي واقع الكتاب وما فيه، لنعطي القارئ ملامح بسيطة عن القيمة لهذا الكتاب الثمين في محتواه وفكره.

حسن الصفار.. مفكّرًا وداعية حوار[1]

رضي السمّاك

كاتب وباحث بحريني في القضايا السياسية والتراثية

في العام ٢٠١٦ أُختيرت دولة الكويت الشقيقة عاصمة للثقافة الإسلامية، وأُقيمت فيها بهذه المناسبة فعاليات ثقافية متعدّدة، منها ندوة عن «حوار الأديان» شاركت فيها نخبة متميّزة من الباحثين ورجال الدين، وكان أن خصّصت دورية «الثقافة العالمية» الكويتية، عددًا خاصًا نشرت فيه الأوراق البحثية الممتازة التي قدّمها أولئك الباحثون، ومن بينها ورقة د. ميشيل متياس، الأستاذ في الفلسفة بكلية Millsaps College الأميركية، ركز فيها على أهمية امتلاك المتحاورين مقدّمًا مفهومًا مشتركًا للحوار، واعتبر أنّ حوارات الأديان تنتفي قيمتها إذا ما انطلق المشاركون فيها من فرضية أنّ ديني هو الدين الحقّ للنجاة والسّعادة الأبدية.

ومما جاء فيها: «يدّعي المتفرّد الصارم بأنّ دينه هو دين «الحق»، وأنّ كلّ الأديان الأخرى هي إما

(١) نشر على جريدة البلاد البحرينية بتاريخ ٥ / ١١ / ٢٠٢٢م.

السبت 05 نوفمبر 2022

البلاد

* رضي السمّاك

حسن الصفار... مفكراً وداعية حوار

في العام 2016 أختيرت دولة الكويت الشقيقة عاصمة للثقافة الإسلامية، وأقيمت فيها بهذه المناسبة فعاليات ثقافية متعددة، منها ندوة عن "حوار الأديان" شاركت فيها نخبة متميزة من الباحثين ورجال الدين، وكان أن خصصت دورية "الثقافة العالمية" الكويتية، عدداً خاصاً نشرت فيه الأوراق البحثية الممتازة التي قدمها أولئك الباحثون، ومن بينها ورقة د. ميشيل متياس، الأستاذ في الفلسفة بكلية Millsaps College الأميركية، ركز فيها على أهمية امتلاك المتحاورين مقدماً مفهوماً مشتركاً للحوار، واعتبر أن حوارات الأديان تنتفي قيمتها إذا ما انطلق المشاركون فيها من فرضية أن ديني هو الدين الحق للنجاة والسعادة الأبدية. ومما جاء فيها: "يدعي المتفرد الصارم بأن دينه هو دين "الحق"، وأن كل الأديان الأخرى هي إما خاطئة، أو غير مكتملة أو مضللة"، وفي تقديرنا أن متياس إنما يريد أن يقول لنا بمعنى آخر: إن الحوار غرضه تمتين التفاهم والعيش المشترك بين أبناء الأديان والملل والمذاهب المختلفة؛ للنأي بها عن التوتر والاحتراب اللذين يضران بالجميع، ونرى أن هذه القاعدة ليست صالحة لانطلاقة الحوار بين أتباع الديانات المختلفة فحسب، بل وصالحة أيضاً لأتباع الثقافات والسياسات والآيديولوجيات المتعارضة، وبضمنها الممثلة في الدول المتحاربة التي تتبناها.

وأحسبُ أن المفكر ورجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار هو واحد من دعاة الحوار الذين يمتلكون الفهم الصحيح لمقاصد موائد الحوار الموضوعي الهادئ والهادف، سواء كان الحوار بين كبار أتباع الديانات والمذاهب، أو بين قادة وممثلي الدول والحركات السياسية، وتعود معرفتي بهذا الرجل الثقافية إلى أوائل العقد الأول من ألفيتنا الجارية عندما حضرت له في جامع الصادق بالقفول محاضرة قيّمة، شدتني إليها طريقة المحاضر في عرضها، وكذلك مستواها الثقافي الرصين. وقبل هذه المحاضرة لم أكن قد قرأت له سوى كتابين، صدرا أواخر التسعينيات عن دار الجديد البيروتية، الأول بعنوان "علماء الدين قراءة في الأدوار والمهام"، والثاني صدر عن الدار نفسها بعنوان "الشيخ محمد أمين زين الدين الدور الأدبي والجهادي"، بالشراكة مع المرحوم الدكتور عبدالهادي الفضلي رئيس قسم اللغة العربية في جامعة الملك عبدالعزيز. "المقال كاملا في الموقع الإلكتروني".

* كاتب بحريني

خاطئة، أو غير مكتملة أو مضلّلة»، وفي تقديرنا أنّ متياس إنما يريد أن يقول لنا بمعنى آخر: إنّ الحوار غرضه تمتين التفاهم والعيش المشترك بين أبناء الأديان والملل والمذاهب المختلفة؛ للنأي بها عن التوتر والاحتراب اللذين يضرّان بالجميع، ونرى أنّ هذه القاعدة ليست صالحة لانطلاقة الحوار بين أتباع الديانات المختلفة فحسب، بل وصالحة أيضًا لأتباع أيضًا الثقافات والسياسات والآيديولوجيات المتعارضة، وبضمنها الممثلة في الدول المتحاربة التي تتبناها.

وأحسبُ أنّ المفكر ورجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار هو واحد من دعاة الحوار الذين يمتلكون الفهم الصحيح لمقاصد موائد الحوار الموضوعي الهادئ والهادف، سواءٌ أكان الحوار بين كبار أتباع الديانات والمذاهب، أو بين قادة وممثلي الدول والحركات السياسية. وتعود معرفتي بهذا الرجل الثقافية إلى أوائل العقد الأول من ألفيّتنا الجارية عندما حضرت له في جامع الصادق بالقفول محاضرة قيّمة، شدتني إليها طريقة المحاضر في عرضها، وكذلك مستواها الثقافي الرصين. وقبل هذه المحاضرة لم أكن قد قرأت له سوى كتابين،

صدرا أواخر التسعينيات عن دار الجديد البيروتية، الأول بعنوان «علماء الدين قراءة في الأدوار والمهام»، والثاني صدر عن الدار نفسها بعنوان «الشيخ محمد أمين زين الدين الدور الأدبي والجهادي»، بالشراكة مع المرحوم الدكتور عبدالهادي الفضلي رئيس قسم اللغة العربية في جامعة الملك عبدالعزيز.

وأُقيمت للفضلي حفلة تأبينية في قرية الدير، قدّمها الصديق والأستاذ اللغوي والتربوي الراحل الدكتور علي هلال، وكتبت على إثرها مقالًا صحافيًّا محليًّا تقريظيًّا في الفعالية ومناقب الفقيد الفضلي في ضوء ما قرأت له من بعض أعماله. ويتميّز أسلوب الصفار في الكتابة بمنهجية علمية صارمة تراعي التكثيف، وجزالة الألفاظ وسلاسة ترتيب الأفكار وتركيزها، والابتعاد عن الإسهاب الممل والاطناب الذي قد ينزلق بالباحث إلى الخروج عن صلب الموضوع، وهذه لعمري كلّها سمات الباحث العلمي المحترف. وقد صدرت له عشرات الكتب التي تتناول قضايا الحوار والتسامح مع الآخر، سواءٌ أكان مسلمًا أم مسيحيًّا، كما تتناول سُبل تعزيز الوحدتين الوطنية والإسلامية وقطع الطريق على دابر المتربصين بهما.

وإذا كان الكتاب يُقرأ من عنوانه كما يُقال، فإنّ الصفار عني باختيار عناوين كتبه الإسلامية التي تعكس بدقة أفكاره حول الموضوعات التي يبسطها في متون فصولها. ومن هذه الكتب: العقلانية والتسامح.. نقد جذور التطرف، التسامح وثقافة الاختلاف، الدين والقيم الإنسانية، تمكين المرأة.. الفرص والتحدّيات، التعدّدية والحرية في الإسلام، الحوار والانفتاح على الآخر، المذهب والوطن، رؤية حول السجال المذهبي،

العمل والفاعلية طريق التقدّم، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، المشكل الطائفي والمسؤولية الوطنية، الإصلاح الديني والسياسي، الإنسان قيمة عليا، المذهب والوطن مكاشفات وحوارات»، وهذا الكتاب الأخير كان في الأصل حوارًا طويلًا وصريحًا للغاية أجرته معه صحيفة «اليوم» السعودية، وقد تميّزت أسئلتها فيه بالمصارحة، فيما تميّزت إجاباته عنها بتوخيه الشفافية بأكبر قدر ممكن، دون الالتفاف على تلك الأسئلة، أو المراوغة والتهرّب منها.

والحال أنّ رجل الدين والباحث الإسلامي حسن الصفار يمكن القول إنه واحد من أكثر الوجوه المعروفة بالوسطية والاعتدال والعقلانية على الساحة العربية الخليجية بوجه عام، والسعودية بوجه خاص، كما أجرت معه بعض قنواتها مقابلات متميّزة، كما له حوارات منشورة في العديد من صحفها.

ذكريات الصفار ومذكراته[1]

مصطفى محسن اللواتي
كاتب وشاعر من سلطنة عمان

كنت أجهّز كوب قهوة حينما جاءتني رسالة «واتس آب»، فتحتها فإذا هي من الأخ الكاتب والشاعر «أديب ابو المكارم» يخبرني أنه أحضر لي عددًا من الكتب هدية من الشيخ حسن موسى الصفّار، وكتابًا آخر من عنده، وآخر من الشيخ زكي الحبيب.

ورغم جمال كلّ الكتب التي أحضرها، وروعة مضمونها، إلّا أنّ الكتاب الذي استوقفني وجعلني أكتب هذا المقال المختصر المختزِل لمقال آخر كنت أحضّره، هو كتاب «ظلال من الذاكرة» للشيخ الصفّار، وهي مذكرات شخصية جميلة، بأسلوب أدبي قصصي سلس، يؤرّخ فيها الشيخ بعض مراحل حياته وتجربته العملية في العمل الديني الاجتماعي الثقافي.

(١) نشر على ملتقى سور اللواتية بتاريخ ١٥/ ١١/ ٢٠٢٢م.

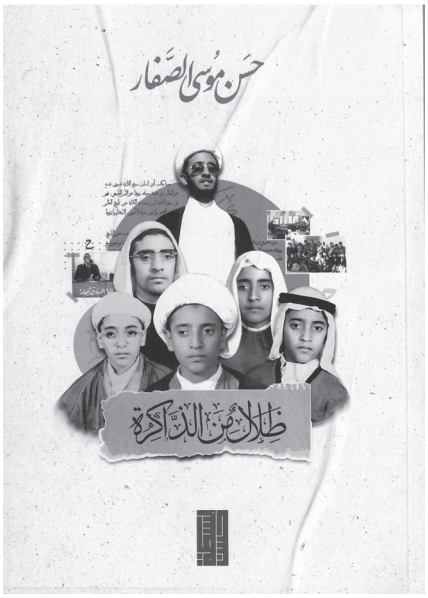

وقبل البدء أودّ أن أوضح أنّني هنا لست بصدد «قراءة في كتاب»، ولا في تقييمه أو مدحه ونقده، إنما أستعرض بعض مضامينه لأصل إلى شخصية الشيخ حسن الصفّار كما أعرفها.

الكتاب يتناول فيه الشيخ مرحلة الطفولة والشباب، ومرحلة اندماجه في الوسط الديني، ومرحلة دراسته الدينية في النجف الأشرف وقم المقدسة، ويتعرّض خلال هذه المراحل لعدد من أساتذته، ومن التقى معهم من علماء من مختلف المذاهب، وكذلك تجربته في الكويت من خلال مدرسة الرسول الأعظم.

ثم يتناول مرحلة تعتبر الأهم في حياته العملية في إطار النشاط الاجتماعي الثقافي الديني، التي بدأها الشيخ في مرحلة مبكرة من حياته في سلطنة عمان، وعنونها بـ«تجربتي الأولى في العمل الاجتماعي».

في هذه المرحلة العمانية -كنت وجيلي وقتها أطفالًا- وضع الشيخ لبنات بناء الوعي، وأسّس جيلًا مثقفًا حركيًّا رساليًّا كان نواة للعمل الديني، وحاملًا ثقافة إسلامية متقدّمة جدًّا، وبين هذا وذاك استطاع وبمساعدة هذا الجيل خلق حالة التديّن في المجتمع.

ولم تقتصر حركته تلك على مجتمع اللواتية، فهو في الأساس كان قد قَدِم لمجتمع البحارنة، وكان إمام مسجد عندهم في مدينة مسقط العاصمة، ولكنه وسّع حركته على أطياف الشيعة، وبالذات اللواتية حيث

التفّ حوله جيل من الشباب يصفهم الشيخ في كتابه بـ «شبابًا ينطوون على عمق الانتماء والعاطفة الدينية، ويتصفون بالذكاء والثقة بالذات، والاهتمام بالدراسة والتعليم».

واستطاع الشيخ أن يؤسّس مكتبة عامة باسم مكتبة الرسول الأعظم أصبحت «مقرًّا وعنوانًا لنشاط الشباب».

ومن خلال هذه المكتبة انطلق عدد من الأنشطة كنشرة «الوعي» وأيضًا مجلّات حائطية، ودورات التأليف والكتابة والتلخيص، وأنشطة الاحتفالات الدينية، ونشاط التبرع بالدم أيام عاشوراء وغيرها كثير.

ويذكر الشيخ أنّ الذي ساعده في ذلك أجواء التسامح الديني التي كانت تسود البلد، وحسن العلاقة بين الحكومة ومختلف مكوّنات البلد.

كان الشيخ الصفّار يدأب على زيارة المسؤولين والوزراء، وكذلك علماء الدين من كلّ المذاهب، وعلى رأسهم مفتي عام السلطنة وقتها الشيخ إبراهيم العبري، وكذلك الشيخ أحمد الخليلي مفتي عام السلطنة الحالي، والعالم الأديب الشيخ سالم السيابي، رئيس محكمة مطرح وقتها وغيرهم..

كما أنّ الشيخ كان يكتب في معظم مجلّات وجرائد عمان، مثل جريدة عمان، وجريدة الوطن، ومجلّات العقيدة والأسرة، ونشرت له أيضًا مجلة «الوحي» التابعة لوزارة الأوقاف.

يعدّد الشيخ في كتابه عددًا من المشاريع الأخرى التي استطاع أن يكرّسها ويؤسّسها مثل صلاة الجمعة، والمسيرة الحسينية على شارع الكورنيش، وطباعة كتب لشباب المكتبة وغيرها كثير.

تجربة الشيخ الصفّار ثرّة غنيّة بكثير من المواقف والدروس والتجارب التي كان المفروض أن يتم التأريخ لها في وقت أبكر من هذا.

ولكن أن يخرج العمل متأخرًا خير من ألّا يخرج أبدًا.

تفاجأت وأنا أقرأ الكتاب أنّ الشيخ الصفّار وفي بعض مراحل حياته كان يكتب الشعر، وشكّل لي هذا مفاجأة من العيار الثقيل، حتى إنّني قلت للأخ أديب أبو المكارم إنّي لا أتصور في شخصية الشيخ شاعرًا إطلاقًا؛ لأنّ ملامح وجهه جادّة جدًّا، وابتسامته تخرج منه بصعوبة، وإن خرجت فسرعان ما يمحوها بموضوع جادّ، وهذه ليست صفات شاعر نتوسّم فيه مشاعر متباينة تظهر على ملامحه وتصرّفاته، وكلامي لا يعني أنّ الشيخ بدون مشاعر، حاشاه، ولكنّ قسماته لا تساعده على اظهارها.

من الأمور التي استوقفتني في الكتاب إعجابه بشخصية أبو الحسن الندوي حيث التقى به في زيارة وفد من رابطة العالم الإسلامي لإيران وكان الشيخ الندوي على رأسه، وركّز الشيخ كثيرًا على مستوى الاعتدال الذي أظهره الوفد من جهة، والمستقبِلين له من جهة أخرى، رغم الحالة السَّلفية التي كانت مسيطرة على الرابطة وقتها، وكيف أنّ الوفد زار ضريح السيدة المعصومة في قم، وضريح الإمام الرضا في مشهد، ومستوى الحفاوة التي لقيها الضيوف من كبار رجال الحكومة في إيران وقتها، ومن عدد من المرجعيات الدينية البارزة هناك.

استوقفني هذا الموقف من جهتين، فالشيخ كعادته يطرح الجوانب المضيئة من مواقفه وتعاملاته، جوانب تجمّع ولا تفرّق، وأنا أحترم الشيخ في هذا التوجه وأقدّره كثيرًا.

ولكن من جهة أخرى وأمانة للتاريخ، وأمانة أمام الأجيال، أرى من المهمّ أن يُعرَض الجانب الآخر من تلك الزيارة، فأبو الحسن الندوي رغم تصوّفه، إلّا أنّ النزعة السَّلفية لم تفارقه، وبعد تلك الزيارة ـ المصنّفة بالمعتدلة ـ كتب الندوي كتابًا عنيفًا بعنوان «اسمعي يا إيران» هاجم فيه الشيعة، وإيران الشيعية، وردّد كثيرًا مما يردّده السَّلفيون من زيارات القبور، وسبّ الصحابة، وعدم الاهتمام بالمساجد، والمغالاة بالأئمة...إلخ.

الأمر الذي دفع الشيخ لطف الله الصافي لتأليف كتاب بعنوان «إيران تسمع فتجيب».

والشيخ أيضًا تجاوز ما تعرّض له من مشاكل لم تكن سهلة أبدًا في السلطنة لخّصها بعبارة بسيطة: «لقد واجهتني بعض المصاعب والمشاكل في تلك التجربة، وهذا أمر طبيعي في كلّ حراك ونشاط اجتماعي، وخاصّة حين تكون الأنشطة غير مألوفة في المجتمع».

فهذه العبارة لا تفي بـ ٣٪ مما قاساه وعاناه في نشاطه الاجتماعي.

من خلال معايشتي للشيخ الصّفار، ولقاءاتي به ـ وهي فترات ومناسبات قليلة وقصيرة ـ وأيضًا من خلال تتبّعي لتجربته وحركته العملية، واستماعي لمحاضراته وقراءتي لكتبه على مدار عشرات السنين، أستطيع أن ألخّص بعض جوانب هذه الشخصية التي لا شك أفخر بها، واعتزّ بالعلاقة التي جمعتني بهذا الرجل.

وبالمناسبة، ليس هناك أمر أسهل من الكتابة عن الشيخ الصفّار وفيه، فالرجل واضح جدًّا، ويمتلك شفافية عالية، وجرأة في طرح أفكاره دون دبلوماسية أو مواربة، فهو مكشوف للجميع كما هو.

الشيخ الصفار مثابر من الطراز الرفيع، فهو لا يكلّ ولا يملّ ولا يتعب، فمنذ طفولته وهو في هذا الطريق، يحاول نشر الوعي الذي يؤمن به، ويسعى قدر الإمكان إلى طرح أفكار عملية سهلة بسيطة تساعد للنهوض بالمجتمع.

منذ أن عرفته عرفت فيه تصالحًا مع النفس، ومع الآخرين، فمهما بلغت حدّة الاختلاف والخلاف مع الآخر، تجده يتجاوزها بسعة صدر، بل ويبادر بنفسه لحلّها، والاعتذار إلى الأطراف الأخرى حتى لو كان مقتنعًا بأنه لم يخطئ، هذه سجيته، وهذه فطرته التي أُكبرها فيه كثيرًا.

الخطوط العريضة العامة لفكره ظلّت ثابتة معه، لم تتغيّر كثيرًا:

فهو يحمل فكرًا وحدويًّا تقاربيًّا عميقًا.

وهو يحمل فكرًا إصلاحيًّا مستمرًّا.

ويحمل أيضًا فكرًا لا يقبل كثيرًا من الممارسات والأفكار التي يراها دخيلة على الإسلام عمومًا، وعلى التشيّع بالخصوص.

وإضافة لهذا وذاك، فإنه في الجانب الاجتماعي يمتلك رؤية عميقة، ونظرة ثاقبة، وأفكارًا خلّاقة لتطوير المجتمع لما فيه صالحه كأمّة تريد تطبيق الاستخلاف في الأرض وعمارتها، كما أنه مستمرٌّ في نشر ثقافة الحياة بشكل جميل جذّاب بعيدًا عن ثقافة الموت التي ينشرها بعضهم، وذلك بدون التعدّي على الجانب الأخروي الذي أكّد عليه الإسلام الحنيف، وجعله هدفًا أساسيًّا للإنسان.

أستطيع أن أسمّيه رجل المبادرات، فالشيخ الصفّار، إذا اقتنع بفكرة أو مشروع، سعى لتحقيقه على أرض الواقع، ويبادر بكلّ الطرق إلى هذا،

ويحشد الطاقات والإمكانات خلف الفكرة لتتحقّق، وعندي من الشواهد الكثير في هذا الأمر، وعلى مختلف الأصعدة.

يمتلك الشيخ نَفَسًا اجتماعيًّا عاليًا، وهو مخلص ووفيٌّ لكلّ علاقاته الاجتماعية التي كوّنها وشكّلها خلال سنيّ حياته، فعلى سبيل المثال حينما يأتي إلى عمان، يتذكر كثيرًا من الأسماء التي عاشرها قبل عقود من الزمن ـ وبعضهم توفاهم الله ـ ويسأل عنهم، ويطمئنّ على أحوالهم، بل ويحاول ترتيب جدول لزيارتهم، ومن مختلف الأطياف والمذاهب والأعمار، وهي صفة حميدة راقية تجبر المرء أن يحبّه لهذا الإخلاص الذي يراه منه.

هذه وغيرها خلاصة أفكار كنت بدأت بكتابتها لمقال طويل نوعًا ما طلبه منّي الشيخ زكي الحبيب ليضمّه ضمن كتاب عن الشيخ الصفّار، ولكن لبعض الظروف الطارئة، وربما سوء فهم أيضًا من طرفي لم أستطع إنجازه، لأتفاجأ بالكتاب وقد صدر، وكان من ضمن الكتب التي وصلتني، وحمل عنوان [الشيخ حسن الصفّار عالمًا ومفكرًا] وفيه عدد كبير من المقالات لعدد من الأسماء اللامعة ممن عايشوا الشيخ وعاشروه.

وأريد التأكيد أنّ ما كتبته أعلاه لا يعني أنّ الشيخ شخصية مثالية، إطلاقًا، ولا أظنّ أنّ الشيخ يرضى أن يقال عنه ذلك، فهناك كثير من نقاط الضعف البشري لدى كلٍّ واحدٍ منّا.

وهناك كذلك كثير من الأخطاء التي نقع فيها، ونتعلّم منها في تجربتنا في كلّ المجالات.

كما أنّ هنالك كثيرًا من الأفكار والتجارب والممارسات التي لا نتفق فيها مع بعضنا، وكثيرًا من أوجه الاختلاف التي قد تبرز هنا وهناك، وهذا

بذاته أمر صحّي جدًّا، ويرتقي بعملنا للأفضل والأحسن.

ولكنّ الأجمل أنّ هذا الاختلاف يظلّ في مكانه الصحيح، ولا يؤثر في عمق الأخوة الإيمانية، ولا في حجم المحبة والاحترام، ولا في الإنصاف والاعتراف بإنجازات الآخرين.

أختم كلامي بالشكر الجزيل للأخ الأديب أديب أبو المكارم لتجشّمه عناء توصيل هذه التحف الجميلة، ولهديته المهمّة وهي مؤلَّفه الذي عنونه بـ «ظاهرة التقريظ والتقديم في الأدب العربي الشيخ الصفّار نموذجًا» والذي لم أشرع بقراءته بعد.

وشكر خاصّ للشيخ زكي الحبيب لإهدائه الكتاب الجميل «الشيخ حسن الصفار عالمًا، مفكّرًا، مصلحًا» معتذرًا إليه لتأخري عليه فيما طلب منّي.

والشكر الجزيل للشيخ الصفّار الذي أتحفني بعدد من كتبه، منتظرًا منه بلهفة أن يكمل كتابة بقية تجربته وذكرياته؛ لأنها أيضًا تشكل مرحلة مهمّة جدًّا، ومنعطفًا تاريخيًّا في تجربة العمل الإسلامي في المنطقة لتستفيد منها الأجيال، وليطّلع عليها التاريخ من فم أصحابها مباشرة.

بالمناسبة كوب القهوة الذي كنت أجهّزه، حضّرته وأخذته معي في الطريق، وأنا متوجه إلى صديقي الجديد أديب ورفيقه الجميل إبراهيم.

تجربة الشيخ الصفار ترصدها نخبة من رجالات العلم والأدب والمجتمع[1]

حسين منصور الشيخ
باحث وكاتب من القديح ـ السعودية

- **الكتاب**: الشيخ حسن الصفار: عالمًا.. مفكّرًا.. مصلحًا.
- **إعداد وإشراف**: عبد العظيم حسين الصادق.
- **نشر**: مؤسسة الانتشار العربي ـ الشارقة.
- **الطبعة**: الأولى ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م.
- **الصفحات**: ٤٢١ صفحة من القطع الوزيري.

يتحمّل عالم الدين مسؤولية كبيرة فيما يصدر عنه من خطاب، شفاهي أو كتابي، تجاه جمهوره، إذ لا ينبغي أن يكون هذا الخطاب تعبيرًا عن اندفاع عاطفي ينساق فيه مع توجّهات الجماهير أو تصوّراتهم الراسخة حول بعض القضايا أو الاتجاهات، أو أن يكون انزلاقًا نحو مهاوي

(١) نشر على جهات الإخبارية بتاريخ ١٤/١/٢٠٢٣م.
https://jehat.net/?act=artc&id=95144

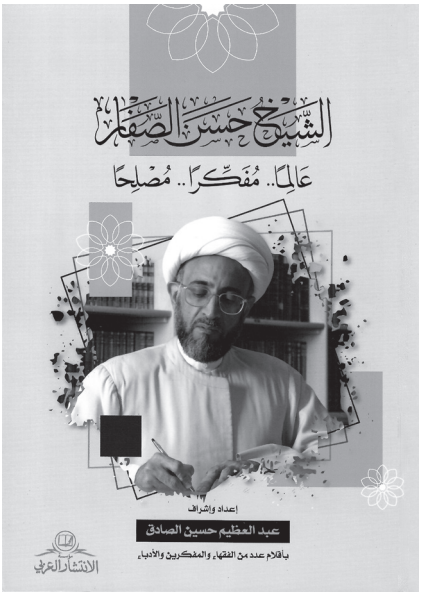

العصبيات أو الفكر الإقصائي تلبية لزعامة اجتماعية أو حظوة أو وجاهة.

فما أحرى بعالم الدين أن يكون صدًى لتعاليم الدين الهادية، ومبادئه السمحة، وروحه الجامعة، ورؤاه الحيّة، ومنطلقاته المنسجمة والفطرة والإنسانية السليمة. وهو تمثُّل ليس من اليسير أن يوائم فيه هذا العالم أو ذاك بين ما يطمح إليه من تقديم رؤية واعية ومتّزنة للقضايا الدينية، وبين ربطها بالواقع المُعاش، بصورة يتفاعل معها الجمهور العام تفاعلًا مثمرًا وجاذبًا، دون ردّات فعلٍ حادّة، تقف عقبة أمام أداء هذه المهمّة بصورة معقولة ومقبولة.

إنّ تحقيق هذا النوع من التوازن بحاجة إلى مهارة عالية، وقراءة واعية للتحدّيات الاجتماعية، الثابتة منها والمتغيّرة، وانتقاء موفّق لما يُطرح من موضوعات، ولما يعالج من قضايا، ولما يُضرب من أمثلة. ولذلك يعدّ العلماء المصلحون الذين استطاعوا التوفيق بين كلّ هذه المعطيات نماذج قليلة، يعدّ سماحة الشيخ حسن الصفار نموذجًا بارزًا بينهم. حيث تعدّ تجربته في التصدّي للشأنين الديني والعام تجربة حَرِيّةً بتسليط الضوء عليها، وهو ما انبرى له مجموعة من العلماء والمفكّرين والأدباء في كتاب تذكاري بعنوان: «الشيخ حسن الصفار: عالمًا.. مفكّرًا.. مصلحًا»، افتتحه الأديب والمؤرّخ السيد عدنان العوامي بالتأريخ لحركة الخطابة الحسينية خلال المئة عام الأخيرة في القطيف بصورة موجزة، مستعرضًا مكانة سماحة الشيخ الصفار في هذه الحركة، التي مثّلت الانطلاقة لتجربة واعية

ومتعدّدة الجوانب لاحقًا.

وفي مفتتح الفصل الأول من الكتاب، أثنى المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي على ما يبذل من جهد في الاحتفاء بتجربة سماحة الشيخ، واصفًا المحتفَى به بسعة العلم والاطّلاع، والإلمام بمشاكل مجتمعه، وبعمق الوعي فيما يطرحه على الجمهور العام، وبالحكمة فيما يتخذه من مواقف. كما قدّر المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني جهود الاحتفاء بالعلماء والمفكّرين الذين يأتي سماحة الشيخ الصفار في طليعتهم، واصفًا له بالعالم والباحث والمفكّر القدير، المدرك لمقتضيات الزمان وحاجات المجتمع، والناشر بفكره وقلمه لما يحتاجه الناس على اختلاف طبقاتهم.

وقد تنوّعت مشاركات الكتاب بين الشهادات الشخصية، التي استعرض فيها كاتبوها بعض المواقف الشخصية، بما تحمله من إضاءات مهمّة على شخصية المحتفَى به، كما هي الحال مع شهادة الأب إلياس زحلاوي راعي كنيسة سيّدة دمشق في سوريا، التي يحكي فيها عن لقائه الأول مع سماحة الشيخ، وما حمله من مواقف نبيلة ومؤثرة، إذ وصفه في ذلك اللقاء بأنه يلمس «في وجهه مسحةً من الرضا جليّة، وفي مصافحته القويّة حرارةً بدت صادقةً. وأما الحوار معه، فكان نَفَسًا متَّصِلًا من المودّة والسلام، متجلّيًا فيما كان يستشهد به من آيات كريمة تدعو أبدًا لاحترام الإنسان ولاكتشاف آيات الله في خلقه، ولاستخدام الكلمة السواء في كلّ خلاف».

ومعها شهادة الشيخ بدر العبري من سلطنة عمان التي كانت بعنوان: «الشيخ حسن الصفار والدائرة الواسعة: قراءة عن قرب»، التي عرض فيها مواقف جمعته مع الشيخ الصفار، مسلّطًا الضوء في الشهادة ذاتها

على بعض ما طرحه الشيخ في مؤلّفاته من فكر وحدوي متنوّر، مبيّنًا أنّ ما دفعه للشهادة في حقّ الشيخ الصفار، ما رآه في مواقفه من تجسيد للوحدة الإسلامية التي تجاوزت حدود المؤتمرات، وشكّلت مشروعًا اشتغل عليه ولا يزال يشتغل في تحقيقه، فأصدر في سبيل ذلك العديد من الكتب، التي تطرّق فيها إلى موضوعات كان فيها الشيخ الصفار أكثر جرأة ممّن يتغنّى بالتسامح كحالة إعلامية، لا كمشروع وحدوي، كما تطرّق إلى ما أثاره الشيخ حول موضوع التكفير وربطه بالهوية الدينية، فيرى أنّ الانتماء الديني في أصله العام مربوط بثلاث مسارات: المسار الأول: حرية البحث والتساؤل عن الأسئلة الوجودية، والمسار الثاني: تأمين المستقبل والمصير الأخروي، والمسار الثالث: الحماية الاجتماعية.

وفي شهادة ثالثة: تكتب الدكتورة سميرة البيات حول «المرأة في فكر الشيخ حسن الصفار»، حيث سجّلت مجموعة من المواقف، وأرخّت لجهوده في الحديث عن المرأة من المنظور الإسلامي، ودورها في تنمية هذا الجانب الفكري في المنطقة. فأشارت إلى دور الشيخ الصفار في منتصف تسعينيات القرن الماضي، في استقطاب شرائح واسعة من المجتمع، «حيث كان الشيخ ظاهرة فريدة في تاريخ الخطاب الحسيني في القطيف، فقد خرج عن الإطار التقليدي الذي تشغل فيه القضايا العاطفية والأحاديث التاريخية والسجالات المذهبية أغلب حيّزها، إلى خطاب فكري واعٍ يمسّ القضايا الثقافية والاجتماعية المعاصرة، بشكل جادّ وأسلوب شائق،... وكان للمرأة نصيب وافر من محاضرات الشيخ وكتاباته وحركته الاجتماعية، التي حرص من خلالها على أن تُعطى للمرأة كافة حقوقها، وفرصها في تحقيق ذاتها، والرقيّ بها، في إطار قراءة شرعية منفتحة، تنظر للمرأة بإنسانيتها، بلحاظ أنّ النساء شقائق الرجال، كما ورد

في الأثر الذي يردّده في خطاباته».

ومن الشهادات: مقالة سماحة الشيخ علي حسن غلوم علي من دولة الكويت بعنوان: «الشيخ الصفار العالِم الرسالي الناجح»، حيث مثّل بمجموعة من الشواهد التي تحكي عن الطبيعة الشخصية للشيخ الصفار، التي وصفها بـ«رجاحة العقل، والحكمة والتعقّل والقدرة الأدبية في البيان، وطيب الخلق المصحوب بالابتسامة اللطيفة التي تزيّن المجلس، والروح الأخوية التي تبعث برسائل الودّ والاحترام إلى الحضور»، مشيدًا بقيمة مؤلفات الشيخ الصفار ذات «المعلومات الثرية، والرشيقة في تعبيراتها، المفيدة والعملية في مضمونها، والتي تمسّ قضايا الساعة وتعالجها بروح إسلامية، وبفكر متّزن، ومثل هذا النموذج من الإصدارات نادر في الساحة الفكرية والثقافية الإسلامية المعاصرة، وأنّ من يقومون بهذا الدور قد لا يوفّقون أحيانًا في أسلوب البيان، أو في طريقة العرض، بخلاف مصنّفات الشيخ الصفار».

وتحت عنوان: «العلامة الصفّار بين أصالة الماضي وشفرة التحديث»، يشيد سماحة العلّامة السيد محمد رضا السلمان بما يمتلكه الشيخ الصفار «من عوامل التكامل في شخصيته، التي جعلت منه رقمًا ليس من السهل تخطّيه أو التقليل من شأنه، فهو الإنسان المتماسك في مواقفه والمتّزن في قراءاته، وذلك وليد ما أكسبته التجارب في الحياة بكلّ تفاصيلها، أدبًا وسياسة وفكرًا واجتماعًا، ولعلّ في كلّ مفردة من خطابه ما يُشكّل دليلًا على ذلك، فالنص الديني يفرض نفسه ممثّلًا روح الانتماء العقدي، الذي يعدّ اليوم الميزان في ترجيح الكفّة عند المداورة والتجديد».

وإلى جانب هذه الشهادات، حوى الكتاب مجموعة من المقالات

التي تناولت الجوانب الشخصية والفكرية للشيخ الصفار، من بينها من سطّره سماحة الشيخ حسين الخشن من لبنان، الذي درس جوانب من شخصية الشيخ الصفار، فذكر منها: الخلق النبيل، والرسالية، والجرأة في النقد الذاتي، والبعد الإسلامي والإنساني فيما يطرحه سماحته، والخطاب التجديدي، وحِسُّ المعاصرة، إذ بيّن في هذه السمة الأخيرة أنّ الشيخ الصفار «لا ينهمك في هموم ثقافية تجريدية لا تمثّل تحدّيًا لأبناء هذا العصر، كما يفعل البعض ممّن يعيشون همومًا مضى عليها الزمان.. إنه يعيش عصره، فهو عالم بزمانه وهمومه ومشكلاته، ولذلك يعالج مشكلات راهنة، محاولًا وضع الحلول لها، وتقديم الإجابات عليها، من قبيل: الإسلام والعنف، قضية الوحدة الإسلامية، مشكلات الشباب، قضية النهوض بالأمة والمجتمع، الاجتهاد والتجديد».

ومنها مقالة سماحة الشيخ حسن الخويلدي التي استعرض فيها ثلاثة من الجوانب الشخصية لدى المحتفى به، وهي: البعد العلمي والمعرفي، والبعد الاجتماعي، والبعد الأخلاقي. ويضيف إلى ذلك ما يتّصف به الشيخ الصفار من «أنه عالم مبدئي واعٍ، يرفض مبدأ الاستبداد بكلّ فروعه، ومنه الاستبداد الفكري، فهو يؤمن بالتعدّدية والحرية، ويدعو إلى التعاطي مع الاختلاف في الفكر والتوجُّه والقناعة، على أنه أمر طبيعي وعادي، بل هو حالة صحية في المجتمع، ويرفض الطائفية، ويُحذّر من الوقوع في شراك فتنتها، ويدعو إلى الانفتاح على الآخرين، وله تصريحات قوية وشجاعة، يرفض فيها استغلال المواطنين الشيعة واستخدامهم من قِبَل المغرضين كورقة رابحة لإلقاء الفتنة الطائفية بين المواطنين. وفي مقابل ذلك، يدعو إلى التعايش والتسامح والاحترام المتبادل بين جميع شرائح المجتمع ما داموا يعيشون في وطن واحد، وألّا خيار لهم إذا ما أرادوا العيش بأمان

وسلام إلَّا التعايش والتسامح، مع احتفاظ الكلّ بقناعاته وآرائه».

ويشاركه في ذلك سماحة الشيخ حسن بوخمسين الذي عنون كلمته بِـ: «الشيخ الصفار.. الشخصية والمشروع»، حيث تناول ثلاثًا من المميّزات الشخصية للشيخ، هي: دماثة الخلق، والتواضع والبساطة، وسعة الصدر والحِلْم، ليُتبعها بثلاث من مميّزات مشروع سماحة الشيخ الثقافي، وهي: الوسطية والاعتدال، والمرونة والواقعية، والإصلاح الفكري والمذهبي. وقد عدّ الشيخُ بو خمسين الشيخَ الصفارَ «من أبرز علماء الدين الشيعة، إن لم يكن الوحيد، الذي يحمل مشروعًا ريادِيًّا يهدف إلى إدماج أبناء الطائفة مع المكوّنات الأخرى في الوطن. وذلك بالحثّ على الانفتاح والتواصل من قبل أبناء الطائفة مع أقرانهم من أبناء الطوائف الأخرى، وإقامة العلاقات الطيبة والإيجابية الدائمة معهم، للقدرة والتمكّن من إزالة وإذابة كلّ الحواجز والعوائق القائمة المسبّبة للتباعد والفرقة، ومن أهمها إزالة اللبس وسوء الفهم القائم والحاصل في أذهان الكثير من إخواننا السنة عن الشيعة، في معتقدهم ومنهجهم المذهبي، وفي انتمائهم وولائهم الوطني».

أما الدكتور توفيق السيف، فقد افتتح بحثه: «تجربة في العبور من حواجز الخلاف المذهبي» بالحديث عن التجارب الرائدة في التقريب، ممثّلًا بتجربتي السيد البروجردي ودار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، ليثنّي بعدها بالحديث عن رؤية الشيخ الصفار للمشكلة الطائفية وحلولها، حيث استعرض ثلاثة عناصر في هذه الرؤية، هي: إعادة تعريف المشكلة، وكسر الحواجز الاجتماعية، والتركيز على الإطار الوطني وتحييد العوامل الخارجية.

فيما تناول الدكتور وسام السبع، الباحث والمحقّق البحريني: «جهود

الرواد والمصلحين في فكر الشيخ حسن الصفار»، مفتتحًا حديثه بتنوّع الأدوار التي يمارسها الشيخ الصفار الاجتماعية والعلمية والدعوية، ليكون ذلك تمهيدًا للحديث عن جهوده في قراءة تجارب الرواد والمصلحين، مركّزًا حديثه حول قراءة الشيخ لتجارب ثلاثة منهم، وهم: المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين، والمرجع الديني السيد محمد الشيرازي، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، رحمهم الله جميعًا. يقول الدكتور السبع في حقّ الشيخ الصفار: «إنه يُعدّ واحدًا من أبرز العلماء الذين تميّز نشاطهم العلمي بالشمولية والعمق، وقد تجاوز جهاده في مضامير العلم والثقافة والتبليغ والعمل الاجتماعي، حدودًا تثير الدهشة والإعجاب كمًّا ونوعًا»، ويذكر بأن «أهمّ ما يميّز تجربة الشيخ الصفار، التي تمتدّ لأكثر من ثلاثين سنة، أنه لم يكتفِ بالبحث حول أهم المشكلات الاجتماعية والثقافية المحلّية والإسلامية في جانبها العلمي، بل حرص على تدوين خلاصة تجربته الفكرية والنضالية والعلمية عبر مؤلفاته التي أربت على مئة ونيف، تمثّل الخلفية النظرية والفكرية لعمله السياسي والاجتماعي والثقافي طوال هذه المدة الزمنية، سواء في مرحلة المعارضة في الخارج، أو بعد رجوعه واستقراره في وطنه».

وعن دور سماحة الشيخ الصفار في «مدّ الجسور والسعي للإصلاح والاعتدال»، يكتب الدكتور منصور الشيخ عبد الأمير الجمري مقالًا يبيّن فيه تميُّز «الشيخ الصفار بثباته على المبادئ الإسلامية والوطنية، وإعادة التموضع مع تغيُّر الظروف، دون الإخلال بتلك المبادئ السامية التي يعمل من أجلها طوال حياته»، مؤكّدًا على أنّه «على أساس ذلك يمكن فهم تحرّك الشيخ الصفار في نهاية السبيعنيات ومطلع الثمانينيات من القرن العشرين، ليكون في طليعة الذين تصدّروا النشاط في منطقته

بالمملكة العربية السعودية، وفي العوالم المحيطة به، وطوال عمله في هذا المجال، عرف عنه الالتزام بثوابت لا يحيد عنها، وهي الثوابت التي أسست شخصيته المستقلّة والمتطلّعة لإصلاح الواقع.. وبالقدرة على اتخاذ القرارات الصعبة في المنعطفات التاريخية التي مرّ بها، وهو الأمر الذي يمكن ملاحظته في تسعينيات القرن الماضي، عندما أعاد توجيه نشاطه وتحرّكاته بما يتّسق مع الفرص التي توفّرت آنذاك من دون الإخلال بالمبادئ». ليشيد الدكتور الجمري بعد ذلك بما عرف «عن الشيخ الصفار من صراحة في توضيح منطلقاته الفقهية والفكرية والوطنية، ولذا فلن يكون خافيًا على القريبين أو البعيدين عنه إلى أيّ توجّه ينحو، وعلى أيّ مدرسة فقهية يعتمد، وما هي الحدود التي يعمل في إطارها».

لقد حوى الكتاب مجموعة كبيرة من المقالات التي تناولت التجربة النضالية والدعوية والفكرية للشيخ بالدراسة والبحث، يمكن الإشارة إلى بعض عناوينها، وذلك لضيق المجال في استعراض تفاصيلها، وهي: الشيخ الصفار ورؤى المستقبل للمهندس جعفر الشايب، الشيخ الصفار ومقوّمات القيادة للأستاذ جاسم المشرف، الشيخ الصفار والموازنات الخمس لسماحة الشيخ زكي الميلاد، الشيخ الصفار كما أعرفه للدكتور الشيخ محمد علوان اللواتي من سلطنة عمان، والعلّامة الصفار رجل التسامح والحوار للدكتور إدريس هاني من المغرب، والعلّامة الصفار بين ثبات المبدأ وحيوية المنهج للدكتور السيد محمد العوامي، وعناوين أخرى لعدد من الأكاديميين والمثقفين.

وقد خُتِم الكتاب بباقة من القصائد الشعرية للأدباء: سماحة الشيخ سعيد الخويلدي، والأستاذ سعيد آل ارهين، والأستاذ فريد النمر، والأستاذ ياسر آل غريب.

إنّ ما حواه الكتاب يمثّل جانبًا من جوانب شخصية الشيخ الصفار، حيث جمع ذلك التنوّع والتعدّد فيمن تناول تجربته بالشهادة والدراسة والعاطفة الأدبية، إنها تجربة سعت ولا تزال إلى أن تكون تجربة تحكي تلك السعة والرحابة التي تنادي بها القيم الدينية السَّمحاء، والتي من شأنها أن تَعْبُر جميع الحواجز وتتجاوز جميع الطبقات والفئات الاجتماعية، وتجتمع على الفطرة الإنسانية الجامعة والمُحِبَّة والمتآلفة.

خطاب متجدّد.. قراءة في كتابات الشيخ الصفار[1]

د. السيد محمد حسين الحبوبي

أستاذ الهندسة الصناعية وهندسة النظم، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

أشكر سماحة الشيخ حسن الصفار لإهدائي تحفة قيّمة وهي كتاب «مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح» مكوّن من عشرة أجزاء، ويتضمّن الكتاب خطب الجمعة الملقاة خلال عقد من الزمن (١٤٣٠ -١٤٣٩ هجرية)، كما يضم الكتاب حوارات ولقاءات وزيارات الشيخ خلال هذه الفترة من الزمن. لقد اطّلعت على مواضيع الكتاب، وعناوين الخطب بالذات، وقرأت بعض الخطب فوجدت علمًا غزيرًا وسعة في الأفق واهتمام بالغ بالمجتمع. أرى، وبكلّ موضوعيّة، أنّ هذه الخطب هي بمثابة بحوث متنوّعة، أغلبها اجتماعية مع وجود مواضيع دينيّة، يمكن الاستفادة منها من قبل العامة؛ لسهولة أسلوبها، كما يمكن الاستفادة منها من قبل المتخصّصين من علماء المجتمع ومثقفين؛ لأنّ المواضيع المطروحة موثّقة بآيات قرآنية

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١/ ٣/ ٢٠٢٣م.

ونصوص روائيّة وحقائق علميّة.

وحيث إنّ الخطاب في الخطب متجدّد، فلن يشعر المستمع حضوريًّا أو عبر قنوات الاتصال بالملل، بل بالعكس سيكون هناك تشوّق للاستماع، وذلك لأنّ بعض الخطباء دأب على الحث على التديّن والتقوى، وهو شيء مطلوب ومهم، لكن لا بُدّ للخطيب من إضافة التحدّث عن قضايا الساعة ومشاكل المجتمع ووضع حلول لها من الجانب الديني. وهذا ما تجده عند الشيخ حسن، فتراه واقفًا على ما استجدّ في الساحة ويطرحه في الخطب والموضوع حارٌ كما يقال. ومن الملاحظ على بعض الخطب الشجاعة في الطرح حيث يكون الموضوع ذا حساسيّة لدى العامة والخاصّة من أبناء الطائفة، ومن المحتمل التحفّظ أو الانتقاد من البعض، وهذا يسجّل للشيخ؛ لأنّ الكثير من الخطباء يهابون ردّة الفعل.

هذا وقد أهداني سماحة الشيخ قبل سنين تحفة قيّمة أخرى وهي عمل مماثل للكتاب أعلاه للعقد ١٤٢٠ ـ ١٤٢٩ هجرية وعنوان الكتاب «أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع» وهو أيضا مكوّن من عشرة أجزاء، ويمكن القول فيه ما قيل في الكتاب اللاحق له تمامًا. إنّ في هذا العمل وذاك توثيقًا للخطب والأعمال التي قام بها الشيخ للتاريخ والجغرافيا ليتم الاستفادة من قبل الكثير من المهتمّين بدل استفادة الحاضرين للخطبة فقط.

وفي الحقيقة يُعتبر الكتابان موسوعة علمية فريدة من نوعها في معالجة مشاكل المجتمع وتنوير الفكر وتقوية الإيمان، بل حتّى في التطرق لأمورٍ تهمّ الأمّة الإسلامية، مثل الوحدة الإسلامية والقضيّة الفلسطينيّة. هذا بالإضافة للكتب الكثيرة التي ألّفها الشيخ وتم طبعها والتي أهداها الشيخ

لي وهي كتب تتناول مواضيع شتّى ومهمّة. كما لا يمكن الإغفال عن نشاط الشيخ المتنوّع من تجديد خطاب المنبر، والتواصل مع علماء ومفكرين ومثقفين من كلّ الطوائف وغير ذلك من نشاطات ممّا يندر وجوده لدى علماء الدين بل لنقل لدى المفكّرين.

فجزى الله الشيخ حسن خير الجزاء لما قام به من أعمال جليلة التي بدون شك تأخذ من وقته وجهده الكثير والتي تصب كلّها في صالح المجتمع والوطن. أتمنّى للشيخ طيلة العمر في خير وعافية لطباعة كتب مماثلة في العقود القادمة.

قراءة في كتاب: المرأة العظيمة... قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي[1]

د. السيد فاضل حاتم الموسوي
باحث وكاتب من العراق

- المرأة العظيمة... قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي عليها السلام[2].
- المؤلف: الشيخ الدكتور حسن موسى الصفار.
- الطبعة: الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الناشر: دار البيان العربي، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة السابعة: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، النجف، العراق.

(١) نشر على جهات الإخبارية https:// jehat.net/?act=artc&id=97075

(٢) ورقة قدّمها الباحث الدكتور السيد فاضل الموسوي ضمن البرنامج الثقافي الذي نظّمه البيت الثقافي في ديالى - العراق بتاريخ ١٤ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ٧ فبراير ٢٠٢٣م على قاعة الشباب والرياضة - ديالى.

في هذه المعالجة نسلط الضوء على كتاب عن امرأة عظيمة في تاريخ الإسلام، بل في تاريخ الإنسانية، (المرأة العظيمة، قراءة في حياة السيدة زينب).

وفي المقدّمة التي جاءت بعنوان (المرأة ودور القيادة السيدة زينب عليها السلام أنموذجًا... تناول الباحث محتوى الكتاب الثقافي وقال: كتاب ذو قيمة معرفية، حيث يرى المؤلف أنّ واقع المرأة في مجتمعنا يحكي عمق التخلّف والانحطاط الذي انحدرنا إليه، وأنّ أسوأ ما في الأمر أن يتم تجاهل المرأة واحتقارها وتهميشها باسم الإسلام، حيث يرى بعض المتديّنين كراهة تعليم المرأة، واستحباب الأمية والجهل لها! ويرون أفضلية انزوائها في بيتها، فلا تخرج حتى للمشاركة في البرامج الدينية كصلاة الجماعة، وأنّ صوتها عورة فلا يبلغ مسامع الرجال، وأن لا دخل لها في الشأن السياسي، فجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها فقط، وهم في ذلك يستندون في نسبة هذه الآراء الرجعية للدين على نصوص وروايات وفتاوى إما أن تكون مختلفة مصطنعة لا أساس لها، وإما أنهم أساؤوا فهم تلك النصوص،

وحرّفوا تفسيرها بما يتناسب وأفكارهم المتحجرة.

ويؤكد المؤلف في مقدمته على أن أفضل ردّ يكشف زيف هذه الآراء وبراءة الإسلام منها هو قراءة واعية لحياة السيدة زينب، ويعلّل هذا بكون السيدة زينب عقيلة بني هاشم، وخريجة بيت الوحي والرسالة... فحينما نقرأ شخصيتها العظيمة، نراها المعلّمة المحدّثة التي تعلّم النساء، ويروي عنها الرجال، ونراها الثائرة المجاهدة حيث غادرت بيتها العائلي الهادئ والتحقت بقافلة الثورة، لتنتقل من المدينة إلى مكة، ومنها إلى كربلاء، ثم إلى الكوفة والشام.

ونراها الخطيبة المفوّهة ترتجل الخطب أمام جماهير الكوفة، وفي مجلس ابن زياد، ومجلس يزيد حيث رجالات الحكم، والجمع الحاشد من الجند والأعيان.

هذه الصور التي نراها في حياة السيدة زينب تناقض ما نراه من واقع المرأة في مجتمعاتنا، ثم يتساءل المؤلف: (أين يقف الدين في هذا الموضوع؟).

وأحسب أنّ المؤلف يعني بهذا أنّ هناك اتجاهين:

الاتجاه الأول: النظرة الدينية والتقليدية المغلقة، التي تكتسب مفهومها حول المرأة من عادات وتقاليد وآراء فقهية متشددة.

الاتجاه الآخر: سيرة السيدة زينب التي تمثل المرأة التي تربّت في أحضان الإسلام الصحيح، ذلك الدين الذي مكنها من الخروج من بيتها للمعارضة السياسية التي كانت واجبة -كما ترى- في ظلّ الفساد الاقتصادي والاجتماعي والانحلال الخلقي الذي ساد بعد انتهاء الخلافة

الراشدية.

إنّ هذا الاتجاه يعني أنّ الإسلام أحدث تقلّبات وتغيّرات سوسيولوجية في التكوين الثقافي لدى المجتمع العربي، فمن وضع المرأة المتردي آنذاك [وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشِّر به...الآية]، إلى الوضع الذي أتاح للمرأة الدخول في المعترك السياسي وأعطاها الحرية في تقرير مصيرها، بعدما كانت ذليلة كأيّ قطعة من قطع المنزل.

إنّ من أهداف المؤلف الرئيسة لتأليف هذا الكتاب -كما أرى- مخاطبة العقول الكلاسيكية المتطرفة في موقفها تجاه المرأة بشخصية مُسَلَّم بإيمانها، واتخاذ مواقف تلك الشخصية ذريعة وحجة للرد على الآراء الجامدة التي تعتبر صوت المرأة عورة توجب اختباءها في المنزل.

في المقدّمة تطرّق المؤلف إلى الجوّ العائلي الذي أحاط بالسيدة زينب، ذلك الجوّ الذي يمثله أشرف الناس وأنبلهم باعتراف الجميع، فالانتماء العائلي -كما يذكر المؤلف- عامل مؤثر في صياغة نفس الإنسان وفي توجيه سلوكه ومسار حياته، وأثبتت العلوم الحديثة عبر دراسات الجينات والكروموسومات الموجودة في الخلية الحية، ما يخلقه العامل الوراثي من قابلية واستعداد في نفس الإنسان، فإذا ما انحدر من أسرة شريفة، فإنّ ذلك يخلق في نفسه أرضية واستعدادًا لتقمّص أسرته وعائلته، وعكس ذلك، فلو انتمى لعائلة فاسدة، فإنّ انشداده وميله للانحراف يكون أقوى. ويشير المؤلف إلى أنّ تلك قاعدة للأعم الأغلب ولا تمثل حتمية كلية ثابتة.

من هنا انطلق المؤلف كي يبدأ الحديث عن شرف نسب السيدة زينب ﷺ، وابتدأ ذلك النسب الشريف بالرسول ﷺ أفضل البشر كما يعتقد

المسلمون، بل وغير المسلمين، فقد أشار المؤلف إلى رأي العالم الأمريكي (مايكل هارت) الذي عمل في مركز أبحاث الفضاء في (غرين بلت) في (ميرلاند)، وفي المركز القومي لأبحاث طبقات الجوفي (كولورادو) وفي أكبر مرصد للأفلاك في (كاليفورنيا في باسادينا – مرصد هيل) هذا الرجل المسيحي ألّف كتابًا يقع في ٥٧٢ صفحةً تناول فيه المئة الأوائل من تاريخ البشرية ونشره عام ١٩٧٨م في الولايات المتحدة الأمريكية وأحدث ضجة هناك ما لبثت أن انتقلت إلى أنحاء كثيرة من العالم، فهذا العالم وضع شخصية النبي ﷺ على رأس القائمة واعتبره أعظم شخصية في تاريخ البشر.

هذا هو جدّ زينب الذي فتحت عينيها في أحضانه:

ثم انتقل المؤلف للحديث عمّا تبقّى من تلك العائلة، وهما أخوا السيدة زينب الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وكما سبق، فقد استشهد المؤلف بروايات تعلي من قدرهما الذي لا يخفى على أحد.

كان ذلك عرضًا سريعًا لأهم أقرب الشخصيات للعائلة التي انحدرت منها السيدة زينب والذي اتضح لنا من خلاله عظمة وأفضلية كلّ قطب من أقطاب بيتها الطاهر، ويمكننا القول بكلّ ثقة واطمئنان أن لا أحد يداني السيدة زينب في عراقة النسب وشرافة الحسب فهي أفضل الناس جدًّا وأبًا وأمًّا وأخًا عدا عن بقية أطراف نسبها الطاهر.

ثم تحدّث المؤلف عن ولادة السيدة زينب بعنوان (إشراقة النور). كان مولدها في السنة الخامسة للهجرة في الخامس من شهر جمادى الأولى، وتطرّق بعد ذلك إلى نشأتها الفريدة، فهي أول طفلة يحتفي بها بيت علي وفاطمة، فقد سبق وأن ازدان هذا البيت بولدين حبيبين هما الحسن

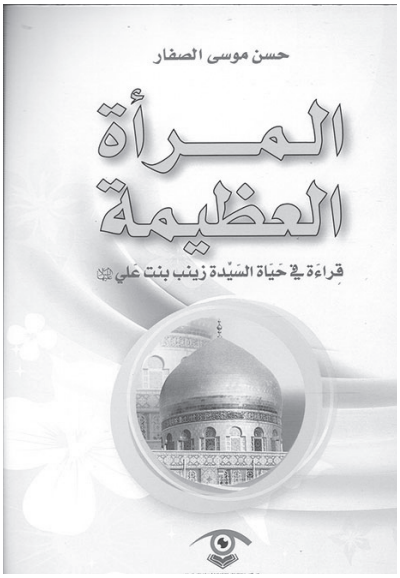

والحسين، وهنا يلفت المؤلف نظر القارئ إلى النظرة الإسلامية تجاه المولود الأنثى، فخلافًا لما كان منتشرًا عند بعض العرب في الجاهلية من التشاؤم والاستياء عند ولادة البنت واعتبارها مولودًا ناقص القيمة والشأن، بل ويسبّب لهم العار والفضيحة، ولذلك كان بعضهم يئدها عند ولادتها بقتلها أو بدفنها حيّة، وخلافًا لذلك فقد أرسى الإسلام ثقافة سلوكية جديدة في المجتمع الإسلامي تدين تلك النظرة الاحتقارية للبنت وتجعلها مساوية في الشأن والقيمة للولد.

واستطرد المؤلف إلى بيان اسم زينب ومعناه، فالسيد محمد كاظم القزويني يقول: (سمّاها جدّها الرسول زينب، والكلمة مركبة من زين الأب)، وجاء في لسان العرب (الزينب شجر حسن المنظر طيب الرائحة، وبه سميت المرأة)، ثم يسجل المؤلف وصفًا للسعادة التي غمرت البيت النبوي لعدد من المؤرخين والباحثين، فها هي الباحثة الراحلة الدكتورة بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن) تتحدّث عن الأجواء التي سادت القلوب عند ولادة السيدة زينب فتقول: (وأقبل المهنّئون من بني هاشم والصحابة يباركون هذه الزهرة المتفتحة في بيت الرسول تنشد في المهد عبير المنبت الطيب...).

المحنة السياسية:

بعد الحديث بإسهاب عن الأجواء الطيبة التي عاشتها تلك العائلة انتقل المؤلف إلى توصيف الحالة السياسية أثناء حياة السيدة زينب، فتطرّق إلى

المعاناة التي مرّت على تلك العائلة الصغيرة بفقد الرسول أولًا، وما لهذا الفقد من أثر على النفوس، وقد أعقب هذا الفقد محنة سياسية رهيبة ضاعفت على البيت العلوي المصاب وزادت من الآلام والحسرات، وقد سجلت كتب الحديث والتاريخ الكثير من تفاصيل تلك المحنة مع اختلاف المؤرخين والمحدّثين والكتّاب في تفسير وقائعها. ولمعرفتها يمكنكم مراجعة الكتاب (المرأة العظيمة، ص٦١-٧٣).

وهكذا ظللت بيت السيدة زينب غيوم وهموم ثقيلة سلبت من عائلتها حالة السرور والسعادة والهناء، وما هي إلّا خمسة وسبعون يومًا من وفاة الرسول حتى فارقت السيدة الزهراء الحياة ويتجدّد الحزن في نفس السيدة زينب.

مع أبيها علي:

قرّر الإمام علي اصطحاب ابنته إلى الكوفة أيام خلافته كي يجعل من الكوفة العاصمة الجديدة للخلافة، وعلي أراد السيدة زينب إلى جانبه لحبّه لها في تلك الظروف السياسية الحرجة. أيامها لم تكن دار علي في الكوفة مجرّد مركز للسُّلطة والحكم، بل كانت داره مركز إشعاع للمعرفة والفكر، ولكي تنتشر المعرفة في جميع أوساط المجتمع، وحتى لا يحرم أحد من حقّه في الثقافة والوعي، عهد علي إلى ابنته السيدة زينب أن تتصدّى لتعليم النساء، وأن تبثّ المعرفة في صفوفهنّ، فكانت السيدة زينب تفسّر لهنّ القرآن وتروي لهنّ أحاديث جدّها المصطفى وأخبار أمّها الزهراء، وإرشادات الخليفة.

في محنة أخيها الحسن:

بعد رحيل أبيها في حادثة اغتيال معروفة، بادر الناس إلى مبايعة الحسن، ودامت هذه الخلافة ستة أشهر، بعدها تم الصلح وتنازل الحسن عن الخلافة والحكم، بشروط قبلها معاوية، لكنه نقضها فيما بعد. وبعد هذا الصلح بقي الحسن في الكوفة أيامًا، وهو مكلوم القلب، يتلقى من شيعته مرارة الكلام، وقسوة النقد. وقد عزم الحسن على مغادرة الكوفة والشخوص إلى مدينة جدّة (المدينة المنورة)، وكانت السيدة زينب مع أخيها في ذلك المسير. وفي المدينة واصلت السيدة زينب تحمّل مسؤوليتها في الهداية والإرشاد.

بطلة كربلاء:

تُعدّ كربلاء المحطّة الأهم والأبرز في الحياة السياسية التي مارستها السيدة زينب، فكان لها دور أساس ورئيس في هذه الثورة، فهي الشخصية الثانية على مسرح الثورة بعد شخصية أخيها الحسين، ولولا كربلاء لما بلغت شخصية السيدة زينب هذه القمة من السمو والتألق والخلود، ولولا السيدة زينب لما حقّقت كربلاء أهدافها ومعطياتها وآثارها في واقع الأمة والتاريخ. لقد أظهرت كربلاء جوهر شخصية السيدة زينب، وكشفت عن عظيم كفاءتها القيادية، كما أوضحت السيدة زينب للعالم حقيقة ثورة كربلاء، ويمكن للقارئ أن يتبحر في هذا الموضوع بقراءته للصفحات (١٣١-٢١٦) من الكتاب.

في الخاتمة أشير إلى أنّ المؤلف أراد إيضاح عدم الحرج، بل ووجوب مشاركة المرأة في العمل السياسي والاجتماعي والثقافي، والتخلّي عن النموذج الخطأ الذي لا علاقة له بالإسلام، فالنموذج الذي تقدّمه السيدة زينب يقول إنّ الإسلام هو الذي أمرها بمواكبة التغيّرات والانفتاح على

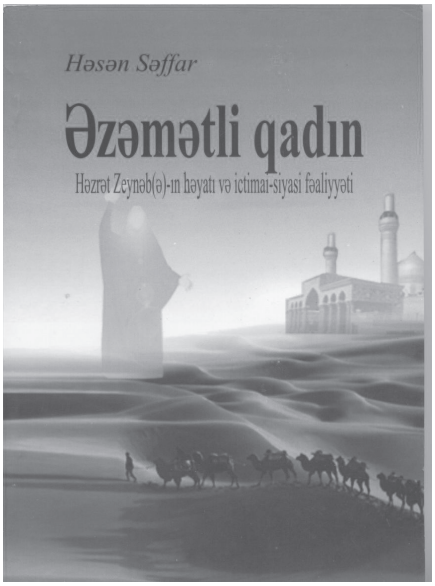

الثقافة الإنسانية، وأنّ ما قامت به السيدة زينب هو ردٌّ صريح على الرؤية الدونية والمقيتة عند الكثير من الذين فهموا الدين فهمًا خاطئًا.

يشار إلى أنّ كتاب (المرأة العظيمة: قراءة في حياة السيدة زينب عليها السلام) قد صدرت طبعته الأولى في: ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م، عن دار البيان العربي، بيروت ـ لبنان، وطبعته السابعة في: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، عن مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، النجف، العراق.

وقد ترجم إلى اللغة الآذرية، (azamatil qadin) المترجم: عادل حسينوف والسيد جاود علي أكبروف، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م باكو -أذربيجان.

كما ترجم إلى اللغة الفارسية بعنوان: (بانوی بزرگ؛ قرائتی از زندگانی حضرت زینب)، المترجم: محمد تقدمي صابري، مجمع البحوث الإسلامية التابع للروضة الرضوية المقدسة، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ش/ ١٤٤١هـ ق.

الجمعة وخطبتها[1]

الدكتور مرزوق بن تنباك

أديب، ناقد، ومفكر سعودي
أستاذ بروفيسور في كلية الآداب
بجامعة الملك سعود

كان المسجد أول لبنات البناء المؤسسي للدولة والجماعة، وكانت صلاة الجمعة وخطبتها هو البيان الذي تعلن فيه سياستها العامة ومعالجة شؤونها، وقد حرص النبي ﷺ في أول أيام قدومه للمدينة دار هجرته أن يبدأ مراسم الجمعة حتى قبل نزوله في ديار بني النجار حيث أسّس مسجده حين نزل في طريقه من قباء إلى ديار بني النجار وصلّى الجمعة في المنتصف فيما يعرف اليوم بمسجد الجمعة رغم قصر المسافة بين المكانين، وذلك تأكيدًا لأهمية الجمعة وتعليم الجماعة أمور الحياة قبل الحديث عن أمور الآخرة، وكان إذا حزب الناس أمر دعا النبي ﷺ الصلاة جامعة فيجتمع الناس في المسجد لسماع ما حدث ومناقشة ما يجب اتخاذه في أمور الدنيا قبل أمور الآخرة، منذ ذلك الوقت إلى الآن كان المسجد مرتكز النشاط وكانت خطب

(١) جهات الإخبارية ١٧/ ٣/ ٢٠٢٣م.

الجمعة بيانًا لحالات الناس ومعالجة للشؤون الدنيا والآخرة، إلّا أنه مع الزمن تلاشى الجانب الاجتماعي في خطب الجمعة وزاد الحديث عن الجزاء والحساب ومصير الإنسان بعد موته، وعمد خطباء الجمعة إلى أحاديث الوعظ وترقيق القلوب وما يواجه الإنسان من جزاء على أعماله بينما تضاءل الاجتماعي الذي يعالج هموم الناس اليومية.

وقد كان من عادتي ألّا أكرّر الصلاة في مسجد واحد وأفضل التنقل بين المساجد وسماع الخطب من أئمة كرام، وقد لاحظت فيما استمعت إليه أنّ الكثير منهم تخلو خطبهم من مناقشة حياة الناس اليومية، وتركز على المعاد وأعمال الآخرة وجزائها، كما تابعت ما تجود به وسائل الاتصال الحديث من نقل للخطب في أيام الجمع من مناطق مختلفة، فلا أسمع تغييرًا كثيرًا، وهذا الكلام لا يعني التعميم على كلّ حال، ولكنّها الملاحظة على ما يحدث وقد يكون الاستثناء موجودًا ولكنه القليل، ومن الاستثناء الذي أقرؤه ما يسجله ويبعثه مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار في المنطقة الشرقية، فما اطّلعت عليه من خطبه تركز على معالجات اجتماعية حادثة أو متوقعة الحدوث لقضايا المجتمع وحاجاته وعلاقاته وشؤون الحياة العامة بلغة سهلة قريبة من فهم الناس وإدراكهم، حتى إنك لو جرّدت بعض خطبه من مصطلحات دينية لا بُدّ منها للصلاة والعبادة، لكانت مقالًا اجتماعيًّا يمكن نشره في أيّ جريدة، وقراءته على أنه معالجة اجتماعية أدبية تميل إلى لغة سهلة ميسّرة للمستمعين مما يعانيه المجتمع ويحتاج إليه، وليس ذلك الإغراق في الوعظ المجرد، ولا شك في أنّ مع سماحة الشيخ الصفار من هم مثله من الخطباء ولكنّهم قليل كما أسلفت.

إنّ أغلب من يحضر خطب الجمعة وصلاتها من عامة الناس الذين

تشغلهم أعمالهم ويحتاجون إلى التثقيف والتوعية بشؤونهم، وزادهم من المعرفة هو السماع للخطب من جمعة إلى الجمعة التي تليها وسماعهم هو حصيلتهم الثقافية التي يحافظون عليها، فليكن لهؤلاء حظٌّ من التوعية والتثقيف يا أئمتنا الكرام حفظكم الله.

الشيخ الصفار: إعلاء القيم الإنسانية[1]

د. يوسف مكي
مفكر وكاتب من السعودية

مضى أكثر من ثلاثين عامًا، منذ أتيحت لي فرصة اللقاء مع سماحة الشيخ الجليل حسن ابن الحاج موسى الصفار. كان اللقاء الأول بالشيخ قد تم على هامش زيارة قام بها مع ثلّة من مثقفي مدينة القطيف، للعاصمة الرياض. وحينها زار مقرّ الموسوعة العربية العالمية، حيث كنت أعمل رئيسًا للجنة الضبط والتدقيق والمراجعة الشاملة لها. وفي مساء ذلك اليوم، كان لنا لقاء آخر، في منزل الدكتور أحمد شويخات، المؤسس للموسوعة، ورئيس مكتبها.

في لقاء الرياض، تكشّف لي أنني أمام شخصية استثنائية، تملك قدرة سجالية فائقة وآسرة، وتدفّقًا لغويًّا غزيرًا. وسِرّ قدرة سماحة الشيخ الصفار، كما تبدّت لي في لقاءاتي اللّاحقة، أنه يقول ما يؤمن ويعتقد به. عالمه الفكري، يخلو من الخزعبلات.

(١) جهات الإخبارية ١/ ٦/ ٢٠٢٣م.

ومسألة التقريب بين المذاهب والمكونات الوطنية والاجتماعية لديه، ليست مشروعًا بل ضرورة، لتحقيق التكامل بين أفراد المجتمع الواحد، وعلى قاعدة التكافؤ والمساواة، وتغليب الانتماء للوطن.

توالت لقاءاتي بسماحة الشيخ، إثر عودتي من الرياض. ورغم انشغالي بالسفر بشكل مستمر، وحضوري المتقطّع بالوطن، كنت أحرص على توفير متسع من الوقت للتشرّف بزيارته. ورغم ما هو معروف، من أننا جئنا من مدرستين فكريتين مختلفتين، لكن ذلك لم يكن له أيّ أثر في المناقشات والمطارحات التي تجري بيننا. فكلانا ينطلق من منبع واحد، هو السعي لإعلاء القيم الإنسانية.

تسامح الشيخ الصفار، في فكره وخطابه لا يأتي أبدًا من باب التنازل، بل من اقتناع صادق وشجاع، بأنّ الصدق والفضيلة، والقيم النبيلة، ليست حكرًا على مكوّن ديني أو مذهبي دون غيره. إنّها منظومة من الفضائل العالمية، التي لا ترتبط بمذهب أو دين، بل هي قيم إنسانية عامة. ومن هنا يوسّع شيخنا الفاضل نظرته تجاه معنى الانتماء، فينتقل بفكرة الفرقة الناجية، من تشرنق في دين أو مذهب، إلى منهج وسلوك، وذلك ما عبّرنا عنه بإعلاء القيم الإنسانية.

لا يكتفي الشيخ الصفار، بتوسيع دائرة النظر في منظومة القيم لتشمل ما هو أبعد من مكون ديني معيّن، أو جغرافيا محدّدة، بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، حين يشرح بمبضع جراح ماهر، السردية المذهبية، المروية في مجتمعه، نازعًا عنها كثيرًا من الخزعبلات والأوهام، ومحرّرًا إيّاها من الخرافة. والأمثلة في هذا السياق كثيرة...

ففي بحوثه وخطبه، يعمل سماحة الشيخ، جلّ جهده، على أنسنة القيم،

وتنزيلها من عليائها، مجرّدًا إيّاها من الإعجاز، وما هو غير إنساني، ذلك أنّ القيم الفاضلة بالنسبة له، تبقى مجرّدة، حين لا تتوفر لها بيئة مجتمعية عامة، تجعلها قادرة على التحقق.

لا ينسى الشيخ وظيفته، كداعية ديني، بل يستثمر كلّ وعيه وممكناته، لتحقيق التماهي والتكامل، بين وظيفتين: وظيفة الداعية الديني، ووظيفة المصلح الاجتماعي، وكلاهما بالنسبة له شيءٌ واحد. وفي هذا السياق، تبرز الكاريزما الخاصة بالشيخ، من خلقٍ عالٍ، وقوة حضور وتحمّل، وحلم ورحابة صدر، وترحيب بالوافدين والسَّائلين، ومدّ يد العون للفقراء والمحتاجين.

أمدّ الله في عمر شيخنا الجليل، ليواصل رسالته النبيلة، وليعطي المزيد من علمه، وليظلّ مثلًا حيًّا يُقتدى به بين العلماء ورجال الدين، إنه سميع مجيب.

التلقّي وبناء الذات في مذكرات الشيخ الصفار[1]

ياسر آل غريب
شاعر وناقد، من صفوى – السعودية

كلّ تجربة في الحياة قابلة لأن تكون مادة كتابية يسطّر صاحبها – وفق إمكاناته – سيرته بدرجة عالية من الشفافية، وفي مساحة كافية من الانعتاق. كثيرون ممن كتبوا سيرهم أحسّوا بأهمية هذا النوع من الكتابة في لحظة ما، كالمفكر الفلسطيني/ الأمريكي إدوارد سعيد الذي عبّر عن كتابه خارج المكان بأنه سجل لعالم مفقود أو منسي. وقد انطلقت شرارة هذا الكتاب لحظة مرضه، فشعر بأهمية أن يخلّف سيرة للعالم العربي يكشف فيها بعض أسراره وعن عائلته وتنقّلاته، أما المفكر اللبناني علي حرب فيرى أنّ كتابه خطاب الهوية كان عبارة عن تمرين، ولو أتيح له تدوين تجاربه مرة ثانية لاختلف أسلوبه؛ لتغيّر نمط حياته.

وبين يدي الآن كتاب من كتب السير ذاتية «ظلال من الذاكرة» الذي استحضر فيه الشيخ حسن

(١) جهات الإخبارية ١١ / ٦ / ٢٠٢٣م.

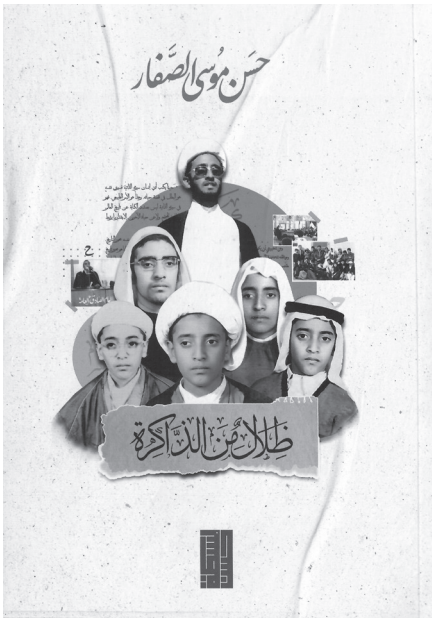

بن موسى الصفار مجموعة من التفاصيل السردية عن نشأته الأولى في مرحلتي الطفولة والشباب. ومن هذا العنوان الرشيق يتضح أنّ بعضًا من صدى الحقيقة هو الذي يحضر في الحافظة الإنسانية، أي إنّ التجربة لا تبدو كاملة تمامًا، فما يبقى هو خلاصة الشيء. إنّ هذا الكتاب يعطينا أنموذجًا لهندسة الذاكرة في البيئة المحلية ابتداءً من نشأة هذا الولد في بيت صغير بحي الدبابية في القطيف، الذي كانت والدته تشجعه على بيع الحلويات أمام المجالس النسائية، وكان هذا الدرس الأول في الحياة، امتدادًا لتأثير والده الشاعر الذي يلقّنه القصائد الكربلائية على سطح الدار، حتى صارت زادًا له عندما صعد المنبر وهو في الحادية عشرة من عمره.

السيرة الذاتية ليس مرادها الالتفاف حول الذات فقط، بل تتمدّد؛ لتكشف أثر الزمان والمكان، فعندما أطلق المجتمع القطيفي لقب «الشامي الصغير» على الخطيب الناشئ الذي أتيحت له الفرصة، فإنّ ذلك يعني أنّ الناس كانت متلهّفة للمواهب فيما كان الفراغ هو السائد، وما تشبيهه بالخطيب العراقي السيد حسين الشامي بنسبة ما إلّا تعبير واضح عن تشجيع الكفاءة والثقة بها حسب ثقافة المجتمع حينذاك.

ركز الشيخ الصفار على ثيمة التلقّي التي أفضت إلى بناء الذات، كثير من الشخصيات استفاد منها، كتوجيهات الشيخ فرج العمران التربوية، وتصويبات الملا على الطويل اللغوية، وتشجيع المرجع الديني السيد محمد الشيرازي له على التأليف. كذلك للمكان دوره في تشكيل الشخصية

التي كانت تبحث عن جوهر هويتها، فإن كانت القطيف هي التي قدّمته فإنّ الأحساء احتضنه، وأكسبته النجف أجواء روحانية، فيما أعطته قم بعدًا آخر في طريقة الدراسة مختلفًا عن الحوزة التقليدية. أما انضمامه لمدرسة الرسول الأعظم في الكويت فهو الذي بلور مساره العملي إلى أن ساعدته مسقط لخوض العمل الاجتماعي الهادئ الهادف وسط ظروف مشجعة. كلّ هذه التنقلات المكانية المتعدّدة كانت جسورًا للموهبة المتحركة داخله، فكم كان خطيبًا وشاعرًا كتب قصائده وهو في العقد الثاني، ومؤلفًا انتقل من الوجهة الشفاهية إلى الوجهة الكتابية، إضافة إلى تحمّله أعباء مجتمعية.

ظلال من الذاكرة هو باختصار سجل للمرحلة الأولى من تجربة الشيخ حسن الصفار بما شهدته من طموحات تجاوزت المألوف والعادي، وما عقبها من سنين حري بأن يسجل أيضًا، فهي شهادة تاريخية لا تقلّ أهميتها عن سابقها؛ لأنها إحدى تجلّيات النضج لابن البحر الذي يجدّد أمواجه، ولابن النخلة التي ارتسمت أيقونة للعطاء.

تحية شاكرة[1]

سماحة الأخ الفاضل العلامة الشيخ حسن الصفار أيّده الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلتني تحفتكم النفيسة مع الأستاذ أبي عمار (ياسر البوصالح) فجلت فيها سريعًا بالحسّ والقلب، فألفيتها مشحونة بالفوائد الروحية، غنيّة باللطائف الفكرية والسلوكية، حاكية عن طول باع وسعة اطّلاع نابضة بالإخلاص، شاحذة للعزائم

(١) رسالة من سماحة العلامة الخطيب الشيخ عبدالعليم العطية.

معلّمة للجاهل، منبّهة للغافل مرشدة للضال، فشكرت الله على ما أولاكم وسألته لكم المزيد، ولا زلتم مؤيّدين مسدّدين، وقد ارتجلت هذه الأبيات المتواضعة تحيّة لشخصكم الأجلّ، وشكرًا لتحفتكم الغرّاء.

أبا زكيٍ زكت أسفاركم وسمت ... بنور وحيي كتاب الله والغرر
طارت (مساراتكم) غرّاءَ مشرقةً ... تشعُّ نورًا وهديًا بالغ الأثر
طارت وطافت وزارت كلّ ناحيةٍ ... حتى استقرّت برفقٍ في رُبى هجر
لا زال سيبكم ثرًّا ومنهمرًا ... وطال عمركم بالبذل والظفر
يا أيّها الحسن السامي بهمّته ... فوق الثريا ونشر عابق عطر
شكرًا لكم فلقد ألفيت منجمكم ... مضمّخًا بعبير الفكر في الزبر
لا أرتضي منطقي شكرًا لتحفتكم ... ولو نظمت نجوم الكون بالدُّرر

عبدالعليم بن محمد العطية

الأحساء

سحر يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء
١٠ ـ ١٤٤٤/٠٦/١١هـ

ببليوجرافيا

رصد للنشاط الثقافي
خلال العام ١٤٤٤هـ

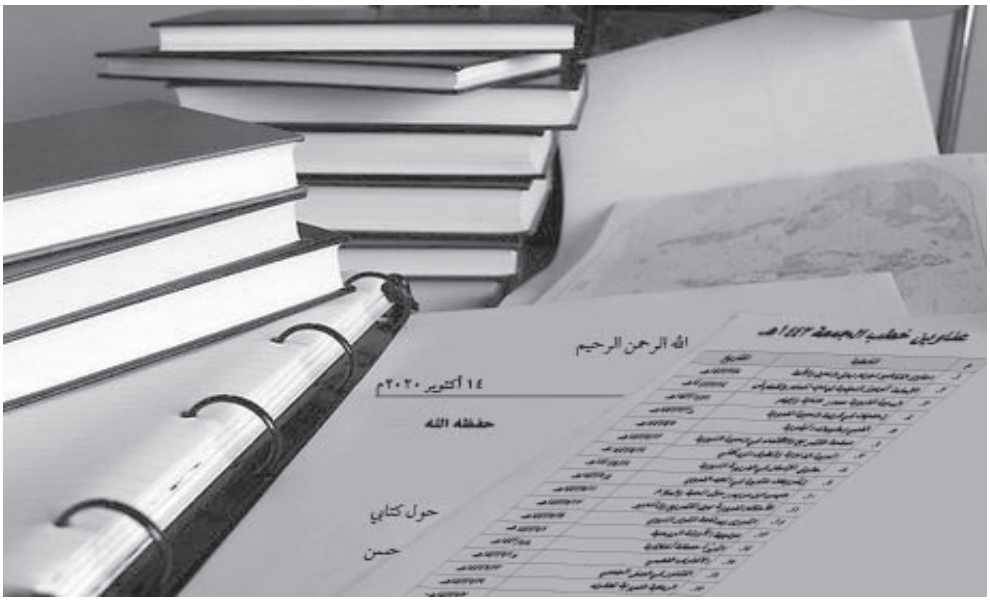

ببليوجرافيا ١٤٤٤هـ

إعداد: عبدالباري أحمد الدخيل

الكتب:

١. **الخطاب الديني والوظيفة الاجتماعية**

الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م، دار أطياف للنشر والتوزيع ـ القطيف، السعودية، (٥, ١٤×٢١سم، ٧٤ صفحة).

٢. **الخطاب الديني والوظيفة الاجتماعية**

الطبعة الثانية، ٢٠٢٢م، بغداد، العراق، (٥, ١٤×٢١سم، ٧٤ صفحة).

٣. **الخطاب الديني والوظيفة الاجتماعية**

الطبعة الثالثة، ٢٠٢٢م، المنامة، البحرين، (٥, ١٤×٢١سم،

٧٤ صفحة).

٤. **روافد في تنمية الوعي الديني والاجتماعي. المجلد الأول.**

الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م، دار روافد، بيروت ـ لبنان، دار أطياف للنشر والتوزيع ـ القطيف، السعودية، (١٧×٢٤، ٦١٨ صفحة).

٥. **روافد في تنمية الوعي الديني والاجتماعي. المجلد الثاني.**

الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م، دار روافد، بيروت ـ لبنان، دار أطياف للنشر والتوزيع ـ القطيف، السعودية، (١٧×٢٤، ٦٢٢ صفحة).

٦. **อะฮ์ลุลบัยต์ ศูนย์รวมจิตใจและทางนำ**

ترجمة كتاب: أهل البيت.. المحبة والاتِّباع، إلى اللغة التايلاندية، المترجم: مقداد ونغسينا آري، منشورات مدرسة الزهراء ﷺ، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م، بانكوك ـ تايلند.

٧. **อิอะฮ์ลุลบัยต์ ศูนย์รวมจิตใจและทางนำ**

ترجمة كتاب: الإمام علي ضمير الأمة، إلى اللغة التايلاندية المترجم: الشيخ مقداد ونغسينا آري، الناشر: مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، الطبعة الأولى٢٠٢٣م، بانكوك ـ تايلند، (٢٠×١٤سم، ١٢٦ صفحة).

٨. **อิมามฮุเซน ตัวตนและอุดมการณ์**

ترجمة كتاب: الإمام الحسين الشخصية والقضية، إلى اللغة

التايلندية، المترجم: مقداد ونغسينا آري، منشورات مدرسة الزهراء، الطبعة الأولى، ٢٠٢٣م، بانكوك ـ تايلند، (١٤,٥× ٢١سم، ٧٤ صفحة).

المقالات

١. **مخارج الأزمات**

صحيفة بشائر الإلكترونية، الإثنين ٩ صفر ١٤٤٤هـ الموافق ٥ سبتمبر ٢٠٢٢م.

٢. **ثلاثة عناوين في شخصية عبدالمقصود خوجة**

صحيفة مكة، الاثنين ١٦ صفر ١٤٤٤هـ الموافق ١٢ سبتمبر ٢٠٢٢م، ص١٠.

٣. **توثيق الحقوق والديون بين الناس**

خليج الديرة، ٢٢ صفر ١٤٤٤هـ الموافق ١٩ سبتمبر ٢٠٢٢م.

٤. **لماذا تواجهنا تحدّيات الحياة؟**

صحيفة بشاير الإلكترونية، ١٥ ربيع الأول ١٤٤٤هـ الموافق ١١ أكتوبر ٢٠٢٢م.

٥. **الخطابُ الديني والوظيفة الاجتماعية**

مجلة الاجتهاد والتجديد، العددان التاسع والخمسون والستون، السنة الخامسة عشر، صيف ٢٠٢١م، ١٤٤٢هـ، وخريف ٢٠٢١م، ١٤٤٣هـ.

٦. **مساحة التشريع والاقتداء في السيرة النبوية**

مجلة الكلمة، عدد رقم ١١٧، للسنة التاسعة والعشرون، خريف ٢٠٢٢م/ ١٤٤٤هـ.

٧. **العيثان.. أسرة يشرق بها تاريخ الوطن**

نشر ضمن كتاب (كشكول آل عيثان في العلم والأدب والتراث والحياة) لمؤلفه: أحمد معتوق محمد العيثان، ط١، ٢٠٢٣م.

٨. **الحضور في زمن الغيبة**

ضمن كتاب (العالم في زمن ظهور الإمام المهدي ـ الطبعة الأولى: ٢٠٢٣م) باللغة التايلندية، للمترجمين: الشيخ زين العابدين فندي والشيخ مقداد ونغسينا آري، صدر عن مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية.

٩. **زواج الفاقدين لزوجاتهم**

صحيفة جهات الإخبارية، ١٠ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ٣ يناير ٢٠٢٣م.

بيانات وتصريحات

١. **حول نجاح موسم عاشوراء في محافظة القطيف، جريدة الرياض.**

الخميس ١٣ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ١١ أغسطس ٢٠٢٢م.

٢. **نعي الشيخ عبدالمقصود خوجة**

٢٣ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٢١ أغسطس ٢٠٢٢م.

٣. **تعزية لسماحة المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني في وفاة**

زوجته

٢ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ٢٥ يناير ٢٠٢٣م.

محاضرات ومشاركات إعلامية

١-٤٨. خطب الجمعة في مسجد الرسالة بالقطيف، عناوينها في فهرس الكتاب.

٤٩-٥٩. محاضرات محرم ١٤٤٤هـ، بعنوان: مقاربات في الاجتماع الديني المعاصر، في مجلس الحاج سعيد المقابي، وبثت مباشرة عبر قناة التسامح «altasamoh»، وعناوينها كما يلي:

- إحياء عاشوراء استحضار للمبادئ والقيم.
- علم الاجتماع الديني.
- الظاهرة الدينية في الاجتماع الإنساني.
- الآخر الديني والشراكة الإنسانية.
- علماء الدين.. الدور والمصداقية.
- الآخر المذهبي والأمة الجامعة.
- المرأة في الاجتماع الديني.
- الرأي الآخر بين التقويم والتجريم.
- الأسرة ركيزة الاجتماع الديني.
- الإمام الحسين وإصلاح الاجتماع الديني.
- عاشوراء السمو الروحي والقيم الأخلاقية.

٦٠. **كلمة في حفل تأبين الشيخ عبدالمقصود خوجة**

٣ صفر ١٤٤٤هـ الموافق ٣٠ أغسطس ٢٠٢٢م، منتدى الثلاثاء الثقافي.

٦١. **كلمة ضمن زيارته لمركز رفاه للإرشاد الأسري بالدمام**

١٠ صفر ١٤٤٤هـ الموافق ٦ سبتمبر ٢٠٢٢م.

٦٢. **كلمة لفئة الصم والبكم**

١٨ ربيع الأول ١٤٤٤هـ الموافق ١٤أكتوبر ٢٠٢٢م بمصاحبة مترجم الإشارة سماحة السيد نجيب العلي ـ مزرعة ـ القطيف.

٦٣. **إحياء الضمير والوجدان**

كلمة بمناسبة ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ، ١٧ ربيع الأول ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ أكتوبر ٢٠٢٢م مسجد المحسن بسيهات.

٦٤. **كلمة خلال استقبال عدد من المثقفين من مملكة البحرين**

١٩ ربيع الأول ١٤٤٤هـ الموافق ١٥ أكتوبر٢٠٢٢م.

٦٥. **كلمة خلال استقبال لجنة واعتصموا**

٣ ربيع الثاني ١٤٤٤هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٢م.

٦٦. **كلمة لفئة الصم والبكم**

١٠ ربيع الثاني ١٤٤٤هـ الموافق ٤ نوفمبر ٢٠٢٢م بمصاحبة مترجم الإشارة سماحة السيد نجيب العلي، مزرعة ـ القطيف.

٦٧. **كلمة خلال استقبال أعضاء منتدى رؤى الثقافي بالأحساء**

١١ ربيع الثاني ١٤٤٤هـ الموافق ٥ فبراير ٢٠٢٢م المكتب – القطيف.

٦٨-٧٢. في رحاب مولاتنا الزهراء وسيدتنا زينب ﷺ

الحسينية الكاظمية (البكاي) بدولة الكويت، ٣ ـ ٧ ديسمبر ٢٠٢٢م

٧٣. كلمة لطلاب حوزة الإمام الرضا ﷺ

١٢ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٦ ديسمبر ٢٠٢٢م، حوزة الامام الرضا ﷺ ـ الكويت.

٧٤. كلمة في افتتاح ديوان المستقبل بالكويت

١٢ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٦ ديسمبر ٢٠٢٢م.

٧٥. من هدي سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ﷺ

١٣ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٧ ديسمبر ٢٠٢٢م، دار الزهراء ﷺ ـ الكويت.

٧٦. كلمة في حفل استقبال حسينية البكاي

١١ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ٥ ديسمبر ٢٠٢٢م، الحسينية الكاظمية (البكاي) ـ الكويت.

٧٧. كلمة في حفل تدشين اليوم السعودي العالمي للتطوع

١٨ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ الموافق ١٢ ديسمبر ٢٠٢٢م، مركز الأمير فيصل بن فهد للمناسبات ـ سيهات.

٧٨. كلمة ضمن حفل افتتاح جمعية الفردوس لإكرام الموتى لمقرها

الجديد في القطيف

٣ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٢م.

٧٩. **كلمة في احتفال ذكرى ميلاد فاطمة الزهراء عليها السلام**

١٩ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ١٢ يناير ٢٠٢٣م، مسجد الإمام الحسين عليه السلام ـ صفوى.

٨٠. **كلمة حول الاهتمام بشريحة الصم والبكم**

٢٠ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ يناير ٢٠٢٣م، (خطبة الجمعة الثانية).

٨١. **كلمة في لقاء بجمعية الفردوس لإكرام الموتى**

١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ١٠ يناير ٢٠٢٣م، بمناسبة زيارة الأمين العام لمؤسسة إكرام الموتى في المملكة المهندس عبدالعزيز النغيثر.

٨٢. **كلمة ضمن مشروع القلوب الطاهرة للتزويج**

١٩ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ١٠ فبراير ٢٠٢٣م، ضمن موسم حسينية الحاج أحمد بن خميس الثقافي ١٤٤٤هـ ـ البحرين.

٨٣. **كلمة ضمن مسابقة المجلس القرآني المشترك**

٢٦ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ١٧ فبراير ٢٠٢٣م، مسجد الرسالة – القطيف.

٨٤. **كلمة ضمن فعالية (وقولوا للناس حسنا)**

١٤ شعبان ١٤٤٤هـ الموافق ٦ مارس ٢٠٢٣م، أقامها نادي

الخليج مع جمعية سيهات للخدمات الاجتماعية بمركز الأمير فيصل بن فهد للمناسبات ـ سيهات.

٨٥. **كلمة خلال استقبال المنشد الحاج نزار القطري**

٢٨ شعبان ١٤٤٤هـ الموافق ٢٠ مارس ٢٠٢٣م، المكتب ـ القطيف.

٨٦. **كلمة في حفل تدشين مسابقة العلامة الشيخ أحمد بن خلف العصفور القرآنية في نسختها السادسة عشر**

١ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٢٣ مارس ٢٠٢٣م، مأتم الطويلة، قرية بوري ـ مملكة البحرين (كلمة مسجلة).

٨٧. **كلمة بعنوان: الدعاء مكاسب مضمونة**

١٠ رمضان سنة ١٤٤٤هـ الموافق ١ أبريل ٢٠٢٣م، مسجد الإمام الباقر عليه السلام ـ سيهات.

٨٨. **كلمة عن أم المؤمنين خديجة عليها السلام**

١٠ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١ أبريل ٢٠٢٣م، منزل الحاج يونس الجارودي ـ القديح.

٨٩. **كلمة حول تقوية البعد الروحي**

١٢ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٣ أبريل ٢٠٢٣م، منزل الحاج حسن العطافي بحي الفيحاء ـ سيهات.

٩٠. **كلمة بمناسبة ذكرى مولد الإمام الحسن بن علي عليه السلام**

١٥ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٦ أبريل ٢٠٢٣م، مجلس السالم

ـ سيهات.

٩١. كلمة بمناسبة ذكرى مولد الإمام الحسن بن علي عليه السلام

١٥ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٦ أبريل ٢٠٢٣م، مسجد أم البنين عليها السلام ـ سيهات.

٩٢. كلمة بمناسبة ذكرى مولد الإمام الحسن بن علي عليه السلام

١٥ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٦ أبريل ٢٠٢٣م، مسجد الحمزة عليه السلام ـ سيهات.

٩٣. كلمة بمناسبة ذكرى مولد الإمام الحسن بن علي عليه السلام

١٦ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ٧ أبريل ٢٠٢٣م، مجلس عائلة المزعل ـ سيهات.

٩٤. كلمة ضمن استقبال عدد من رؤساء وأعضاء إدارات الجمعيات الخيرية في القطيف

٢٢ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ أبريل ٢٠٢٣م، القطيف. (إدارات الجمعيات الخيرية في القطيف، وصفوى، وسنابس، والجارودية، وأم الحمام، والعوامية، والأوجام) المكتب ـ القطيف.

٩٥. كلمة ضمن استقبال عدد من رؤساء وأعضاء إدارات الجمعيات الخيرية في القطيف

٢٤ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، (إدارات الجمعيات الخيرية في تاروت، والجش، والقديح) المكتب ـ

القطيف.

٩٦. كلمة ضمن استقبال عدد من رؤساء وأعضاء إدارات الجمعيات الخيرية في القطيف

٢٦ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٧ أبريل ٢٠٢٣م، (إدارة جمعية العطاء النسائية) المكتب ـ القطيف.

٩٧. كلمة في الأمسية القرآنية التي أقامتها ديوانية الثقلين

٢٧ رضمان ١٤٤٤هـ الموافق ١٨ أبريل ٢٠٢٣م، منزل الشيخ صالح آل إبراهيم ـ صفوى.

٩٨. كلمة ضمن حفل تأبين الكاتب والناشط الاجتماعي المهندس علي أحمد آل رضي

٢٧ شوال ١٤٤٤هـ الموافق ١٧ مايو ٢٠٢٣م، مسجد المحسن ـ سيهات.

٩٩. كلمة لسيدات من فئة الصم والبكم من القطيف والأحساء والكويت والبحرين

٢٩ شوال ١٤٤٤هـ الموافق ١٩ مايو ٢٠٢٣م، بمرافقة المترجم السيد نجيب العلي، حسينية أم البنين ـ العوامية.

١٠٠. كلمة خلال استقبال الباحث العماني الشيخ بدر العبري

٧ ذو القعدة ١٤٤٤هـ الموافق ٢٧ مايو ٢٠٢٣م، المكتب ـ القطيف.

١٠١. كلمة بمناسبة ذكرى يوم الغدير

١٨ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ٦ يونيو ٢٠٢٣م، مسجد الرسول الأعظم ـ صفوى.

١٠٢. كلمة بعنوان: نهج الخطاب عند الإمام علي عليه السلام

١٨ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٢٣م، بمناسبة ذكرى يوم الغدير، مجلس المقابي ـ القطيف.

حوارات

١. تجارب منبرية قطيفية، الحلقة الأولى،

قناة الإمام الصادق عليه السلام الفضائية على اليوتيوب، تقديم الشيخ راضي السلمان الأحسائي، بث بتاريخ ٧ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ٢٥ يونيو ٢٠٢٣م.

٢. تجارب منبرية قطيفية، الحلقة الثانية،

قناة الإمام الصادق عليه السلام الفضائية على اليوتيوب، تقديم الشيخ راضي السلمان الأحسائي، بث بتاريخ ١١ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ٢٩ يونيو ٢٠٢٣م.

٣. تجارب منبرية قطيفية، الحلقة الثالثة،

قناة الإمام الصادق عليه السلام الفضائية على اليوتيوب، تقديم الشيخ راضي السلمان الأحسائي، بث بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ٢ يوليو ٢٠٢٣م.

٤. تجارب منبرية قطيفية، الحلقة الرابعة،

قناة الإمام الصادق عليه السلام الفضائية على اليوتيوب، تقديم الشيخ

راضي السلمان الأحسائي، بثت بتاريخ ١٨ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ٦ يوليو ٢٠٢٣م.

٥. **تجارب منبرية قطيفية، الحلقة الخامسة،**

قناة الإمام الصادق عليه السلام الفضائية على اليوتيوب، تقديم الشيخ راضي السلمان الأحسائي، بثت بتاريخ ٢١ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ٩ يوليو ٢٠٢٣م.

٦. **تجارب منبرية قطيفية، الحلقة السادسة،**

قناة الإمام الصادق عليه السلام الفضائية على اليوتيوب، تقديم الشيخ راضي السلمان الأحسائي، بثت بتاريخ ٢٥ ذو الحجة ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ يوليو ٢٠٢٣م.

المحتويات

أول الروافد ٧

خُطَب اَلجُمعة

عطاء المجالس الحسينية ١٥
عاشوراء حضور عالمي متألق ١٩
العمل الإنساني بطولة الاقتحام ٢٥
اختراق المشكلات ٣١
مخارج الأزمات ٣٩
الأميّة الأبجدية والأميّة الثقافية ٤٥
زيارة الأربعين رسالة أهل البيت للعالم ٥٣
قيمة الوطن وكفاءة المواطن ٦١
تشيّؤ الإنسان ورعاية المسنين ٦٧
لماذا تواجهنا تحدّيات الحياة؟ ٧٣

الارتقاء بوعي الناس نهج الأنبياء ٧٩
جدلية العلاقة بين المصلحة والرغبة ٨٧
العلاقات البينية والتحدّي الخطير ٩٣
العائلة أولًا ٩٩
القبلة عنوان وحدة الأمة ١٠٥
الأبناء ضحايا التّفكّك الأسري ١١٧
العلاقات الاجتماعية ولغة التخاطب ١٢٥
الرقّ المغفول عنه ١٣١
زواج الفاقدين لزوجاتهم ١٤١
التطوع خير الدنيا والآخرة ١٤٩
احترام الآخر الديني ١٥٥
العام الجديد بين الاسترسال والمراجعة ١٦٣
حين تختلف وجهات النظر ١٦٩
كيان الأسرة والاختراقات العاطفية ١٧٧
الإنفاق الخيري وحاجات المجتمع ١٨٣
صنّاع الفتن بين الشعوب والمجتمعات ١٨٩
حياة الإمام الكاظم بين المعاناة والإنجاز ١٩٥
أولادنا يستحقُّون اهتمامًا أكبر ٢٠٣
كيف نشكر اللّه؟ ٢١١
مزالق الخصومات ٢١٧
ثقافة التّشدد ٢٢٣
الانفتاح على القرآن ٢٣٥
لماذا نقرأ القرآن؟ ٢٤٣

الاستجابة للقرآن ٢٤٩
القرآن ومنهجية التفكير ٢٥٥
القرآن وتعزيز الصحة النفسية ٢٦٣
حماية المنجزات ٢٧١
دور الأسرة في المعركة ضدّ المخدّرات ٢٧٧
المشاركة المجتمعية في الحرب على المخدِّرات ٢٨٥
الإنتاجية والعمل في فكر الإمام الصادق ٢٩٣
تزيين عمل السوء ٣٠٣
التربية على بِرِّ الوالدين ٣٠٩
معطيات التكافل الاجتماعي ٣١٥
ضعف التركيز والشرود الذهني ٣٢٣
المسافة الآمنة في العلاقات الاجتماعية ٣٣١
ذكر الله وعيٌ وطمأنينة وانضباط ٣٣٩
الإمام علي فكرٌ مغيّب ٣٤٥
المنبر الديني بين المعرفة والموعظة ٣٥٧

كِتابات

مقالات وتقديمات وبيانات ٣٦٥
رسالة تحية وإشادة ٣٦٧
عن كتاب «الاستراتيجية الإسلامية» ٣٦٩
نعي الشيخ عبدالمقصود خوجة ٣٧١
منهج الإمام السّجاد في التغيير ٣٧٣
ثلاثة عناوين في شخصية عبدالمقصود خوجة ٣٧٧

مركز البيت السعيد ريادة نموذجية..... ٣٨٣
توثيق الحقوق والديون بين الناس..... ٣٨٥
العيثان.. أسرة يشرق بها تاريخ الوطن..... ٣٨٧
تقديم لكتاب: رجل بمعنى الحقيقة ٣٩١
تعزية الشيخ السبحاني في وفاة زوجته..... ٣٩٧
تكريم شيخ الشُّعراء..... ٣٩٩
تقديم لكتاب: شرح منهاج الصالحين ٤٠٩

مُتابعات

في تغطية النشاط الثقافي والاجتماعي ٤١٧
الشيخ الصفار يحاضر في الاجتماع الديني المعاصر ٤١٩
إحياء عاشوراء استحضار للمبادئ لا الانشغال في الخلافات ٤٢٥
دعوة القيادات الدينية لدراسة علم الاجتماع الديني ٤٢٧
الدعوة إلى استيعاب الشباب المعرّض للتيارات الإلحادية ٤٣١
الشراكة الإنسانية بين أتباع الأديان ٤٣٥
علماء الدين ليسوا فوق النقد الموضوعي البنّاء..... ٤٣٩
تجاوز فقه القطيعة والخصام المذهبي..... ٤٤٣
غياب المرأة عن المشاركة في المؤسسات الدينية ٤٤٧
رفض الوصاية حيال الآراء الاجتهادية فقهًا وعقيدة..... ٤٥١
تجديد ثقافة الزواج وتجاوز الأعراف القديمة..... ٤٥٥
«التديّن الزائف» خطر يواجه المجتمعات المتديّنة..... ٤٥٩
عاشوراء مدرسة للقيم الأخلاقية والسمو الروحي..... ٤٦٣
الشيخ الصفار مؤبنًا عبدالمقصود خوجة: وظّف إمكاناته في خدمة

الثقافة وكان يبحث عن ذوي الكفاءة ويبادر للتواصل معهم ٤٦٧
شخصيات ثقافية تؤبِّن عبدالمقصود خوجة في «منتدى الثلاثاء» ٤٧١
زار مركز رفاه للإرشاد الأسري بالدمام..... ٤٧٥
الشيخ الصفار: وجود مراكز اجتماعية متخصّصة ضرورة ملحّة..... ٤٧٥
عيسى الربيح: اتصال الشيخ الصفار مبادرة طيّبة ٤٧٩
الموسوي: الشيخ الصفار دائم التشجيع للمشتغلين في الحقل العلمي٤٨١
الشيخ الصفار: الإعاقة ليست حاجزًا عن تحقيق النجاح والتميّز..... ٤٨٥
زار الملا أحمد خميس ٤٨٩
الشيخ الصفار يشيد بدور الخطباء المخلصين ٤٨٩
الشيخ الصفار: من يصغي لصوت ضميره لا يتورّط في ظلم أحد.... ٤٩٣
الشيخ الصفار يدعو المثقفين لأخذ المبادرة والتواصل مع الخطباء.. ٤٩٧
الشيخ علي حسن يستعرض كتاب ثقافة التدبير الاقتصادي ٤٩٩
الإشادة بلجنة (واعتصموا) والدعوة لاستنساخ تجربتهم ٥٠١
استقبال الروائي حسين المحروس ٥٠٥
العلاقات الجيّدة تشعر الإنسان بالسعادة والرضى ٥٠٧
استقبل أعضاء منتدى رؤى الثقافي بالأحساء..... ٥١١
الشيخ الصفار يدعو لبذل الجهد الثقافي والمشاركة في تنمية المجتمع٥١١
الشيخ الصفار يطّلع على برامج جمعية الفردوس لإكرام الموتى..... ٥١٥
روافد في تنمية الوعي الديني والاجتماعي ٥١٧
في كلمة لطلاب حوزة الإمام الرضا بالكويت ٥١٩
الشيخ الصفار: لا عذر في التقصير عن كسب المعرفة ٥١٩
في افتتاح ديوان المستقبل بالكويت ٥٢٣
الشيخ الصفار: فلنتطلّع للمستقبل ونهتم بصنّاعه ٥٢٣

الشيخ الصفار: هناك مفارقة بين التنظير وواقع المرأة الديني ٥٢٥
الشيخ الصفار: التواصل ينمّي المشاعر الإيجابية وينضج الآراء ٥٢٩
في خطبة الجمعة بالكويت..... ٥٣٥
الشيخ حمد السنان يشيد بزيارة الشيخ الصفار وآرائه الوحدوية..... ٥٣٥
الشيخ حسن الصفار: فخور بالاحتفالية وشكرًا للجهة المنظمة..... ٥٣٧
الدعوة إلى تأسيس جمعيات تخصصية تعالج مشاكل المجتمع ٥٣٩
الشيخ الصفار يحذّر من أخطار تفكك الأسرة على الأمن الاجتماعي ٥٤٣
شريحة الصم البكم والمسؤولية الاجتماعية..... ٥٤٧
مطالبة المنشدين باستثمار موهبتهم في رفع مستوى الوعي،
وبث المفاهيم الدينية السليمة ٥٥١
الدعاء رديف العمل وليس بديلًا عنه ٥٥٥
الإنفاق على الشأن العام من أفضل مصارف الثروة ٥٥٩
تقوية البعد الروحي في مواجهة النزعة المادية الجارفة ٥٦٣
أهمية المشاركة المجتمعية ودعوة أصحاب الثروة لخدمة مجتمعهم ٥٦٧
التحفيز لاهتمام أكبر بالأبناء والتفرغ لتربيتهم ٥٧١
التحذير من الانشغال عن الأبناء وتركهم فريسة للفضاء الإلكتروني . ٥٧٥
صلة الرحم تنمّي المشاعر الإيجابية عند الإنسان..... ٥٧٩
الإشادة بإدارات الجمعيات الخيرية ودعوتهم إلى التطوير..... ٥٨٣
القرآن علاج لأمراض النفس والروح ٥٨٧
كتاب باللغة التايلندية يتضمّن بحثًا للشيخ الصفار ٥٩١
في تأبين الراحل آل رضي..... ٥٩٥
ثقافة حبّ الناس واحترام أشخاصهم وأدوارهم..... ٥٩٥
حسن علاقتك مع الآخرين تقرّبك إلى الله..... ٦٠١

تجاوز الأمة للخلافات العقدية والفكرية ٦٠٥
كتاب الإمام علي ضمير الأمة يُترجم للتايلندية ٦٠٩
الشيخ علي حسن يشيد بكتاب: الأخلاق والإنسان ٦١١
التنوّع والتعايش.. بحثٌ في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية ... ٦١٥
الشيخ الصفار يدعو لخطاب ديني عقلاني لا شتائمي ٦١٧
لماذا انشغلنا عن فكر عليٍّ بالجدل حول خلافته؟ ٦٢٣

نَدَوات ومُحاضرات

الإتقان والتطوير في مجال إكرام الموتى ٦٢٩
إنشاء مؤسسات تساعد في اختيار شريك الحياة ٦٣٥
دعوة الرياضيين للاهتمام باللياقة النفسية والروحية..... ٦٤١
نشر ثقافة الاهتمام بالقرآن ٦٤٧
عقلانية وإنسانية خطاب الإمام علي ٦٥٣

أقلام

ترجمة الشيخ الصفار في موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح ٦٦١
الشيخ حسن الصفار: خطيب التجديد الثقافي المنشود ٦٧١
منطق المعرفة ٦٧٥
قراءة في كتاب: (إضاءات من السيرة النبوية)..... ٦٧٧
نحو استثمار السيرة المحمدية للتغيير.. ..... ٦٧٧
حسن الصفار.. مفكّرًا وداعية حوار ٦٨٧
ذكريات الصفار ومذكراته..... ٦٩١
تجربة الشيخ الصفار ترصدها نخبة من رجالات العلم والأدب ٦٩٩

خطاب متجدّد.. قراءة في كتابات الشيخ الصفار ٧٠٩
قراءة في كتاب: المرأة العظيمة... قراءة في حياة السيدة زينب ٧١٣
الجمعة وخطبتها..... ٧٢٣
الشيخ الصفار: إعلاء القيم الإنسانية ٧٢٧
التلقّي وبناء الذات في مذكرات الشيخ الصفار ٧٣١
تحية شاكرة..... ٧٣٥

ببليوجرافيا

ببليوجرافيا ١٤٤٤هـ..... ٧٣٩